منبر الإسلام

العدد الأول - السنة ٢٣ - المحرم ١٣٨٥ - ٢ مايو ١٩٦٥م

الثمن ٥ قروش

بسم الله الرحمن الرحيم

« وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون »

صدق الله العظيم

علماء الدين يستنكرون تصريحات بورقيبة

الشاذة الخارجة على العروبة والإسلام

تحقيق من إعداد : عبد العظيم ملوك

لاحديث للشعوب العربية الآن ، الا عن التصريحات الخطيرة التى أدلى بها الحبيب بورقيبة أخيرا حول قضية فلسطين ومطالبته بالدخول فى مفاوضات مباشرة مع اسرائيل لحل هذه القضية ، فقد قوبلت هذه التصريحات الغريبة المغرضة بالدهشة والاستنكار الجماعى فى جميع الأوساط ، بل تحول هذا الاستنكار الى ثورة عارمة على بورقيبة وتصريحاته المسمومة ، وبينما السخط العربى على أشده خرجت اسرائيل وصحف الغرب لتواصل ترحيبها بتصريحات الخائن بورقيبة ، فقد كتبت صحيفة ((آدمر)) الاسرائيلية تقول ان بورقيبة تحدث عن المبدأ الذى تنادى به اسرائيل منذ سنوات وهومبدا المفاوضة ، وامتدحت صحيفة « واشنطون ستار » تصريحات بورقيبة وهكذا توالى المديح والاستحسان من جميع دول الاستعمار التى تقف وراء الدولة اللقيطة « اسرائيل »

ولكن الشعب العربى استنكر هذه التصريحات وخيب فأل بورقيبة الذى خسر أخاء العرب وكسب الذل من تعليقات اسرائيل ثم هولن يأخذ من تحالف الصهيونية والاستعمار الا بالقدر الذى يعزله عن العرب دون أن يقربه من غيرهم .. وما أشدها خيبة على خيبة ..

واستنكرت مجلة منبر الاسلام من رئيس عربى هذه التصريحات التى يبغى من ورائها هدم الكيان العربى وتفتيت الوحدة الاسلامية ، والفتنة بين الصف العربى الذى أجمع رأيه على اعادة فلسطين العربية ، ورأت مجلتنا استطلاع رأى رجال الدين فى هذه التصريحات المسمومة التى لا تخدم الا العدو والمستعمر . وأجمعت كل الآراء على أن بورقيبة خائن لوحدة الصف العربى ، وخائن للشعب الفلسطينى ، وخائن للامة العربية ، ومرتد عن الدين الاسلامى الذى يدعو الى الوحدة والتضامن « واعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم »

وذهبنا الى رجال الدين ليدلى كل منهم برأيه :

فرأى فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر فى التصريحات المنسوبة للرئيس الحبيب بورقيبة هو :

فلسطين بلدة عربية يسكنها أهلها العرب ، ويملكون أراضيها ، وقد تآمر عليها الاستعمار وصدر وعد بلفور بانشاء وطن يهودى على أرض عربية ، وطبيعى أن هذا الوعد صدر ممن لايملكه فى أرض لايملكها ، ثم سار الاستعمار فى هذا السبيل الى أن أنشئت دولة غاصبة فى فلسطين باسم اسرائيل سلبت أهل فلسطين الشرعيين أراضيهم واعتدت على حرياتهم وعلى حياة الكثيرين منهم وشردت أكثر من مليون منهم ، فولدت اسرائيل دولة غير شرعية وبقيت كذلك للآن ، وحل هذا الاشكال حلا صحيحا انما يكون باعادة الحق الى أهله والقضاء على هذا الظلم بارغام حكومة اسرائيل على الجلاء عن أرض لاتملكها واعادتها الى أهلها ، وقد جربت الدول العربية جميع الحلول مع اسرائيل فلم تفلح للآن وازاء تماديها فى الظلم والطغيان لايكون من الانصاف تفتيت قوى العرب واضعاف وحدتهم ازاء قضية فلسطين القضية العادلة التى أجمع العالم كله على حق أهلها فى عودة اللاجئين جميعا الى أراضيهم حرة طليقة لاسلطان لاجنبى عليها .

لذلك نرى أن مانسب الى الرئيس الحبيب بورقيبة من تصريحات يراد بها الاعتراف باسرائيل واجراء مفاوضات ودية معها بقصد تقسيم أرض فلسطين بين اسرائيل وبين العرب أهل فلسطين انما هو فى الواقع اقرار للظلم ومحاولة يائسة لشد أزر اسرائيل المعتدية ونرى أنه يجب على جميع الدول العربية بل على كل منصف ألا يؤيد هذه التصريحات ، وأن يتكاتف مع غيره على تأييد موقف الدول العربية ازاء قضية فلسطين ذلك الموقف الذى يؤيد الحق والعدل ، وقد أجمع عليه مؤتمرا القمة الأول والثانى ورؤساء الدول العربية فالخروج عليه فى الواقع خروج على اجماع العرب ممثلا فى قرارات زعمائهم ونقض لعهد كان يجب عليهم جميعا الوفاء به لقوله تعالى « **يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** » وقد حذرنا الله سبحانه عاقبة الفرقة قال تعالى « **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** » وقال سبحانه « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** »

وسألنا سيادة الدكتور محمد كامل الفقى الأستاذ بكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف عن رأى الدين فى تصريحات بورقيبة ..

فأجابنا سيادته بقوله :

١ – اجمع العرب على ان يحرروا من عدوان اليهود شعب فلسطين الذى هو قطعة من الوطن الاسلامى وبه من المقدسات مابه . والاسلام يرى من خلال موقف بورقيبة اتجاها الى فتح ثغرة فى صفوف العرب ومحاولة لصدع كلمتهم وتفتيت وحدتهم وان من أشد أعداء الله من يناهضوا جمع كلمة العرب وتفريق صفوفهم

• بورقيبة نقض العهد وخرج على الإسلام والعروبة

حسن مامون

٢ – يدعو بورقيبة برأيه الى اذلال العرب وذلك بالدعوة الى الاعتراف بدولة اسرائيل وفى هذا ما ينافى الذلة التى كتبها الله على اليهود •

« ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله »

٣ – دعا بورقيبة فى مؤتمر القمة وفى غيره مع المجاهدين العرب الى قيام الكيان الفلسطينى ، وأسهم بكل ماتسهم به دولة عربية واسلامية فى حفظ هذاالكيان ،ثم لأمر ما نقض عهده والاسلام يحارب نقض العهود والكذب وخصوصا ممن له صفة القيادة ويصف أمثال هذه الموقف، بالنفاق :

واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ،واذاخلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون » •

« ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا »

٤ – ان الدين الاسلامى لايعترف الابقيادة تستمد كيانها وتصرفها من روح الاسلام وقد خرج بورقيبة بهذا الانحراف من ظل الاسلام واتجاهه والدين بهذه المثابة يدعو شعب تونس الى سحب ثقته من رجل نصب نفسه بقيادة هذه الأمة والمشاركة مع القادة العرب فى قضية الوطن العربى ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق •

وسألت فضيلة الشيخ عبد الله المراغى عن رأى فضيلته فى تصريحات بورقيبة وخروجه عن الصف الاسلامى ••

فأجابنا فضيلته بقوله :

من المعلوم شرعا أن الاجماع على أمر من الأمور التى تحقق صالح الجماعة فى أمر دينى

أو دنيوى يجب التزامه والمحافظة عليه لأنه عهد وميثاق وعقد من العقود التى يشملها قول الله تعالى :

« يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وقوله « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا •• »

والخروج على الجماعة مروق فى الدين منهى عنه بقوله تعالى :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »
فالفرقة تمزيق للوحدة وتمييع للفكرة وانزلاق الى الهوة السحيقة التى يتمناها الأعداء ويبتغيها المعارضون وكم كان السرور والفرح والبشر يعلو وجوه كل الغيورين على استرداد حقوق عرب فلسطين الذين شردوا من ديارهم وأخرجوا بغير حق ولا ذنب لهم الا أنهم كانوا عزلا من السلاح والعتاد فى زمن فيه الضمير الانسانى نومة عميقة بل بات الضمير العالمى سقيما مذهولا لايستطيع أن يميز بين الحق والباطل بل بات معدوما انعداما كليا أدى الى أن يستشرى الباطل ويستأسد الوحش الضارى الجائع الذى ينشب أظافره فى فريسته لايرعى لها الا ولا ذمة ، وقد يطول الحديث فى شرح مؤامرات الصهيونية والاستعمار منذ أن قويت شوكة العرب والمسلمين ، فالحروب الصليبية من بدئها مع البطل صلاح الدين وغيره الى البطل الثائر جمال عبد الناصر • جوهرها واحد وحقيقتها واحدة مهما لبست أقنعة مختلفة فهى واحدة وكلما لاح لهذه المؤامرات أن حاجزا يحجزها عن السير فى طريقها العدوانى احتالت عليه بطريق أو بآخر لتفتح فيه ثغرة مهما كانت ضيقة وتعمل جاهدة على توسيع هذه الثغرة حتى يزول هذا الحاجز وتمضى فى طريقها والتاريخ الصحيح ينبئنا فى وضوح لا لبس فيه ، وفى جلاء لاغيوم فوقه •• أن الوحدة لاتجىء الا بخير وأن الفرقة لاخير فيها الا للعدو • فأعداء الأفكار الصحيحة كثيرون منهم من يعادى للغيرة على صاحب فكرة سليمة يغرسها فى تربة صالحة ويرعاها حتى تنمو وتزدهر وتؤتى أكلها ثمارا شهية يستمتع بها القاصى والدانى والعدو والصديق •

فالحق أن الغباوة تدفع ضعيف الهمة ليقطع شجرة الخير ولو يثر من ذلك العقل لأن ضميره الميت يسر لاخفاء أعمال العدو وعدم اظهارها بمظهر يسر الصديق ويعجب به المحب ، ولقد أرتعدت فرائص كل عربى وكل مسلم عند سماع تصريحات تمزق الاجماع الذى سعد به العرب والمسلمون زمنا مبدؤه تصريح الملوك والرؤساء منذ عامين تقريبا يتمسكهم باسترداد حقوق عرب فلسطين وزوال الدولة الغاصبة التى ظاهرها الاستعمار بجيوشه المستترة من الكيد وحبك المؤامرات كما ظاهرها بسلاحه البرى والبحرى والجوى وغير ذلك مما تستطيع أيدى الغادرين أن تصنعه وتبيته بليل، ولقد دق ناقوس الخطر ووقعت الواقعة التى ليس لها من دون الله كاشفة بهذه التصريحات التى يشعر العرب بانها خنجر مسموم يراد به طعن الجبهات المتراصة المجمعة على رفع يد الغاصب ورد الحق الى أهله ، والعاقل لايلدغ من جحر مرتين ولقد لدغ العرب لدغة كادت تميتهم عام ثمانية وأربعين وتسعمائة وألف فلو أسلموا أنفسهم لمثل هذه الأباطيل لكانت لاقدر الله خسارتهم تفوق كل خسارة منذ بدأت معاركهم مع الأعداء فاللهم الهم القادة الاخلاص للحق والجهاد فى سبيله وتحمل التضحية بالنفس والنفيس وكل غال ولا تجعل فى قلوبهم غلا ولا حسدا ، بل اجعلهم برحمتك صفا واحدا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى

• بورقيبة انزلق إلى الهوة السحيقة لأن الخروج على الجماعة مروق فى الدين

الشيخ عبدالله المراغى

له سائر الجسد بالحمى والسهر ، حتى يصدق فيهم قول رسولهم الكريم محمد عليه السلام « **لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه** » فأى نفس يستقر لها قرار أو تغمض لها عين وهى ترى عدوها يسلب حقها ويخرجها من وطنها وحب الأوطان من الايمان والدفاع عن الأوطان دفاع عن الأديان والأموال والأعراض .. « **ومن قتل دون ماله أو عرضه فهو شهيد** » فاللهم هيىء للعروبة والاسلام رجالا صدقوا ماعاهدوا الله عليه وطلبوا الشهادة والموت فى سبيل الدفاع عن الحق .

ويروى لنا التاريخ الصحيح أن أحد الصحابة لم يستطع أن ياكل بعض ثمرات كانت فى يده وحمله الحرص على طلب الاستشهاد فى سبيل الله على القاء الثمرات والمسارعة الى ميدان الوغى لأنه رأى بقوة يقينه ان المسارعة الى الجهاد غذاء لروحه وغذاء الروح أقوى من غذاء البدن فلا جسم بلا روح ولا شجرة بلا ثمرة فالجهاد ركن من أركان الاسلام يذل المسلمون بتركه ويهون أمرهم على انفسهم وعلى الناس فترك الجهاد من القادر عليه حين عدوان المعتدى تفريط فى الدين لا يبرره أى غرض من الأغراض مهما كان من القوة ولأن ترك الدفاع حين العدوان من القادر ياتى على الأخضر واليابس ويدع الديار بلاقعا والفتنة فى الدين والايمان شر فتنة .

قال تعالى : « يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه أكبر عند الله (والفتنة أكبر من القتل) » .

ففتنة الدين واستذلال المسلم شر عليه من قتله واستشراء الأعداء فى أوطان العرب

والمسلمين تسرب لألسنة النيران التى تندلع فى كل دار وقرية ومدينة ومصر من الأمصار فمعظم النار من مستصفر الشرر ، فحذار أن تنطلى علينا تصريحات المثبطين الذين يدسون السم فى الدم . وعلينا نحن معاشر العرب والمسلمين أن نفتح عيوننا ونشد أعصابنا وعزائمنا ونثبت اقدامنا ونكون على قلب رجل واحد ورأس فكرة واحدة لا تزيغ بها الأهواء ولا تفرقها الأطماع فكل عرض من حطام الدنيا وأن غلا وكبر وعظم لا يساوى مصيبة المسلمين والعرب فى اغتصاب شبر من ارضهم لأن أمارة الذل والهوان والاستعباد يدل عليها بأتفه شىء وأقله فمن فرط فى شبر يساوى من فرط فى مصر لأن النتيجة واحدة ومن غصب القليل فيغصب الكثير ومن خرج من حجرة فى داره يساوى من طرد منها فى نظر العقلاء أصحاب الكرامة والعزة والأنفة ، وكم قامت الحروب الطاحنة من أجل صفعة بيد أو ضربة بسوط أو لكمة أو نحو ذلك .

ونسأل الله الا يمتحننا الا ونحن متحدون نرد كيد العدو ونشد أزر الصديق ونار تحرق العدو وتنير للصديق .

وحينما وجهنا الى فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى السؤال التالى : الوحدة الاسلامية تمكين لدعائم الاسلام وهدفه الأعلى ، فما رأيكم اذا خرج خارج عن هذه الوحدة ؟

اجابنا فضيلته بقوله :

ان دعوة الاسلام الى الوحدة والجماعة دعوة اصيلة ، يرددها القرآن فى آياته ، ويبثها فى تعاليمه ، وتوجيهاته .

ولا تجد للاسلام عناية بشىء فوق عنايته بالتوحيد : عقيدة وجماعة ليكون أهله أمة واحدة فى الاعتصام بدينهم ، والتفاهم فيما بينهم ، ومع غيرهم : متضامنين فى حماية أوطانهم من كل باغ عليهم ، أو طامع فيهم : حتى لا يكون للشيطان مجال بين صفوفنا — ولا للعدو استهانة بقوميتنا ، ولا للمطامع الرخيصة مساس بجماعتنا أمام عدو يتحرش بالعروبة ، ويحتال على التفريق بين شعوبها ، أو يباعد بين زعمائها ، أو يغمز فى قوتها ، وتضامنها .

وحرصا على تلك الأهداف : يعتبر الاسلام كل محاولة للغض من مبادئه الجماعية وسواها : خيانة للدين ، وللوطن ، ونقضا للعهد مع الله ، وجنوحا الى مؤازرة العدو فى البغى علينا .. وقد حكم الله على من يفعل ذلك ، أو يسهم فيه بقوله تعالى .

« والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه .. ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل .. ويفسدون فى الأرض .. أولئك هم الخاسرن » ولا شك ان العهد مأخوذ علينا بمقتضى الاسلام .. وان العهد بين الناس كالعهد مع الله فى وجوب صيانته من الغدر ، والوفاء على وجه الكمال « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا » .

ونحن نقف اليوم ازاء الزعيم التونسى ، وشذوذه عن وحدة العروبة موقف لوعة وأسى .. فقد تغافل عن واجبه ، وتجهم لدينه ، وتنكر لعهوده وبرز كما تبرز الحية من جحرها ، ونفث سمومه فيما سماه اقتراحات فى قضية اسرائيل .

وهذه بجاحة بالباطل ، فى مواجهة الحق الأبلج .. وهى فى الوقت نفسه طعنة من الخلف ، يشق بها وحدة الزعماء ، لاحباط

ان موقف الحبيب - وليس هو بالحبيب كموقف الشيطان - حينما يطل براسه بين الجماعات وينفث همزاته ونزعاته ليفرقهم أشتاتا .. ولكن هيهات !
الشيخ عبد اللطيف السبكي

جهادهم ، وتمكين عدوهم من نجاح يبغيه على حساب خيانة هذا الزعيم – ونحن من الأمل العزيز على مقربة من الفوز به مستعدين متضامنين كما كنا ، وكما هو وعد الله للمعتصمين بحبله غير متفرقين !.

ان موقف الحبيب – وليس هو بالحبيب – كموقف الشيطان ، حينما يطل برأسه بين الجماعات وينفث همزاته ، ونزعاته ليفرقهم أشتاتا ، أو تسيل من بينهم أفرادا ، فتتصدع القوة المجتمعة ، وتتناثر الصفوف المنتظمة ، ثم يفرح فيهم الشيطان وجنوده .. وتلك هي الفتنة الداهمة .. والفتنة عند الله أشد من القتل ، وهى فتنة كانت نائمة ، فأيقظها الحبيب التونسى بهذا الشذوذ المفاجىء . والنبي صلى الله عليه وسلم يقول .

الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها .. ويقول يد الله مع الجماعة .. ومن شذ شذ الى النار .. فهذه لعنة الله على مثير الفتنة بين الجماعة وهذه هى النار مصيره ومأواه ... وصدق رسول الله .

ويجيبنا فضيلة الشيخ عبد الله المشد عن رأى الدين الاسلامى فى تصريحات بورقيبة ، بقوله :

لا شك أن قضية فلسطين هى قضية الدين قبل أن تكون لشىء آخر ذلك أن فلسطين وطن اسلامى انتزعه اليهود من اهله المسلمين والعرب فانتزعوا سلطانه وأرضه وتراثه وهو مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم . واحدى القبلتين وقد ظاهر اليهود على هذا الاستعمار والصليبية ولا يزالان يظاهران على ذلك .

ولما استيقظ المسلمون والعرب بعد أن أرقتهم تلك الفاجعة فجمعوا كلمتهم ووحدوا

صفوفهم للعمل على ازالة هذا العار الذى لحق بهم وأضاع حقوقهم وكان آخر العهد بهذا العمل اجتماع ملوكهم ورؤسائهم بدعوة السيد الرئيس جمال عبد الناصر لتناسى خلافاتهم وللعمل الموحد لاستخلاص فلسطين وردها الى أهلها وانتهت اجتماعاتهم بقرارات مؤتمرى القمة باتفاق تام نحو اتخاذ كل الوسائل الفعالة لتحقيق أهداف الأمة العربية فى اعادة فلسطين الى أهلها وبدات الأمة العربية سيرها نحو هذه الغاية بقوة وصلابة تحفزها الرغبة الصادقة وتنشدها الكرامة الاسلامية وبينما نرى الأمة العربية فى نشوة انتصارها وفرحها بوحدة كلمتها وبما تلقاه من من مؤازرة الشعوب المحبة للحق والحرية بينما نرى ذلك كله اذا نحن نرى السيد بورقيبة يخرج على اجماع المسلمين والأمة العربية بما يظاهر الصهيونية والاستعمار داعيا الى تسليم جزء عزيز من الوطن العربى الاسلامى الى أعداء الله وأعداء العرب ومثله فى هذا العمل مثل الخارج على الجماعة المثير للفتنة بين صفوف المسلمين مما يؤدى الى اضعاف قوتهم وتفتيت وحدتهم ومحاولة تمكين أعدائهم منهم (والفتنة أشد من القتل) وفى ذلك يكون بورقيبة وضع نفسه مع أعداء الأمة العربية وجانب الحق والصواب وواجب على الأمة العربية الا تمكن أمثاله من القيادة فى أى جزء من الوطن خاصة فى مثل ظروفها الراهنة التى تقتضى الوحدة والاخلاص والعمل الجماعى والايمان الصادق .

ووجهنا الى السيد الدكتور احمد شلبى استاذ التاريخ الاسلامى بكلية دار العلوم هذا السؤال :

تقابل الأمة العربية عدو مشترك وهو اسرائيل فما واجب العرب نحو هذا العدو ؟

فاجاب سيادته بقوله :

ان خلق نظرية من النظريات يستدعى عدة تجارب ، فاذا نجحت هذه التجارب وتكرر نجاحها أمكن حينئذ وحينئذ فقط تقرير النظرية ، وينطبق هذا التصرف على النظريات العلمية والاجتماعية .

ولكن الرئيس بورقيبة وضع نظريته وهى « سياسة المراحل » بتجربة واحدة بل بتجربة غير كاملة .

أما هذه التجربة فهى تجربته مع فرنسا ، اذ رضى بخطوة ليطالب بعدها بخطوة أخرى ، وأما انها غير كاملة فلأننا نذكر أن فرنسا لم تسر فى الاستجابة للخطوات التى طالب بها الرئيس بورقيبة ، واضطرت تونس أن تدخل سنة ١٩٦١ فى نضال مسلح ضد فرنسا لاستعادة بناء بنزرت ، وسقط عدد من القتلى فى هذه المعركة ، وكنا نظن أن الرئيس بورقيبة تنازل عن سياسة المراحل بعد أن ثبت له عمليا فشلها ، ولكن يبدو أنه لا يزال متمسكا بها ، ويجدر بى ان اقرر أن القدر من النجاح الذى حققته هذه السياسة لتونس لم يكن لسلامة هذه السياسة بل لأن فرنسا كانت تعانى ضغطا رهيبا من الجزائر ومستعمراتها بافريقية وآسيا ، وأرادت فرنسا أن تتفرغ لهذه المشكلات ، فتساهلت مع الرئيس بورقيبة أول الأمر ، ثم عادت الى طبيعتها الاستعمارية فيما بعد .

ومن هنا يتضح أن سياسة المراحل سياسة خاصة على العموم ، فاذا جئنا لقضية فلسطين امام اجماع عربى ضد هذا التصرف الاستعمارى الصهيونى ، فقد عرف العرب مما لا يدع مجالا للشك أن اسرائيل ليست الا قلعة يقيم بها جند الاستعمار ويديرون

• بورقيبة أثيم لأنه عميل صهيوني

خرج على قضية فلسطين ...
خرج على الدين ...
خرج على العروبة ...

الدكتور أحمد شلبي

منها مؤامراتهم ، ويعدون منها خططهم للعدوان والتوسع ، واجتمعت الأمة العربية والأمة الاسلامية على ضرورة زوال هذه القلعة من وسط العالم العربي ، وأن من المستحيل التفاهم أو انصاف الحلول مع هذا الوباء .

قد تطول مدة اسرائيل وقد تكون نهايتها سريعة ، ولكن العرب والمسلمين قرروا بما لا يدع مجالا للشك أن من المستحيل أن نضع ايدينا فى يد الصهاينة أو تجمعنا بهم مائدة فان هذا أثم ، يأثم مقترحه ، ويمرق من روج له أنه جزء من سياسة الأمر الواقع ، ولو راعينا الأمر الواقع لبقى الاستعمار مخيما على بلادنا ومخيما على غيرنا من البلاد الاسيوية والافريقية ، ان سياسة الأمر الواقع هى سياسة العجزة ، وليست سياسة الثوار والمناضلين والأحرار ، انها سياسة النفاق وليست سياسة الاسلام والمسلمين .

وحينما سألنا الدكتور محمد جمال الدين الفندى عن رأى الدين الاسلامى فى تصريحات بورقيبة : قال :

هذه التصريحات منافية تماما لكل ماجاء به الدين الحنيف ، خصوصا اذا عرفنا مبادىء الاستعمار الصهيونى ومطامعه فى بلادنا أولياء بعد أن اخرجونا من ديارنا وتظاهروا علينا بالعدوان ؟ ! والعجيب أن مطامع الصهيونية كما نعرفها جميعا لا تقف عندحد ، اذ يصور الوهم دولة تمتد بوبائها من النيل الى الفرات ! !

ان الجهاد أيها العرب واجب على رجالنا فاذا فنوا وجب الجهاد على النساء من أجل الذود عن بلادنا .

هذه هى الحقيقة السافرة . ولهذا فان ابو رقيبة من المارقين على الدين والخائنين للوطن العربى فنادت بالشر المستطر ، فاحذروا أيها العرب مثل هذا القول الذى يقرض

أرضكم المقدسة للاستعمار البغيض .. ولما الصفوف فقد دق ناقوس الخطر وراح الاستعمار يلعب دورا جديدا تمثل فى هذا التصريح الخطير المنافى لمبادئنا وعقائدنا والعياذ بالله .

وأجاب السيد الدكتور على عبد الواحد وافي عن تصريحات السيد بورقيبة في ضوء الاسلام بقوله :

تنطوى هذه التصريحات على خيانة صريحة للقضية العربية ولأحكام الاسلام ونقض للمقررات الاجماعية التى اتخذها زعماء العرب ووافق عليها الحبيب بورقيبة نفسه وتضييع لجميع الجهود التى بذلت فى هذا السبيل منذ سنة ١٩٤٨ الى الآن .. « ومن نكس فانما ينكس على نفسه .. صدق الله العظيم » .

وحينما قلنا للسيد الأستاذ البهى الخولي : يحاول بورقيبة بتصريحاته تفتيت الوحدة العربية فى مواجهة اسرائيل المغتصبة للأراضى المقدسة ، فما رأى الدين الاسلامي فى هذا ؟

فأجابنا سيادته بقوله :

ان مجموع ما نقلته وكالات الأنباء عن تصريحات الحبيب بورقيبة يناصر بعضه بعضا فى الاتجاه الى هدف واضح .. واضح بمفهومه فى العقل ، وبأثره الأليم المحزن فى الضمير ، هو محاولة التخذيل عن قضية فلسطين ، وشرح الجبهة العربية التى ائتلفت لاسترداد الأرض المقدسة من غاصبيها اليهود والمعروف أن فلسطين أرض عربية بحكم الموقع الجغرافى ، ولكنها الى ذلك أرض اسلامية .. اسلامية بحكم الفتح الاسلامى .. واسلامية بحكم اتصالها بذكريات الاسلام وورود نصوصه الكريمة بوجوب تقديسها ، فهى الأرض المقدسة « يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم » وهى الأرض التى بارك الله فيها للعالمين ، وهى بلد المسجد الأقصى الذى جعله الله منتهى اسراء نبينا عليه الصلاة والسلام « سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله » وقد أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر هذا المسجد اذ قال فى الحديث الذى رواه الصحيحان عن أبى هريرة : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى » وقوله الذى رواه أبو يعلى برجال ثقات عن ميمونه رضى الله عنها ، قالت : قلت يارسول الله ! أفتنا فى بيت المقدس » قال : « أرض المحشر ، وأرض النشر – اى الحشر والنشر يوم القيامة – ايتوه فصلوا فيه ، فان الصلاة فيه ، كألف صلاة ، أى كألف صلاة فى غير المسجد الحرام ومسجده بالمدينة ... فاذا صح ان يكون لأرض من أرض الفتح حق على المسلمين اكثر من غيرها فأرض المسجد الأقصى هى صاحبة هذا الحق، لما قدمنا من دخولها فى ذكريات الاسلام وورود الوحى بتقديسها وقوله عليه السلام : « ايتوه فصلوا به »

* وهذا يجعل العدوان على فلسطين عدوانا على أرض اسلامية ، وعدوانا على الاسلام نفسه ، لايجوز بحال أن ينظر فيه ولا أن يعالج الا على أساس نصوص الاسلام ، ووسائله التى قررتها أحكامه ، أما ان يعالج بالوسائل المدنية ، وانتظار ما تقول الأمم المتحدة ، فليس من الاسلام فى شىء ولا يجوز

• بورقيبة وضع نفسه مع أعداء الأمة العربية وجانب الحق والصواب وواجب الأمة العربية ان تردعه وتوقف هذيانه

الشيخ عبد الله المشد

ان تحكم الأمم المتحدة فيما ننفذ من أحكام ديننا ومالا ننفذه ، لأن معناه الرضا بنتيجة القرآن عن الهيمنة على شؤوننا ، والحكم بعده بغير ما أنزل الله ٠٠ واذا كان العدوان على فلسطين يعتبر عدوانا على الاسلام نفسه ، فانه يتضمن الى ذلك اغتصاب الأرض من أهلها ، واخراجهم منها الى حدودها بلا مأوى لأكثر من سبعة عشر عاما ، فالأمر فى هذا العدوان ليس أمر عدو احتل أرضا للاسلام، بل أمر غاصب غصب بلدا اسلاميا وأخرج أهله منه ٠٠ وحكم الاسلام فى هذا هو نفير عامة المسلمين للقتال ، حتى تخرج المرأة بغير اذن زوجها ، والعبد اذن سيده ٠

نقدم هذا لندرك به موقف بورقيبة من قضية الاسلام الأولى فى هذا اليوم ، فان الكثيرين منا قد ألفوا بحكم ظروف كثيرة أن ينظروا الى قضايا الاسلام على أنها قضايا « سياسية » يحكم فيها الساسة المختصون بوسائلهم المدنية واجتهاداتهم الخاصة ، حتى صار هذا الكثير لايفرق بين حكم الاسلام على مواقف هؤلاء الساسة ، وحكم السياسة العادية ٠٠٠ فالواضح أن بورقيبة لا يخرج على الاجماع فحسب ، بل هو يقوم الى ذلك ـ عامدا ـ بجهد عنيف يشرح الجبهة العربية التى توحدت بمؤتمرات القمة ، فقد يخرج خارج على الاجماع ، فلايهلك الا نفسه، اذتظل الجبهة سليمة بعد خروجه ، أما موقف هذا الخارج فهو موقف من يؤدى للصهيونية والاستعمار أكبر المعونات ضد أمة بمحاولاته صدع الجبهة وخلخلة الصف الذى تآلف من ملوك العرب ورؤسائهم لمناصرة قضية فلسطين ضد الصهيونية ٠٠٠ فاذا علمنا أن تفرق الملوك والرؤساء بدسائس الاستعمار كان هو السبب الوحيد فى بلبلة الأذهان واطفاء

جذوة القتال للقضية المقدسة ... وأن هذا الخارج ظل ساكنا حتى اذا تالف الصف والتهب به الشعور فى كافة أنحاء الوطن العربى ، وذعر الاستعمار والصهيونية ، قام ينادى نداء الآثم ، يوهن به الصف ، ويجرد القضية من أقوى أسلحتها .. اذا علمنا ذلك كله تبينت حقيقة العمد فى الجريمة التى لم يكتف فيها هذا الرجل بخروجه على اجماع أمة حتى راح يضرب وحدتها بمعاوله ليحدث فيها ما يستطيع من ثغرات ..

ولو كانت له أدنى نية حسنة وأقل حرص على الوحدة لجعل تصريحاته تلك شورى بينه وبين اخوانه فى مؤتمر قمة ، أو وكلها سرا الى جامعة الدول العربية تدرسها بوسائلها المقررة ، أما أن يخرج فجأه ، والشعور العربى على أتم تعبئته ، وقعقعة أسلحتنا حول العدو من مختلف جهاته تخلع قلبه وتبعث فيه الرعب لأول مرة ، فيدعو الى التعايش السلمى مع هذا العدو ، ويلقى معه الفتنة والتخذيل مايلقى ، فذلك هو الخيانة المتعمدة السافرة لله ولكتابه ولعامة المسلمين فى القضية المقدسة .. وفى أمثال هذا الرجل قديما جاء قوله تعالى ..

« قد يعلم الله المعوقين منكم ، والقائلين لأخوانهم هلم الينا ، ولا يأتون الباس الا قليلا أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد ، أشحة على الخير ، أولئك لم يؤمنوا ، فاحبط الله أعمالهم » فالآية الكريمة أوضحت بأن المعوقين عن الباس والقائلين لاخوانهم هلم الينا تخذيلا وصرفا عن القتال ، لا ايمان لهم لأن الله يقول « أولئك لم يؤمنوا » .. ويقول الامام ابن كثير فى تفسير هذه الآية .

« يخبر الله تعالى عن احاطة علمه بالمعوقين بغيرهم عن شهود الحرب ، والقائلين لاخوانهم أى أصحابهم هلم الينا ، أى الى ما نحن فيه من الأمن والدعة ويقول فى مكان آخر من تفسيرها « فاذا كان الأمن تكلموا كلاما بليغا فصحا علينا ، وادعوا لأنفسهم المقامات العالية فى الشجاعة والنجدة ، وهم يكذبون فى ذلك ونحسب أننا لو لم نفسر هذا الكلام الى ذلك الامام الجليل الذى توفى منذ أكثر من ستمائة عام لحسبه القارىء أنه من تزيين كاتب عصرى أدار عليه تفسير الآية ليشهد بورقيبة ولكنا حرصنا على نسبة القول لقائله ليعلم الناس أن تاريخ الخيانة يتكرر « كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم ، قدبينا الآيات لقوم يوقنون » ... ومما له مغزى دقيق أن القرطبى بعد ان فسر المعوقين بأنهم هم الذين يصدون الناس عن نصرة الحق ، انتقل الى تفسير « القائلين لأخوانهم هلم الينا » فقال فى بعض أقواله .. انهم هم اليهود ، قالوا لأخوانهم من المنافقين .. هلم الينا ، أى تعالوا الينا » فاذا كان موقف بورقيبة ينطبق على هذا الموقف الذى رواه القرطبى ، فبئس ما اختار الرجل أن يقف مع اليهود ضد أمته ودينه هذا الموقف .

هذا وبورقيبة لم يكتف بذلك ، بل ذهب ينادى بالتعايش السلمى مع الصهيونية الغاصبه أى يتثبت احتلال الغاصب لأرض فلسطين وضياع الحقوق القومية فيها ، وشرعية هيمنتهم على الأرض المقدسة ..ولهذا الرجل من الادراك السياسى مايدرك به أن الصهيونية لم تكن بحاجة الى بقعة من الأرض تلمها من شتات ، فاستوطنت فلسطين لتقر فيها من تشرد ، بل ان الاستعمار جاء بها

الى هذا المكان الاستراتيجى بالذات المشرف على القارات الثلاث لتكون أخطبوطا يعوق نمو العرب بدسائسه المختلفة ، وقاعدة للاستعمار يثبت بها نفوذه فى أفريقيا وآسيا .

يعلم هذا الرجل تلك الحقيقة كل العلم كما يدركها كل عربى .. ومع ذلك يدعو الى التعايش السلمى ، أى الاستسلام لأسباب الذل والدمار الحتمى ... ان الرجل بهذا كله يضعف المسلمين عامة ، والعرب خاصة ، لافى قضة فلسطين وحدها ، بل فى كل قضية أخرى فى أى مكان ، وذلك اذ يخرج من الاسلام بفقده شرعية القائم على رأس شعب عربى مسلم ، ويوجب على المسلمين ماهو أكثر من مقاطعته ونبذه .. ونعوذ بالله من الخذلان

وحينما وجهنا الى فضيلة الاستاذ احمد هويدى سؤالا متضمنا رأى الدين الاسلامى فى تصريحات الحبيب بورقيبة قال :

من المسلم به واقعيا وتاريخيا أن فلسطين بلد عربى وأرضها جزء من البلاد العربية ، وأهلها من صميم العرب ، وقد وقعت لسوء الطالع تحت الانتداب الانجليزى وعملت انجلترا منذ قيامها بالوصاية على فلسطين والاستعمار الغربى على اقتطاع هذا الجزء من الوطن العربى وتسليمه للعصابات اليهودية وشذاذ الأفاق منهم يتخذون منه موطن اللغو يقيمون فيه دولة تقع من الاستعمار موقع الذنب وتعمل دائما على خدمته وتنفيذ أغراضه فى المنطقة وخدمة غاياته السياسية والاقتصادية . وأصدر وزير خارجية انجلترا - بلفور - وعده المشئوم باقامة وطن يهودى فى فلسطين وفتح الانجليز باب الهجرة اليهودية الى تلك البقعة وتدفق سيلهم عليها وقامت انجلترا بتسليحهم وتدريبهم وقامت فى نفس الوقت بأضعاف العرب سكان البلاد الأصليين وتمزيقهم وتشريدهم واخراجهم من ديارهم وسلبهم حقوقهم وساعدت العصابات اليهودية على التحكم فى أصحاب البلاد حتى اذا ما اطمأنت الى أن اليهود قد وطدوا أقدامهم وأن العرب السكان الأصليين لم تعد لهم قدرة على المقاومة المحلية أنهت انتدابها وخرجت من فلسطين وسلمتها هدية لليهود السفاحين الآثمين وأعلن قيام دولة اسرائيل وبادرت أمريكا بالاعتراف بها فى نفس اليوم وهكذا تآمرت الصهيونية والاستعمار الغربى على اقامة اسرائيل فى المنطقة تحت رعايتهم وفى حضانتهم لتكون شوكة فى جنب العرب تقلقهم وتقض مضاجعهم وقنطرة يعبر عليها الاستعمار لتحقيق مآربه فى البلاد العربية سياسيا واقتصاديا .

وهب العرب جميعا وقام المسلمون فى جميع الأقطار صارخين فى وجه الاستعمار والصهيونية ومكافحين بكل الوسائل لاسترجاع الأرض السليبه واعادة أصحاب البلاد المشردين الى بلادهم وطرد عصابات اليهود من تلك البقعة وما يزالون يجاهدون ويكافحون وسيكتب الله لهم النصر المبين والفوز على الاستعمار الآثم المعتدى ويلقون بالعصابات الصهيونية الى البحر .

ولقد كان رائعا حقا أن يستجيب الملوك والرؤساء العرب جميعا لدعوة الرئيس العظيم جمال عبد الناصر وأن تتفق كلمتهم ويقفون صفا واحدا فى وجه العدو المشترك منادين بانقاذ فلسطين من يد الغاصب والعمل على اعادتها عربية صميمة ووضع خطة عملية للسير فى طريق الكفاح المثمر والعمل الجاد . وكان من بينهم رئيس تونس الحبيب بورقيبة يضع يده فى أيديهم ويعاهد الله معهم على الكفاح والعمل .

ورأى الناس فى زيارة هذا الرئيس الأخيرة للجمهورية العربية المتحدة عنوانا على صدق الاخاء ومشرف الاخلاص وخطوة ايجابية فى دعم الكفاح فى سبيل القضية العامة المشتركة قضية فلسطين وصدور البيان المشترك عن هذه الزيارة متضمناتضامنه مع الجمهورية العربية المتحدة فى موقفها من مشكلة موقف المانيا الغربية من اسرائيل ومدها بالسلاح والعون ... وفجأة على غير انتظار وبدون سبب ولا مبرر يعلن الحبيب بورقيبة تصريحاته المشئومة وموقفه العجيب الغريب من قضية فلسطين ومشكلة ألمانيا الغربية ويخرج على اجماع العرب ويدعو للتفاوض مع الغاصب المعتدى الذى غصب الأرض العربية وطردأهلها العرب وأوقع بهم من ألوان التعذيب والتنكيل ما تقشعر له الأبدان وما سيحفظه التاريخ فى صفحاته السوداء وصمة عار للاستعمار والصهيونية .

ولقد هلل الاستعمار لهذا الموقف الغريب وراح يصف صاحبه بالشجاعة والجرأة وتصنعت اسرائيل الاتزان والحكمة لتجنى أكبر قدر ممكن من الربح من وراء هذاالموقف وهو موقف ليست فيه شجاعة ولا جرأة وانما هى قفزة الذى تردد كثيرا ووازن بين الثمن المعروض وبين الثبات على الحق ثم هاله الثمن فهوى بكل قوته فى غيرتدبر ولقد نقلت الأنباء فيما نشرته الصحف وأذاعته وكالات الانباء أنه راح بعد هذا الموقف المخجل يطالب بالثمن لدى هؤلاء وأولئك وقد لا يفوز بما أمل وما ارتقب ويرجع من مغامراته بالحسرة والندم حين لا تنفعه حسرة ولا ندم .

واذا كان المسلمون قد ابتلوا بالمنافقين فى العقيدةالذين فاتتهمهداية الايمانوزايلتهم شجاعة الآخرين فما دعوا وخاتلوا وتذبذبوا وأظهروا الرضى وقلوبهم تضطرم بالحقد ودبروا المؤامرات وانتهزوا الفرص الى اشاعة الفرقة والانقسام ونفثوا سمهم الزعاف فى صفوف المؤمنين والمجاهدين ووصفهم الله تعالى فى كتابه العزيز ..

بأن فى قلوبهم مرضا وتوعدهم بأن لهم عذابا أليما بما كانوا يكذبون اذا كان المسلمون قد ابتلوا بهذا النوع من الناس فان هناك منافقين فى العمل لهم نفس الأساليب وبهم نفس الأوصاف ولهم نفس المصير .

وفق الله الجميع الى تحقيق غاياتهم الكريمة وكتب لهم النصر والفوز وهيأ للعرب من الوحدة والقوة ما يستعيدون به مجدهم ويحققون به أغراضهم .

وبعد فهذه آراء رجال الدين فى بورقيبة الخائن ، أردنا بها ايضاح الحقائق ووضع النقط فوق الحروف فى ضوء الدين والدنيا والحق والتاريخ ودحض تصريحات البورقيبية الخائنة التىخرجت علىاجماع الآراء الاسلامية والعربية التى تنشد الحرية فى كل مكان وترقب اللحظة التاريخية الحاسمة لاستعادة الأرض المقدسة .

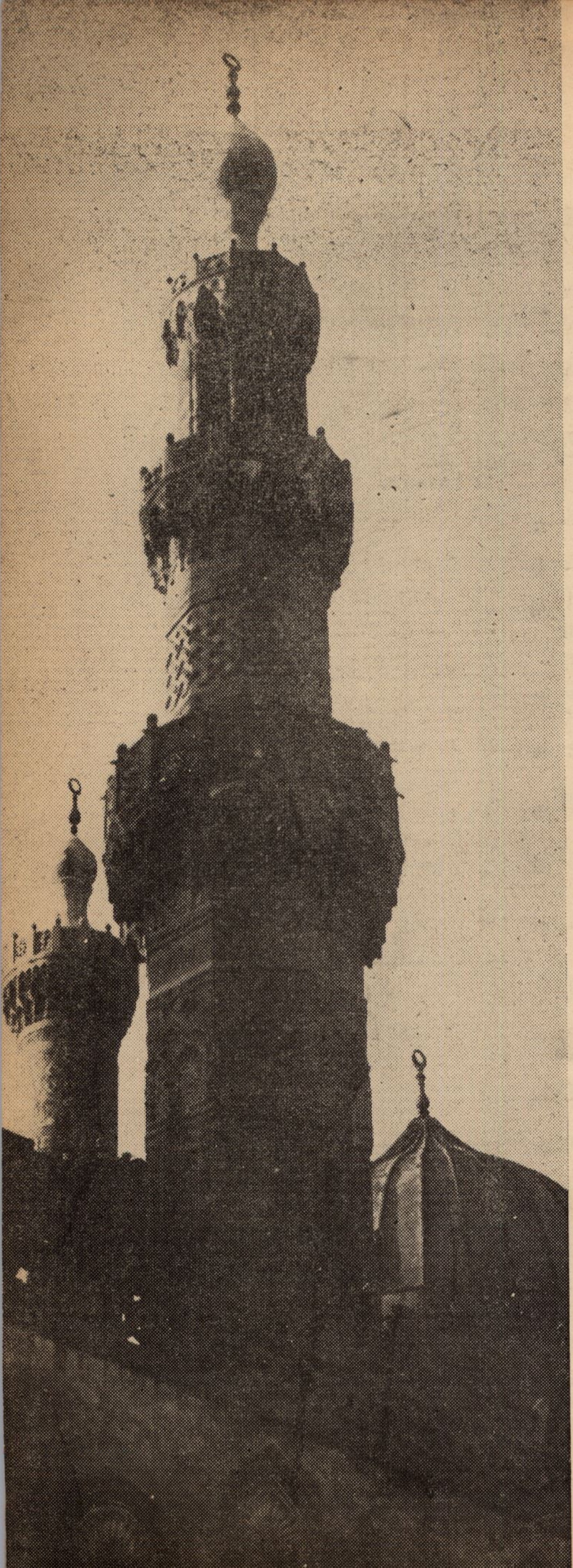

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية

ـدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

في غرة كل شهر عربي

ـيس التحرير

محمد توفيق عويضة

العدد الأول - السنة ٢٣

المحرم ١٣٨٥ - ٢ مايو ١٩٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

- معالم الطريق
- زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة
- المشاركة الفعالة للشعب
السيد الاستاذ حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية
- موازنة قرآنية بين العرب واليهود
فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
- حقيقة التصوف
الأستاذ حسن عباس زكى
- التولى يوم الزحف
الفريق عبد الرحمن أمين
- من الحضارة الاسلامية
الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل
- الاسلام والقومية العربية
الدكتور أحمد الحوفى
- المحرم وعاشوراء
الدكتور على عبد الواحد وافى
- خوارق العادات فى ضوء الدين والواقع
فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى
- خواطر مستشار
المستشار على على منصور
- الرأى العام
الاستاذ محمود كمال
- فى تحديد النسل
الاستاذ البهى الخولى
- دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الاسلام
الاستاذ حسنى عبد المجيد
- الاسلام والجهاد
الاستاذ صلاح الدين محمد عطية
- **باب الشعر ـ باب القصة ـ باب العلم ـ باب الفن الاسلامى ـ باب الرياضة ـ باب التحقيقات ـ لماذا أسلمت ـ باب المرأة المسلمة ـ أنت تسأل والمفتى يجيب ـ مع القراء ـ بريد التعارف .**

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد
خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى
هذه العملة فى البلاد الاخرى

•

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان
٣ شارع الأمير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦

معالم الطريق

كلمة السيد الرئيس
جمال عبد الناصر
في مدرج وفود الأساتذة والطلاب العراقيين
في يوم ١٤ / ٢ / ١٩٦٥

أعلن الرئيس جمال عبد الناصر ، ان الوحدة الوطنية فى داخل الاقطار العربية هى الطريق الى تحقيق الوحدة العربية الشاملة .

قال الرئيس ان تحقيق الوحدة العربية الشاملة يتطلب القضاء على الرواسب والتناقضات التى خلفها الاستعمار فى الوطن العربى ..

طالب الرئيس المثقفين والشباب الواعى بالعمل على ازالة تلك التناقضات والحواجز المصطنعة التى حاول الاستعمار فرضها على الدول العربية ..

استقبل الرئيس فى القصر الجمهورى بالقبة مندوبى وفود الاساتذة والطلاب العراقيين الذين يزورن الجمهورية العربية المتحدة ، وهم يمثلون طلاب كليات جامعتى البصرة وبغداد والمعهد العالى الصناعى ، وبعد أن تعاقب بعض الاساتذة فى القاء الكلمات الحماسية الوطنية . القى فيهم الرئيس كلمة استهلها بالترحيب بهم بين أشقائهم فى الجمهورية العربية المتحدة .

شكر الرئيس المتحدثين على العبارات الاخوية الصادقة التى عبرت عن شعور قومى عربى أصيل والكلمات التى وجهت الى شعب الجمهورية العربية المتحدة والاعمال التى حققتها فى مختلف المجالات .

الوحدة الوطنية أولا

وقال الرئيس جمال عبد الناصر أننا هنا فى الجمهورية العربية المتحدة لم نحقق هذه الانجازات الا بعد أن حققنا الوحدة الوطنية أولا وهى الركيزة والأساس للانطلاق والتطور وتحقيق الأهداف الوطنية والآمال القومية لأى شعب من الشعوب ..

ثم أشاد الرئيس بنضال الشعب العراقى فى مختلف العصور تجاه النواحى الوطنية فى الداخل والقضايا العربية فى المحيط العربى . وقال ان الشعب العراقى الشقيق له مواقف باسلة ازاء القضايا العربية .. ولقد بذل الشعب العراقى فى ذلك الجهد والدم والاخلاص ولم يقتصر كفاح الشعب العراقى على فئة أو طبقة ، ولم يكن وقفا على فئات المثقفين فى العراق فحسب بل ان تضحيات الشعب العراقى من أجل القضية العربية وفى سبيل الوحدة العربية تمتد الى الفلاحين وأفراد الشعب العراقى بكل فئاته .

الاستعمار وسياسة العزلة

وقال الرئيس ان الشعور العربى المستنير فى العراق نابع من القلب رغم أن الاستعمار استطاع خلال العصور المختلفة فى الماضى أن يقيم سياسة العزلة ، وسياسة المحاور بين البلاد العربية فواجبكم وأنتم الطليعة أن تقضوا على المخلفات والآثار التى صنعها الاستعمار وأعداء الامة العربية ولا بد أن يدرك كل منا أن وسائل العزلة ، والانقسام لم تكن مقصورة على اقامة السدود والحواجز بين الشعب العربى الواحد وتجزئته الى دول متباعدة ، بل صنع الاستعمار وأعداء الشعب العربى كذلك كثيرا من التناقضات بين البلاد العربية وبعضها سواء فى العادات والنواحى الاقتصادية والاجتماعية واستطاع أن يثير المشاكل العديدة حتى يحول دون التقاء الامة العربية وتحقيق الوحدة العربية الكبرى لتعود الامور الى طبيعتها ولذلك فحينما نقول بأن الوحدة العربية ليست عملا سهلا فاننا نلمس هذه المشاكل ونحتاج أن نزيل هذه العقبات وتتغلب عليها حتى تتم الوحدة العربية مقرونة بالقوة والمنعة للشعب العربى كله وسوف تتحقق الوحدة ان شاء الله .

مسئولية الشباب

وانتم يا شباب الامة العربية وطليعتها فى العراق عليكم وعلى اشقائكم فى الوطن العربى كله مسئولية كبرى لانكم سوف تحملون مسئولية القيادة بكل ما فى وسعكم لتأكيد الوحدة الوطنية التى تخدم الوحدة العربية الكبرى .

واننى اعتقد أن تبادل الزيارات والتقاءكم المستمر مع الشباب العربى فى الجمهورية العربية المتحدة والبلاد العربية الشقيقة أمر هام للغاية لانه يخلق الصلة القوية والارتباط العميق والمشاركة فى الفكر والمشاعر وفوق ذلك فهو يعطى الشباب فى مختلف البلاد العربية فرصة لكى يلمسوا عن كثب كل ما يدور فى وطنهم العربى الكبير من أحداث ويطلعوا بصورة عملية على مايتحقق هنا وهناك من تطورات كما يزيد ذلك من تجربتهم النابعة من الواقع العربى .

آمال الامة العربيـــة

وقال الرئيس ان الامة العربية تعلق على جيل الشباب فى كل مكان آمالها العزيزة وأعنى أن يوفق كل منكم فى دراساته فان ذلك هدف مهم لا بالنسبة للفرد منكم وانما هو فى نفس الاهمية بالنسبة لبلادكم ووطنكم العربى فكلما تزودت الطليعة بالعلم والثقافة والمعرفة ازدادت بذلك القاعدة الواعية المثقفة للطليعة القيادية التى ستعمل فى جميع الميادين وتحقق التطور فى مختلف المجالات والبلاد العربية فى أمس الحاجة الى المزيد من العلم والمزيد من اعداد الطليعة المثقفة التى ستقود فى العمل والانتاج والكفاح .

تحية لشعب العراق

وارجو من الله ان يوفقكم فى تحقيق آمال العراق الشقيق وامال امتكم العربية وأرجو أن تحملوا تحياتى القلبية لشعب العراق الشقيق وتعبروا عن اعتزاز ابناء الجمهورية العربية المتحدة جميعا بأشقائهم فى العراق كما ارجو أن تحملوا أصدق تمنياتى للاخ العزيز الرئيس عبد السلام عارف وللحكومة العراقية ولاخوتكم من الاساتذة والطلاب العراقيين وارجو لكم اقامة طيبة وزيارة ورحلة مفيدة وسعيدة .. وأشكركم والسلام عليكم .

عميد الحقوق بجامعة البصرة

والقى الدكتور غالب الداوودى مساعد نائب رئيس الجامعة وعميد كلية حقوق البصرة كلمة أمام الرئيس قال فيها :

سيدى الرئيس .. اقدم لسيادتكم نخبة من الجيل العربى الصاعد فى جامعة البصرة الذى اجتاز الصعوبات من أجل الكرامة والقومية العربية فخرج منها بقوة وعزيمة تحت القيادة الرشيدة التى وضعتم أسسها للشعب العربى الكريم وقيادة أخيكم المشير عارف ..

وقال : بالأمس كنا فى بور سعيد رمز البطولة والتضحية وعندما تقدم الوفد ليضع اكليلا من الزهور على النصب التذكارى للجندى المجهول .. كان الفخر يملأ قلوبنا لأننا كنا امام رمز البطولة والقوميـــــة العربية والقيادة الرشيدة .. وان ما شاهدناه من مظاهر التقدم فى الجمهورية العربية المتحدة قد أثلج صدورنا لأن ذلك قدوة لنا . لقد كانت مكانة وفد جامعة البصرة فى سويداء القلوب أينما حللنا وحيثما سرنا خلال زيارتنا .. فباسم الوفد اقدم جزيل شكرنا وعظيم امتناننا لهذه الضيافة ولهذا الكرم والاهتمام .. وفى الختام نسأل الله أن يوفقكم ويوفق أخاكم المشير عبد السلام عارف ودمتم ذخرا للعروبة .

زعماء العالم الاسلامى ...

الفريق طاهر يحيى رئيس وزراء العراق

السيد الرئيس جمال عبد الناصر يرحب بالفريق طاهر يحيى

من أجل تبادل وجهات النظر حول القضايا العربية الراهنة والقضايا التى تخص التعاون بين البلدين الشقيقين العراق والجمهورية العربية المتحدة .. وصل الى القاهرة السيد طاهر يحيى رئيس وزراء العراق لاجراء محادثات عاجلة مع الرئيس جمال عبد الناصر والمسئولين ، وكان يصحبه فى هذه الزيارة السيد محسن الحبيب وزير الدفاع فى العراق .

وانتهت المحادثات خلال يومين .. عاد بعدها السيد طاهر يحيى الى العراق وقد صرح قبل سفره أن الغرض من زيارته هو تبادل وجهات النظر فى القضايا العربية ذات

فى القاهرة

الطابع المشترك بمختلف جوانبها السياسية والعسكرية والدولية .

وفى بغداد اجتمع الرئيس عبد السلام عارف بطاهر يحيى رئيس الوزراء وبصحبته وزير الدفاع العراقى على أثر عودتهما من القاهرة وتناول البحث فى الاجتماع نتائج المباحثات التى قام بها السيد طاهر يحيى مع المسئولين فى الجمهورية العربية المتحدة .

اللقاء الفكرى بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق والجزائر

كان اللقاء الفكرى بين وفد الاتحاد الاشتراكى العربى بالقاهرة وكل من وفدى الاتحاد الاشتراكى العربى بالعراق وجبهة التحرير بالجزائر من أهم الاحداث السياسية خلال شهر أبريل (من ٥-١١ من شهر أبريل ١٩٦٥ م) .

رأس وفد العراق السيد عبدالكريم فرحان الأمين العام للاتحاد الاشتراكى بالعراق .

وهذا هو اللقاء الفكرى الاول المشترك بين وفدالجمهورية العربية المتحدة ووفد العراق .
ورأس الوفد الجزائرى السيد حسين زهران عضو المكتب السياسى لجبهة التحرير .

ويعتبر لقاء الوفد الجزائرى مع وفد الجمهورية العربية المتحدة متمما للمباحثات التى بدأت فى الجزائر فى شهر يونيو الماضى .

وكان الوفد العربى برئاسة السيد كمال الدين رفعت نائب رئيس الوزراء وأمين الدعوة والفكر فى الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى .

البيان المشترك

عن المباحثات الفكرية العربية العراقية

وبعد عدة اجتماعات استغرقت أسبوعا بين وفدى الاتحاد الاشتراكى العربى فى الجمهورية العربية المتحدة والعراق .. صدر البيان المشترك . وأعلن فيه انه رغبة فى تدعيم الوحدة بين التنظيمين وتعميقها ورغبة فى توفير متابعة ايجابية لكل ما يطرأ على الوضع العربى المتحرك من تطورات اتفق الطرفان على :

* تشكيل لجنة متابعة من الاتحادين تجتمع مرة كل شهرين لتنسيق وتنظيم وتحريك التفاعل بينهما ويكون مقرها القاهرة

* التزام هذه اللجنة بتنظيم لقاءات أخرى على كافة المستويات فى الاتحاد الاشتراكى وفروعه فى القطرين وعلى مستوى التنظيمات الشعبية الاخرى .

وقال البيان أن الوفدين تدارسا الموضوعات التالية :

أولا : واقع كل من التنظيمين الشعبيين وما استطاع ان يبلغه كل منهما حتى الآن من مستويات فكرية وتنظيمية . وما حققه من نتائج ايجابية على طريق العمل الشعبى .

ثانيا : التحول الاشتراكى فى البلدين وما تواجهه عملية التطبيق الاشتراكى من مشكلات وما يمكن أن يطرح لها من حلول .

ثالثا : التحديات الاستعمارية والصهيونية والرجعية التى تواجه الامة العربية فى المرحلة الراهنة والمؤامرات من الانحرافات التى يراد من ورائها عرقلة سير الثورة العربية فى طريق الحرية والاشتراكية والوحدة .

رابعا : المرحلة الدقيقة التى تمر بها قضية فلسطين وما يجب ان يتهيأ للشعب العربى

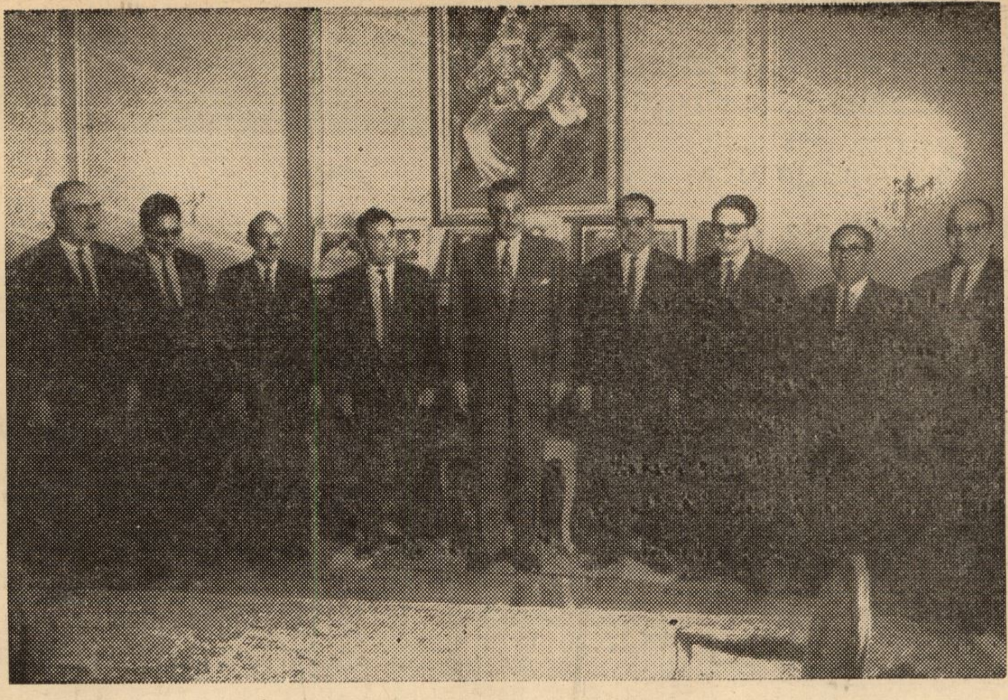

السيد الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل الوفد العراقى

فى هذه المرحلة من يقظة كاملة للمؤامرات من المساومات وصلابة اكيدة فى وجه الدعوات الانهزامية والاصوات المتشككة .

خامسا : الدور الذى يجب أن يقوم به التنظيمان الشعبيان من نشاط فكرى داخل الحدود العربية وخارجها وكشف الدعايات المعادية التى تحاول أن تطمس الوجه الحقيقى للحركة الثورية العربية . ذلك الوجه التقدمى الانسانى المؤمن بالسلام العالمى القائم على العدل .

واختتم الوفدان بيانهما بقولهما : وقد تبين خلال دراسة هذه القضايا أن نظرة الاتحاد الاشتراكى العربى فى كلا القطرين نظرة واحدة وتحليلها المستمد من وحدة الفكرة والتجربة تحليل واحد وان النتائج المترتبة على ميثاق العمل الوطنى فى كل من البلدين نتائج واحدة .

البيان المشترك

عن المباحثات الفكرية الجزائرية

ثم صدر البيان المشترك حول اللقاء الفكرى بين حزب جبهة التحرير الجزائرية والاتحاد الاشتراكى العربى فى الجمهورية العربية المتحدة . وقد أعلن الجانبان : انه تدعيما للعلاقات بين التنظيمين الشعبيين ، فقد تقرر تحديد اختصاصات اللجنة المشتركة التى تم الاتفاق عليها فى اللقاء الفكرى الأول فى الأمور الآتية :

١ ـ دراسة المشاكل المحددة التى يواجهها التنظيمان فى عملهما الثورى .

٢ ـ تحديد المواقف المشتركة للتنظيمين فى مواجهة المشاكل القومية والعالمية .

٣ ـ شرح وتعميق مواقف الجانبين .

٤ ـ متابعة وتوضيح شتى التطورات التى تقع فى تشكيلات التنظيم وعلاقاتها بالدولة .

وقال البيان : ان الجانبين قد استعرضا ماتم اتخاذه من خطوات على طريق الاشتراكية منذ لقائهما الاول فى الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ولاحظ الجانبان التوافق الزمنى للجهود التى تبذل فى بلديهما الآن لاتمام التنظيم

السيد الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل الوفد الجزائرى

الجديد للطلائع الثورية « حزب جبهة التحرير الوطنى الجزائرى - الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكى العربى » وغير ذلك من التنظيمات الشعبية التى تستهدف دوما تحقيق مزيد من الديمقراطية والرقابة الشعبية واتفق الرأى فى هذا الشأن على وجوب تبادل الرأى والخبرة حول مقاييس اختيار المناضلين والاطارات وحول تطوير التكوين الفكرى والنضالى بينهم وتدعيم الديمقراطية الداخلية فى التنظيم .

وطرح الجانبان - على وجه التخصيص - موضوع علاقة كل من الحزب والاتحاد الاشتراكى العربى بالمنظمات الجماهيرية للعمال والفلاحين والشباب والطلبة والمراة .. الخ . وتم للجانبين تحليل هذه العلاقات فى جوانبها الفكرية والتطبيقية . وقد تبين أن دور التنظيم السياسى فى كل من البلدين ازاء تلك المنظمات يتمثل أساسا فى وجوب قيامه بتوجيهها وبعث النشاط فيها وضمان سلامة اتجاهاتها كل ذلك دون أن يمارس فى شانها ضغطا بيروقراطيا تحت أى ظرف كان . كذلك تدارس الطرفان بعض الجوانب التنظيمية الاخرى للتجربة الاشتراكية فى بلديهما ومن أخصها التنظيمات السياسية والنقابية والادارية داخل الوحدات الانتاجية وعلاقة هذه الوحدات بعضها ببعض وكذا علاقتها بالدولة.

واتفق الرأى على جليل نفع هذه الابحاث من الناحيتين النظرية والعملية وعلى وجوب مواصلة هذه الدراسات المقارنة خلال الاجتماع المقبل للجانبين . وقد لاحظ الجانبان بارتياح كبير قوة العلاقات بين الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية والجمهورية العربية المتحدة . واكدا وجوب العمل على زيادة هذه العلاقات توثقا فى جميع الميادين .. وبعد تبادل وجهات النظر حول الموقف العربى وخاصة فيما يتعلق بحركة الاستعمار الجديد وحلفائه الرجعيين يؤكد الجانبان مساندتهما وتدعيمهما لكفاح الشعب اليمنى من أجل ارساء النظام الجمهورى فى بلاده ويعلنان تأييدهما لكفاح الشعب العربى فى الجنوب العربى المحتل

« البقية ص ٦٢ »

حول علاقة الأجهزة الشعبية بالأجهزة الحكومية

المشاركة الفعالة للشعب

السيد حسين الشافعي
نائب رئيس الجمهورية

عندما قامت الثورة كانت هناك مجموعة من الأحزاب تستند أساسا على الاقطاع ، وسيطرة رأس المال ، فكان الموقف بعد قيام الثورة يتطلب تنظيما سياسيا يتصدى للاحزاب ، والعوامل والظروف التى كنا نمر فيها ، ولأن الثورة كانت فى الحقيقة ثورة شاملة ، تريد تغيير الأوضاع كلية فكان الأمر يتطلب قيام تنظيم سياسى ، وقد أعلن عن التنظيم السياسى الأول ، وهو هيئة التحرير، فى منتصف يناير سنة ١٩٥٣ ، وكان هذا التنظيم فى الحقيقة يشتق اسمه من طبيعة المرحلة التى كنا نمر بها ، وكان عمنها مجرد جبهة دفاعية تتصدى للتحديات ، والتكتلات الموجودة وما من شك أنها قامت بالدور المطلوب منها بالشكل الذى يصل الى الغرض ، ويحقق الهدف . ثم جاءت بعد ذلك مرحلة ما بعد جلاء القوات البريطانية فى يونيو سنة ١٩٥٦ حيث قام دستور سنة ١٩٥٦ .

ثم حل العدوان بعد أحداث تأميم قناة السويس وفى هذه الفترة برزت الوحدة الوطنية كمجال أساسى ، وحقيقة واقعة ملموسة ، استطاع أن يلمسها الناس جميعا وهذا ما دعا الى قيام الاتحاد القومى كتعبير عن

هذه المرحلة لتكوين التنظيم السياسى .
وعندما قام الاتحاد القومى ، كان يشمل جميع الناس وكان الغرض منه ، بنص صريح فى الدستور ، هو العمل على تحقيق الأهداف التى قامت من أجلها الثورة ، ولحث الجهود لبناء الأمة بناء سليما من النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

وبالفعل كما سبق أن ذكرنا قام الاتحاد القومى ، واستمر فى عمله ، وكان هو التعبير عن الوحدة الوطنية فى هذه المرحلة من تاريخ العمل السياسى ، وفى مرحلة تثبيت الاستقلال ، والدفاع عن الوطن ضد أعدائه من الخارج .

ثم جاءت بعد ذلك أحداث سوريا ، فى يوم الانفصال ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦١ ، وبرزت صورة التناقض الاجتماعى بالشكل الذى أوضح بما لا يدع مجالا للشك ، صورة التناقض الاجتماعى الذى يضع مثل هذا التجمع القائم وقتئذ .

ثم انتقلت العملية الى ضرورة بدء عمل سياسى، كانت أول خطواته اللجنة التحضيرية التى بدأت تستعرض الموقف بالكامل، وقدمت توصياتها الى أن اجتمع مؤتمر قوى الشعب الوطنية فى مايو سنة ١٩٦٢ ، وكما سبق أن ذكرنا فانه فى مايو سنة ١٩٦٢ عرض الميثاق فى هذا المؤتمر ، حيث قدم الرئيس جمال عبد الناصر ميثاق العمل الوطنى ، لمؤتمر قوى الشعب الوطنية فى هذا المؤتمر الذى انتهى الى اقرار الميثاق . وأصبح الميثاق منذ ذلك اليوم التزاما قوميا نلتزم به جميعا ، وتحدد من الذين يستطيعون التصدى للعمل السياسى فى دعم الديمقراطية ، بأن تكون جميع المؤتمرات والتنظيمات بمؤتمراتها ولجانها تشمل ٥٠ ٪ من العمال والفلاحين الذين يعبرون عن التحالف الجديد الذى يحل محل تحالف الاقطاع ، وتحالف رأس المال الذى سقط ليقوم محله تحالف العمال والفلاحين والجنود والمثقفين ، والرأسمالية الوطنية .

والاتحاد الاشتراكى فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية يجب أن يكون هو الاطار السياسى الشامل للعمل الجماهيرى لقوى الشعب المتحالفة .

الاتحاد الاشتراكى العربى يتخذ الميثاق دليله فى العمل ، باعتباره حصيلة لتجربة وأمل ونتيجة لارادة شعبية حرة .

الاتحاد الاشتراكى العربى هو بناء جماهيرى كامل ، تقيمه الجماهير الثورية ديمقراطيا ، وتقوده بآمالها ليكون أداتها بعد ذلك فى قيادة العمل الوطنى .

الاتحاد الاشتراكى العربى هو التجسيد الحى لسلطة الشعب التى تعلو جميع السلطات وتوجهها فى كافة المجالات وعلى جميع المستويات .

الاتحاد الاشتراكى العربى ، يتحتم عليه أن يكون الدرع الحامى لضمانات الديمقراطية السليمة وفى مقدمتها النسبة المكفولة لتمثيل الفلاحين والعمال وتدعيم التنظيمات التعاونية والنقابية وضرورة توفير مبدأ القيادة الجماعية ، وصيانة ممارسة حق النقد ، والنقد الذاتى والالحاح فى نقل سلطة الدولة الى المجالس الشعبية المنتخبة تدريجيا ، كلما كان ذلك ممكنا ومن ثم فان عضوية الاتحاد الاشتراكى العربى ، تكليف بالخدمة للقادرين على الوفاء بها ، والذين يستطيعون أن يعطوا الميثاق من ذات أنفسهم ومن الطاقات المؤمنة الخلاقة ما ينقل فكره الثورى الى الواقع الفعلى .

ان تنظيمات الاتحاد الاشتراكى العربى تبدأ عن الوحدة الوطنية فى القرية أو القسم أو المصنع أو المؤسسة تضم جموعا من الجماهير تقدر على تكوين وحدة أساسية ، وتمتد حتى تصل الى مستوى الجمهورية العربية المتحدة كلها فى تسلسل مترابط بالحقوق والمسئوليات فى نفس الوقت .

موازنة قرآنية

بين العرب واليهود

فضيلة الشيخ
محمد محمد المدني

موازنة قرآنية بين العرب واليهود ، جاءت فى صدر سورة كريمة هى سورة « الجمعة »، وهى جديرة بأن نلتفت اليها ولا سيما فى ظروفنا الحاضرة .

وقبل أن نتحدث عن هذه الموازنة القرآنية نأتى بمقدمة قصيرة لها صلة بالموضوع ، وهى : أن سورة الجمعة احدى السور المدنية القصار ، فآياتها لا تعدو احدى عشرة آية ، وقد سميت بهذا الاسم تنويها بيوم الجمعة الذى ورد ذكره فى الآية التاسعة منها ، حيث يقول الله ـ عز وجل ـ :

« يأيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » .

ويوم الجمعة له شأن خاص عند العرب فى الجاهلية والاسلام ، فقد كان يسمى فى الجاهلية « عروبة » أو « يوم العروبة » . ـ بفتح العين فيهما ـ وكانت قريش تجتمع فيه الى زعمائها فى دار الندوة فيستمعون الى الخطب والمشاورات والتوجيهات ، ثم اختير هذا اليوم فى الاسلام ليكون عيدا يجتمع الناس عليه فى كل أسبوع كما يجتمع اليهود على يوم السبت ، والنصارى على يوم الأحد ، وتؤدى فيه الصلاة الجامعة المعروفة المسبوقة بالخطبة .

فاذا كانت هذه الموازنة القرآنية بين العرب واليهود قد جيىء بها فى السورة المسماة بسورة الجمعة ، فان فى ذلك توافقا بين الموضوع والموضع الذى اختير لابرازه فيه . كما أن نزول هذه الموازنة فى سورة مدنية ، حيث كان المسلمون واليهود وجها لوجه فى المدينة المنورة ، فيه دلالة على رغبة القرآن الكريم فى مواجهة اليهود مواجهة صريحة بعيوبهم وما جبلوا عليه من العناد والمكابرة والادعاء الكاذب ، وايماء الى ما يجب على العرب من أخذ الحذر منهم .

وبعد هذه اقدمة نبدأ فى الكلام عن هذه الموازنة :

۱ ـ يقول الله ـ تعالى ـ فى الآيات الأربع الأولى من سورة الجمعة :

« يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم . هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ، وآخرين منهم

لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » .

ب - ويقول - جل شأنه فى الآيات الأربع التالية لهذه الآيات مباشرة :

« **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين . قل يأيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ، ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ، قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .**

***

أ - فالآيات الأربع الأولى تتضمن من الدلالات والايحاءات والتوجيهات ما يأتى :

* يقرر الله - عز وجل - فى الآية الأولى منها تلك الحقيقة الثابتة التى يراها أولو الأبصار والبصائر ، وهى أن جميع ما فى السموات وما فى الارض من كائنات ، خاضعة لله ، مسيرة بأمره ، تسبح بحمده ، وتدل على عظمته ودقة صنعته ، وأنه - جل جلاله - هو الملك على الاطلاق ليس لأحد معه شىء ، وهو القدوس المنزه على الاطلاق عن كل نقص ، وهو العزيز القوى الذى لا يقهر ، الحكيم الذى يضع كل شىء فى موضعه ، ويزن كل شىء بميزانه الدقيق .

* ثم يعقب هذه الحقيقة بذكر نعمته العظمى التى أنعم بها على البشر بارسال خاتم النبيين فى العرب ليكونوا هم أمة الدعوة بعد أن يبلغهم كتاب ربه ، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ، ويزكيهم بترفيع نفوسهم ، وتهذيب أخلاقهم ، وتصفية أرواحهم ، وهم الذين كانوا قبل بعثته فى ضلال وحيرة من أمرهم يعرفهما كل من اتصل بتاريخهم ، ومجىء هذه الآية الثانية بعد الآية الأولى مشعر بأن بعثة الرسول الخاتم - صلوات الله وسلامه عليه - هى شأن عظيم من شئون الاله العزيز الحكيم ذى الملك والقدوسية الذى يسبح كل شىء بحمده ، فهو يقول لكل ذى سمع وعقل : اننى أنا الاله المالك ذو القوة والعظمة والعزة والحكمة ، كل ما فى الوجود خاضع لعظمتى ، يسبح بجلالى ، ويلهج بقدسيتى ، وأنا الذى بعثت هذا الرسول فى الأميين لغايات سامية عظمى ، تتفق وما لى من عزة وعظمة وحكمة وقداسة وفضل على هذا الوجود كله ، وذلك فضلى أوتيه من أشاء .

* ويؤخذ من الآية الثانية والآيات المشابهة لها الواردة فى غير هذا الموضع ، ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - مبعوث لتحقيق غايات ثلاث هى جماع أمر الرسالة :

الغاية الأولى : هى تلاوة آيات الله ، والمراد بها آيات القرآن الكريم التى يوحى بها اليه متضمنة الدلائل على وحدانيته وصفات كماله، واحكام شريعته ، وطريق هدايته .

الغاية الثانية : هى تزكيتهم ، والتزكية هى ترفيع النفوس بتطهيرها من الرذائل ، وتعويدها الفضائل ليكون هو النموذج العملى الأعلى للمؤمن الكامل ، فان القرآن الكريم يرسم للناس طريقا الى الخلق الرفيع قد يبدو أمام بعض الناس متعسرا أو متعذرا اذا قيس بواقعهم ، فأراد الله تعالى أن يبين لهم أن ذلك ممكن بل كائن فى شخص الرسول الذى هو أحد البشر مثلهم ، وأنهم يستطيعون أن يحتذوه ويقتدوا به ، وهو لذلك يقول لهم فى صراحة ووضوح :

« **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا » .**

فهو يبين أن لنا فى الرسول أسوة حسنة، أى قدوة نقتدى بها فى الأقوال والأفعال ، ومنهج الحياة ، وأن هذه الاسوة انما هى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا لأن الذى يرجو الله واليوم الآخر يحتاج الى أن يفعل من الأفعال ما يرضى الله وينجيه من هول ذلك اليوم ، فهو يلتمس ذلك فى المثل الأعلى

الذى صاغه الله وجعله نبراسا وسراجا منيرا، فيتعرف أخلاقه وصفاته ، ويتتبع أفعاله وسلوكه ، ويتعشق الأخذ بها ، والسير على منهاجها ، ولا يكون ذلك أيضا الا لمن ذكر الله كثيرا ، أما الذين يغفلون عنه ، فلا يذكرونه أبدا ، أو يذكرونه في الحين بعد الحين لماما ، فهؤلاء ليسوا مستعدين للاقتداء بالرسول ، والانتفاع بكونه أسوة حسنة .

وقد سئلت عائشة - رضى الله عنها - عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذى يقول فيه رب العالمين « وانك لعلى خلق عظيم » فقالت : كان خلقه القرآن .

ولذلك يحق لكل مؤمن يرجو الله واليوم الآخر ، ويذكر الله كثيرا فى نفسه عالما أنه ربه الأعلى ذو الأسماء الحسنى - يحق عليه أن يلتمس التعرف الى صفات الرسول الكريم ، والى أخلاقه النبيلة ، وأقواله الحكيمة ، ليجعلها نبراسه ونوره ، وسبيل هداه ، ومنهج حياته .

الغاية الثالثة : هى تعليمهم الكتاب والحكمة وليس المراد بالكتاب - فى رأيى - القرآن الكريم ، فقد تقدم ذكره كما بينا فى الفرض الأول ، ولا داعى لحمل الكلام على معنى يقتضي التكرار ، وانما المراد بالكتاب فى قوله « **ويعلمهم الكتاب** » : الكتابة ليكونوا كاتبين قارئين ، فان الكتابة والقراءة هما وسيلة العلم والثقافة الواسعة ، واذا حبب لأمة من الأمم الاطلاع وقراءة العلم فان ذلك يكون من أهم أسباب رقيها وتدرجها فى مدارج الكمال العقلى والعلمى .

أما الحكمة فالمراد بها النظر السديد الذى يهدى الى أقوم الأفكار ، وأعدل الآراء ، والى معرفة أسرار الحياة ، وأسرار التشريع وغير ذلك .

فالمراد أن يكونوا قارئين ، ومفكرين ، فان القراءة وحدها قد تبلبل الأفكار ، وتحير العقول ، أما القراءة المصحوبة بتفكير فانها هى التى تهدى الى الحق ، ولذلك يقول الله تعالى :

« فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » .

فالاستماع الى القول تعبير عن الخطوة الأولى من خطوات العلم ، وقد تكون بأن تقرأ وتتعرف الى ما قيل من قبلك ، أو من غيرك ، وقد تكون بأن تسمع أى بأن يقرأ لك غيرك ، أو بأن تسمع الأقوال المختلفة فى الأمر الذى تريد أن تحكم فيه ، واتباع الأحسن هو الخطوة الثانية من خطوات العلم ، لأنها هى غربلة الآراء والأقوال ، والتفكير فيها للموازنة بينها ، ثم ترجيح أحدها ان كان فيها مايستحق الترجيح أو استماع القول الذى تهتف به نفسك ان كان لك رأى كونته على بصيرة بعد النظر .

* * *

هذه هى أغراض الرسالة الخاتمة : التلاوة لآيات الله ، وتزكية النفوس ، والتعليم الذى من شأنه أن يخرج قارئا مطلعا ، وباحثا مقتنعا .. وقد حمل العرب هذه الرسالة العظمى الى العالم كله ، فلم يمض قرن واحد حتى كانت مبادئها السامية تضىء الدنيا ، وتستهوى الأبصار والأفئدة ، وان كل مدنية ، وكل حضارة بعد الاسلام لمدينة لهذه المبادىء والأحكام التشريعية التى أنزلها الحكيم العليم .

* ويدل قوله تعالى « **وآخرين منهم لما يلحقوا بهم** » على أن أمة العرب ستتابع أبناؤها على حمل هذه الرسالة جيلا بعد جيل ، فلن يكون ذلك قاصرا على الأجيال الأولى ، وفى ذلك بشارة لأهل كل جيل ، وحث لهم على أن يتموا البناء ، ويواصلوا حمل راية الدعوة الاسلامية ، ونحن أبناء الجيل الحاضر قد شعرنا بقوتنا ومكانتنا فى العالم بفضل ثورتنا الجريئة الأبية ، فتحقق لنا وعد الله بأن نكون من الأجيال اللاحقين للدعاة الأولين، ومن واجبنا أن نعرف مقتضيات هذا الشرف، فنجاهد ونكافح صادقين مخلصين لنكون خير

أبناء لخير آباء ، ولنستحق نصر الله لنا « ولينصرن الله من ينصره » .

***

ب ـ وتأتى بعد ذلك الآيات النازلة فى اليهود ، وهى تدل على عدد من الحقائق التى تفصح عن معدن اليهود الخبيث :

* تدل على أنهم لم ينتفعوا بما أنزل الله من التوراة على نبيهم موسى ـ عليه السلام ـ وقد صورهم القرآن فى الآية الأولى من هذه الآيات بصورة بشعة تناسب حقيقة أمرهم ، فمثلهم بمثل الحمار يحمل الكتب وهو لا يدرى شيئا مما فيها ، بل حسبه أن يحملها ثقلا وعبئا لا يفيد منه شيئا .

وواقع اليهود التاريخى يشهد بصدق هذا الوصف ، ودقة هذا التمثيل ، فهم الذين حرفوا التوراة وأنكروا منها ما وجدوه ضد أسلوبهم فى الحياة ، واختلقوا عليها ما لم ينزل الله به سلطانا ، فهم فى الواقع فى واد ، والتوراة الصحيحة التى هى هدى ونور ، فى واد آخر ، وقد حملوها ظاهرا ، وعموا عنها وصموا واقعا .

وقد اقتبس بعض الشعراء هذا التمثيل اذ يقول عمن يروون الأشعار ولا يفقهون ما فيها من الروعة والقوة والمعانى الجيدة :

زوامل للأشعار لا علم عندهم
بجيدها الا كعلم الأباعر !
لعمرك ما يدرى البعير اذا غدا
بأوساقه ، أو راح ، ما فى الغرائر

***

* وقد عقب الله هذا المثل الذى ضربه لهم بعبارة قوية تفيد شدة تكذيبهم بآيات الله وشدة ظلمهم ، فقال جل شأنه :

« بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، والله لا يهدى القوم الظالمين » .

فأثبت عليهم التكذيب والظلم ، وقرر أن مثل هؤلاء لا يمكن أن يهتدوا فى حياتهم فتقوم لهم قائمة ، وذلك لأن النجاح فى الحياة والثبات والاستقرار فى البلاد انما يكون بأمرين : حسن الصلة بالله تعالى ، وحسن الصلة بالناس ، وهؤلاء قد كذبوا بآيات الله وحرفوها وافتروا عليها ، ففقدوا الدعامة الأولى من دعائم النجاح والاستقرار ، ثم ظلموا واعتقدوا أن الظلم طريق لعلوهم فى الأرض ، وتخويف الناس منهم ، وبذلك فقدوا الدعامة الثانية ، فهم لا يزالون يلقون من الناس فى الحين بعد الحين من ينتقم للبشرية من ظلمهم وعتوهم .

*** والآية الثانية من الآيات الأربع التى تتحدث عنهم تصفهم بخلق الادعاء والكذب الذى يحاولون به خداع الناس وتضليلهم ، فهم يدعون أنهم شعب الله المختار ، وأنهم أحباب الله وأولياؤه من دون الناس ، فالله يقول لهم : اذا كنتم صادقين فيما تقولون فتمنوا الموت ، ثم يقرر انهم لا يمكن أن يتمنوا الموت أبدا لعلمهم فى قرارة أنفسهم بأنهم مجرمون فتاكون ظالمون ، لا بد ان يحيق بهم سيئات ما عملوا ، وان يحاسبوا الحساب العسير بما كانوا يقترفون ، ولذلك نجد اليهودى أشد الناس حرصا على الحياة ، وأكثرهم جبنا فى الحرب والنزال ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا ، يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون » ، ويقول ، « لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون»**

*** ثم تقرر الآيات فى ختامها أن هؤلاء اليهود مهما هربوا من الموت فانهم ملاقوه ومعروضون لحساب الله وآخذون جزاءهم ، وفى هذا تهديد لهم ، وتسجيل لاثمهم وسوء عاقبتهم .**

***

هكذا يشهد القرآن : « قل أى شىء أكبر شهادة ، قل الله شهيد بينى وبينكم » .

كتب السيد الأستاذ « بيومى حسين الأخضر – المدرس » الى « منبر الاسلام » يعقب على رأيين لنا أبديناهما على خلاف ما رأى المفسرون فى موضعين من قصة سيدنا يوسف عليه السلام .

أحدهما : فى معنى قوله عليه السلام – وهو بصدد تأويل رؤيا الفتيين اللذين كانا معه فى السجن : « لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى » .

والثانى : فى معنى قوله عليه السلام – وهو بصدد تأويل رؤيا الملك : « ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون »

أ – فأما الموضع الأول ، فقد قلنا فيه ما نصه :

« والمفسرون فى هذا الموضع يرجعون الضمير فى قوله « بتأويله » الى الطعام ، أى : لا يأتيكما طعام الا نبأتكما بأمر هذا الطعام قبل أن يأتيكما ، وهم يريدون بذلك معرفة يوسف بأمر الغيب على وجه من الاعجاز ، كما ذكر الله عن عيسى ابن مريم عليه السلام ، اذ يقول : « **وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم** » .

« وهذا التفسير فى رأيى غير جيد ، وانما الضمير فى قوله « بتأويله » لما رأيا من الرؤيا ، وذلك أنهما قالا له حين أصبح الصباح : لقد رأينا كذا وكذا فنبئنا «بتأويله» أى بتأويل هذا الذى رأيناه ، فقال لهما ما معناه : سوف لا يأتيكما طعام الصباح حتى أكون قد نبأتكما « بتأويله » أى تأويل ما رأيتما فان لى علما بذلك وهو مما علمنى ربى فتقدير الكلام على هذا التفسير لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله – أى تأويل ما رأيتما فان لى علما بذلك وهو مما علمنى ربى وهو بهذا يريد ان يثبت لهما علمه بالتأويل ، وسرعته فى الافادة والافتاء ، ليؤثر عليهما بذلك تأثيرا حسنا فيعتقدان فيه العلم والصدق وسرعة الافادة التى تدل على رسوخ القدم ، فاذا اعتقد فيه ذلك سهل عليه بعدهذا الاعتقاد أن يدعوهما

الى دينه ، وكان ذلك أدعى الى استجابتهما ، ولذلك قال لهما بعد هذا التمهيد : « ذلكما مما علمنى ربى انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله » الى آخر الكلام ، ولابد انهما استمعا اليه وهما مأخوذان به ، مشدودان الى ما يقول ، لانه احسن المدخل الى ما يريد » ..

هذا نص ما قلناه فى الموضع الأول من الموضعين المشار اليهما ، فماذا قال أخونا السيد بيومى ؟ قال ما نصه :

١ — « وما يمنع يوسف عليه السلام أن يكون على علم بامر الغيب ، كما فى شأن عيسى ؟ أليس نبيا كعيسى ويحتاج الى التنبؤ بالغيب على وجه من الاعجاز الذى يدعم رسالته ويقوى دعوته ؟ »

وأقول لسيادته : ليس هناك ما يمنع يوسف عليه السلام أن يكون على علم بالغيب كما فى شأن عيسى ، ولكن عدم المانع لا يصلح مقتضيا لهذا التفسير الذى رآه المفسرون ، ولا سيما اذا كان فى الكلام ما يدل على بعد هذا التفسير وما يقتضيه من التكلف ، فلا تقل أيها الأخ « ما المانع » ولكن انبئنا عن « المقتضى » ، وهل وقوع شىء ما معجزة لنبى يقتضى ان يكون هو معجزة لنبى آخر ؟ ثم ان كلمة « بتأويله » اذا كان الضمير فيها الى الطعام كان معنى الكلام : الا نبأتكما بتأويل هذا الطعام قبل أن يأتيكما » فما معنى تأويل الطعام ؟ وهل يقال : أولت الطعام بمعنى أخبرت به وعرفت الناس بنوعه ان الله تعالى يقول فى شأن عيسى عليه السلام « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » فيستعمل لفظ الانباء وهو اللفظ الطبيعى المناسب للمعنى فى هذا المقام ، اما «التأويل» فهو المناسب للرؤيا ، ولم يعهد فى اللغة أن يعبر به عن الاخبار والانباء .

ثم ان كلمة « التأويل » جاءت فى سورة يوسف عليه السلام عدة مرات بالمعنى الذى نقوله لا بالمعنى الذى يقوله المفسرون ويؤيده السيد بيومى ، قال الله تعالى يقول :

- **« وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث »**
- **« وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث »**
- **« وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين »**
- **« وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل »**
- « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث »
- **« نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين »**
- **« أنا انبئكم بتأويله فأرسلون »**

فهل ترى خرجت كلمة واحدة عن هذا النطاق المعنوى من الكلمات التى جاءت فى سورة يوسف ، وهى قوله « الا نبأتكما بتأويله » مع أن السياق الذى وردت فيه تلك الكلمات كلها هو سياق الكلام عن الرؤى والأحلام ؟

ولقد جاءت كلمة « التأويل » فى غير سورة يوسف عليه السلام بمعنى ما يؤول اليه الشىء ، مثل قوله تعالى :

- **« فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله »** .
- **« سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا »** .
- **ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا**
- **« ذلك خير وأحسن تأويلا »**

وليس فى شىء من ذلك معنى الاخبار بالشىء ، كما لا يغيب عن فطنة القارىء ..

٢ — ثم قال سيادته ما نصه :

« ثم ان الآية الكريمة « لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما » لم تحدد طعاما موقوتا حتى يقصرها الشيخ على طعام الصباح ، والذى حمله على هذا القول دعواه أنهما أخبراه برؤياهما فى الصباح ، فحمل القول على هذا وجعله قاصرا على هذا الوجه » .

واقول لسيادته : ان هناك قرينة معنوية فى الكلام تدل على انه كان يقصد طعام الصباح، وهذه القرينة هى أنهما قصا عليه الرؤيا طالبين منه أن ينبئهما بتأويل ما رأيا ،والعادة أن ذلك يكون صباحا عند تذكر الرؤى الليلية والاتصال بمن يرجى منه تأويلها ، ولو كان المراد : لا يأتيكما طعام فى أى يوم من الأيام الا نبأتكما به قبل ان يأتيكما ، ــ كما يرى السيد بيومى ــ لكان يوسف عليه السلام قد خرج عن مجريات الحديث بينه وبينهما وأقحم أمر علمه بالغيب ، ومعرفته لأصناف الطعام على حديث دائر فى شأن الرؤيا ، مع انه لا صلة بين هذا وذاك .

لذلك لا أستسيغ ماذكره المفسرون ، وأكاد اجزم بان التفسير الذى ذكرته هو التفسير الصحيح دون سواه ، ولا تعجب أيها الأخ بيومى ، فكم من آراء ذكرها المفسرون ثم ثبت ضعفها ، وأن بعضهم ليمحص آراء بعض ، وما جعل الله كتابه الكريم وقفا على أحد أو على جيل من الناس ، ولكنه كتاب خالد قد يرى فيه أهل عصر ما لم يره أهل عصر سابق ، والعبرة بالبرهان ، لا بالنسبة الى فلان وفلان !

ب ــ وأما الموضع الثانى من الموضعين اللذين يعقب علينا فيهما الأخ السيد بيومى فقد قلنا فيه ما نصه :

« أما العام التالى للسبع الشداد فليس مشارا اليه فى رؤيا الملك ،ولا مرموزا له برمز، لكنه يفهم من أن السبع الشداد سيأكلن المدخرات من سنوات الرخاء » **الا قليلا مما تحصنون** » اى انهم مطالبون أيضا بان يحصنوا قليلا من مدخر السنوات السبع ، فلايتركوا السنوات السبع الشداد تأتى على هذه المدخرات كلها ، بل يحصنون القليل منها لعام يأتى بعد ذلك يكون الناس فيه قد خرجوا من السنوات السبع الشداد ، وهم يترقبون ثمرات العام الجديد ، ولابد لهم فى أثناء فترة الترقب من جزء يعيشون عليه ، فهذا الجزء هو ما اشير اليه بقوله « **الا قليلا مما تحصنون** » .

ثم قلنا :

« واذن فقوله تعالى : « **ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون** » معناه : عام آخر من الشدة العظمى التى يكون من لوازمها ان « يغاث الناس » أى يدركوا بالميرة وهم فى أشد الحاجة اليها ، فان الغوث انما يكون حين يصل الأمر فى الاحتمال والصبر الى آخر المدى ،كما يكون من لوازمها ان الناس « يعصرون » اى يلجئون الى دفع غائلة الحاجة الى الطعام بعصر اى شىء من النبات والحشائش والأشجار كما يقع أيام المجاعات ، وللمفسرين هنا تفسير لا نرضاه ولا نعرض له » .

هذا ما قلناه ، ويأبى الأستاذ بيومى الا التمسك أيضا بما قرره المفسرون أو بعضهم من أن «يغاث» من « الغيث » لا من «الغوث» وان « يعصرون » من عصر العنب اى استخراج مائة ، ثم يقول :

« وهذا هو الأنسب بعد فترة الترقب للمحصول الجديد الذى يجىء بالنماء والخير بعد سنين الجدب، ولم يبعد عنا كثيرا قول احد السجينين « انى أرانى أعصر خمرا أى عنبا لوفرة المحصول ، هذا هو الأنسب فى التفسير ، والأقرب الى الصواب ، والأكرم بشأن يوسف الذى يرعاه الله ويسدد خطاه » ــ ولا أدرى لماذا كان هذا هو « الأكرم » أيضا !! ــ

واقول لسيادته :

أولا : لم يجمع المفسرون على أن « يغاث من الغيث ، بل قال بعضهم أيضا أنه من « الغوث » واورد بعضهم الاحتمالين ، وأن كانوا يجعلون الاغاثة بالمطر ونخالفهم فى ذلك .

ثانيا : ان قوله تعالى « الا قليلا مما تحصنون » فيه اشارة عليهم بأن يحصنوا القليل من محاصيل السبع الخصيبة فلا يأكلوه كله فى السبع الشداد ، ومعنى ذلك انهم فى حاجة اليه أيضا ، والا لما كان لذلك الاحصان والابقاء فائدة ، والحاجة اليه تكون بملاحظة العام الذى سيأتى بعد الشداد وقبل

الحصاد ، ولا شك أن عاما يأتى بعد سبع شداد استهلكن اعظم المدخرات وأكثرها لابد أن يكون عاما من الشدة العظمى يحتاج الى تدبير شأنه ، وعمل تخطيط « للتمـــوين » فيه يعتمد على هذا القليل المحصن .

ثالثا : انه على تفسيرنا يكون لقول يوسف عليه السلام « ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون » ارتباط بالرؤيا ولذلك قلنا ما نصه :

« وقد ادرك يوسف عليه السلام هذا المعنى، واشار فى شأنه بهذا العلاج فيما اشار به ، أخذا مما يحكم به النظر والتأمل من أنـه ما دامت سنوات سبع عجاف قادمة بعد السبع الخصبة ، فلا بد أن يكون بعد ذلك فتـرة ترقب للعام الجديد ومحصوله ، ولا بد من ادخال هذه الفترة فى حساب الاستعداد » .

ونزيد الأمر هنا تأييدا فنقول : ان قوله تعالى « تزرعون سبع سنين دأبا » يبدو منه أن حساب السنة انمـا هو من مبدأ وقت الزرع ، لا من وقت الجنى والحصاد ، واذن فالعام الذى يأتى بعد تمام السبع الشـداد يبدأ أيضا من وقت الزرع ، لأن الكلام مبنى على أساس وقت واحد للبدء ، واذا كانت السبع الشداد قد أخذت كل المدخرات ولم يأت محصول جديد بعد ، فلا بد من الاعتماد على القليل الذى أحصن من قبل وتدبيره على وجه يكون فيه اغاثة للناس بعد عهد طويل من القحط ، وفى المرحلة الأخيرة التى هى أشد المراحل منه . وبالله التوفيق .

حقيقة التصوف

الأستاذ حسن عباس زكي

ان صفوة عباد الله هم الذين ألبس قلوبهم ملابس العرفان ، وخصهم من بين عباده بخصائص الاحسان واستعدت قلوبهم لورود الانوار العلوية ، لا تزال فى كل عصر منهم طائفة قائمون بالحق داعون للخلق منحوا بحسن المتابعة رتبة الدعوة وجعلوا للمتقين قدوة من اقتدى بهم اهتدى ومن انكرهم ضل واعتدى ، فضلهم الله على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه فهم الغياث للخلق والدائرون فى عموم أحوالهم مع الحق بالحق صفاهم من كدرات البشرية ورقاهم الى محل المشاهدات ما تجلى لهم من حقائق الأحدية وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية حتى سموا بحق الصوفية والمراد بالصوفى كل مقرب فهم قوم علموا وعملوا فتركت نفوسهم وانجلت مرائى قلوبهم بما صقلها من التقوى فاتضحت لهم صور الاشياء على حقيقتها فبانت لهم الدنيا بقبحها فرفضوها وظهرت لهم الآخرة بحسنها فطلبوها ، ودعوا الى الله بقول الله عز وجل : « قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » قال الشيخ أبوالعباس المرسى - رضى الله عنه - أى على معاينة يعاين سبيل كل واحد من الاتباع فيحمله عليها ودليله فى ذلك اختلاف وصاياه عليه السلام لأصحابه على حسب اختلاف سبلهم .

وقال صلى الله عليه وسلم « العلماء ورثة الأنبياء » وقال صلى الله عليه وسلم « ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم » وحيثما وقع العلم فى كتاب الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فانما المراد به العلم النافع الذى تكتنفه الخشية وتكون معه الانابة . والتصوف من أشرف العلوم ، سئل الجنيد عن التصوف فقال : هو ان يميتك الحق عنك ويحييك بك وهو ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع ومجمل القول أن الصوفى هو الذى يكون دائم التصفية لا يزال يصفى الأوقات

من شوب الأكدار بتصفية القلب عن شوب النفس ويعينه على هذه التصفية دوام افتقاره الى مولاه فبدوام الافتقار يتفطن للكدر وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها ادركها ببصيرته النافذة وفر منها الى ربه فيداوم تصفية جمعيته فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه، فهو مع الحق بلا خلق ، ومع الخلق بلا نفس ، قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط » وهذه القوامة لله على النفس هو التحقق بالتصرف وتظل روح الصوفى مجذوبة الى الحضرة الالهية متطلعة الى مواطن القرب وللنفس بوصفها رسوب الى عالمها وانقلاب على عقبها ولا بد للصوفى من دوام الحركة بدوام الافتقار ودوام الفرار .

وللصوفية فى طريقهم الى الله مدارك من عوالم لا يدرك كنهها الا الله تعالى فعالم النفس وعالم البشرية وعالم الطبع مهاو ودركات لعالم العدل وعالم القلب . وعالم الروح وعالم السر معارج ودرجات لعالم الفضل فعالم القلوب معارج أهل البداية وعالم الروح معارج أهل التوسط والكفاية وعالم السر معارج أهل الوصول والنهاية وعالم القلوب معارج التوابين وعالم الروح معارج المحبين وعالم السر معارج العارفين . فاذا لم ترق من طبعك وبشريتك ونفسك لا تصل الى عالمهم فاذا ترقيت من ذكر صح منه طبعك وبشريتك ونفسك يستقبلك تصرف الحق فيك ، قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء فتارة يقلبه من قبض الى بسط ومن خوف الى رجاء ومن بقاء الى فناء وتارة يعكس هذه الأحوال فهو أبدا بين قبض وبسط وخوف ورجاء فاذا وصلت الى عالم الروح برز لك نعت القدم واذا وصلت الى عالم السر كوشفت بأسرار الغيب ثم تأتيك الطاف القدرة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت فتسمع بغير أذن وتبصر بغير عين ويصير الغيب عنك عيناو الخبر معاينة . فحينئذ يجذبك عنك ويسلبك منك فتقع فى القبضة ويوصلك الى أعلى مراتب التوحيد والمعرفة . وطريقك فى كل ذلك ذكر الله فاذا قلت لا اله الا الله ومسكنها منك اللسان ولا ثمرة لها فى قلبك ولا فعلك فأنت منافق وان كان مسكنها منك القلب فأنت مؤمن وان كان مسكنها منك الروح فأنت محب وان كان مسكنها منك السر فأنت مكاشف .

والصوفى يضع الأشياء مواضعها ويدبر الأوقات والاحوال كلها بالعلم ، يقيم الخلق مقامهم ويقيم أمر الخلق مقامه ويستر ما ينبغى أن يستر ويظهر ما ينبغى أن يظهر ويأتى بالأمور فى مواضعها بحضور عقل وصحة وتوحيد وكمال معرفة ورعاية صدق واخلاص والصوفية لما صفت اسرارهم تشكلت فى سرائرهم مخاطبات موافقة للكتاب والسنة نزلت لهم تلك المخاطبات عند استغراق السرائر ويكون ذلك مناجاة لهم فيثبتون لأنفسهم العبودية ولمولاهم الربوبية كما أن لهم أحوال ومقامات أحوال متحولة ومقامات ثابتة فينبعث من باطن العبد مثلا داعية المحاسبة ثم تزول الداعية بغلبة صفات النفس ثم تعود ثم تزال فلا يزال للعبد حال المحاسبة حتى يتعاهده الحال ثم يحول الحال بظهور صفات النفس الى أن تتداركه المعونة من الله تعالى ويغلب حال المحاسبة وتنقهر النفس وتنضبط وتتملكها المحاسبة فتكون المحاسبة وطنه ومستقره ومقامه ويصير فى مقام المحاسبة وهكذا فى المراقبة ثم المشاهدة ، وهكذا يترقى فى مقام الى مقام وينقلب من حال الى حال . والأحوال مواهب تنزل بالعبد غير مقدورة له بكسبه ولذلك يقولون أن المقامات مكاسب والأحوال مواهب الا أن المكاسب محفوفة أيضا بالموهبة محفوفة بالكسب ولذلك فهى كلها مواهب الا أنه فى المقامات ظهر الكسب وبطنت الموهبة وفى الأحوال بطن الكسب وظهرت الموهبة .

وللقوم اصطلاحات تداولتها ألسنتهم تفهيما بعضهم للبعض واشارة منهم الى أحوال يجدونها ومعاملات قلبية يعرفونها

فمن ذلك قولهم الجمع والتفرقة وعندهم أن الجمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل والمقصود انهم اشاروا بالجمع الى تجريد التوحيد وأشاروا بالتفرقة الى الاكتساب ويقولون فلان عين الجمع يعنون استيلاء مراقبة الحق على باطنه فاذا عاد الى شىء من أعماله عاد الى التفرقة ، فصحة الجمع بالتفرقة وصحة التفرقة بالجمع وهذا يرجع حاصله الى أن الجمع من العلم بالله وأن التفرقة من العلم بأمر الله ولا بد منها جميعا فالجمع حكم الروح والتفرقة حكم القلب فما دام هذا التركيب باقيا فلا بد من الجمع والتفرقة وقالوا اذا نظرت الى نفسك فرقت واذا نظرت الى ربك جمعت وقد يريدون بالجمع والتفرقة انه اذا أثبت لنفسه كسبا ونظر الى أعماله هو فى التفرقة واذا أثبت الأشياء بالحق فهو فى الجمع .

ومجمل ما تقدم ما قاله الامام السهروردى رضى الله عنه ، قال التوبة هى أصل كل مقام ومفتاح كل حال وهى بمثابة الأرض للبناء الى أن قال ان المقامات والاحوال يجمعها ثلاثة اشياء بعد صحة الايمان من تحقق بها يلج ملكوت السموات ويصير له ذوقا وفهما ويحظى بالسعادة أحد هذه الثلاثة بعد الايمان التوبة النصوح والثانى الزهد فى الدنيا والثالث تحقيق مقام العبودية بدوام العمل لله ظاهرا وباطنا من غير فتور ثم يستعان على هذه الأربعة بأربعة أخرى وهى قلة الكلام وقلة المقام وقلة الطعام والاعتزال عن الناس .

من الحضارة الإسلامية "١١"

القوة والجيل

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

معنى الجيل ـ أخلاط وحظوظ ـ جيل الصحابة ـ امتداد الأمل ـ الذكر والنسيان ـ اليقظة والوعى ـ الزعيم الموهوب ـ موائل الآمال .

معنى الجيل :

من المستطاع استئذان أهل اللغة المحافظين أن يقروا العرف الذى فرضه الزمن والناس على لفظ الجيل . وكان القدماء يقولون ان الجيل هو الصنف من الناس أو الأمة منهم فيقال جيل العرب وجيل الروم وجيل الترك وبذلك يمتد لفظ الجيل الى الجنس كله فى مختلف أزمانه للمظاهر التى تميزه والصفات التي يتوارثها الأبناء فيه عن الآباء .

ولكن العرف فى الأزمنة الأخيرة أخضع لفظ الجيل ليدل على أهل عصر واحد من أمة واحدة أو من كل الأمم ما داموا يعيشون فى وقت واحد أو أوقات متداخلة . ومع تغير هذا العرف أو اتساع معنى اللفظ فما زال الجديد قريب النسب من القديم ، ففيه منه أسباب ومشابه اذ دل الجديد على الجماعة أو شتى الجماعات التى يتساوى زمانها

وتعيش فيه معا ، فالعرف الجديد بذلك لم يهجر الصفات والمواريث .

وبهذا التوسع اللفظى لكلمة الجيل تناولت الكلمة معنيين : أوسعهما ما دل على سكان الأرض فى وقت واحد ، وأضيقهما ما دل على ابناء أمة واحدة فى زمن واحد ، وقد اخترت فى مقالى هذا المعنى الضيق للجيل والذى يدل على أهل عصر واحد من أمة واحدة ، فاذا قلت جيل الصحابة او جيلنا المعاصر فانى أعنى الناس الذين جمعهم زمن النبى فى صحبته دون غيرهم ، وأعنى بالجيل المعاصر الذين يعيشون معنا فى زماننا ومن أمتنا .

وفى الحق انه لا ضرورة لاستئذان المحافظين ، فلقد صار هذا عرفا قائما بين الناس فلا تكاد تذكر كلمة الجيل حتى يثب الى الأذهان معناه الجديد ، أما المعنى القديم فلم يعد بين اللغويين محافظون الا بطون المعاجم التى استقر فيها هادئا ذلك المعنى القديم .

واقصى ما بين طرفى الجيل من مبدئه ونهايته مع تداخل الأجداد والأحفاد فيه أن يعيش مائة عام أو زهاءها ثم تتغير الوجوه وتغيب ولا يبقى منه الا الآثار المتحركة أو الجامدة التى يتركها ليرثها جيل متخلف عنه من الأبناء والأحفاد .

اخلاط وحظوظ :

وتختلف حظوظ الأجيال ما بين السعادة والشقاء . وقد تحقق ـ مما حفظه التاريخ ـ أن الأجيال التى سعدت كانت أقل عددا واقصر زمانا ، أما الأجيال الشقية فتكاد تنتظم معظم الناس فى معظم الأزمان .

ولم يخمد قط نبض الحياة وخفق القوة فى جيل سعيد مهما مضت به القرون ، فاننا ونحن نقرأ تاريخ جيل مجدود نحس انه أحب الى انفسنا وأقرب الى قلوبنا ، وما ذلك الا لانه حى قوى يؤثر فى نفوسنا كما أراد أن يؤثر ويفيض علينا من قوته وحياته مثلما شاء أن يفيض . أما اذا حاولنا أن نقرأ سيرة جيل شقى فاننا نصد عن قراءته وننفر من سيرته

وليس ذلك الا لأن النفوس تستوحش من التعاسة وتهرب من الاستئناس بقبور الموتى .

والله سبحانه يقول : ((أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ؟)) ولعل الرسول الحكيم قد ضرب مثلا لعاملى الصالحات برجل كيس دان نفسه وعمل لما بعد الموت وضرب مثلا للمفسدين فى الأرض برجل عاجز أتبع نفسه هواها ثم ظل يتمنى على الله الامانى .

ولم يفتح الله باب السعادة الا للنفوس التى هى معادن من جوهر الفضائل ، وللبصائر التى هى عيون ترى الحق والباطل فى المعتقدات والخير والشر فى الأفعال ، والحسن والقبيح فى الأخلاق ، والصدق والكذب فى الأقوال .

وأما الأبدان فهى متون النفوس والبصائر ومراكبها التى تسافر عليها الى ما تريد ولا سبيل الى خلودها فى هذه الدار ولو طبق علم الانسان وطبه ما بين السماء التى يرجو اليوم بلوغها والأرض التى استقر فيها . وما كان للأجساد التى تركبت من طبائع متعادية وعناصر متبدلة متحيرة الا أن تدعو نفسها ، على بطء أو عجلة وعلى استمرار أو فجاءة ، الى التفكك والانحلال والفناء والزوال . وهكذا لا بقاء لأحد من أى جيل بعد مائة عام أو قريب منها ، وهذا ما يجب أن يصان من الحقائق بين عيون الناس ، فوجب على كل جيل أن يفكر لنفسه فيما يفعله فى المدة التى يعيشها والتى لا بقاء له بعدها الا فى جيل آخر يرثه من الحفدة والبنين .

ليس من جيل من أجيال الخليقة الا ململما سرباله ، لأن الموت طبيعة لا محيص عنها . وكل زمان يمضى بقوم يأتى بعده زمان بقوم . وسواء فى ذلك الأجيال التى رفلت فى صحة وغنى وسرور أو تردت فى وهدات المرض والفقر والأحزان .

جيل الصحابة :

ويكاد يكون جيل الصحابة اسعد جيل مر فى الاسلام أو مر فى كل الزمان ، بلا مبالغة أو ادناها ، فلم يشابهه جيل آخر قط حتى ولو كان جيلا لأحد الأنبياء ، فان جيل الصحابة

للحظ الذى أصابه والسعادة التى أرخيت عليه قد عاش وبقى بعـد موته واشتهر كله فردا فردا ذكرا وانثى حرا وعبدا ولم يهمل التاريخ منه أحدا الا احصاه واحصى له ما قال أو عمل أو أشار ، من حيث لم يحفظ اجيال الانبياء سوى أصحابهم الأدنين أو الحواريين.

ولقد كان من جوامع الكلم قوله عليـه الصلاة والسلام « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ولم يرد رسول الله آحادا منهم دون آحاد ولا فئة دون فئة ، وانمـا أراد كل الأصحاب ، فكل واحـد منهم ـ بلا استثناء ـ قد أشـار النبى صلى الله عليه وسلم الى انه ستنبعث عنه أضواء .

ولم يرد النبى من الأضواء التى أشار اليها فى نجومه أن تقتصر على زمانهم أو الازمنة القريبة منهم ، ولم ينبىء بأن أضواءهم تنبعث عنهم وهم أحياء ثم تخف وتتبدد كلما ابتعدت بها المسافات والأزمان كما تخف وتتبدد كل القوى التى تبتعد عن مراكزهـا ومباعثها . وكأنما كان قول رسول الله مع اهـل الفلك وعلمائه على اتفاق ، فانه اراد أن اضـواء أصحابه تمتد الى كل أفق والى كل زمان . وأهل الفلك يقولون انه قد يأفل نجم ويحترق ويزول ثم ما تزال أضواؤه تنبعث بعـد احتراقه فى أرجاء الكون الى الوف لا تحد من الأميال والسنين .

بل ان من النجوم مالا يهتدى به احـد . فأراد رسول الله نوعا من النجـوم معروف المطالع والمغارب واضح المضاوىء والأنوار محدود السمات والأشكال . وهذه النجـوم هى التى يشبه رسول الله أصحابه بها ، فانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يتكلم الا بجوامع الكلم ، فمن حيث قصد الراغب الى قوله وجد من ناحية ما يقصد معنى قائلا وقصدا راميا.

واصحاب رسول الله كانوا سعداء مجدودين لانهم لم يتهيئوا وحسب لقبول الدعـوة والانتظام فى الملة ، ولكنهم شاركوا الرسول فى كل نبرة من نبرات الحياة ايجابا وسلبا ودفعا وشدا وجهادا وسلما ، ولم يخطر ببال واحد منهم أن يفر أو ينخذل ، وكأنما حمل كل واحد منهم وحده عبء الرسالة كله كالرسول نفسه ـ فيما كان فى طاقة البشر ما عدا الوحى ـ فاما أن يبلغ بهـا أقصى الأمل واما أن تقربه وتسرع به الى أدنى الأجل .

لذلك عاش جيل الصحابة وان كان قـد مات واستشهد فى شتيت من أنحاء الأرض جنودا معروفين أو مجهولين ، ملمومى الجثث فى التراب أو ممزقى الأشلاء فى البحـار أو مفرقين فى أفواه السباع والطير . ولم يزل ذلك الجيل يعيش فردا فردا وسيظل عائشا الى الأبد ، لأنه لم يعبأ بالبقاء ولا كبر الشهرة وكان فيه كثيرون من أمثال من قال لابنه وهو يموت : يا بنى ، اذا أنا مت فاحث على التراب حثوا ولا تقل كان أبى وكان !

والأرض التى نعيش عليها نحن المسلمين بعدهم بمئات السنين قد كتب لها الخلود فلم يزل عنها الاسلام ـ الا قليـلا ـ فهى هى أرضهم التى فتحوها بسيوفهم وعمـروها بعقائدهم لـم تحط عن رءوسها أعلامهم ولم تزو عن وجوهها أمجادهم .

ومع انه لم تكسب أمة مجدا حربيا مثلما كسبوا ، فلا يدر بخلد انسان ان المجد الذى اكتسبه ذلك الجيل لم يكن الا مجدا حربيا ، بل انه امتد الى البناء والاعمـار والتشييد واقامة أركان الحياة ورغادة العيش ورفاهة الانسان ـ بقدر ما كانت الدنيا انذاك تمدهم بقوى ومعارف وأدوات .

امتداد الأمل :

ومع كل ما اتصف به جيل الصحابة من الخير فانه لم يذهب بالخير كله ، فقد بقيت للناس منه كل بقية ـ وكأنما الخير أشجار الجنة كلما قطفت منها ثمرة خرجت فى مكانها ثمـرة فهى لا تنقطع ولا تمتنع ـ وقد نبأ الرسول الأمين بأن الخير باق فى الناس حتى القيامة ، وكان يحث البعيد ليلحق بالقريب والسامع بالرائى والأزمنة التى لم تولد بأهل زمانه .

وقد نادى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ـ التى قرر فيها آخر احكامه ـ قائلا :

« ألا فليبلغ أدناكم أقصاكم » أو قائلا « فليبلغ الشاهد الغائب » وقائلا « فرب مبلغ أوعى من سامع » فكأنه صلى الله عليه وسلم ينادى أجيال المسلمين الى يوم القيامة أن هلمى فالدعوة ما تزال غضة والجهود لم تزل مطلوبة وباب الجنة لم يزل مفتوحا .

ولقد حققت أجيال اسلامية كثيرة هذه النبوءة حين أصاخت للنداء فتوالت أجيال التابعين على الحق ـ برغم ما حدث من خصومات دموية بين آبائهم ـ ولم يصدهم عن نشر الاسلام والجهاد فى سبيله والرقى بالحياة ومظاهرها فتن او خصومات ، وبرغم وجود فئات من المتهافتين على متارف الدنيا عن ايمانهم وعن شمائلهم .

وقد خيلوا أن من الأجيال الاسلامية التى سعدت ـ بعد عصر النبى والخلفاء الراشدين ـ أول الأموية فى المشرق وآخرها فى المغرب والأندلس ثم أجيال متتابعة فى العباسية الأولى وفى كل الأجيال التى امتشقت حسامها فى الصليبيات والمغوليات من الحمدانية والنورية والايوبية والمملوكية تذود عن حماها وتدفع عن دينها وتبنى لدنياها ومستقبل أيامها .

وفى ألوف من القصص القصيرة والطويلة وفى الشعر والنثر والحكم والأمثال تتحدث سير هؤلاء تشنف الآذان وتعطر الجواء . ولم تغفل عين التاريخ أو تضل فانبرى يكتب ما يؤثر ويبعث الفخر ، وكان أشد حرصا على تخليد الأقوياء الذين يعبرون هذه الحياة فيؤثرون فيها بوجودهم وأعمالهم ، أما الذين لم يستحقوا أن يلتفت اليهم فانه لم يبال بهم ، وان كان قد دون بعض أخبارهم ففى القرون الهالكة التى تبعث الرثاء أو تثير المضحكات

وسوف تظل نبوءة رسول الله باقية ودعوته قائمة ، لكل جيل يصغى اليها ، غير انه لن يجاب بالسعادة لجيل ما لم يبتعد عن الخمول والتمنى ، وما لم تثقل كواهله الأحمال أو تحطمها الأعباء بغير ضجر ولا ملال .

الذكر والنسيان :

ويحسب بعض الناس خطأ ان الأجيال السعيدة هى التى تمضى بها الحياة هينة لينة من غير أن تلقى على كواهل افرادها وجماعاتها واجبات وأعباء ، بل تكون حياتهم كلها تخاصما وتبايعا وأكلا وشربا وغناء ولعبا وفراغا وخلو بال ، ولكن الأجيال التى تمر بها الحياة هكذا انما تتطرح فى الألم والشقاء أو هى وشيكة أن تذوقهما لو أمهلتهما الدنيا فترة وغفلة ، ثم هى صائرة لامحالة الى الضياع والنسيان ، وما شان هذه الأجيال فى نظر الاسلام الا شان من قال الله فيهم من الكفار « والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » .

والوجودية البلهاء كل تطرحاتها أكل وشرب ونوم وغفلة وقضاء شهوة أو اقتناص لذة ، بل كل حياتها شىء لا أمل فيه ، فلا نية ولا عمل وانما هى سكرة تجرى فيها الأمانى الزائفة سيلا غامرا ، والبلهاء يتطرحون على شواطئها تطرح المخمورين .

ويخطىء كذلك من يرى أن اجيال الانقلاب تمر بحياة بائسة وأيام شقية ، فى حين أن التاريخ لم يذكر جيلا بالفخر والخلود الا الأجيال التى تغيرت ظواهر الحياة فيها وبواطنها الى خير مما كانت ، وفى عهدها وعلى أيديها .

فليس من جيل سعيد كالجيل الذى يحمل أعباء الانقلاب مهما أصابه من كرب وأذى ، لأنه يبدو بما يفعله من الانقلاب متحكما فى الأجيال التى سبقته متصرفا فى الاجيال التى تليه ، وفى ذلك وهذا معنى العلو والسيادة . وكذلك مرت أجيال الصحابة والتابعين ، وعلى أيديهم تغيرت العقائد وثبتت ، وتحولت الحياة ونمت ، وتحققت الآمال وامتدت ، ثم استطاعوا ان يطبعوا كل العصور بعدهم على ما رسموا من خطوط ونشروا من آراء .

اما الأجيال الفارغة والتى يخطئون فى حسبانها سعيدة فان الموت يتراكم عليها كثيفا ، ويبيت التاريخ عاجزا عن الحفر عنها وقد يمر على سطوح قبورها كما تمر الريح

على الآكام لا تنبش فيها خبرا ولا تحس لشيء فيها ركزا .

فمن اشد العيب واشين الشين أن يترامى جيل على الأمن والسلامة ويرضى لنفسه بالثرثرة فى القول والعمل ، حتى اذا وقعت عليه أيام الضنك خنس وانقبض ، ولكن عليه ان يلحظ الحقائق فيرقى فى درجات المعارف ومعارج الفضائل وتتسع آفاقه فى الانشاء والاعمار والبناء ، ولا عبرة بموت الأجساد فانها معادن المعاطب ومساكن الآفة والهلاك .

اليقظة والوعى :

ولا حق لجيل أن يدعى انه أصاب حظا من السعادة فى الحياة الا الجيل الذى ورث صفاته العليا من أجيال اجداده ذوى المجد والفخر وكان لهذه الصفات مظاهر من الفكر والخلق والقوة والعمل ، أو الجيل الذى اكتسب لنفسه صفات الحقته بتلك الأجيال أو قدمته عليها ، ثم تحول كله الى فيالق للانتاج تتوزع العمل الجدى وتسهل بعزائمها الصارمة كل ما يتخلل طريقها من صعوبات .

وكل جيل من المسلمين يدعى الانتماء الى مفاخر أجداده فلن تكون دعواه **اصيلة الا اذا تنبه للصفات التى نبهت أجداده ، واذا كان الفخر طبعا من الطباع المخلوقة فى الجبلة ثم صفة من الصفات المكسوبة كان على الطبع والعقل أن يسترشدا بكل الأجيال السالفة حتى يقتديا بالقوى ويحيدا عن الضعيف ، وانه ليمكن للناس من خلال ولادة جديدة أن يرجعوا للحياة ثانية بعد الموت أو يطردوا عن خيالاتهم أطياف الموتى .**

وما من شك فى أن جيلنا العربى الحاضر او الاسلامى كله قد تجافت جنوبه عن المضاجع واخذ يعد للبناء والمعركة معا : يعد للبناء درجة درجة ، ويعد للمعركة بالقوى الحاسمة الضاربة . اما البناء فلا طاقة لأحد الا بان يمتد زمانه ويطول أوانه ، وأما النصر فى المواقع فانما تتجمع له كل القوى حين يحين وقته ويحل قدره ولا يتنافى فى ذلك مع الاستمرار فى المعركة ولو لم يتحقق النصر الا بلقاء بعد لقاء .

ومن المحقق ان من يخططون للخمسيات — فى سياستنا اليوم — يدركون هذا التفصيل ، فهم ملهوفون على تحقيق ما يرسمون ، اذ لو انعدم التخطيط وانعدمت اللهفة على تحقيقه لانعدمت سعادة الجيل الذى يعيشون فيه وماتت آمال الأجيال التى تليه .

وأمهات الجيل الذى يصيب حظا من الوعى واليقظة ، هن أشد من يحرص على تنبيه أولادهن من الآباء العقلاء ، وكانما هى قاعدة مقدسة اذ لم يمر جيل قوى فى اى زمن او ارض بغير أن يكون للمراة القوية مظهر فيه .

ولقد حفظ تاريخ المسلمين قصصا ذات روعة لأمهات أثرن الدهشة وبعثن العجب والفخر ، وربما عز ان تكون أم من الامهات — فى قديم الناس وحديثهم — قد بلغت من دقة الادراك ما بلغته أم سفيان الثورى الفقيه اذ قالت لابنها وهى تبعث به ليتعلم : يا بنى ، اذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى فى نفسك زيادة فى مشيك وحلمك ووقارك ؟ فاذا لم يزدك فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفعك !

الزعيم الموهوب .

ورب فرد واحد من جيل يكون سببا فى اسعاد جيله ، وذلك حين يقوده الى أعمال البطولة بما يحمله من الواجبات والأعباء ، وكأنما الزعماء مباعث للقوى الهائلة التى تحرك آلات العمل بمثل القوى الحرارية التى تبعثها فى أيامنا القوى العالية ، والجيل المحظوظ هو الذى يخطو فى اندفاعه نحو الرقى خطوات قياسية بدون توقف .

وقد يكون الزعيم الموهوب — كما علمنا التاريخ — وحيدا فى أفكاره وكأنما يهمس بها فى أذنه الهام ، وحين تعبر أفكاره مناطق التجارب وتتحقق أهدافها كما فكر وقدر يجد الناس لأفكاره مساغا وحلولا ، ذلك لأن الزعماء الموهوبين يقفزون فى خطوات جريئة قفز متسلقى الجبال ، اما الناس فهم يسيرون سيرا متشابها فى المباسط والوديان .

ورب رأى فريد يكون من مقاليد الغيب فاذا رمى به راميه خلف كل أبية من العقد والمشاكل أدركها كسهم الصائد المبعد يصيب الوعول على القمم والطيور فى الأفق البعيد .

وانطلاقة الزعيم الموهوب فى اطفاء نار الأحقاد بين أبناء جيله باخماد فتنة المال ولمة الشهوات وضرب الذلة والتعاسة من دلائل الحظ والسعادة ، اذ حين يتخلى جيل من الأجيال عن النهمة فى اجتلاب المنافع الذاتية الرخيصة وينصرف أفراده لاكتساب أكبر قدر من المحبة يسعد الجيل ويبنى أمجاده التى لا تهزها الزلازل ولا تجرفها السيول .

وان زعيما نشأ فى قلب النضال الذى يلفظ النظام الرجعى ويدمر خطوطه فى حماس ثورى بالغ لهو حظ كبير لأمة يقودها ، اذ هو يشعل عواطفها التى ابتردت ويرجع اليها حكمتها التى ضاعت ويردعليها شجاعتها التى اطرحتها ، ثم تتولى فى مقدرة وعناد بناء المشروعات الضخمة التى يعجز عن بنائها وتشييدها العبيد المسخرون .

ومثلما تتمثل قوة الزعيم الموهوب فى محبة اقومه له محبة طاغية تتمثل أيضا فى شدة خصام أعدائه له ومحاربتهم لسلطانه ، بل هما معا : محبة أهله وعداوة أعدائه قوتان صاعدتان به الى القمة ، لا تتخلف احداهما عن الأخرى : العداوة والمحبة ، لأن المحبة اذا كانت كالضوء الواضح فان العداوة كالغيوم السود لا تقوى على حجب أضواء الشموس

موائل الآمال :

وكما قلنا فى المقال السابق ان الدلائل المستقيمة تؤدى لامحالة الى نتائج مستقيمة ، ومن حقها ان تتخذ قواعد صادقة تقاس عليها النتائج والآثار ، فانا نقول : انه اذا وهب جيل من الأجيال زعيما موهوبا واقبل الجيل على طاعته وتقدير آرائه وخاض معه المعارك التى يحشد لها كتب النصر لا محالة لذلك الجيل وقدر لأبنائه وأحفاده أن يرثوا بعده سعادة محققة لا مرية فيها .

وان تخلفا قيد شبر واحد عن اتباع زعيم موهوب يعد من الخطايا البالغة التى يتحقق منها العطب والدمار . والطاعة مهمة يسيرة ، ولكن التخلف خطأ مركب ، وعاقبة الطاعة للموهوبين كلها خير مهما أوقفت الطاعة فاعليها على هضاب قلقة معرضة لهبوب الرياح والأعاصير .

وكل الأجيال فى كل الأمم والعصور يلفها الضباب، ووراء الضباب لو اخترقته الأبصار شمس ساطعة دافئة يعيش تحتها الناس سعداء أصحاء ، واختراق الضباب يحتاج الى رأى وشجاعة حتى يصل العاقل الشجاع الى النور من لجة الظلام .

والشجاعة — وهى مظنونة أنها طبع مخلوق — يتعودها الناس ويتعلمونها ، وحيث كانت الشجاعة تعويدا فانه لا عذر لجيل يجبن عن أن يجنى آماله ولو باقصى ما يبذل من جهود .

والحياة لا رحمة فيها ، وهى تخلق فى كل ركن منها قوى متصادمة ، ولكن فى استطاعة السعداء أن تسيطر أذهانهم وقواهم فيقدرون على المقاومة والاحتمال ، بل على كشف المصاعب قبل أن تحيط بهم وتضطرهم للنضال ، ولا يضطلع بالأعباء الا جيل شجاع.

وما لا ريب فيه أن كثيرا من هذه الآمال الموائل أو هى كلها قد صارت من حظ جيلنا الذى كتبت له السعادة وضمن له الخلود .

الاسلام والقومية العربية

-٧-

الدكتور أحمد الحوفى

المحت فى المقال السابق بخصائص الاسلام التى نوه بها الشعراء ، وفى هذا المقال أعرض لتنويههم بالحضارة الاسلامية .

٤ ـ الحضارة الاسلامية

طالما لهج شعراء العصر الحديث بالحضارة الاسلامية ، لأنهـا من تراثهم العظيم النفيس الذى يعتزون به .

وليس بغريب أن يعتز المسيحيون بالحضارة الاسلامية والتراث الاسلامى كما يعتز المسلمون ، لأن أثر الاسلام ـ كما قال الدكتور قسطنطين زريق ـ « امتد الى كل ناحية من نواحى ثقافتنا العربية . فواجب على كل عربى ـ بصرف النظر عن معتقده الدينى ـ أن يدرس الاسلام » .

والمؤرخون المنصفون مجمعون على أنه فى الوقت الذى كان فيه بنو أمية بالشام يضعون الأسس الأولى فى نقل العلوم عن اللغة السريانية والرومية والقبطية ، ويعنون بتدوين العلوم الدينية والعربية ، ويمهدون الطرق لطلائع الحضارة فى البلاد التى فتحوها فى ذلك الوقت كانت أوروبا تخبط فى الجهل والفوضى والهمجية ، وكانت الزراعة فيهـا متخلفة ، والمستنقعات مباءة للامراض ، والبيوت غير صحية ، وكانت الدور فى لندن وباريس أكواخا صغارا ، والقلاع والأبراج والكنائس لاهندسة لها .

ولم يكن هناك أمن ولا اطمئنان على الأرواح والأموال ،اذ كانت الطرق والبلدان غاصة باللصوص والشطار ، وليست هناك حكومة قوية تردع المجرمين •

ولم تكن النصرانية قد انتشرت ، فكان بعض الممالك والأصقاع على الوثنية •

وفى الوقت الذى كان فيه العباسيون يبذلون الجهود الموصولة فى تشجيع العلماء والأدباء ، وفى تنشيط الترجمة من اليونانية وغيرها ، وفى الوقت الذى كان فيه المسلمون ينشئون المدارس وينشرون التعليم فى كل مكان ، وكان عامتهم يقرأون ويكتبون ، وخاصتهم يشعرون وينثرون ويخطبون ويؤلفون فى شتى فنون المعرفة ، فى هذا الوقت كان شارلمان أعظم ملوك أوربا أميا أو شبه أمى ، وكان نبلاء القرون الوسطى لايمتازون عن عبيدهم وفلاحيهم بعلم أو ثقافة ولا يستطيع باحث أن ينكر فضل المسلمين على أوروبا ، ولا أن يجحد آثارهم العظيمة فى الأندلس ، اذ أن كثيرا من الأوروبيين رحلوا الى الأندلس وتتلمذوا على علماء المسلمين ، وانتفعوا بعلمهم وبمؤلفاتهم أيما انتفاع ، ويكفى أن نذكر منهم البابا سلفستر الثانى الذى درس اللغة العربية والرياضيات والفلك على العلماء المسلمين فى إشبيلية وقرطبة ، لكنه لما تولى البابوية سنة ٩٩٩ م كان رد الجميل أنه بذل جهده فى توحيد قوى الغرب لمحاربة المسلمين •

على أن المسلمين نقلوا الى أوروبا كثيرا من الصناعات والنباتات والتقاليد ومظاهر الحضارة ، ومازالت الجامعات الأوروبية تدرس كثيرا من علومهم فى الفلك والطب والطبيعة والكيمياء والجبر والتشريع وغيرها الى القرن السادس عشر ، وبفضلهم عرفت أوروبا فلسفة اليونان ، ولولاهم لتأخرت النهضة التى بدأت فى القرن الخامس عشر بضعة قرون •

ولا يستطيع أحد من علماء أوروبا أن ينكر انهم لم يعرفوا فلسفة أرسطو الا من مؤلفات الفيلسوف الاسلامى ابن رشد (القرن الثانى عشر الميلادى) ومؤلفات تلاميذه مثل موسى بن ميمون (القرن الثانى عشر ، وليس فيهم من ينكر آثار هذه المعرفة فى فلسفة القديس توماس الأكوينى (القرن الثالث عشر) وفلسفة أوروبا العامة • وليس المقام مقام تفصيل ، فقد ألفت كتب كثيرة فى هذا الموضوع •

وحسبنا من الاشادة بالحضارة الاسلامية أن شوقى رفعها على حضارة اليونان والرومان والفرس والفراعنة ، ناظرا الى أنها قائمة على توحيد الله وعبادته وحده والعمل للدنيا وللاخرة والى أنها أعظم سعة واكثر رعاية للقيم الانسانية ، وأنها الحضارة الحقيقية التى تكفل للناس العدل ،وتنيلهم مالهم من حق ، وتأخذ من الأغنياء والفقراء ، وتقتص من الأقوياء للضعفاء •

أما تلك الحضارات فقد قامت على المادة لا على الروح ، وقامت على الشرك والوثنية وتعدد الآلهة والأضاليل الدينية ، وكانت موسومة برعاية الأغنياء والحكام والأمراء وذوى الجاه واهمال غيرهم من الشعب الكادح •

والذى يوازن بين التشريع الاسلامى وبين القانون الرومانى يتبين امتياز التشريع الاسلامى بالعدل واليسر والمساواة والسماحة ورعاية القيم الانسانية والكرامة البشرية •

قال شوقى :

شريعة لك فجرت العقول بها
عن زاخر بصنوف العلم ملتطم
نور السبيل يساس العالمون بها
تكفلت بشباب الدهر والهرم
لما اعتلت دولة الاسلام واتسعت
مشت ممالكه فى نورها التمم (١)
وعلمت أمة بالقفر نازلة
رعى القياصر بعد الشاء والنعم
كم شيد المصلحون العاملون بها
فى الشرق والغرب ملكا باذخ العظم
للعلم والعدل والتمدين ما حزموا
ومن الأمور وماشدوا من الحزم

---

(١) التمم : التام • الأصل التميم أى التام الخلق

سرعان مافتحوا الدنيا لملتهم
وأنهلوا الناس من سلسالها الشبم(١)
ساروا عليها هداة الناس فهى بهم
الى الفلاح طريق واضح العظم
لايهدم الدهر ركنا شاد عدلهم
وحائط البغى ان تلمسه ينهدم
دع عنك روما وآثينا وماحوتا
كل اليواقيت فى بغداد والتوم (٢)
وخل كسرى وايوانا يدل به
هوى على أثر النيران والأيم (٣)
واترك رعمسيس ان الملك مظهره
فى نهضة العدل لا فى نهضة الهرم
دار الشرائع روما كلما ذكرت
دار السلام لها ألقت يد السلم(٤)
ما ضارعتها بيانا عند ملتأم
ولا حكتها قضاء عند مختصم (٥)
ولا احتوت فى طراز من قياصرها
على رشيد ومأمون ومعتصم

ويكرر فى قصيدة أخرى هذه المفاخر ، ويذكر المسلمين بمجد الأوائل ، ويعقب على تذكيره بأن انقسامهم كان المقوض لعزتهم وقوتهم ومجدهم ، ويضرب لهم المثل من الواقع الذى لايشكون فى حقيقته ، وهو أن الشجعان حينما يتفرقون ويحارب بعضهم بعضا ، ويضعف أحدهم الآخر ، يمكنون للجبناء أن ينتصروا عليهم :

هذا هلالكم تكفل بالهدى
هل تعلمون مع الهلال ضلالا ؟
سرت الحضارة حقيقة فى ضوئه
ومشى الزمان بنوره مختالا
وبنى له العرب الأجاود دولة
كالشمس عرشا والنجوم رجالا
رفعوا فوق السماك دعائما
من علمهم ومن البيان طوالا
الله جل ثناؤه بلسانهم
خلق البيان وعلم الأمثالا
وتخير الأخلاق أحسنها لهم
ومكارم الأخلاق منه تعالى
كالرسل عزما والملائك رحمة
والأسد بأسا والغيوث نوالا
عدلوا فكانوا الغيث وقعا كلما
ذهبوا يمينا فى الورى وشمالا
أيام كان الناس فى جهلاتهم
مثل البهائم أرسلت ارسالا
حتى اذا انقسموا تقوض ملكهم
والملك ان بطل التعاون زالا
لو أن أبطال الحروب تفرقوا
غلب الجبان على القنا الأبطالا

ويصور الشاعر محمد عبد الغنى حسن ملامح من هذه الحضارة الاسلامية فى التعمير ، ورعاية الفقير ، وهداية الضال ، والعمل الجاد المثمر ، ورعاية الكرامة الانسانية :

تلك البلاقع من ندى حواشيها
فأصبحت وهى للبادين خضراء ؟
فيهن للجائع المحروم منتجع
خصب وللظامىء الصديان ارواء
بان الطريق على البادين مؤتلقا
كأنما ضوأت بالوحى سيناء
ياهائمين على الصحراء مقفرة
لاتجزعوا ان أرض الوحى صحراء
تلك المهامه فى البيداء قد خضرت
وأخضبت صفحتاها وهى جرداء(٦)
من فجر الماء فيها وهى مجدبة
وأنبت الروض فيها وهى صماء ؟
ومن طوى الريح فيها وهى عاصفة
ونفس الصبح فيها وهى ظلماء ؟

ثم يعود الى مناجاة الرسول بقوله :

يابانيا فوق أصنام مهدمة
لابدع انك هدام وبناء

---

(١) الشبم : البارد
(٢) التوم : جمع تومة وهى حبة من الفضة على شكل درة
(٣) الأيم : جمع ايام على وزن كتاب وهو الدخان
(٤) السلم : التسليم والخضوع
(٥) ملتأم : مجتمع : مختصم : خصومة وتقاض

(٦) المهامه : جمع مهمه : وهو البيداء والصحراء .

قر الحيارى على كفيك وانتظموا

وحررت بك فى البيد الأرقاء

واغليت قيمة الانسان فى زمن

ماكان فيه لسعر المرء اغلاء

وللشاعر السودانى عبد الرحمن شوقى قصيدة فى ذكرى الهجرة ، بها تنويه بالحضارة الاسلامية ، وشوق الى أن يسترد المسلمون ماضيهم العظيم ، وحض لهم على النهوض ، من ذلك قوله :

الا يابنات الشعر فالشعر خاننى

وانى لأخشى اليوم أن أتلعثما

أعيدى لى العهد الرشيدى وأطلقى

لسانى عسانى اليوم أن أتكلما

فانشر من مجد الجدود صحيفة

وأنظم عقد الدر فردا وتوأما

زمان تولى كان فيه جدودنا

ليوثا يقودون الخميس العرمرما

اذا ابتسموا فالخلد فى بسماتهم

وان عبسوا فالكون صار جهنما

ميامين كانوا حيث حلت ركابهم

وداء عياء للعداة وبلسما

شموس سماء المجد أيان أشرقوا

بدور الدياجى حيث كانوا أنجما

موازين قسط للانام • نفوسهم

تضن ويأبى المجد أن تتألما

وساسوا فما جاروا ولاتبعوا هوى

ولا حملوا النفس الضعيفة مغرما

ولم تكن مسيحية بعض الشعراء حائلا دون اشادتهم بالحضارة الاسلامية ، أو بعظماء الاسلام ، فالشاعر المهجرى الياس فرحات يشيد بالاسلام ، وبالحضارة الاسلامية ، ويمضه الألم مما حصل بديار المسلمين من كوارث الضعف وسيطرة الدخلاء :

سلام على الاسلام أيام مجده

طويل عريض يغمر الأرض والسما

نما فنمت فى ظله خير أمة

أعدت لنصر الحق سيفا ومرقما

فواها على الاسلام واها على الهدى

وواها على نبراسه كيف أظلما

فأضحت بلاد المسلمين وأهلها

وخيراتها للناس نهبا مقسما

ترى العربى المدعى البأس والحجا

يطأطىء حتى لليهودى مرغما

تلك نفثة مكلوم لم يستطع أن يصبر على ماكان يلقى قومه من هوان ، أما اليوم فقد أفاق قومه من خدر الاستعمار ، فصاروا الأعزة فى ديارهم ، وصار لهم فى السياسة العالمية صوت مسموع ومكان مرموق وجهد محمود ٠

للبحث بقية

المحرم وعاشوراء

الدكتور على عبد الواحد وافى

يطلق اسم المحرم على الشهر الأول من شهور السنة القمرية . وقد كان لهذه الشهور فى أقدم عهود الجاهلية أسماء أخرى غير الأسماء المعروفة الآن ، وان اختلف الرواة فى تحديد تلك الأسماء . وأشهر ما ورد فى صدد المحرم أنه كان يطلق عليه اسم « المؤتمر » ، لأن العرب كانوا يعقدون فيه المؤتمرات للفصل فى أقضيتهم ، فيستفتحون السنة الجديدة بتصفية خلافاتهم فى العام السابق ورسم ما ينبغى أن تسير عليه علاقاتهم فى العام الجديد . وأما الأسماء التى تطلق الآن على الشهور العربية فالمشهور أنها وضعت فى عهد كلاب او حكيم) بن مرة أحد أجداد الرسول - عليه الصلاة والسلام - وكان ذلك قبل الاسلام بنحو قرنين . وقد اختلف فى تعليل تسميتها بهذه الأسماء . وأشهر ما ورد فى صدد المحرم أن العرب سموه بهذا الاسم لحرمة القتال فيه .

وقد اشترك مع المحرم فى هذا الحكم ثلاثة أشهر أخرى ، وهى رجب وذو القعدة وذو الحجة . فكانت هذه الأشهر الأربعة عند العرب أشهر سلام وهدوء ، يتفرغون فيها لأمور معاشهم وتنمية مواردهم وشئونهم الأدبية والثقافية والدينية . وتقرر هذا النظام لديهم من قبل الاسلام بأمد طويل . وكان له أثر كبير فيما وصل اليه العرب من رقى وحضارة قبل الاسلام ، بل يرجع اليه أكبر قسط من الفضل فى بقاء الجنس العربى نفسه . فقد كانت العلاقات بين قبائلهم وبطونهم علاقات تسودها الاحن والعداوات ، ولم يتوافر لدى أمة ما من أسباب التناحر والتقاتل والتطاحن مقدار ما توافر لدى هذه الأمة فى جاهليتها . وما كان أكثر دواعى الحرب ومقتضياتها عندهم . وكان يكفى أن تنشب حرب بين قبيلتين أو بطنين لأتفه الأسباب حتى ينضم الى كلتيهما حلفاء وأنصار من القبائل والبطون الأخرى ، وتظل الحرب مستعرة عدة سنين وتحصد آلافا من

الفريقين المتنازعين . فلولا نظام الأشهر الحرم لاستأثرت هذه الحروب بجميع مظاهر نشاطهم واستغرقت جميع أيامهم ولوقف نموهم الاجتماعي والحضاري، بل لفنى الجنس العربي نفسه (٥).

وظل العرب أمدا طويلا محافظين كل المحافظة على حرمة هذه الشهور في مواقيتها ، حتى أن الرجل منهم كان يلقى قاتل أبيه فيها فلا يمسه بسوء . بيد أنه قد شق على بعضهم الكف عن القتال ثلاثة أشهر متواليات ، وهي القعدة والحجة والمحرم ، فأدخلوا على الأشهر الحرم تعديلا يتيح لهم تقصير هذه المدة والاعتداء على حرمة شهر المحرم بالذات ، وهو نظام النسيء (**من نسأه اذا أخر أجله**) . وذلك بأن يراعوا حرمة شهرين متتابعين ، وهما ذو القعدة وذو الحجة بدلا من ثلاثة ، ويحلوا القتال في شهر المحرم ، على أن ينسئوا حرمته (أي يؤخروها) وينقلوها الى شهر آخر كصفر مثلا . فاذا جاء صفر واحتاجوا فيه الى القتال احلوه وحرموا ربيعا الأول ... وهكذا . فأصبح المعتبر في التحريم عندهم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر الحرم . وكانوا أحيانا يحلون شهرا آخر من الأشهر الحرم غير شهر المحرم ويؤخرون حرمته وينقلونها الى شهر آخر من غير الأشهر الحرم .

ومن أشهر الحروب التي انتهك فيها العرب حرمة الأشهر الحرم معتمدين على طريقتهم في النسيء حروب الفجار (بكسر الفاء من مادة الفجور ، أي الطغيان وتجاوز الحدود ، وسميت بذلك لوقوعها في الأشهر الحرم) . وهي خمسة حروب وقعت كلها في الأشهر الحرم في سنين متتاليات وفي مواقيت متحدة بين قريش ومن تبعها من كنانة من جهة وهوازن ومن تبعها من قبائل قيس عيلان من جهة اخرى . وقد تداعى الناس بعدها الى السلم بدافع من انفسهم ، ولكن بعد أن حصدت عددا كبيرا من الأنفس من الفريقين . وقد شهد النبي - عليه الصلاة والسلام - بعض هذه الحروب وهو ابن اربع عشرة سنة أو ابن عشرين سنة ، وقال في ذلك : « كنت أنبل على عمومتي يوم الفجار » أي كنت أناول أعمامي النبل وهم يحاربون « ورميت فيه بأسهم وأنا ابن أربع عشرة سنة » وفي رواية عشرين سنة .

وكانوا أحيانا يزيدون في عدد شهور السنة فيجعلونها ثلاثة عشر أو اربعة عشر ، ويجعلون أربعة منها حرما ليتسع لهم الوقت للقتال . ومن أجل ذلك اضطربت مواقيت حجهم ، فكان يجيء حجهم أحيانا في غير ذي الحجة . ويروى أن أبا بكر قد حج بالناس في السنة التاسعة من الهجرة في شهر ذي القعدة ، لأن اضطراب المواقيت عند أهل مكة قد تقدم بالحج في هذا العام عن موعده .

وقد أقر الاسلام نظام الأشهر الحرم في وضعه الأصيل ، وقضى على كل ما حدث في هذا الوضع من تلاعب ، فقرر أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، لايصح نقصها ولا زيادتها وأنه لا يجوز أن يستبدل بشهر المحرم شهر آخر ، فيجعل المحرم من الأشهر الحلال، وتنتقل حرمته الى هذا الشهر الآخر ، وأنه لا يجوز أن يفعل ذلك في أي شهر آخر من الاشهر الحرم ، وأن النسيء ضلال وكفر وتغيير لكلمات الله . وفي هذا يقول الله تعالى : « **ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض ، منها أربعة حرم، ذلك الدين القيم** .. » ، ويقول : « **انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرم الله** » (**أي ليجعلوا عدد الشهور التي يحرمونها متفقا مع عدد الشهور التي حرمها الله ، فيعتبرون في التحريم مجرد العدد لا خصوصية** الأشهر الحرم) « **فيحلوا ما حرم الله ، زين لهم سوء أعمالهم ، والله لا يهدي القوم الكافرين** » . ويقول الرسول - عليه الصلاة والسلام في خطبته في حجة الوداع ، وهي الخطبة التي لخص فيها كثيرا من أحكام الشريعة الاسلامية ، وجعلها دستورا عاما للمسلمين من بعده : « **أيها الناس ان الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ، ولكنه قد**

رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم » أى من الامور التى يعدونها صغيرة « أيها الناس انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله » وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض (وذلك أن الرسول - عليه السلام - قد أعاد حينئذ الشهور الى أوضاعها الحقيقية ، فكانت حجة الوداع فى مواقيتها فى شهر ذى الحجة) . وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات وواحد فرد ، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى وشعبان . ألا هل بلغت ؟! اللهم فاشهد » .

ولشهر المحرم فى الاسلام مكانة مقدسة خاصة . ولذلك سماه الرسول - عليه الصلاة والسلام - « شهر الله » . ولم يندب عليه الصلاة والسلام الى صيام شهر كامل على سبيل التطوع غير شهر المحرم ، وجعله أفضل صيام بعد رمضان . فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم : أى الصيام أفضل بعد رمضان ؟ فقال : شهر الله الذى تدعونه المحرم » (رواه أحمد وأبو داود) . - ويظهر أنه كان له كذلك مكانة خاصة فى نفوس العرب فى الجاهلية ، بدليل أنه اختص من بين الشهور الأربعة الحرم بالاسم الذى يدل صراحة على حرمته ، وذلك قبل أن يعبثوا فى عدة الشهور وأوضاعها ويبتدعوا نظام النسىء الذى كان يتيح لهم فى الغالب انتهاك حرمة هذا الشهر بالذات .

* * *

هذا ، ويسمى اليوم العاشر من شهر المحرم عاشوراء . وقد يسمى التاسع كذلك تاسوعاء. والراجح أن هذه وتلك تسميتان عربيتان قديمتان وليستا منقولتين من العبرية ولا من غيرها . وقد روى عن الرسول - عليه الصلاة والسلام - بعض أحاديث ندب فيها الى صيام تاسوعاء وعاشوراء واليوم الحادى عشر من المحرم . واستخلص ابن قيم الجوزية من الأحاديث الواردة فى هذا الصدد أن أكمل الحالات أن يصام يوم عاشوراء ويوم قبله ويوم بعده ، ويليها أن يصام تاسوعاء وعاشوراء فقط ، ويلى ذلك افراد عاشوراء بالصوم .

ويروى أن الرسول - عليه الصلاه والسلام - لما قدم المدينة رأى طوائف اليهود فيها تصوم عاشوراء ، فسألهم عن ذلك فقالوا اننا نصومه تخليدا لذكرى اليوم الذى نجى الله فيه موسى وبنى اسرائيل من فرعون وكيده ، ويسر لهم الهجرة من مصر . فقال عليه السلام : « نحن أولى بموسى منكم . وانى لأحتسب على الله أن يكفر بصيام هذا اليوم ذنوب العام السابق له » . فصامه وحبب المسلمين فى صيامه . ويقال ان النبى - عليه السلام - قد حرص على مخالفة اليهود فندب الى صيام التاسع مع العاشر . فعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال لما صام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم عاشوراء وأمر بصومه قالوا يارسول الله يوم تعظمه اليهود والنصارى ، فقال اذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع . فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم (رواه مسلم وأبو داود) .

ولا أكاد أطمئن الى هذه الروايات التى تربط بين صيام عاشوراء عند المسلمين وصيام اليهود ، ويبدو لى ضعفها من عدة وجوه أهمها ما يلى :

١ - أن ما يسمونه عاشوراء اليهود هو اليوم العاشر من الشهر السابع العبرى (تشيرين) الذى كان يسمى عندهم كذلك « يوم كبور » أى يوم الكفارة . وقد جاء أمر اليهود بصيام هذا اليوم وعدم مزاولة الأعمال فيه فى عدة فقرات من أسفار العهد القديم (أنظر من ذلك سفر اللاويين ، اصحاح ١٦ فقرة ٢٩ وتوابعها ، واصحاح ٢٣ فقرة ٢٧ وتوابعها ، وسفر العدد ، اصحاح ٢٩ فقرة ٧) . ولكن هذا اليوم لا يوافق العاشر من شهر المحرم فى أية سنة من السنين التى قضاها

الرسول - عليه السلام فى المدينة • وذلك أن الرسول - عليه السلام - قد دخل المدينة على أرجح الأقوال يوم الاثنين ١٦ من ربيع الأول الموافق ٢٠ من سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية • وكان هذا اليوم يوافق اليوم العاشر من شهر تشيرين العبرى وهو يوم عاشوراء عند اليهود ، حسب ما حققه محمود باشا الفلكى وغيره من الباحثين • فلا يمكن أن يكون العاشر من شهر تشيرين العبرى قد جاء فى العاشر من شهر المحرم العربى فى أية سنة من السنين العشر التى قضاها الرسول - عليه السلام - فى المدينة ، سواء أذهبنا الى أن السنة العبرية كانت حينئذ سنة قمرية أم ذهبنا الى أنها كانت سنة شمسية • وذلك أننا اذا ذهبنا الى أنها كانت حينئذ سنة قمرية فان العاشر من شهر تشيرين يجىء فى كل سنة من هذه السنين العشر فى اليوم نفسه الذى جاء فيه حينما قدم الرسول - عليه السلام - الى المدينة ، اى فى السادس عشر من ربيع الأول• واذا ذهبنا الى أنها كانت حيئذ سنة شمسية فان العاشر من شهر تشيرين يتردد مجيئه فى هذه السنين العشر بين شهور ربيع الأول وربيع الثانى وجمادى الأولى وجمادى الآخرة •

٣ - أن اليهود لا يصومون هذا اليوم تخليدا لذكرى اليوم الذى نجى الله فيه موسى وبنى اسرائيل من فرعون وكيده ويسر لهم الهجرة من مصر كما تذكر الروايات التى نناقشها ، وانما يصومونه للاستغفار وطلب العفو عن الخطايا كما تصرح بذلك نصوص العهد القديم التى أشرنا اليها فى الفقرة السابقة ، بل ان اسم هذا اليوم عندهم ليدل على ذلك ، فهو يسمى عندهم « يوم كبور » أى يوم الكفارة •

اما اليوم الذى يحتفلون فيه بذكرى نجاة موسى وبنى اسرائيل من فرعون وكيده فهو يوم الفصح (عيد الفصح فصح أى الفسح أو الخروج أو المرور • - ولا يزال الى الآن يسمى اليوم الذى يسمح فيه للحجاج بمغادرة مكة « يوم الفسح ») • ويقيم اليهود هذا الاحتفال فى مساء اليوم الرابع عشر من الشهر القمرى الأول من سنتهم الدينية (الشهر الأول من الربيع وهو شهر نيسان) • فعند غروب شمس ذلك اليوم تذبح كل أسرة خروفا بلون واحد لا شية فيه ، وتلطخ جدران المنزل بدمه ، وتشوى لحمه ، ويأكل أفرادها منه فى أثناء الليل مع خبز بدون خميرة

ويستمر أكل هذا الخبز سبعة أيام • وتقدم أضحيات محرقة فى أثناء هذه الأيام السبعة (والضحايا المحرقة هى ما تقدم للرب وتحرق لحومها فى المذبح) • وقد اقتصر سفر اللاويين على أكل الخبز المذكور مدة سبعة أيام تبدأ من اليوم الخامس عشر مع تقديم ضحايا محرقة فى أثناء هذه الأيام (سفر اللاويين اصحاح ٢٣ ، فقرات ٥-٩) • فيظهر أن ذبح خروف ليلة الخامس عشر وتلطيخ جدران المنزل بدمه وأكل أفراد الأسرة منه ليلة الخامس عشر هى طقوس زادها أحبار اليهود وفقهاؤهم على ما ورد فى سفر اللاويين • ومهما يكن من شىء ، فان هذا العيد لا علاقة له مطلقا عند اليهود بيوم عاشوراء •••

هذا ، وقد روى عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - ما يفيد أن صيام عاشوراء يرجع الى أصل عربى جاهلى لا الى أصل يهودى • فقد قالت : « كان يوم عاشوراء يوما تصومه قريش فى الجاهلية • وكان رسول الله - عليه السلام - يصومه • فلما قدم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه • فلما فرض رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه » (حديث متفق عليه من الجماعة) •

وأنا أميل الى ترجيح هذه الرواية على الرواية السابقة التى ظهر لنا ضعفها والتى تربط بين صيام يوم عاشوراء عند المسلمين وصيام « يوم كبور » عند اليهود •

ما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « دعونى ما تركتكم ، انما أهلك من كان قبلكم كثرة أسئلتهم واختلافهم على أنبيائهم ، فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، واذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » ، رواه البخارى ومسلم .

وقال صلى الله عليه وسلم « أن الله فرض فرائض فلا تعتدوها ، وحد حدودا فلا تقربوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها » . رواه الدارقطنى مرفوعا ، وحسنه الحافظ أبو بكر السمعانى ، والنووى فى الأربعين .

ومن الجهل الفاضح والجناية على الدين أن نهدم هذه الأصول القطعية باقيسة من الظنون ، وقد ثبت أن النبى كان يجيب كل مستفت بما يناسب حاله ، وأن بعض فتاواه – صلى الله عليه وسلم – كانت رخصا خاصة(١) أو عامة .

ومن ذلك أنه رخص لعقبة بن عامر ، ولأبى بردة بن نيار ، أن يضحى بالجذع أو « العتود » من الماعز ، وهو ما رعى وقوى وأتى عليه حول .

وقال الجوهرى وغيره هو ما بلغ سنة ، والحديث متفق عليه .

والجمهور ومنهم الأئمة الأربعة يمنعون التضحية بالجذع من الماعز .

وقد صح فى الحديث أن طهارة النعلين من الخبث دلكهما بالأرض ، وان كل جلد يطهر بالدباغ ، ولذلك أذن صلى الله عليه وسلم – فى الانتفاع بجلد الميتة بعد دبغه ، وقال « انما المحرم أكلها » رواه الجماعة عن ابن عباس مرفوعا .

وصح فى الحديث أن أم سلمة قالت للنبى – صلى الله عليه وسلم – : انى امرأة أطيل ذيل ثوبى ، وأمشى فى المكان القذر ، فقال لها – صلى الله عليه وسلم – : « يطهره مابعده » رواه الأربعة .

وصح الاستنجاء من البول والغائط بالحجارة وما يشابهها ، والحجارة لا تزيل كل أثر للنجاسة .

ولما لم يجد العلماء نصوصا قطعية فى أعيان النجاسات ، والمطهرات ، غير أمثال هذه

---

(١) أنظر أول الفصل ٩٦ .

الأخبار الأحادية ، اختلف اجتهادهم فى فهمها •

قال ابن رشد فى مقدمته :

وأما أنواع النجاسات فان العلماء اتفقوا من أعيانها على أربعة :

الأول ميتة الحيوان ذى الدم السائل ، وليس من الحيوانات التى لا تعيش الا فى الماء ، كالسمك • الثانى : لحم الخنزير بأى سبب ذهبت حياته • الثالث : الدم المسفوح أى الكثير الذى ينفصل من الحيوان غير المائى • الرابع : بول الانسان ورجيعه •

وقال أكثرهم بنجاسة الخمر ، وفى ذلك خلاف عن بعض المحدثين ، وعن بعض الفقهاء، منهم ربيعة شيخ الامام مالك ، والامام داود، ومن المتأخرين الشوكانى ، هؤلاء يرون أن الخمر ليست نجسة العين •

واختلف المجتهدون فى المطهرات أيضا ، فمن العلماء من يحصر التطهر فى الماء المطلق، كالشافعية والحنابلة ، الا ما ورد فى الاستنجاء بالحجارة ونحوها ، وطهارة جلود الميتة بالدباغ ، وطهارة الخمر بصيرورتها خلا ، والماء المقيد كماء الورد لا يطهر عندهم ، وهم أشد الفقهاء توسعا فى النجاسات •

ومن مذهبهم أن من خرج من بين أسنانه دم ، ولم يغسله بالماء المطلق ففمه يبقى نجسا ، وتبطل صلاته ، وان طال الزمن على عدم غسله بالماء مع القطع بذهاب الدم وأثره •

ولو كان الصحابة يتطهرون من الدم لنقل ذلك متواترا عنهم ، لأنهم كانوا فى حروب متصلة ، ولم يكن لأكثرهم الا ثوب واحد •

وقالت الشافعية يعفى عن النجاسة التى لا تدركها العين • كأثر رجل الذبابة •

وقالت الحنابلة لا بد من غسل ما تقع عليه الذبابة وان لم ير أثره •

وقال الحنفية أن كل ما يزيل النجاسة من المائعات مطهر ، وكذا الشمس والهواء والنار •

وكذا يظهر النجس اذا انقلب الى عين أخرى كالزيت النجس اذا اختلط بمواد أخرى وصار صابونا •

وهؤلاء نظروا الى مراد الشارع من الطهارة وهو يحصل بهذه الأشياء المذكورة •

وقال ابن رشد فى « بداية المجتهد » : ان المسلمين اتفقوا على أن الماء الطهور يزيل النجاسة ، وعلى الاستنجاء بالحجارة، واختلفوا فيما سوى ذلك من الجامدات والمائعات •• فذهب قوم الى أن كل ما كان طاهرا فهو يزيل عين النجاسة مائعا كان أو جامدا ، فى أى موضع كانت النجاسة ، وبذلك قال أبو حنيفة وأصحابه •

ثم قال ابن رشد : أما الطهارة من النجاسة فمن قال انها سنة مؤكدة فيبعد أن يقول انها فرض فى الصلاة •

وحكى عن مالك قولان : أحدهما أن ازالة النجاسة شرط فى صحة الصلاة فى حال القدرة على ازالتها ، وتذكرها ، أما اذا عجز أو كان ناسيا لها ، فالصلاة صحيحة مع وجود النجاسة •

والقول الآخر أنها ليست شرطا •

وقال الشوكانى فى نيل الأوطار : كل ما استدلوا به على اشتراط الطهارة من النجاسة فى صحة الصلاة ليس فيه شىء يدل على الشرطية ، ولكن قد يدل بعضه على وجوب ازالتها ، وفرق بعيد بين وجوب ازالتها ، وكونه شرطا فى صحة الصلاة ، لأنه قد تصح الصلاة مع ارتكاب محرم ، كالصلاة فى الأرض المغصوبة ، والثوب المغصوب ، فليس كل ما يحرم فى الصلاة يبطلها •

ثم قال الشيخ رشيد : وجملة القول أن القطعى المجمع عليه هو أن الطهارة مطلوبة شرعا ، وأن المفروض منها هو الوضوء ، والغسل من الجنابة ، والحيض ، والنفاس ، بالماء أن وجد ، والتيمم ، ان لم يوجد الماء ، أو كان موجودا لكن يحصل التضرر من استعماله •

وان مراد الشارع من الطهارة هو النظافة ، مع مراعاة اليسر على العباد ، وعدم الحرج ، كما قال تعالى :

« يأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق ،

ومسحوا برءوسكم وارجلكم الى الكعبين . وان كنتم جنبا فاطهروا . وان كنتم مرضى او على سفر أو جاء احد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه . مايريد الله ليجعل عليكم من حرج . ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون» . آية ٦ من سورة المائدة .

وتراه - سبحانه - ترك تفصيل أمر ازالة النجاسة لاجتهاد الأمة ، فاختلف اجتهاد علمائها بما رأيت المهم منه مجملا .

فنظر بعضهم الى أكمل ما يحصل به مراد الشارع كالشافعية والحنابلة ، وبالغوا فيه .

ونظر بعضهم الى أقرب ما كلفته الأمة ، والى عدم الحرج ، وأيسر ما يطلب من بدوها، وحضرها .. وغنيها ، وفقيرها ، كالمالكية .

وتوسط بعضهم فشددوا فى بعض الفروع وتساهلوا فى بعضها الآخر كالحنفية .

وقد تقدم مرارا ان الأئمة المجتهدين لم يعتبروا اجتهادهم تشريعا عاما تكلف به الأمة قطعا . كما تكلف العمل بنصوص الكتاب والسنة القطعية الرواية والدلالة .

وبهذا لم يجعلوا اجتهادهم سببا للتفرقة فى الدين .

وقد علمت أن بعض من قلدوهم تشددوا ، وعسروا ، وجعلوا اختلاف الأئمة نقمة ، لا رحمة .

حتى قال بعض متفقهة هذا العصر : بنجاسة كل ما دخلت فيه مادة الكحول « السبرتو » ، ونجسوا بذلك كل أنواع العطر، والأدوية التى دخلها الكحول ، وهى كثيرة جدا .

وشبهتهم أن هذه المادة هى سبب التأثير فى الخمر المحرمة ، وفاتهم أنها هى المؤثرة ايضا فى المتخمرات التى هى حلال بالاجماع كخميرة العجين مثلا .

على ان هذه المادة أقوى من الماء فى التطهير وازالة عين النجاسة ، وصفاتها .

وبالاطلاع على ما تقدم يعلم أن يسر الشريعة ، وحكمة التشريع ، وكون اجتهاد الأئمة رحمة للامة ، انما يعرف من مجموع كلام المجتهدين ، ويخفى على من قصر نظره على مذهب واحد من مذاهبهم .

ولهذا طالما الح طلاب الاصلاح للامة الاسلامية فى اقتراح تاليف جمعية من علماء المذاهب تضع للامة كتابا فى العبادات والمعاملات . يعول فيه على اخذ الأحكام من الكتاب والسنة . ومن اجتهاد جميع المجتهدين يراعى فيه اليسر ، ورفع الحرج ، ودرء المفاسد ، ومراعاة المصالح وملاحظة العرف وغير ذلك من القواعد العامة .

والله الموفق والمعين

الفصل الثالث عشر
من مجموعة الرسائل الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

سئل شيخ الاسلام بن تيمية - قدس الله روحه - عن الصلاة بعد الأذان الأول يوم الجمعة .. هل فعله النبى - صلى الله عليه وسلم - أو أحد من الصحابة ، أو التابعين ، أو الأئمة ، أم لا ؟

وهل هو منصوص فى مذهب من مذاهب الأئمة المتفق عليهم ؟

وقوله - صلى الله عليه وسلم - « بين كل اذانين صلاة » . هل هو مخصوص بيوم الجمعة . أم هو عام فى جميع الأوقات ؟

أجاب رضى الله عنه بقوله :

أما النبى - صلى الله عليه وسلم - فانه لم يكن يصلى قبل الجمعة بعد الأذان شيئا ، ولا نقل هذا عنه أحد ، فان النبى - صلى الله عليه وسلم - كان لا يؤذن على عهده الا اذا قعد هو - صلى الله عليه وسلم - على المنبر ، ويؤذن بلال ، ثم يخطب النبى - صلى الله عليه وسلم - الخطبتين ، ثم يقيم بلال ، فيصلى بالناس .

فما كان يمكن أن يصلى بعد الأذان ، لا هو ولا أحد من المسلمين الذين يصلون معه - صلى الله عليه وسلم - ولا نقل عنه أحد أنه صلى فى بيته قبل الخروج يوم الجمعة ، ولا وقت بقوله صلاة مقدرة قبل الجمعة .

بل الفاظه - صلى الله عليه وسلم - فيها الترغيب فى الصلاة اذا قدم الرجل المسجد يوم الجمعة من غير توقيت كقوله : « من بكر ، ومشى ، ولم يركب وصلى ما كتب له غفر له ما بين الجمعة والتى تليها » .

وهذا هو المأثور عن الصحابة ، كانوا اذا أتوا المسجد يوم الجمعة يصلون من حين يدخلون ما تيسر .

فمنهم من يصلى عشر ركعات ، ومنهم من يصلى اثنتى عشرة ركعة ، ومنهم من يصلى ثمان ركعات ، ومنهم من يصلى أقل من ذلك .

ولهذا كان جماهير الأئمة متفقين على أنه ليس قبل الجمعة سنة مؤقتة بوقت ، مقدرة بعدد ، لأن ذلك انما يثبت بقول النبى - صلى الله عليه وسلم - أو فعله ، وهو لم يبين فى ذلك شيئا ، لا بقوله ولا بفعله .

وهذا هو مذهب مالك ، ومذهب الشافعى ، واكثر أصحابه ، وهو المشهور من مذهب أحمد .

وذهب طائفة من العلماء الى أن قبلها سنة ، فمنهم من جعلها ركعتين ، كما قاله طائفة من أصحاب الشافعى ، ومنهم من جعلها اربعا ، كأبى حنيفة ، وطائفة من أصحاب أحمد .

وقد نقل عن الامام أحمد ما استدل به على ذلك .

وهؤلاء منهم من يحتج بحديث ضعيف ، ومنهم من يقول : هى ظهر مقصورة وتكون سنة الظهر سنتها ، وهذا خطأ من وجهين :

احدهما أن الجمعة مخصوصة بأحكام تفارق بها ظهر كل يوم باتفاق المسلمين ، وان سميت ظهرا مقصورة فان الجمعة يشترط لها الوقت فلا تقضى ، والظهر تقضى .

والجمعة يشترط لها العدد ، والاستيطان ، والامام ، وغير ذلك ، والظهر لا يشترط لها شىء من ذلك .

فلا يجوز أن تتلقى أحكام الجمعة من أحكام الظهر ، مع اختصاص الجمعة بأحكام تفارق بها الظهر .

فانه اذا كانت الظهر تشارك الجمعة فى حكم ، وتفارقها فى حكم ، لم يمكن الحاق مورد النزاع بأحدهما الا بدليل ، فليس جعل السنة من موارد الاشتراك بأولى من جعلها من موارد الافتراق ، يريد أنه اذا كان للظهر سنة قبلية فانه لا يكون للجمعة ذلك . لاختلاف أحكام الظهر والجمعة .

الوجه الثانى أن يقال : هب أنها ظهر مقصورة ، فالنبى - صلى الله عليه وسلم - لم يكن يصلى فى سفره سنة للظهر المقصورة ، لا قبلها ولا بعدها ، وانما كان يصليها اذا أتم الظهر فصلى أربعا .

فاذا كانت سنته التى قبلها فى الظهر المقصورة خلاف التامة كان ما ذكروه حجة عليهم لا لهم وكان السبب المقتضى لحذف بعض الفريضة أولى بالاعتبار ، كما قال بعض الصحابة : لو كنت متطوعا لأتممت الفريضة .

فانه لو استحب للمسافر أن يصلى أربعا لكان صلاته للظهر أربعا أولى من أن يصلى ركعتين فرضا وركعتين سنة .

وهذا لأنه قد ثبت بسنة رسول الله المتواترة أنه كان لا يصلى فى السفر الاركعتين فى الظهر . والعصر . والعشاء .

وكذلك لما حج بالناس عام حجة الوداع لم يصل بهم فى منى وغيرها الا ركعتين .

وكذلك أبو بكر بعده لم يصل الا ركعتين .

وكذلك عمر بعده لم يصل الا ركعتين .

ومن نقل عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه صلى الظهر أو العصر أو العشاء اربعا فقد أخطأ .

ثم قال : وقد ثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - فى الصحيح أنه قال : « بين كل أذانين صلاة ، بين كل أذانين صلاة ، بين كل اذانين صلاة ، ثم قال فى الثالثة ، لمن شاء ، كراهة أن يتخذها الناس سنة .

« والمراد بالأذانين : الأذان والاقامة » .. فهذا الحديث الصحيح يدل على أن الصلاة مشروعة قبل العصر ، وقبل العشاء الآخرة ، وقبل المغرب ، وأن ذلك ليس بسنة راتبة .

وكذلك قد ثبت أن أصحابه كانوا يصلون بين أذانى المغرب ، وهو يراهم ، فلا ينهاهم ، ولا يأمرهم ، ولا يفعل هو ذلك ، فدل على أن ذلك فعل جائز .

خوارق العادات
فى ضوء الدين والواقع

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

- ١ -

١ - هل وقت الدين عند تقرير العقائد ، ورسوم العبادات وتنظيم التشريع المدنى ؟؟ ..

الجواب : لا ..

فنحن نرى من سنن الله فى عالم الشهادة أحداثا وقعت ، أو تقع .. وهى لا تعتبر مبدئيا من صريح العقيدة ، ولا من رسوم العبادة ، ولا من التنظيم التشريعى للحياة وهى فى مظهرها ، وواقعها تخالف ما تعوده الناس فى مجرى حياتهم المألوفة ... ومن أجل هذا تسترعى منهم الأنظار .. وتبهر العقول ، ويختلف تقديرهم لها : تصويبا ، أو تخطئة ومكابرة .

ثم ينتهى القوم بسببها الى فرق عدة : ما بين محق ، ومبطل .

وقد شغلت الدنيا قديما ، وحديثا بتلك الخوارق .. وتناولها بالبحث رجال الدين وعلماء السير ، وتعرض لها الفلاسفة ، ودخل فى مضمارها بالجدل أناس ليست لهم أهلية الرأى فى شىء من ذلك .. غير أنهم جماهير ، يستمعون ، ثم يستجيبون لما يجانس أهواءهم ، ويكثر بهم عدد المتنازعين .

وكانت وجهة علماء الدين فى تناول هذه الخوارق أن لها صلة وثيقة بالعقيدة ، وأن لها علاقة أكيدة بالتعبد ، وبالتعامل .

ومن هذه الوجهة لا تكون الخوارق بمعزل عن صميم الدين ، فى بيانها ، وتمييز صادقها من كواذبها .. مصداقا لقول الله سبحانه : « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ، ويتوب عليكم ، والله عليم حكيم » .

٢ - ونحن فى تعرضنا لهذا المجال انما نتابع الأئمة فى استمدادهم من القرآن ، والسنة ، وهم الامناء على تعاليم الدين فى أوضاعها الصحيحة .

وقد أجمل العلماء تلك الخوارق فى معجزات الأنبياء .. وفى كرامات الصالحين .. ثم أردفوا هذين النوعين بكلام مبسوط عن الكهانة .. وعن السحر .. وعن خرافات المشعوذين ..

أفاض القرآن والسنة .. وأفاض التاريخ فى الحديث عن معجزات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وذكرت النصوص الشرعية الكثير من أنواع المعجزات ، حسبما كانت تقتضيه حكمة الله فى ظروفهم الاجتماعية فى أقوام يلائم بعضها ما لا يلائم البعض الآخر .

والقصد من المعجزات جميعا تأييد الله لرسله فى دعواهم الرسالة ، وتصديقهم فيما يبلغونه من أحكام .

ولا تكون هذه المعجزات الا من طريق الوحى فى أى صورة من صوره .. ولهذا تسمى المعجزات (آيات) وتسمى (براهين) والمعنى : أنها علامات - وأدلة من عند الله .

وما دامت كذلك فهى خارجة عن طاقة الأنس ، والجن جميعا ... وهذا معنى خرقها للعادة .

« ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات - المعجزات - وأنزلنا معهم الكتاب ، والميزان ، ليقوم الناس بالقسط » .

« ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم .. فجاءوهم بالبينات ، فانتقمنا من الذين أجرموا - كذبوا بالمعجزة - **وكان حقا علينا نصر المؤمنين »**

نعم : قد ألزم الله نفسه بتأييد رسله .. فكان طبيعيا أن تكون معجزاتهم فوق طاقة

الأنس والجن حتى تكون مستلزمة لصدقهم ، وتصديق ما جاءوا به مما لم تجربه عادات الخلق .

وإذا كان القرآن ، والسنة ، وكتب السير حافلة بذكر المعجزات تفصيلا عن الرسل من أولهم الى خاتمهم محمد - صلى الله عليه وسلم - فليست بنا حاجة الى الاستطراد ..

وكل ما نهدف اليه من هذه النبذة أن نوقظ الوعى من جديد الى أن مقتضيات الايمان بالرسل قد توافرت ، ولم يعد للعصبية الجاحدة ، ولا للطائفية الجامدة الشاردة أدنى معذرة فى الجموح عن تصديق رسل الله جميعا .

وكل جماعة تنحاز الى ناحية طائفية ، وتحصر الحق فى رسولها ، وتقف عنده وحده فهى كاذبة على رسولها نفسه ، ولا تكون على دين سماوى : وان زعمت ..

وقد ختمت الرسالات بمحمد الى الناس كافة : بل الى الأنس ، والجن .. وبقيت معجزته الكبرى خارقة للعادة أمام الدنيا ومن فيها .. وليس الا الايمان به فى دعوته ، وفى تصديقه لجميع الرسل من قبله « ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى »

- ب -

كرامة الأولياء

يقول الله - تعالى - « **ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون** »

ففى صدر الآية وعد كريم للأولياء بأن الله كفيل بهم ، فلا يغالبهم الشيطان فى تدينهم ، ولا يزيغون عن الهدى ، فلا يرهقهم الخوف من سوء العاقبة ، ولا يلحقهم فزع يوم يفزع الناس من أهوال القيامة ..

فمن هم الأولياء الذين وعدهم الله بتلك المكارم العلوية ؟؟ هم الذين بينتهم الآية بقوله - تعالى - « الذين آمنوا ، وكانوا يتقون » فالولاية لله هى الايمان ، والعمل الطيب ، وتقوى الله باجتناب محارمه كما صرحت الآية ، وصرح غيرها من عشرات الآيات ..

هؤلاء الأولياء : هم الذين تفضل الله عليهم فى نفس الآية فأثبت لهم البشرى بعد أن نفى عنهم الخوف والحزن ، فقال لهم البشرى فى الحياة الدنيا ، وفى الآخرة .. ثم أكد هذا كله بقوله « لاتبديل لكلمات الله » وكثيرا ما وعد الله أولياءه بأكرم وعوده فى محكم الآيات .

ومن هذا نفهم أن ولايتنا لله : هى ايمان وعمل ، وتحبب اليه بما يرضيه من احسان عام فى كل شىء وتكون الولاية من جانب الله لعباده بهدايته لهم ، وحسن المجازاة على طاعتهم « **الله ولى الذين آمنوا ، يخرجهم من الظلمات الى النور** » فالموالاة من الجانبين ... ومن لم يكن مواليا لله بالطاعة .. لم يكن الله وليا له بالهداية ، ولا بحسن الجزاء « .. ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم » .

فالكفار فى أى عصر من عصورهم أولياء للشيطان ، والشيطان وليهم .. وهى ولاية شريرة .. خاسرة « ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا » .

وبعد هذا الايضاح نقول :

من تكريم الله للمؤمنين أن سماهم أولياءه .. وأنه منح هؤلاء الأتقياء الأولياء خصوصيات من فيضه ، تكون تكريما لهم بين خلقه .. وربما كانت خارقة للعادة المألوفة بين سائر الناس ، وشبيهة بما كان للأنبياء من معجزات ..

وهى من جانب الله وحده ، ولا تكون مقدورة لأنس ، ولا لجن ..

حتى الولى الذى جرت على يده الكرامة : لا يملكها ، ولا يستطيع منعها اذا قدر الله حصولها .

وهى من هذه الوجهة شبيهة بالمعجزة .. والفرق : أن المعجزة تكون على يد النبى ، وتأييدا له فى رسالته .. وهو يتحدى بها من يعارضه ..

واما الكرامة فتكون للولى عفوا ، ولا يدعيها ولا يحتج بها على الناس لاثبات ولايته .

وفائدة الكرامة أنها تشجع صاحبها على الاجتهاد فى طاعته .. وتشجع الناس على تقليده فى الطاعة ان عرفوه ..

وحكمة الله جارية على وجود الأولياء بين خلقه فى كل جيل مسلم ، لتنشيط الروح الدينى ، ولتذكيرنا عمليا بما ننسى من ملامح النبوات •

ولتكون للدين رموز حيـة فى شخصيات الأولياء : وان كان الايمان بالولى فلان أو فلان بالذات غير مفروض علينا •

بل المطلوب شرعا ايمان اجمـالى بوجود الأولياء عامة بين المسلمين ••

وذلك أنهم لا يخلون من صلحاء ، موالين لله حقا ، كما يفيد القرآن ، وسنة الرسول – صلى الله عليه وسلم •

بخلاف الرسل ، فان الايمـان بهم جميعا وبمعجزاتهم فرض حتمى علينا •

« آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه ، والمؤمنون ، كل : آمن بالله ، وملائكته ، وكتبه، ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسـله ••• قولوا آمنا بالله ، وما أنزل الينا ، وما أنزل الى ابراهيم ، واسماعيل ، واسحاق ، ويعقوب ، والأسباط ، وما أوتى موسى ، وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحـد منهم ، ونحن له مسلمون » •

ثم ان أنواع الكرامات كثيرة لا تحصى، وانها مسترسلة فيما بعد : ضرورة أن الدنيا لا تخلو منهم بين الأحياء كما قرر العلماء •

ومن الكرامات على سـبيل المثال ما كان يحصل من عمر بن الخطاب على عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقد كان يدرك الأمر المصلحى الذى لم ينزل فيه وحى ، ثم يقترحه على الرسول – صلى الله عليه وسلم – ثم ينزل به القرآن موافقا لرأى عمر ، حتى شهد له النبى بقوله – عليه الصلاة والسلام – ان يكن فى أمتى محدثون – بفتح الدال مشددة – يعنى ملهمين من الله – فمنهم عمر – رضى الله عنه •

وكذلك ما حدث من عمر حينما كان يخطب على المنبر فى المدينة •• ثم سكت عن الخطبة قليلا ، وهتف بقائد الجيش المجاهد فى أقاصى الجهات – وأظنها بلاد الفرس – فسمعه القائد هناك ، وعمل بأمره – ياسارية الجبل – الزم الجبل –

وتلك – لا شك – كرامة للخليفة ، وللقائد جميعا •

واذا كان امتـداد الصوت مألوفا عندنا بواسطة المذياع اليوم •• فلم تكن كرامة عمر بواسطة مذياع ، ولا غيره : غير أنها كرامة الله له : وكفى •• وكما حصل لآصف بن بلخيا الذى نقل عرش بلقيس لسليمان •

وتكون الكرامات بقبول الدعوات ، وحصول المطلوب طبقا للدعوة التى جعلها الله من الولى سببا فى القبول تكريما له •

وهكذا مما لا يقبل جدلا ، ويعتبر دخيلا علينا ، ولا نستطيع تكذيبه ، ولا الاتيـان بمثله ، ولا القول بانتهائه •

ولعل أكثر الناس يصادفون بأنفسهم أمورا حقة ، تصدر من المعروفين بالتقوى ، أو لا يعرفون بالتهريج •

والعلماء يستشهد للكرامات بآيات من القرآن كثيرة ••

فمنها « ان الذين قالوا ربنـا الله ، ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة •• »

قالوا : تتنزل الملائكة على هؤلاء الأتقياء فى ثلاث حالات •• الأولى : وهم فى الدنيا ، فيلهمونهم الرشاد ، ويزينون لهـم الطاعة ، ويبثون فى بصائرهم نور الايمان ، والمعرفة ، والصدق فيمـا يستشعرونه من الأحاسيس الوجدانية : لأنهم على نور من ربهم دائما « ان الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون » فهذه معية رعاية •

والحالة الثانية – حين الموت ، فيتعهدونهم من فتنة الشيطان ، ويشرحون صدورهم بالبشرى بما أعده الله لهم عنده من خير الجزاء، فيكون فراقهم للدنيا على اطمئنان ، وفرحة بما هنالك : دون خوف ، أو فزع •

والحالة الثالثة – تتنزل عليهم فى الآخرة ، وساعة الفزع ، فيجددون لهم البشرى ، ويلقون عليهم من جانب الله تحيات مباركات، ويحفونهم فى الجنة بما يشاء الله من ألوان التـكريم والسلام « لهم ما يشاؤن عند ربهم » فى الجنة•

ومن المسلم به أن النـاس يتفاوتون فى

الأعمال ، وفى الثواب أخيرا .. فكذلك يتفاوت الأولياء فى شأن الكرامات : كثرة ، وقلة ، وقوة ، وهوادة .. ولكل درجات « مما عملوا » .

ثم ليس معنى الكرامة للأولياء أن يقتحم هذا المجال كل متصنع .. أو يتسع لكل محترف !! فان الكرامة ـ كما فهمنا ـ ثمرة من ثمرات الايمان والعمل .. وهى أمارة على تمام الاخلاص فى الدين ، وعلى صفاء الروح والقلب من لوثة الضلال .. والمحتالون المتصنعون لا يستوون مع الأوفياء بعهد الله ، فلا يمنحهم الله تلك المنازل ، ولا يتولاهم بمعونته « وهو يتولى الصالحين » .

وبعد التسليم بهذا كله للأولياء : فهل يصل الأمر الى أن يكون لهم فى تدبير الله سلطان يغيرون به مجرى الأمور ؟؟

لقد بالغ الناس فى تعظيم الأولياء : أحياء ، وأمواتا ، حتى فرضوا لهم قدرة على ما هو شأن الله وحده فزعموهم ينصرون فلانا على فلان ، ويباركون زرع فلان دون فلان ، ويحمون أتباعهم من المكروهات المقدورة لله دون غير الأتباع ، ويكسبون فلانا قضيته ، ويخذلون خصمه فلانا : حتى اذا أدركوا القطار قالوا : ببركة الشيخ فلان واذا مسهم مكروه زعموه غضبة من غضبات الشيخ فلان .. الخ .. الخ ..

ومن البديهى أن هذا اسراف فى حسن الظن بالعبد ، وانصراف عن جانب الله الى حد كبير .

واذا كان الأولياء ـ وهم فوق الحصر ـ يملكون من السلطان ما ندعى لهم : فكم يكون عدد المشتركين فى تصريف الأمور ؟؟ يكونون آلافا ، وآلافا كثيرة ، وكثيرة : مع أن قاعدة الايمان أن الله لا شريك له .. وأنه الواحد فى ذاته ، وفى صفاته وفى أفعاله .

فالحق أن المبالغة فى تقديس الأولياء خروج بهم عما يليق بأقدارهم .. وأن هذا الاسراف توزيع لايماننا : عن قصد ، أو غير قصد .

والحق أن المبالغة محظورة علينا .. وقد نهانا عنها النبى فى شأنه هو مع بلوغه المقام الأسمى عند ربه .. اذ قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تطرونى ، كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم ـ يعنى لا تبالغوا فى مدحى ، كما بالغت النصارى .. حتى انحرفوا بالمبالغة فزعموه الها ، أو ابن اله .

وهذا توجيه من المعصوم الذى لا تعلق به شبهة الخطأ ، ولا يدانيه عبد من عباد الله فى رفعة شأنه ، ولم يزعم له زاعم أن له جانبا من النفوذ فى تصريف أمور الناس .. فكيف يكون سلطان خاص لمسلم يهتدى بهدى الرسول ؟؟

لا ننكر الكرامة لمن يتفضل الله عليهم بها .. ان شاء الله منح ، وان شاء الله منع ولكن الذى ينكره الدين ، وننكره نحن كمؤمنين هو التوسع ، والمبالغة ايجابا ، أو سلبا .

غير أن أناسا بالغوا فى الاتجاهين ، ففريق يجحد ، وينفى الكرامات بتاتا .. وفريق يبالغ ويسرف ، حتى فتحنا على الأولياء بابا من النزاع وما لهم ذنب فى ذلك النزاع .

بالغ أناس فى تقديس الأولياء أحياء وأمواتا : حتى سمعت يوما من رجل عن شيخه الصالح : أن مناديا من السماء هتف على مسمع من هذا الرجل التابع : بأن الله قد أعطى حق التصرف فى عباده لشيخه فلان !! فانظر الى هذا الكذب على الله ، وعلى عبده الصالح فلان !!

لم يكن هذا العبد الصالح ليقر هذا ، ولا يعلمه ، ولكنها جهالة الدراويش ، وجنايتهم على عباد الله الصالحين .

وبالغ أناس كذلك من المسلمين ، والمسلمات حتى تجاوزوا أولياء المسلمين ، الى زيارة الكنائس والتمسوا البركة من جانب أمواتها ، تقليدا لأتباع الكنائس ... وان شئت تحقيق ذلك فاذهب الى مصر القديمة ، أو ، الى شبرا ، أو اذهب الى أى كنيسة مشهورة ، تجد هناك للشيطان عبادا ، يتعبدون بفتنته ، ويؤمنون بضلالته .

ونحن فى هذا منحرفون عن تعاليم ديننا الحق .. ومعاذ الله : أن نناقش فى توجيه ديننا .. وان نقول : « هذا ما وجدنا عليه آباءنا » .

خواطر مستشار

نظم الحكم والإدارة فى الإسلام ، مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية حول السياسة الشرعية والقانونين الدستورى والإدارى

المستشار
على على منصور

تناولنا فى المقالات السابقة الحديث عن نظم الحكم والادارة فى عهد النبوة وها نحن نتابع البحث بالكلام عن تلك النظم فى عهد الخلفاء الراشدين ونبدأ بعهد الخليفة الأول

نظم الحكم فى عهد أبى بكر الصديق
الخلافة الامامية ـ امارة المؤمنين

تلك هى الالفاظ الثلاثة التى اطلقت على رئيس الدولة الاسلامية فى مختلف العصور، تمييزا لها عن الملكية والكسروية والقيصرية. وأشباهها من الالفاظ التى كانت سائدة وقت ظهور الاسلام ، وكانت تدل على الاستبداد المطلق ، وترمز الى نوع من الحكم لاحرية ولا شورى فيه . ونبادر فنقول :انها جميعا ـ الالفاظ الثلاثة ـ كانت لرئيس الدولة فى الاسلام ولكن لكل منها تاريخ ونشأة .

الخليفة : اطلق هذا اللقب على ابى بكر عند انتخابه عقب بيعة السقيفة ، لأن المقصود كان ايجاد خلف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخلفه فى تولى أمور المسلمين ورعاية مصالحهم ، ويقول ابن خلدون فى هذا الصدد (اما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبى فى أمته فيقال خليفة باطلاق ويقال خليفة رسول الله . ويقال خليفة الله ، واختلف فى هذه التسمية الأخيرة ، فاجازها بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التى للادميين فى قوله تعالى (انى جاعل فى الأرض خليفة) ومنع الجمهور من هذه التسمية لأن معنى الآية ليس عليه. وقد نهى أبو بكر عنه لما دعى به وقال : (لست خليفة الله ، لكنى خليفة رسول الله ولأن الاستخلاف انما يكون فى حق الغائب أما الحاضر فلا)

وفى المعنى الذى كانت : ترمز اليه الملكية والكسروية والقيصرية من حيث حكم الناس حكما استبداديا كله تسلط واستعلاء وتأباه الشريعة الاسلامية قال رسول الله لرجل أرتعد فى حضرته (هون عليك فما انا بملك

ولا جبار) وقال عمر حين قدم عليه معاوية وكان واليه على الشام فقدم فى أبهة من لباس ورياش وزينة ومظهرية فغضب عمر وقال له (أكسروية يامعاوية) وهو ما عناه ايضا على بن ابى طالب حين خطب الناس من اهل الكوفة متحدثا عن معاوية وانصاره فقال (والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم باعمال كسرى وقيصر)

تعريف الخلافة :

يقول ابن خلدون (الخلافة هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة اليها ، اذ أحوال الدنيا ترجع كلها فى الشرع الى اعتبارها بمصالح الآخرى ، فهى فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا) ويحاول (السير توماس أرنولد) المقارنة بين الخلافة فى الشرق والامبراطورية الرومانية المقدسة فى الغرب فيقول (ان كلا النظامين يستند على قوة الدين ، بيد ان الامبراطورية المقدسة لم تكن حديثة الوجود، بل كانت استمرارا لامبراطورية وثنية سابقة حتى أن الامبراطور شارلمان تلقب بألقاب الاباطرة الوثنيين ، كما نجد فى الغرب حاكمين أحدهما زمنى وهو الامبراطور ، والآخر روحى وهو البابا . أما الخلافة فانها لم تقم على نظام سابق ، بل هى نظام مستحدث وليد الظروف والاحوال التى نشأت أثر ظهور الاسلام وبسطه سلطانه على بلاد فارس ومعظم بلاد الدولة الرومانية الشرقية . والخليفة حاكم سياسى يجمع بين السلطتين الزمنية والدينية الروحية ، ولاتتعدى وظيفته الدينية المحافظة على الدين ، ويعاقب الخارجين عليه ، ويعلن الجهاد ويؤم الناس فى الصلاة ، بخلاف البابا فانه يعتبر قسيسا أعظم يستطيع أن يغفر خطايا المذنبين ، وهو المرجع الأعلى فى الأمور الدينية) ويلاحظ ان المرجع الأعلى فى الأمور الدينية الاسلامية هو الكتاب والسنة .

والامام : هو كما قال الجوهرى (كلّ من يقتدى به ، وأمام كلّ شئ قيمه والمصلح له . والقرآن امام المسلمين ومحمد امام الأئمة) ويقول الله تعالى (يوم ندعو كل اناس بأمامهم) وقال (انى جاعلك للناس اماما) وقال (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) وقال (فقاتلوا أئمة الكفر) واطلقت الامامة بمعان خاصة بقصد التقدم ، فامام المصلين هو متقدمهم ، وامام الجند قائدهم ، وامام الفقهاء كذلك ، والامامة الكبرى أى العظمى لرياسة الدولة وتفيد هذا المعنى ، عند الاطلاق ، كما قال ابن حزم ، أما اذا اريد ان تطلق على الامامة الصغرى فقد وجب التخصيص ، كأن تقول أمام الجند ، وامام المصلين وهكذا

وأول من خص بهذا اللقب من خلفاء رسول الله هو على بن ابى طالب اطلقة عليه الشيعة لأن الامامة أخت الخلافة ولما فى هذا المعنى من التعريض بمذهبهم فى أن عليا أحق بامامة الصلاة من أبى بكر ، وهذا تعليل ابن خلدون أما التفتازانى فيعلل ذلك بان الشيعة **كانوا يرون أن الامامة أخص من الخلافة ، بمعنى ان الخليفة هو صاحب السلطة بحكم الواقع، وأما الامام فهو صاحب السلطة الشرعية .**

أمير المؤمنين : واول من لقب به ثانى الخلفاء عمر بن الخطاب ، ويقول ابن خلدون فى سبب ذلك أن بعض الصحابة دعوه بامير المؤمنين ، فاستحسنه الناس ولقبوه به وصار لقبا للخلفاء من بعده .

ويقول السيد رشيد رضا : ان الخلافة والامامة العظمى وامارة المؤمنين كلها بمعنى واحد

مشكلة الخلافة : يقول العلامة « الشهرستانى » (واعظم خلاف قام بين الأمة خلاف الامامة ، اذ ماسل سيف فى الاسلام على قاعدة دينية مثل ماسل على الامامة فى كل زمان) ويقول أبو الحسن الأشعرى (اختلف الناس بعد نبيهم فى أشياء كثيرة فصاروا فرقا متباينين الا أن الاسلام يجمعهم ، واول ماحدث من اختلاف بين المسلمين بعد نبيهم اختلافهم فى الامامة)

ومن أوجه الخلاف ـ هل هى مشاع بين جميع المسلمين بشروط معينة يجب توافرها

فيمن يرشح للخلافة ، أم أنها محصورة في قريش ، أو انها محصورة فى على بن ابى طالب وذريته ، وكيف يعين الخليفة هل بالاختيار ومن الذين يتولون اختياره ؟ أعامة الشعب أو الخاصة وهم أولو الرأى وأهل الحل والعقد وكيف يحددون وهل يصح للخليفة ان يعهد بالخلافة من بعده ، وهل يتصل هذا العهد للابن أو الأهل ، واذا فقد الخليفة شرطا من الشروط الواجب توافرها فيه • هل تسكت الأمة على ذلك وتكتفى بالنصح والارشاد ، اتباعا لقاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، أو تطالب بعزله وما وسيلتها لذلك ايجتمع أهل الحل والعقد ويصدرون قرارا بعزله ـ فان لم يرضخ لذلك هل يعزل بالقوة ولو بالثورة ضده ، هذه بعض اوجه الخلاف التى ذخرت بها كتب الفقه والتاريخ الاسلامى وانقسمت الامة من أجلها فرقا واحزابا ،وكل منها كان يبدى رأيه وفق ما اتخذه لنفسه من أساس وقاعدة اصولية للخلافة ، فمنهم من ذهب الى انها فى على وورثته كما ذكرنا، ولكن حتى هؤلاء يتفقون مع جمهور الأمة فى انه لابد من البيعة ، أى أن الجميع يردون الأمر الى الأمة الاسلامية ، وفى هـذا معنى التسليم بان السيادة للشعب ، وان الخليفة نائب عنه أو وكيل ، وان الخلافة عقد بين الأمة والخليفة •

مرجع الخلاف :: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبين على سبيل الجزم هذا الأمر ـ فلم يسم من يخلفه ،ولم يبين طريقة الاستخلاف ولم يحدد الشروط التى يجب توافرها فيمن يرشح خليفة ، وانما أوضح القواعد العامة ، وبين المثل الاخلاقية ، وترك الناس بعد ذلك يجتهدون ، وهذه ميزة كبرى للشريعة الاسلامية على نحو ما اسلفنا ، من انها تضع الأصول وتدع ما وراء ذلك لاجتهاد العقل البشرى • لأن مصالح الناس تختلف باختلاف الأزمنة والامكنة والبيئة ، ويقول تعالى (ما جعل عليكم فى الدين من حرج) (وقال (يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر) والشريعة ايذان بارتباط الاحكام بالمصالح ومقصودها جلب المنافع ودرء المفاسد ،وحينما وجدت المصلحة فثم شرع الله •

صحيح ان الرسول قال فى مرضه ، (مروا ابا بكر فليصل بالناس) وقال (لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا)واستدل البعض من ذلك انه وان اراد ان يترك الأمر للامة الا انه لمح بافضلية ابى بكر ، وينفى ذلك الاستدلال أن الصحابة اختلفوا فى سقيفة بنى ساعدة فذهب البعض الى ترشيح واحد من الانصار ، ورشح أخرون من المهاجرين •وان عمر حين طعن بالخنجر طلب اليه ان يعهد بالخلافة لواحد من المسلمين فتردد وقال : ان أعهد فقد عهد من هو خير منى ـ يعنى ابا بكر ـ وان أترك الأمر فقد تركه من هو خير منى ومنه ـ ويعنى الرسول لأنه لم يعهد بالخلافة لاحد ـ وعلى ذلك اجتهد ابو بكر فاستخلف على المسلمين عمر ، واجتهد عمر فلم يستخلف واحدا ، وترك الأمر شورى بين ستة رشحهم للخلافة فاجتهاد احدهما يغاير اجتهاد صاحبه ـ واجتهادهما معا غير مافعل الرسول لانه لم يستخلف واحدا كما فعل ابو بكر ، ولم يترك الأمر شورى بين ستة كما فعل عمر • وما عيب على واحد منهما انه خالف الشرع لأنه توخى المصلحة واجتهد ما استطاع لنعد بعد ذلك الى استقراء الحوادث فيما نحن بصدده من الكلام على الخلافة باعتبارها أهم ماوقع فى زمن أبى بكر بعد ان قبض الرسول الى الرفيق الأعلى •

الرأى العام

الأستاذ محمود كمال

اكرر فى مطلع هذا المقال ، معنى تعرضت له فى مقال سابق ، يـدور حول قوة الرأى العام فى مختلف الاقطار والأمصـار ، ومدى أثره فى تكييف الحوادث والاحداث الداخلية والخارجية على سواء ، تلك الاحداث التى تعطى دائما البرهان القاطع على انه هو القوة التى لا يستطيع أحد أن يقف فى سـبيلها ، والا فانه تجرفه أمامها فتـدفعه دفعا ، فتلقيه فى التيه ، فلا تقوم له قائمة بعد •

ولست ألقى القـول ، فىهذا الصدد ، على عواهنه ، فالتاريخ شاهد على صحته ، يؤيده تمام التأييد ، ويؤكده كل التأكيد ، ذلك بأن الثـورات التى توالت عـلى الأمم ، فى مختلف الدهور والعصور ، لم تكن فى الأغلب الأعم الا ثمرة من ثمرات جهاد الرأى العام فىسبيل اعـلاء كلمته ، وتثبيت وجهات نظره ، وان اختلفت وسائله فى ذلك من ثورة الى أخرى ، فقد تكون الثـورة العـارمة التى يطيح فيها بالحكومات وينتزع العروش انتـزاعا ، ثورة بيضاء لاتراق فيهـا دماء ، ولا تكتنفها أعمال منكرة تأنفها الانسانية وتأباها الوطنية العاقلة الرزينة المتزنة ، التى تبغى الوصـول الى أهدافها من أقوم سبيل ، وقدتكون ثورة طاغية تجرف فى تيارها الظالم والمظلوم بغير حساب ، لأنها تستحث الخطى نحو غاياتها التى تقصد اليهـا دون روية واتزان ، ومثلهـا فى ذلك مثل النار المشتعلة تحملهـا رياح عاصفة من مكان الى مكان فى سرعـة البرق ، فتلتهم الأخضر واليابس ، فلا تبقى على شىء ولا تذر ، ثم هى فى النهاية قد تقف على الأطلال وتطيل الوقوف ، ثم تثوب الى رشدها ، فتهدأ فورتها وتنطفىء جـذوتها ، وتشرع بعد فى بناء ماهدمته ، وتعمير ماخربته ، ولكن على نسق جديد فيه أمل وفيه حياة •

ولعل أقرب الثورات الينا ، مما يمكن أن نتخذ منها أمثلة على قوة الـرأى العام ، التى لا قبل لأحد بهـا ، هى الثورات التى نشبت خلال القرون من السـابع عشر الى العشرين الذى نعيشه نحن الآن •

فالثورة الانجليزية ، فى القرن السابع عشر - سنة ١٦٨٨ - قامت لأن الرأى العام لم يطق استبداد الملوك به ، ولم يجد مبررا للادعاء من قبلهم بأنهم يحكمون بتفويض الهى ، وقد نشأ بسبب ذلك صراع ادى الى الاطاحة بالملكية ، وقيام جمهورية عسكرية على أنقاضها برئاسة كرمويل وأنه وان كانت الملكية قد عادت الى تلك البلاد ، فيما بعد ، غير أنها قد أذعنت لارادة الشعب فأقرت ماسمى بقانون الحقوق ، الذى اعترف بأن حق الملك فى الحكم مستمد من تلك الارادة دون غيرها ، وأن البرلمان هو ممثل الشعب ، ولأعضائه حرية التعبير عن آرائهم ، ووجهات نظرهم ، دون قيود .

وقد وجهت هذه الثورة الأنظار الى لون جديد فى الحكم مؤسس على ارادة الشعوب وصوالحها قبل أى شىء آخر .

ولم تلبث أن قامت فى فرنسا ثورة عارمة سنة ١٧٨٩ بسبب استبداد الملكية ، وفساد الحكم ، وسوء الأوضاع الاقتصادية ،وبسبب نظام الطبقات الذى كان سائدا اذ ذاك ، فقد كانت هناك طبقة الاشراف ، وطبقة رجال الدين ، ثم طبقة العامة ، وكان الغنم كله من نصيب الطبقتين الاولتين والغرم كله على الطبقة الأخيرة ، التى قاست من الاقطاع ، وامتيازات الكنيسة الشىء الكثير .

وقد أذكى هذه الثورة فى نفوس الفرنسيين ، حينذاك ، يقظة فكرية ، قوامها مجموعة من كبار المفكرين ، ورجال الأدب والفلسفة ، أمثال فولتير ، الذى سخر من الملكية ، وأهدر كرامتها . لانها لم تكن تحكم لصالح الشعب كما لم تكن دستورية تترك للنواب حرية التعبير والارادة - ومنتسكيو واضع كتاب (روح القوانين) الذى نادى فيه بفصل السلطات التشريعية ، والتنفيذية ، والقضائية عن بعضها البعض ، ضمانا للحرية والعدالة - وجان جاك روسو صاحب (العقد الفريد) الذى أطلق عليه (انجيل الثورة) لأنه نادى بحرية الفرد ، وبأن الحكام هم نواب الشعب الذى يملك حق اسقاطهم اذ أخلوا بواجباتهم نحوه .

وانتصرت الثورة ، فألغت الملكية ، وأعلنت الجمهورية ، وألغت امتيازات الأشراف ، ورجال الدين ، وأعلنت المساواة فى الضرائب وتقلد الوظائف ، كما أعلنت ميثاق حقوق الانسان الذى هو أعظم ما أخرجته تلك الثورة للانسانية من مبادىء خالدة ، نسجت على منوالها عصبة الأمم أولا ثم هيئة الأمم ثانيا »

ولقد بدأت الثورة بداية معتدلة ، ثم أخذ كيانها يهتز ، ويميل الى التطرف ، فاغتالت المعارضين ، وزجت بكثير من الأبرياء فى غياهب السجون ، وملأت حياة فرنسا رعبا وفزعا ، ثم تألبت عليها الدول المجاورة خوف أن تزحف عليها مبادؤها ، فتقلب أوضاعها هى الأخرى رأسا على عقب ، ثم كان أن ظهر نابليون فى الميدان ، فأشعل نيران حرب دامت سنوات وسنوات ، الى أن هزم ، واعتقل ونفى ، وقضى نحبه فى منفاه .

وقامت فى أمريكا ثورة ، لان انجلترا التى كانت تستعمر تلك البلاد فى ذلك الحين ، استبدت بالحكم ، واحتكرت التجارة ، واستقلت بفرض الضرائب بمحض ارادتها ، دون أن يكون للمجالس التشريعية فى أمريكا رأى فيها ، ذلك لأن البرلمان الانجليزى كان هو المهيمن على فرض الضرائب على المستعمرات ، وقد عبر الشعب الامريكى عن سخطه على هذه السياسية ، مبديا أنه (لاضرائب بدون تمثيل) . بمعنى أنه يجب أن يؤخذ رأى الشعب ، ورأى الهيئات النيابية التى تمثله ، فى تشريعات الضرائب التى تفرض عليهم ، وخضعت انجلترا لارادة الشعب الأمريكى ، وألغت الضرائب ، عدا ضريبة الشاى ، اذ استبقتها لتكون رمزا لحقها فى فرض الضرائب بمعرفة برلمانها ، ولكن الشعب تنبه لهذا القصد ، فثار من جديد ، وتكتل فأعلنت انجلترا أن أمريكا فى حالة عصيان يجب ردعها ، وازاء هذا الموقف أعد الشعب الامريكى وثيقة أعلن فيها استقلاله ، وكان ذلك عام ١٧٧٦ ، وهذه الوثيقة ، ووثيقة حقوق الانسان التى أعلنتها الثورة الفرنسية ، فيما بعد ،

متماثلتان ، ثم نشبت الحرب بين الطرفين ، وانتهت بهزيمة الاستعمار ، واستقلال أمريكا سنة ١٧٨٣ ٠

وفي تركيا قامت ثورة على حكم السلطان ، لأن (الشعب التركي) ٠٠ قاسى من حكامه كثيرا من العنت والجور ٠٠ فساد الجهل والفقر ٠٠ وانتشر الظلم والرشوة كما انتشر الفساد والمحسوبية ، وامتهنت كرامة الرعايا وحرم عليهم الافصاح عن آرائهم) وانتصرت الثورة ، وأعلنت الدستور سنة ١٩٠٨ ،وقامت الحياة النيابية ، وتولت (جمعية الاتحاد والترقي) زمام الحكم ٠

وفي مصر قامت ثورة ٠٠

ثم أعقبتها ثورة أخرى ٠

ولم يكن الفاصل الزمني بين الثورتين كبيرا ، يعتد به ، بحيث يمكن أن يقال انهما في حقيقة الأمر تشكلان ثورة واحدة ، فقد نشبت الأولى منهما في سنة ١٩١٩ ، وقامت الثانية سنة ١٩٥٢ ٠

وكانت الأولى ، كما يصح أن يقال ، دعامة او ان شئت فقل تمهيدا ، للثانية ٠

ولكن الثورة الأولى كانت من نوع الثورات الجماهيرية المندفعة ، لأنها كانت ضد الاستعمار الانجليزي الجاثم على صدرها ، والذي كان قد رسم خطته على أساس البقاء فيها الى الأبد ، وضد أعوان الاستعمار ، الذين كانوا يستفيدون من بقائه ، سلطة وجاها ومالا ، وقد سقطت في هذه الثورة ضحايا ، واستشهد كثيرون ، وتحمل الشعب في سبيل غاياته منها عذابا وآلاما ، وهو صامد لا تلين قناته ، ولا تهن عزيمته ٠

وفاز الشعب بشيء من مطالبه جزاء ماصبر وجاهد ، ولكنه كان شيئا قليلا ، ودون مطالبه بكثير ، فكان لا بد له من أن يصمد للنهاية ، لامكان استكمال مقومات استقلاله ، ولم يكن بد من أن يسعى لتطهير أرضه المقدسة من الاستعمار وأعوانه معا ٠

ولقد أعلنت انجلترا الحماية على مصر في مطلع الحرب العالمية الأولى ، ثم أخذت تتسلط على البلاد ، وتستعبد العباد ، وتستنزف خيراتها من المؤونة ، وتزج بشبابها في معارك هذه الحرب الضروس ، مستغلة الضائقة المالية التي نزلت بالطبقة الفقيرة المعوزة ، وكانت هي الحاكمة ، صاحبة اليد والسلطة الفعلية ، اذا رأت رأيا ، أو أمرت أمرا ، فلا منازع لما رأت ، ولا لما أمرت ، وهكذا ، فقد ساعدتها مصر بمركزها الاستراتيجي ، وبوسائل التموين لجيوشها الجرارة في الشرق الأوسط وبشبابها القادر على خوض غمار الحرب ، مساعدات فعالة ، كانت ذات أثر معترف به رسميا من رجال الحكومة الانجليزية نفسها قبل غيرهم ٠

واذ انتصرت انجلترا ، وخرجت من تلك الحرب شامخة الأنف ، مرفوعة الهامة ، فقد كان حقا عليها أن ترد الجميل لأهله ، ولكنها أنكرت ، في غمرة نشوتها ، انها لم تكن لتحرز النصر في الشرق الأوسط لولم تكن مصر في جانبها ، ونسيت أن مصر ضحت ماضحت ، على أمل كريم ، وأنها انطوت طيلة المدة التي كانت الحرب ناشبة فيها ، على رغبة متأججة في صدرها ولم يكن ذلك الأمل ، ولا تلك الرغبة ، سوى نيل استقلالها كاملا غير منقوص ٠

واذ أنكرت انجلترا وتنكرت ، أصابت الشعب صدمة قاتلة ، فهب فجأة ثائرا مندفعا ، يضرب ضرب عشواء ، بكل قوته ، وجماع قدرته ، وكان أعزل من السلاح ، ولم تكن زعامته بقادرة على أن تفعل أكثر مما فعلت ، بحكم الظروف والملابسات السائدة في ذلك الحين ، ومع ذلك ، فقد نال في النهاية بعض الشيء مما كان يأمله ويسعى اليه ٠ فقد رفعت الحماية ، رغم أنف الاستعمار ، وأن ظل شبحها ماثلا للعيون ، في تلك التحفظات التعسفية التي قيدت بها انجلترا معاهدات الاستقلال ، والتي اتخذت منها ذريعة لعرقلة تقدم الأمة نحو استكمال ذلك الاستقلال ٠

وهكذا فقد وجد في مصر دستور ، وحكم نيابي ، ولكنه كان دستورا ناقصا ، وحكما نيابيا اسما أكثر منه حقيقة ، ولو لم تكن الزعامة الجماهيرية زعامة رشيدة قوية ، لساء المصير ، ثم حدث أن استشرى الفساد ،

وعمت فوضى الحكم ، وتوالت الأزمات الى ان كانت حرب فلسطين ، حيث وجد الشعب نفسه عاجزا عن خوض غمارها ، فى قوة ، وعزم وتصميم يليق به وبمركزه الحيوى الرائع ، ولم يكن ذلك الا نتيجة لسيطرة الملكية المتحكمة ، ومن ورائها الاستعمار الجاثم ، ولضعف الحكم الذى كان يخشى السراى ، ويخشى الانجليز معا ، فهو اذا ما خطا خطوة ، عمل لها ألف حساب ، حتى لا يثير غضب هذه وهؤلاء ، فيفسدوا عليه مسعاه ، ورغم ذلك ، فقد تخبط الحكم فى تصرفاته ، ولم يستطع لها احكاما فساء المصير .

وازاء هذا الفساد ، وتلك الفوضى ، وكانا جديرين بأن يهدأ كيان الشعب بأسره ، وأن يهدداه فى مستقبله ، لم يكن بد من انتفاضة أخرى ، فكانت ثورة سنة ١٩٥٢ ، ولكنها كانت ثورة هادئة ، عاقلة ، فى حدود الامكان ، فتم لها ما أرادت ، فور الوقت ، ونفذت مخططاتها دون اراقة دماء ، ومازالت تمشى خطوة تتلوها خطوات ، حتى نال الشعب استقلاله كاملا ، بعد أن ألغى الملكية ، وطرد الملك طردا ، وأطاح بالحكم القائم ، وتربعت زعامته على دست الحكم والسلطان ، وأمسكت بالزمام فى قوة واتزان ، ثم أخذت تعمل على احلال مصر مكانها بين الأمم ، وماهى الا فترة حتى انقشعت الغيوم ، وانزاحت الهموم ، وأصبحت مصر فى مركز مرموق سمح لها بالوقوف فى وجه المعاندين ، وقفة الند للند ، لاتقارعهم بالحجة فقط بل وبالقوة الجماهيرية والقوة الحربية المسلحة أيضا .

وقامت فى العراق ثورة ، هدمت صرح الملكية الغاشمة المستبدة ، ووقفت على أطلالها وقفة ، ولكنها انتهت الى نكسة ، ظلت الى حين ، ثم عادت الثورة تملك الزمام من جديد ، وتسير فى خطوات متئدة ، الى غاياتها التى رسمها الشعب لنفسه من زمن بعيد .

وهكذا نكون قد أثبتنا ، من واقع التاريخ ، أن الثورات لا تقوم غالبا الا فى أعقاب حكم جائر فاسد مستبد ، ينشد مصلحته الذاتية ، دون نظر الى مصلحة الشعوب ، ورعايتها ، فى حاضرها ومستقبلها وأنه ، لا يمكن أن تقف فى سبيل وثبة تلك الشعوب أية حوائل ، فهى تثلم العروش ، وتدوس فوق التيجان ، وتطيح بكل معارض لها مهما كان ، وتسير الى غاياتها مندفعة ، لا تلوى على شيء ، الى أن يكتب لها النصر فى نهاية الأمر .

والى هنا نكون قد وصلنا أيضا الى الغرض الذى من أجله ، قدمنا هذا المقال ، لأننا نرى بعض الحكام فى البلاد العربية فى الوقت الحاضر ، يغفلون عن حقائق التاريخ ، ويأخذهم الغرور بما يستمتعون به من قوة وسلطان وهيل وهيلمان ، فينصرفون عن الاصغاء الى نداءات الشعوب البالغة عنان السماء ، ويصمون آذانهم عن صيحات الجماهير المدوية فى سائر الأرجاء ، مطالبين بحقهم فى الحياة ، فى عزة وكرامة ، وفى مسايرة ركب الحضارة المتقدمة التى تسابق الايام ، وثبا وجريا ، فان لم تسرع تلك الشعوب ، وتستحث الخطى ، تخلفت وراء الصفوف ، وهيهات أن تلحق بالركب بعد ذلك ، ونراهم ينصرفون أيضا عن المعانى المستمدة من واقع التاريخ ومن تجارب الشعوب على مدى الاجيال ، من أن الاتحاد قوة ، وأن الفرقة خيبة وضعف ، فيخرجون على ارادة شعوبهم الطامحة الى الاستئثار بالوطن العربى خالصا للعرب دون سواهم .

ونتساءل لماذا هذا ؟ ألأنهم يخشون على سلطانهم أن يزول اذا مااعتنقت شعوبهم المبادىء التى ينادى بها الزعماء الأحرار لخير العرب أجمعين ؟

ان كان الأمر كذلك فهم ولاشك مخطئون ، اذ أنهم لو تركوا لشعوبهم حرية اعتناق مايشاءون من مبادىء وطنية سليمة قويمة ، أمنوا على أنفسهم ، وضمنوا لسلطانهم البقاء ، والا فان بلادهم تكون عرضة لأن تجتاحها الثورات كما اجتاحت غيرها من قبل ، والنتيجة معلومة مقدما !

ألا أننا نناشد كلا من هؤلاء الحكام أن يصغى الى ارادة شعبه فهى عنوان الحق ! .. اذا الشعب يوما أراد الحياة ، فلا بد أن يستجيب القدر .

الفتوة وعلاقتها بالجهاد والفروسية

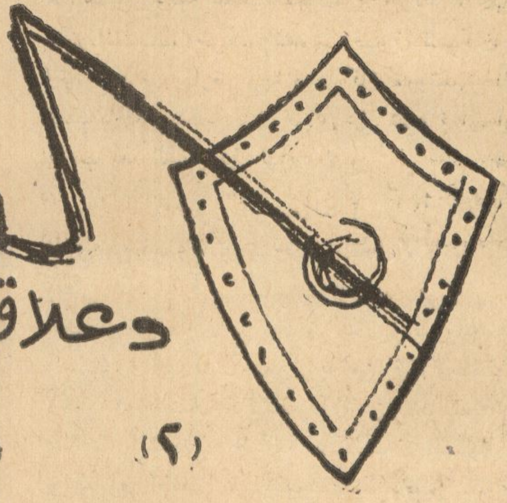

(٢)

الأستاذ محمود الهجرسي

اقترنت كلمة الفتوة فى العصور الاسلامية الأولى بكلمة الجهاد فى سبيل الله ، وأصبحت مرادفا لها – كما تقدم فى المقال السابق – ولما ترامت أطراف الدولة ، واتسعت الفتوحات ، وانبسط سلطانها شرقا وغربا ، وأصبح لزاما على الدولة أن تسهر على حماية حدودها انصرفت كلمة « الفتوة » الى أولئك النفر المرابطين فى ثغور الاسلام ، وعلى مشارف الحدود ، يترصدون حركات أعدائهم ، وينفرون عند كل صيحة ، وينهضون لدفع كل نازلة ، وصد كل غارة ، ويهبون للذود عن بيضة الاسلام حتى يدركهم الجيش النظامى للدولة .

وكان هؤلاء المرابطون يقيمون فى أربطة معدة لنزولهم تقع على الحدود المتاخمة لأعدائهم ، انشأها لهم ملوك الدولة وامراؤها وقادتها ، وتجرى عليهم الأرزاق فيها من الأغنياء والموسرين ، ومن الحبوس التى اوقفها عليهم أهل الخير ممن أقعدهم العجز أو المرض عن المشاركة فى أعباء الجهاد ، كما فصل ذلك ابن حوقل فى المقال السابق .

وفى العصر الذى بدأت فيه تعاليم الصوفية تنتشر فى البلاد الاسلامية ، أخذت تتسرب هذه التعاليم الى هؤلاء المرابطين ، وتشق طريقها اليهم ، وتمتزج بتعاليم الفتوة ، وتجد لها فى الأربطة مرتعا خصيبا . وساعد على هذا التقارب بين الصوفية والفتوة ماكان عليه الفتيان من نكران للذات ، وحب للتضحية وفناء فى سبيل الدعوة ، واسترخاص للمهج والأرواح ، وعزوف عن ملذات العيش ومباهج

الحياة ، فتلاءمت هذه النظرة مع تعاليم الصوفية وما تدعو اليه من تقشف وزهد ، وانصراف عن الدنيا ، وظهرت فى هذا العصر كتب كثيرة وضعها بعض المتصوفة وردت فيها كلمة « الفتوة » بالمعنى الصوفى التقشفى الخالص ٠

ولقد أشار ابن خلكان الى هذا التزاوج بين تعاليم الصوفية وتعاليم الفتوة بقوله :

« فقد كان فى خراسان وحدها سبعة عشر بيتا محصنا للمقاتلة فى سبيل الاسلام ، وكان أهل هذه الأربطة لا يمارسون الحرب فقط ، ولكنهم كانوا يمارسون أمورا دينية ايضا ، وقد كان رئيس منظمة الفتيان فى نيسابور رجلا صوفيا يعرف بنوح » ٠

وما ان طلع القرن السابع الهجرى : ٦٠٤ حتى أخضعت الدولة فى عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسى نظام الفتوة لقوانينها ، وسنت له من التشريع ما يكفل للدولة تمام السيطرة عليه ، بعد أن مزجته ببعض التعاليم الصوفية ، وأضفت عليه سماتها ، وجعلته شبيها بنظام الجمعيات السرية فى بعض العصور ، وقد عمد الناصر لدين الله الى هذا الاجراء بوحى من بعض أتباعه من الصوفية الذين زينوا له هذا الأمر وحسنوه ، وأدخلوا فى روعه ان الدولة - وقد تفككت أوصالها ، وتمزقت أجزاؤها - قد تجد فى هذا النظام قوة بعد ضعف ، وشبابا بعد هرم ، وصحوة بعد سبات ٠ فطلب الناصر الى ابن العمار ان يضع له من النظم والقوانين ما يحقق رعاية الدولة لكتائب الفتوة ، فألف للناصر كتابه الذى يتضمن شروط الفتوة ، وما يجب أن يتحلى به الفتى من الصفات فى المنظمة الجديدة وجعل قيادة هذه الكتائب « لمولانا الخليفة أمير المؤمنين الناصر لدين الله » ٠

ومما جاء فى كتاب ابن العمار « أن الأعضاء يعرفون بالفتيان ، وأول فتى كان ابراهيم الخليل عليه السلام ، وخير من يمثل الفتوة النبى - عليه الصلاة والسلام - وعلى - كرم الله وجهه - ، ولما كانت الجماعة تتحلى بالفضيلة والشجاعة وكرم الضيافة ، لم يكن للخطاة والسفهاء مكان فيها ، وقد دعانى الى وضع هذا الكتاب أن الحديث عن الفتوة قد كثر فى هذه الايام وبخاصة منذ ان احياها الامام الناصر لدين الله ، فقررت أن أجمع كل قواعد الفتوة والمروءة فيه » ، ثم تكلم بعد ذلك عن الشروط التى يجب أن يكون عليها العضو فى الجماعة ، وعن بعض تقاليدها فقال :

« يشترط فى الفتى أن يكون مسلما ذكرا حائزا على جميع المؤهلات العقلية ، حرا أو رقيقا ، خصيا أو حائكا أو حجاما أو كانسا ٠٠ ولكن ليس لمدمن خمر ، أو متجر بها ، أو جابى ضرائب ، أو متولى عشور ، أو قارىء بخت ، أو شخص متهتك أو مهرج أو رقاص ، أو مقامر أو مشعوذ أو جلاد طاغية ٠٠٠ أن يكون فتى ، ويفقد الرجل فتوته اذا ارتكب أحدى الكبائر ، أو تمادى فى احدى الصغائر ويعد قتل الصاحب أو الاعتداء عليه بقسوة من الكبائر ٠ ولا يقتل مرتكبو الكبائر فى الفتوة الا بعد تجربة توبة صادقة ، وضمانة كفيل ، والفتيان ينتظمون فى طوائف تسمى كل منها بيتا ، وكل بيت ينقسم الى أحزاب والفتى الكبير يتعهد المريد « ويشده » عندما يقبل فى الحزب ، ويتقبل منه العهد ، ويجب على الرفيق أن يطيع كبيره ويكرمه كأبيه ، ويسمى كبير الكبير « الجد » ٠ والقبول فى الفتوة يتم على دفعتين : الأولى أن يعهد فيها بالمريد الى الكبير ، وتسمى « الشد » ، اذ يشد المريد بمنطقة ، ويسقى كأس ملح ، وهذه تعرف بالشرب ، وتأتى الدفعة الثانية بعد أن يقضى المريد مدة تنتهى بمراسيم التكميل ولبس السراويل ، وتقلد الحسام »

وان المتتبع لهذه الطقوس التى أوردها ابن العمار فى كتابه ليرى فيها شبها كبيرا بالطقوس المتعارف عليها فى بعض المنظمات السرية ، ويلمح من خلال هذه الطقوس ماكانت تهدف اليه الدولة فى عصر الناصر من صبغ

الفتوة بصبغة دينية غامضة تكفل لقائدها الأعلى طاعة هذه الجماعات الكبيرة طاعة عمياء وجذب الأمراء والسلاطين فى انحاء المملكة الاسلامية الى عاصمة الخلافة بشدهم اليها بهذه التعاليم التى تستهويهم بما فيها من قداسة ودفاع عن الدين . ولذلك تقدم الناصر الى وزيره فى شهر صفر عام ٦٠٤ هجرية بأن يجمع رءوس الأحزاب فى مجلسه ، ليتلى عليهم المنشور الذى استخلصه من كتاب ابن العمار أبو الحسن محمد بن محمد الغنمى ، كاتب ديوان المعمور ، فدخل الناس « من الخاص والعام فى الفتوة » ، وطارت به الرسل الى كل مكان ، وتقبله الأمراء بقبول حسن ، ولبس بعضهم فى سوريا والعراق وآسيا الصغرى وغزنه سراويل الفتوة الناصرية ، واتخذ بعض هؤلاء الأمراء لقب « الغازى » الذى يدل على تمسكهم بتعاليم الفتوة ، وعلى حبهم للجهاد .

وقد أرجع الناصر فى منشوره المذكور أصل الفتوة الى الامام على كرم الله وجهه ، وفى ذلك يقول « ان أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ هو أصل الفتوة ومنبعها ، ومنجم أوصافها الشريفة ومطلعها ، وعنه تروى محاسنها وآدابها ، ومنه تشعبت قبائلها واحزابها ، واليه دون غيره ينسب الفتيان ، فعل ذلك بمرأى من السلف الصالح ومسمع ، ومشهد من كبار الصحابة ، فلم يسمع أن احدا من الأمة لامه ، ولا طعن عليه طاعن فى حد أقامه ، وحقيق بمن أورثه الله مقامه ، وانتمى اليه فى فتوته أن يقتدى به ـ عليه السلام ـ فى افعاله .. »

وذكرت المصادر التاريخية أنه بعد اجتماع الناصر برؤساء الأحزاب وقادة الجند « سلم الى كل واحد منهم منشور بهذا المثال ، فيه شهادة ثلاثين من العدول ، ثم كتب تحت كل مرسوم ومنشور ما هذا صورته ـ قابل العبد ماتضمنه هذا المرسوم المطاع ، وقابله بما يجب عليه من الانقياد والاتباع والامتثال ، وهو الذى يجب العمل به فتوة وشرعا ، وهذا المعروف من سيرة الفتيان المحققين نقلا ، وقد الزمت نفسى اجراء الأمر على ما تضمنه هذا المرسوم الأشرف ، فمتى جرى ما ينافى المأمور به المحدود فيه كان الدرك لازما لى ، والمؤاخذة مستحقة على ما يراه صاحب الحزب ثبت الله دولته ، وأعلى كلمته .. الخ »

على أن هذا النظام الذى وضعه الناصر لم يكتب له الخلود من بعده ، لأن أكثر الفتيان الذين انضووا تحت لواء الناصر ، أخذوا يغالون فى تعاليم هذه الجماعة ، وينحرفون بها عن مناهجها ، ويغتالون كل من يخالفهم فى الرأى ، حتى اضطر الفقهاء بعد ذلك العصر الى الافتاء بتحريم الفتوة ، وأخذوا فى محاربتها ، وأنكروا نسبتها الى على بن أبى طالب ، نظرا لما هالهم من سطوة هذه الجماعة ، واستهانتها بالأرواح ، وبعدها عن تعاليم الفتوة الأصيلة من حث على الجهاد وتفرغ له ، ولما فيها من طقوس تجافى سماحة الاسلام ووضوحه .

وقد اختلف المؤرخون فى الأسباب التى حملت الناصر على أن يخضع نظام الفتوة للدولة ، وأن يكون هو قائدها الأعلى : فرأى بعض المؤرخين أن الناصر كان حريصا على اقامة خط دفاعى يقى البلاد من زحف الصليبيين ، وأن يضم الى هذا الخط الدفاعى كل الأمراء والسلاطين الذين استقلوا بولاياتهم على حدود الدولة . ويرى بعضهم أن طوائف الغزاة والمتطوعة فى خراسان ، وما والاها قد أصبحوا قوة لا يستهان بها ، فأراد الخليفة أن يخضعها لنظام دينى يسيطر عليه بحكم مركزه حتى لا يفلت منه زمامها ، وحتى تتوحد مقاتلة الجهاد تحت لوائه ، ويرى فريق ثالث ان الخليفة الناصر لدين الله كان يقصد من وراء هذا النظام أن يرد على الخلافة العباسية هيبتها التى فقدتها منذ قرون .

وأيا كان السبب ، فقد انهار هذا النظام بموت الناصر ، وامام حملة الفقهاء على تلك المنظمات ، وظهرت الفتوة فى أيام الحروب الصليبية بمظهر جديد هو أشبه بفروسية القرون الوسطى مما سنوضحه فى المقال التالى ان شاء الله .

فى تحديد النسل

الأستاذ البهى الخولى

- ١ -

لا نزاع فى أن الاسلام يدعو الى كثرة النسل بصفة عامة ، لأنه سنة الله تعالى لبقاء النوع ، ولأن الكثرة من أسباب انتشار الدين وتأييده ، وهيبة أهله ، وما زلنا ونحن فى عصر الذرة والصاروخ نعتبر كثرة الأيدى العاملة فى أى أمة أهم عامل فى دعم وجودها الاقتصادى والحربى .. ولو كان صيام غاندى ومغزله فى جزيرة تعدادها خمسة آلاف نسمة - مثلا - لما أحست انجلترة بأثر ما يدعو اليه من مقاطعة ، ولكن الامبراطورية الضخمة اهتزت لذلك الصيام ، ودارت مترنحة من الذهول بدورات مغزله الصغير ، لأن الذين استجابوا للمقاطعة كانوا مئات الملايين لا بضعة ألوف ..

تلك بعض المزايا والمنافع التى تؤكد ضرورة كثرة النسل ، وتبين حكمة الله فى الدعوة اليها .. ولكن الاسلام - رعاية لاعتبارات صحية ، واقتصادية ، واجتماعية - يوجب أو يبيح لذوى الأعذار منع الحمل ، فقد كان بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - يتوسلون لمنع الحمل - بطريق العزل - رعاية لاعتبارات لها قدرها لديهم ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعلم ذلك فلا ينهاهم عنه، ففى الصحيح أن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - قال : « كنا نعزل على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والقرآن ينزل » وفى رواية لمسلم : « كنا نعزل على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبلغه ذلك ، فلم ينهنا » .. فهذان الحديثان الصحيحان يدلان على أن العزل كان معروفا للصحابة - رضوان الله عليهم - وانهم كانوا يزاولونه ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يعلم ذلك ويقرهم عليه .

* ومن المعلوم من الدين بالضرورة ان من الأسباب التى توجب منع الحمل أن يكون ضارا بصحة المرأة ، أو مهددا لحياتها بالخطر، والله - سبحانه - يقول : « ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما »

* ومن الأسباب المبيحة له التخفيف من عبء المعيشة بالتقليل من النسل ، وقد روى فى ذلك أحمد ومسلم عن أسامة بن زيد - رضى الله عنه - أن رجلا جاء الى النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال : انى أعزل عن امرأتى ، فقال له عليه السلام : « لم تفعل ذلك ؟ » فقال الرجل : أشفق على ولدها - أو أولادها - فقال

عليه السلام : « لو كان ضارا ضر فارس والروم » .. فأنت ترى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمع من الرجل ولم ينكر عليه ما صنع .. وقد ذهب الشوكانى الى هذا فى نيل الأوطار ، وهو يشرح هذا الحديث فقال : « ومن الأمور التى تحمل على العزل الفرار من كثرة العيال بالفرار من حصولهم من الأصل » .. ومما يروى فى ذلك أن عمرو بن العاص - رضى الله عنه - وهو من هو فقها ، وذكاء ، وصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم - كان يوجه المسلمين هذا التوجيه ، وهو أمير على مصر ، وقد أورد له المقريزى احدى خطبه التى كان يخطبها يوم الجمعة ، وفيها يقول : « يا معشر الناس ! اياكم وخلالا أربعا ، فانها تدعو الى النصب بعد الراحة ، والى الضيق بعد السعة ، والى الذلة بعد العزة : اياكم وكثرة العيال ، واختفاض الحال ، وتضييع المال ... الخ »

*** ومن مسوغات منع الحمل رغبة المرأة فى أن تظل جميلة أمام زوجها ، باعتدال قوامها ، وامتلاء جسمها ، استدامة لحبه وابقاء على عشرته .. وذلك اذا علمت أن هزال جسمها بكثرة الحمل ، والوضع ، والرضاع مظنة لنفوره منها وتطلعه الى سواها .. قال ذلك الامام الغزالى فى احياء علوم الدين ، وهو غرض جميل ، ومقصد حسن يقرها عليه الشرع الحنيف ..**

ولكنا نمقت أشد المقت أن تمتنع المرأة عن الحمل لا لشىء الا لتبدو فى حفلات الرقص ، والعرى ، واللهو الفاجر رشيقة الجسم ، لم تتبعج بحمل ، ولم تتهدل بوضع .. فذلك غرض آثم ، لا يقره عقل ، ولا تحمد له عاقبة ، ويحرمه الدين بفرارها من الحمل ، وبتعرضها شبه متجردة للأعين النهمة فى أحفال الريبة والاثارة ..

ومما له مغزى جميل ، أن الاسلام يجعل للمرأة رأيا فى العزل ، أو فى منع الحمل ، فقال الأكثرون : لا يعزل عن زوجته الحرة الا باذنها ، وقال الشافعى : « بل له أن يعزل بغير اذنها » .. والعبرة فى ذلك بما فيه المصلحة المعتبرة ..

وخلاصة الموضوع : أن الاسلام يدعو الى كثرة النسل بصفه عامة ، ويجعله السبب الأساسى من الزواج ، على ما قدمنا فى موطنه ، ولكنه رعاية لاعتبارات صحية ، واجتماعية ، واقتصادية ، يبيح لذوى الأعذار فى نطاق أعذارهم وضروراتهم أن يتجنبوا الحمل والوضع لذاتهما ، أو لما يترتب عليهما من كثرة النسل ، أما أن يكون ذلك قاعدة عامة لمن شاء بدون عذر فلا ...

- ٢ -

وهناك دعوات محلية ، وأخرى عالمية تدعو الى تحديد النسل أو - على حد تعبيرهم - الى تنظيم الأسرة ، زاعمين أن عدد الناس فى تزايد مستمر ، وأن موارد الطبيعة هى ، هى ، لا تزيد بزيادة السكان .. فاذا ظلت الزيادة فى السكان مطردة ، وظلت موارد الطبيعة على ما هى عليه ، وجاء اليوم الذى تضيق فيه تلك الطبيعة عن تقديم الكفاية من مطالب العيش للناس .. وبناء على هذا يرون من الحكمة أن توضع سياسة تحد من ذلك التكاثر ، أو تنظمه ، منعا لحصول الكارثة ..

* ولمناقشة ذلك القول محليا نرى :

أ) أنه دعوة لتحديد النسل - أو منع الحمل - على النطاق العام ، لا فى محيط الضرورات والأعذار .. فهو يتنافى مع مقاصد الاسلام .

* وأنه من وجهة الواقع الاقتصادى غير صحيح : فان النتائج التى أسفرت عنها تجارب واقعنا تقرر أن مستوى دخول الأفراد قد ارتفع عما كان عليه قبل الثورة ، وما زال يرتفع الى اليوم ، فلو كان التبشير بالأزمة التى يحتاطون لها مقدما بتقليل النسل يقوم على تقدير اقتصادى سليم ، لكان مستوى دخل الأفراد الى الهبوط ، لا الى الصعود ، لأن تكاثر السكان يطرد بنسبته المعروفة دون توقف ..

وقد يقال : لا .. ان ذلك ليس بحجة ، فانه مجهود الثورة فى التنمية .. والتثمير ..

والتصنيع ٠٠ والاحياء ٠٠ وهم بهذا – اذا قالوه – يردون على أنفسهم ، ويقيمون الحجة على أن علاج الأزمات ، التى من قبيل ما يتوهمون ، انما يكون بالعمل والجد فى مضاعفة قدرة الموارد على الانتاج ٠٠ وليس بتقليل الأيدى التى تتولى ادارتها وتثميرها ٠

✽ ومن الأوليات التى لا تحتاج الى تقرير، أن موارد الثروة فى بلادنا لم تستكشف بعد ، وكان من مصلحة المستعمر الا تستكشف ، ونحن الآن بازاء الخطوات الأولى فى البحث عنها ، وتدل الطلائع على أنها موارد رائعة ، غنية ، سخية بألوان الثروات ٠٠ وقد أعلن المختصون (فى أواخر فبراير سنة ١٩٦٥) اكتشافهم لبئر من البترول تحت مياه خليج السويس ، بالغ بعض الصحفيين حتى جعلوها بحيرة من البترول تحت مياه ذلك الخليج ، وقدروا حصيلتها اليومية بنحو نصف مليون جنيه ٠٠ اى بنحو ١٥٠ مليون جنيه تقريبا فى العام ٠٠ هذا غير ما توقع المختصون كشفه فى تلك المنطقة ، وغير ما تستعد له الشركات الأجنبية بكشف آباره أو بحيراته فى منطقة الصحراء الغربية ٠٠ فاذا أضفنا الى البترول ما كشفنا عنه من مناجم الحديد والفحم وغيرهما ، وما تزال تكشف عنه بعثات التعدين فى نجاح مستمر ٠٠ وأضفنا مشروعات منخفض القطارة التى انتهى التخطيط العلمى من حسابها ٠٠ وأضفنا ما سيولده السد العالى من القوى الكهربائية ، وما سيجنيه لنا من مساحات الصحراء الشاسعة ٠٠٠ وأضفنا المساحات الكبيرة التى تمتد على البحر الأبيض من السلوم الى الاسكندرية ، ومن بورفؤاد الى العريش ، وهى مساحات يخصبها ما تجود به السماء من رى ، وما يحفل به جوفها من ماء معين ٠٠ واذا أدخلنا فى حسابنا مع هذا كله أن الصحراء الغربية وصحراء سينا كانتا يوما من الايام غابات حافلة بالحياة ، وأشجارا تنبت بالدهن وصبغ للآكلين ، وأن بوادر تحكم العلم فى الأمطار ، وتحويل المياه الملحة مياها عذبة صالحة للرى تجعل احتمالات اعادة هذه الصحارى الهائلة الى أصلها أمرا متوقعا بين يوم وليلة ، أو بين عام وآخر ، باختراع يغرقها بالمياه العذبة من البحر ، أو بما يرد اليها من المطر الطبيعى ، أو الصناعى ٠٠٠ اذا جعلنا هذا كله فى أذهاننا – الواقع منه بين أيدينا ، وما تبشر به طلائع العلم – تبين لنا أننا بازاء طور خطير من التعدين ، والتصنيع ، والتشجير ، والاحياء ، والغنى ، والقوة ، وأن التفكير الطبيعى بازائه يجب أن يكون : كيف ندير له كفايته من الأيدى القادرة الفتية ، لا كيف نواجهه بتقليل تلك الأيدى ، وتضييق منابعها ٠٠

✽ هذا ، واذا نظرنا الى تلك الدعوة من وجهة الاعتبار النفسانى الذى يهتم بحشد طاقات الشعب ، ورفع الروح المعنوية لديه ، ألفيناها تحمل روح التشاؤم والتسليم لعقبة لم تقع ٠٠٠ ونحن فى مستهل نهضة باهرة قامت عقب ركود عقيم خيم على البلاد ألوف السنين ، وكان مما يصطنعه الدخيل تمكينا لنفسه ، وتحقيقا لمآربه أن يضعف ثقة الشعب بنفسه ، ويجرده من عامل الروح المعنوية ، وكان مما يتداول بيننا الى عهد قريب : « اذا كان ينفع من الخشب ماشه ، ينفع من الفلاح باشه » ٠٠ واذا صار أمر الأمة الى أبنائها – لأول مرة منذ ألوف السنين ، لا دخيل ولا مستغل ، ولا مستعمر فانه لا يصلح لنا الا التفاؤل الذى يثير الطاقات ويشحذ العزائم ، ويؤكد الثقة بالنفس ، وأن تجند كل الوسائل والامكانيات التى تثبت تلك العناصر العليا فى روح الشعب، وتسلحه بالارادات العازمة التى يتحدى بها كل عقبة ، بل يدرك بها أنه فوق كل عقبة وكل ضرورة ٠ أما أن نعده من الآن – وهو فى مطلع نهضته – لأن يستقبل العقبة الأولى بروح الاستسلام – لا بروح الثبات والعمل ، وتدبير الحلول الايجابية – ونعد له مقدما خطط التسليم ، ونطلب اليه أن ينفذها ، فذلك ما نراه خطأ جسيما ، وخطرا ايجابيا بالغا على الروح المنبعث لأول مرة الى آفاق التفاؤل والتثمير ٠٠

ان سياسة العقبات انما تكون بالعمل القائم على الفكر والثقة بالنفس ، لا بتقديم الحلول

الشكلية ، وغض النظر عما لدينا من امكانيات .. وقانون الحياة العمل .. وقانون العمل الثمر لا محالة ... والله « لايضيع أجر من أحسن عملا » .. « وما كان الله ليضيع ايمانكم ـ أى عملكم ـ ان الله بالناس لرءوف رحيم »

* * *

واذا تبين أن دعوة تحديد النسل بالنسبة لظروفنا المحلية خطر على ما لنا من طاقات وليدة ، وروح جديدة .. وأن ما تحت أيدينا ـ فعلا ـ من امكانيات النهوض والثروة ، وما هو متوقع فى تقدير العلم من اعادة الصحارى مروجا وغابات كما كانت يقتضينا أن نتهيأ له بغير ما تدعونا اليه تلك الدعوة .. وان حصيلة تجاربنا بعد الثورة تنقضها من أساسها ، اذ تقرر بمنطقها الواقعى أن مستوى دخول الأفراد يذهب الى صعود لا الى هبوط .. اذ تبين ذلك كله فان الاستمرار على تلك الدعوة ، استمرار على عبث لا أصل له ، وجهد ضار بنا يفرح له أول من يفرح أعداؤنا الألداء من حاقدى الصهيونية والاستعمار ..

ولنذكر ـ أخيرا ـ أن دول الغرب التى مسحت كل شبر فى بلادها ، وانتشلت ما فيه خير لم تعالج ضيق مواردها بتحديد النسل ، بل باعداد شبابها للهجرة الى أقاصى الدنيا حيث يعيشون على خيرات أى مكان ينزلون به ، وقلوبهم بين جوانحهم تنزع بالولاء للوطن الأم .. فاولى لنا ثم أولى ، ونحن ما نزال بازاء الخطوات الأولى من استغلال مواردنا ، بل استكشافها ، وأمامنا قارتنا البكر العظيمة تنتزع استقلالها من أيدى غاصبيها ، وتعتبرنا البديل الطبيعى عمن تطردهم من خبراء المستعمر ، وغير خبرائه ، فى التعليم ، والتصنيع ، والتشريع ، والفن ، والاحياء ، الى آخر ما يجب سده من فراغ يتركه وراءه رحيل المستعمر ... أولى لنا بازاء ذلك كله أن نستحث كثرة النسل ـ لا تقييده ـ وان نقيم الى جانبه معاهد للاغتراب والاعداد له ، حتى نسد ضروراتنا المتزايدة فى الداخل ،ونستجيب لنداء المواطنة والقومية فى وطننا الافريقى والآسيوى ، سدا لما ينشأ فيه من فراغات ضرورية حيوية .

- ٣ -

أما الدعاة على الصعيد العالى فيرون أن سكان الكوكب الأرضى يزيدون عاما بعد عام زيادة رهيبة ، وأن تقدم العلم فى الرعاية قد أسهم فى هذه الزيادة باطالة العمر وتقليل أخطار الأمراض .. ويقدمون احصاءات دقيقة لعدد سكان الأرض فى فترات من القرن الماضى ، وفترات من القرن الحاضر ليبينوا النسبة الخطيرة التى يزحف بها « السرطان الانسانى » ليغطى سطح هذه الأرض .. وأهم ما يتوهمونه فى ذلك ويقترحونه له ما يأتى :

١ ـ ان السرطان البشرى ـ وهذا تعبير الفيلسوف الانجليزى هكسكى ـ سوف يظل يمتد على الأرض ، ويمتد حتى يضيق سطحها عن اقامة ما يسع الناس من مساكن .

٢ ـ أن هذا السرطان البشرى حين يبلغ مدى خطورته سيلتهم كل ما على سطح الأرض من مظاهر الحياة ، يعنون أن موارد الأرض حينئذ ستعجز عن تقديم الكفاية من مطالب العيش للعدد الهائل الذى يعيش عليها .. ومهما يكن من اسعاف العلم لهذه الموارد باسباب التنمية والاكثار فلن يبلغ الكفاية المطلوبة ..

٣ ـ ان انسان هذا الجيل يرتكب اثما كبيرا فى حق الأجيال القادمة اذا هو لم يبادر بوضع سياسة دقيقة يقى بها الجنس البشرى هذه الكارثة المحتومة .. وأهم ما يقترحونه لتلك السياسة : الحد من تكاثر النسل ..

* ولا ندرى على أى حساب بنوا ذلك التقدير الخطير ؟

فاذا كانوا بنوه على أن هذا الكوكب انما ينطلق الى المستقبل بأوضاعه الحالية فى الفكر .. والوجدان .. والنظرة الى الحياة .. ودرجة العلم .. وأوضاع الاقتصاد والسياسة .. وأساليب التعايش بين الأمم ، ونحوها ، لا يتبدل منها شىء ، ولا يتطور ، كأنها قوالب حسية ثابتة ، الا ما يكون من عوارض الموت والحياة ، وتغير الأشباح ، والتكاثر الذى يمضى الى كارثتهم الموهومة ، أو المزعومة ، فهو حساب يقوم على خطأ محض ، اذ لا وجود لتلك القوالب الحسية الجامدة فى حياة الانسان ، فان فكره ـ أراد أم لم يرد ـ لا يفتأ يتفاعل

مع الكون وقوانينه ‥ ووجدانه – أراد أم لم يرد – لا يفتأ ينقدح فيه بهذا التفاعل كل آن جديد من الحس والشعور ‥ وبتجدد الفكر والوجدان واتساع دائرة الكون والمعرفة بتطور الانسان فى قيمه ونظرته الى الحياة وأسلوب تعاونه ، وصلته بأبناء نوعه ، وينفتح له من الموارد ما لم يكن له فى حسبان ‥ وذلك هو الحق فيما يقرر هؤلاء من علـــوم الطبيعة والاجتماع ، وفيما يقرر الله تعالى بقوله : « كل يوم هو فى شأن » ‥ فاذا كان التطور التدريجى بعض ما يدخل فى مفهوم هذا القول الكريم فان انفتاح الغيب بغتة عن أقدار لها أثرها الحاسم فى تغيير واقع الانسان داخل فى مضمونه ولا بد ‥ واذا ، فتقديرهم لمستقبل البشر على حسبان القوالب الجامدة تقدير منقـــوض من أساسه ، ينقضه الدين ، والعلم ، والواقع ، ‥‥ والاشتغال به ، أو التعويل عليه عبث محض ‥

أما اذا كانوا بنوه على حسبان التطورات المحتملة – علميا واجتماعيا – وتقدير المفاجآت التى يضمرها المستقبل ، فهو حساب مقطوع بخطئه ، فان التنجيم لا تقام الخطط على أساسه ، والعلم انما يتصرف فيما يعلم ، ولا سلطان له – البتة – على ما لا يعلم ، فانه غيب مكنون وراء أستار الطبيعة ، متروك لمحاولات البشر ، واحتمالات القدر أو الصدفة ان أرادوا ‥

هذا ولا يدرى أحد ماذا يكون تفاعله غدا مع الواقع ؟ ماذا ينفتح له من آفاق ‥ وماذا ينشأ له من أفكار ‥ وماذا يتجـدد له من حس وعاطفة ‥ وماذا ينبنى على ذلك من تصرف واستجابة ؟ وهو من معنى قوله تعالى : « وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ؟ » ‥ والله تعالى يقول : « كل يوم هو فى شأن » ولا يعلم هذا الشأن الا هو سبحانه ‥ واذا ، فتصورهم لما يكون من احتمالات الغد ، أو بعد الغد ، بله الى مائة عام أو مائتين تصور باطل لا يقوم عـلى أساس من دين ، أو علم ، أو استنباط من واقع أو أصول مقررة ‥

* هذا اذا نظرنا الى تلك الدعوة من وجهة الأسس الفكرية والعلمية التى تبنى عليهـا النبوءات ، أما حين ننظر اليها من وجهـة اليقين الدينى فانها تبدو غاية فى البطلان ، وسوء الظن بالله ، وتمام التعويل على منطق الحس والمادة وحدهما ‥ فان الله تعالى هو الرزاق ذو القـــوة المتين ‥ وقد خاطب المنكرين الجاحدين من قبل بمثل قوله : « قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين ؟ » ، وهو خطاب فيه تحد ودعـــوة الى الحق فى الوقت نفسه ، لأن المنصف يرى عجز موارد الطبيعة عن اسعافه بطلبته من الماء ، فيقل تعويله عليها ، وقد يرى فى غيض مائها أو فيضه ، أو هطوله من السماء أنهـا مجرد أسباب مصرفه بقوة غيبية لا اختيار لها معها ، فيرقى بوعيه من الأسباب الى رب الأسباب ، فيظل بهذا الرقى الوجدانى والعقلى يجد الرخاء والسعة فى قله وكثرة ، لا يدركه تشاؤم أو بأس من المصدر الأول على أى حال ‥

فالطبيعة – فى منطق المؤمن – : مواردها ، وقوانينها ، وكائناتها فى الأرض والسماء ، ان هى الا خلق سخر لنا بأمره سبحانه ، نرتفق به فى غذائنا ، وكسائنا ، وســائر أمرنا ، ولنشكره تعالى على ما هدانا وسخر لنـــا ، و ((ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه ، وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا ، وما كنا له مقرنين » ‥

وقد لا يستدعى المقام أن نستشهد بمثل قوله تعالى : « قل من يرزقكم من السماء والأرض ؟ ‥‥ فسيقولون الله » ‥ أو قوله : « وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقهـا واياكم » ، ولكنه يستدعى أن نورد قوله تعالى : « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين ، وتجعلون له أندادا ، ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسى من فوقها ، **وبارك فيهـا وقدر فيها أقواتها** فى اربعـــة أيام ســواء للسائلين » ففى هذا القول الكريم ينص الله تعالى على أمرين :

الأول : انه بارك فى الأرض ‥
والثانى : انه قدر فيها أقواتها

والبركة فى اللغة تحمـل معنى الخير ‥ والبقاء ‥ والنمو ‥ والعلو ‥ وقد جعلها الله تعالى فى كتابه رزقا روحيا من أمره يحمل تلك الخصائص ‥ واذ كتبها سبحانه للأرض

بقوله : « وبارك فيها » ، فهى - اذا - تتضمن خصائص الخير ، والبقاء ، والنمو ، والعلو ..

ولا نعنى بذلك خصب العناصر الكيموية التى يتغذى بها النبات ، انما نعنى - كما قلت - رزقا روحيا لا يرى بعين ، ولا يدرك بحاسة ، له خصائص الاخصاب والاكثار بدون كيمويات، أو قانون طبيعى ، لأنه روح غيبى من أمر الله ... ومفتاح هذا الرزق ، تقوى الله - عز وجل - وهو سبحانه يقول : « **ولو أن اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض** » .. وقد تكون بركة السماء مع المطر .. وقد تمس كيمياء النبات ، أو تختلط بأى سبب حسى ، فاذا هو « مبارك »ظاهر اليمن مع القليل والكثير ، فى وفاء وفضل عن الحاجة ، وقد تعجب لصاحبه ، وهو مقل : كيف يستغل دخله اليسير بمطالب عيشه فى نضارة لا تعثر معها ، ولا شكاية من الدهر .. فاذا ذهبت تلتمس بعقلك مصدرا لذلك أو علة معقولة كحسن التدبير ، والاستغناء عن الكماليات ، والاكتفاء من الضروريات بحدها الأدنى ، ونحو ذلك ، ألفيت الأمر فوق تدبير الانسان .. فقد يكون من تدبير الانسان الاكتفاء بالأهم عن المهم ، وايجاد الموازنة على نحو ما بين الدخل القليل والمطالب الكثيرة .. ولكن ليس من تدبيره أن يتم ذلك دون معاناة لازمة يحس معها بضغط المطالب ، وواقع الحرمان .. ليس من تدبيره الاحساس بالرخاء ، والشعور بتمام المطالب ، أو خفة مؤونة الحياة على مثل ما يعد الله تعالى بقوله : « **ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا** » .. ليس من تدبيره أن ينفق ما ينفق ثم ينظر الى القليل فى يده ، فكأنه لم ينفق منه شىء .. وكان عليه السلام يقول : « والذى نفسى بيده ما نقص مال من صدقة » .. ويقول : « انفقى ولا تحصى فيحصى الله عليك » .. فكيف لا ينقص المال بالصدقة التى تخرج منه ؟ .. ان المتصدق انما يدرك أن المال مال الله ، وأن عليه أن ينفقه سمحا سخيا فى مرضاته تعالى ، **فانيا عن انانيته وحرصه الخاص ، وذلك من** تقوى الله التى تجعله ينفق من موارد لايحتسبها ولا يفسدها عليه الا حرصه وتردده فى النفقة، ومراجعة نفسه بحساب ما بقى كلما أخرج لله شيئا، وهو معنى قوله عليه السلام : « انفقى ولا تحصى ، فيحصى الله عليك » .. وكل ذلك لا يصل العقل الى كنهه ، ولكن قد يكون من مظهره كثرة الوارد ، وقلة المطالب ، وكثافة الزرع ، ووفرة حاصله ، وخفة العمل ، وقلة ما يستغرق من وقت ، وسرعة ما يعود منه من عائدة ، أو تنفق من الجنيه فتقضى من الضرورات ما تقضى وباقية معك ، تعجب كيف لم تلتهمه النفقة .

ذلك من حقيقة البركة أو الرزق الغيبى الذى يسوقه الله لمن أراد بدون سبب ظاهر من أسباب الطبيعة وقوانينها .. وقد يقول الانسان : كيف ذلك ؟ .. وليس أسهل من الاجابة بأن الأسباب لا تخلق للانسان رزقه ، انما يخلقه الله تعالى .. وهو سبحانه يستوى لديه أن يخلق الأرزاق بطريق الاسباب ، أو أن يخلقها مباشرة بغير طريقها « **انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون** » .. وقد كانت مريم ابنة عمران - عليها السلام - فى محرابها منقطعة الأسباب عن الحياة فى الخارج الا من سبب تقوى الله ، فكان من كرامتها عليه أن جعل لها فى محرابها أطيب الرزق ، حتى لتكون لديها فاكهة الشتاء وهى فى الصيف ، وفاكهة الصيف وهى فى الشتاء .. « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يامريم أنى لك هذا ؟ !! قالت : هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » والحساب هنا يشمل ما يدبر الانسان فى حسبانه من أسباب تحصيل الرزق « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » كما يشمل حساب العناصر الكيموية التى يتغذى منها النبات فى تربة الأرض ، اذ لكل نوع وكل صنف منه حساب دقيق يتقرر له فيه نسبة معينة - بل موزونة - من كل عنصر .. فلكل من القمح والقطن والبرتقال - مثلا - حساب دقيق قائم على نسب معينة خاصة به من كل عنصر ، بحيث اذا تخلف حساب هذه النسب فى تلك العناصر كانت شجرة القطن غير شجرة القطن ، وكان القمح غير القمح .. وهكذا .. وذلك فى جملة ما

يشير الله تعالى اليه بقوله : « والأرض مددناها وألقينا فيها رواس وأنبتنا فيها من كل شيء موزون » .. فقول مريم - عليها السلام - : « ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » يدخل فيه المعنى الذى نقرره ، أن الله تعالى يستوى لديه أن يسوى الأرزاق على حساب نسبها المعلومة فى كيمياء النبات ، وأن يخلقها مباشرة بغير ذلك الحساب ..

ولسنا بذلك نجنح الى التصوف النظرى فى علاج مشكلة من أدق مشكلات الواقع ، فان القوم يسقطون هيمنة الله تعالى فى تقديرهم لأى أمر من أمور الحياة ، وكأنهم بازاء الطبيعة الساهية اللاهية - وحدها - وجها لوجه لا شيء غيرها ، وليس ينتظرهم فى سهوها عنهم ولهوها سوى الجوع والهلاك المحقق .. وذلك فى حكم الواقع خطأ محض ، وفى تقدير الايمان جحود لله خالق الكون ، ومدبره ، وكافل الرزق ، ومانح الحياة .. وكلا الأمرين لا يصلح عليه تفكير ، ولا يكون معه سوى اليأس والحلول الانتحارية التى من قبيل تحديد النسل .. وما موقفنا هنا الا موقف من يقرر الحقيقة من كتاب خالق الخلق ، لا موقف المتصوف الذى يبعد أحيانا عن واقع المشكلات .. فاذا ذكرنا البركة فى هذا المقام فانما نذكرها باعتبارها مصدرا لأرزاق روحية أقره الله فى عالمنا هذا - أرضه وسمائه - لا مجال للطبيعة ولا للعقل فى تقديره .. وأشار اليه بقوله : « وجعل فيها رواسى من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها » ليتم علمنا بحقيقة الرزق : ما يقضى لنا منه بحساب الأسباب ، وما يقضى منه بغير حسابها ، فنطلبه بسنته الكاملة التى بها ينقاد كل خير ، ولا تتصور معها ضائقة ..

* * *

على أن قوله تعالى : « وقدر فيها أقواتها » اذا دل على تقدير القوانين والنسب الدقيقة التى يقوم بها حساب ما نرزق من الطبيعة ، فانه يتضمن معنى المعادلة الدائمة بين ما يخرج من الأرض من قوت ، وما يقيم فيها من سكان فى أى وقت .. فان من تقدير أمر من الأمور أن تحسب له ملابساته ، وتلحظ الاعتبارات المتصلة به ، فاذا كان التقدير من الله تعالى ، كان على أتم الشمول والوفاء بعناصر الأمر المقدر وكافة اعتباراته وملابساته .. ولا يستطيع مفسر يقدر الله قدره ان يقرأ قوله تعالى : « وقدر فيها أقواتها » دون أن يدخل فى معانيه ما يجب له سبحانه من سعة التقدير وتمام العلم والاحاطة .. والله تعالى يقول : « وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها » ويقول : « وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم » فهذا قاطع بأنه اذ خلق الدواب والناس قدر لكل دابة ، وكل نفس رزقها ، وهو معنى التعادل الذى أوردنا أن العناية الالهية توائم به بين عدد سكان الأرض ، وما يخرج منها من أقوات فى أى وقت ..

وهذا التقرير الدينى هو ما يقرره علماء الاجتماع والطبيعة من واقع الاستقراء والعيان من أن الطبيعة تدبر نفسها بنفسها بما يحفظ لها تعادل أوضاعها فى كل أفق ، وكل ظرف ، وكل كائن ، فاذا طرأ ما يختل به التوازن فى أى وضع بادرت بالاجراء المناسب الذى تعيد به الأمر الى طبيعته - فهى تحرص - مثلا - على أن يكون عدد الذكور فى كل أمة مساويا عدد الاناث ، فتلتزم لذلك أن تكون نسبة مواليد كل جنس الى الآخر متعادلة .. ولكنها فى أعقاب الحروب حيث يقل عدد الرجال ، تعمد الى تغيير النسبة فترفع عدد مواليد الذكور لترد الأمر الى نصابه ... فالطبيعة على دأبها فى سد الثغرات ، ومعادلة أوضاعها ، ترعى التكافؤ بين ما تنتجه من مطالب العيش ، وما تنتجه من البشر .. ولا فارق بين المؤمنين فى ذلك وغير المؤمنين الا أن الطبيعة تفعل ما تفعل بتدبير مدبر أعطاها خلقها وقدر لها قوانينها ، وهى لدى غيرهم تفعله من تلقاء نفسها بقوى وارادات ذاتية فيها ، فالمخلوق هو عين الخالق ، والقانون هو المقنن ..

وحسبنا من قضية الايمان والالحاد فى هذا المقام ، أن منطق الدين يلتقى مع منطق العلم - الذى يؤمن به الجميع - فى أن من سنة الكون أو من سنة الطبيعة سد الثغرات ، والاحتفاظ لكل وضع ، وكل كائن بنظام تعادله ، وهو

بعض معلوم قوله تعالى : « وقدر فيها أقواتها » .

ولا نعرض لما يترتب على احتمالات تقدم العلم فى المستقبل من مضاعفة طاقات الموارد الحالية ، واستحداث واستكشاف ما نحتسب منها ، وما لا نحتسب ، وما لنا فى عالم الطاقة من ثروات وأقوات لا قدر لمداها ، فذلك من شأن الطبيعة نفسها ، فهى التى تجليه لوقته على حسب ما يكون لديها من منطق الوقت ، وحكم الضرورة ..

ومن عجب أنك اذا ناقشت بعضهم فى وجود الله مستدلا بالنظم الدقيقة التى تتعادل بها الأوضاع فى كل أفق بما يحقق المصلحة ، أجابك بأن الطبيعة هى التى تدبر نفسها بنفسها بما فى ذاتها من خصائص الارادة والتدبير والادراك العام فتحل فى كل شىء بنظامه الذى يقوم به وجوده ، ثم هم يسلبونها هنا تلك الخصائص ، ويرمونها بالعجز والارتباك .. وأعجب من ذلك أنهم يحملون الجيل الحالى وزر جريمة متوهمة ان لم يبادر بتحديد النسل شفقة ورعاية لأجيال لن تخلق قبل مائة أو مائتى عام ، وهم هم الذين يرون بأبصارهم وكل حاسة لديهم ما يقع من أقوامهم — فعلا — من أبشع جرائم الاستعمار — تنكيلا واغتصابا — على جيلنا الحالى ، فلا يرون فيه جريمة ما ، ولا تعطفهم على الضحايا أى نزعة انسانية مما يزعمون ..

فثمت تناقض فى الاعتقاد ، وتناقض أو كذب فى ادعاء الانسانية ، الى ماقدمنا لهم من مجافاة لقوانين العقل ، ومقتضيات العلم ، الى نبذهم منطق الدين القائم على حسن ادراك حقائق الحياة .. فأى فضيلة لديهم ترشحهم لتلقى دعوتهم تلك ، بأقل حظ من الالتفات ، فضلا عن التقدير والاهتمام ؟؟ ..

بقية « زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة

وعمان حتى يتحقق لهذه الشعوب حريتها واستقلالها .

كما يؤكدان تأييدهما الكامل لوحدة الشعب السودانى ويستنكران المناورات الاستعمارية والانفصالية ضد التراب السودانى . وعرض الوفدان لمشكلة فلسطين فى اطار التطور التاريخى لهذه المشكلة باعتبار اسرائيل صنيعة للاستعمار واداة عدوان ضد الشعب العربى فى فلسطين وحركة التحرر العربى وفى اطار التحركات العدوانية المتوقعة والتى كشف عنها أخيرا العمل العربى بشأن مياه نهر الاردن والتحول الجديد فى المساعدات الغربية الاستعمارية لاسرائيل . ولقد تابع الجانبان باهتمام ما دار خلال ندوة فلسطين العالمية وهما يؤيدان القرارات التى انتهت اليها أعمال الندوة المذكورة . وناشد الجانبان كافة القوى التقدمية فى العالم لمساندة الشعب العربى الفلسطينى وكيانه الثورى مساندة فعالة فى كفاحه التحررى المجيد لاستعادة وطنه السليب .

واستعرض الجانبان قضايا التحرر الافريقى ونشاط الاستعمار الجديد المتزايد ضد شعب الكونغو . وكذا تقدم العمل الثورى التحررى فى المستعمرات البرتغالية . ويعلن الجانبان تأييدهما المطلق لنضال جميع الشعوب فى الكونغو وموزمبيق وانجولا وغيانا — المسماه بالبرتغالية — وجنوب افريقيا من أجل التحرر الوطنى .

كما استعرض الجانبان الموقف العالمى واتفقا على ان هذا الموقف يكشف الآن عن احتمالات خطر كبير نتيجة لتوسيع النشاط العسكرى العدوانى فى الشرق الاقصى وخاصة فى فيتنام .

ويعلن الجانبان استنكارهما للعدوان الامريكى ضد شعب فيتنام وما يمكن ان يسفر عن ذلك من تهديد خطير للسلام العالمى . كما يحيى الجانبان الجهود الرامية الى عقد مؤتمر رؤساء الدول الافريقية والآسيوية وكذا مهرجان الشباب العالمى فى الجزائر .

وبعد .. فان هذه اللقاءات تشكل مظهرا من مظاهر التعاون السياسى ، فلأول مرة تلتقى الدول الثلاث ، القاهرة والعراق والجزائر فى سبيل هدف واحد هو : الوصول بالتنظيمات الشعبية الى فكر ايدولوجى موحد

هجرات الرسول

فضيلة الشيخ أبو الوفا المراغي

فى تاريخ كل رسول احداث قاسية مثيرة لايعين على احتمالها والاضطلاع بها الا الايمان بما يدعو اليه ويبشر به فقد جاء الرسل بدعوات تقلب النظم المعروفة والاوضاع المألوفة لدى الجماعات والشعوب فكان طبيعيا أن يعارضوا ويناهضوا ويحاربوا وليست دعوات الرسل الا ثورات اصلاحية باوسع المعانى ، فهى ثورات دينية وسياسيةواجتماعية واقتصادية وثقافيةوغير ذلك وللثورات انصار ومحبون،ولها اعداء،ومعارضون،فليس غريبا ان يعارض الرسل ويقاوموا ويحاربوا بكل وسيلة وكل سلاح وفى ذلك يقول القرآن الكريم لمحمد صلى الله عليه وسلم : وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور » ويقول عن قريش وخصومتهم له : « كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد » . ويقول ورقة بن نوفل حكيم قريش له صلى الله عليه وسلم متنبئا بما سيلقاه من الاذى والمعاداة : ماجاء احد قط بمثل ماجئت به الا عودى .

ورغم ثقة الرسل بنصر الله ويقينهم بعنايته فيما انتدبوا له كانوا فى حاجة الى التذكير بالصبر وسعة الصدر ليشتد ازرهم ويقوى عزمهم ويستهينوا بالآلام والصعاب ، وفى ذلك يقول الله لرسوله : فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم » وقد قص القرآن الكريم بعض ما اعترض الرسل من مشاق وما كابدوه من مكاره وورد فى السنة شىء من هذا لكون فيه عبرة لمن يتصدى لدعوات الاصلاح حتى لايخوروا ويقفوا دون الغاية .

وقد لاقى محمد صلى الله عليه وسلم ضروبا من الخصومات والمقاومات والوانا من المصاعب والآلام احتملها فى صبر وقاومها فى عزم فكان اسوة للدعاة وقدوة لأصحاب الرسالات وكان من أبرز ما صادفه من المحن والتجارب محنة الهجرة من مكة الى المدينة فقد ضاق الرسول بقريش بعد ان لاينهم وصابرهم وبذل من جهده ونفسه فى حمايتهم ليصرفهم عما كانوا عليه من ضلال فى عقائدهم وعباداتهم وعاداتهم ولكن عميت ابصارهم عن الحق وضلت عقولهم عن الهدى فلم يستبينوا الرشد ، ولم ينصتوا الى صوت المنطق والعقل ولكنه رغبة فى هدايتهم واملا فى استجابتهم ظل يجاهدهم ويجالدهم مرة ويهادنهم ويلاينهم مرات عسى ان يرفعوا لدعوته رأسا ويجدبينهم انصارا واعوانا ولكنهم خيبوا أمله وأفقدوه رجاءه وشاء الله ان يكون انصاره من غيرهم فهاجر من مكة ولم يهجرها وفارقها ولم يبغضها ، فارقها وقلبه معلق بها وقد قال حين خرج منها : والله لانت احب بقاع الارض الى ولولا ان قومك اخرجونى منك ماخرجت .

لقد هاجر الرسول من مكة الى المدينة وفى صحبته ابو بكر وتعرض فى هجرته لأهوال واخطار كتب الله له السلامة منها وبلغه مامنه بالمدينة وابدله بقريش انصارا مخلصين ووجدت دعوته مناخا ملائما ازهرت فيه وآتت ثمراتها هداية وارشادا وعمرانا وحضارة وامنا واستقرارا ، وقصة الهجرة قصة معروفة اصبحت جزءا من المعارف الاسلامية الاولية التى يعيها المسلمون بل

اصبحت جزءا مما يجب ان يعلمه كل مسلم من تاريخ رسوله ودعوته غير انه ينبغى الا يكتفى المسلم بحفظ قصة الهجرة ويسردها سردا تاريخيا لاينفعل به ولا يتاثر له بل يجب ان يقف عند كل خطوة منها ويتدبرها لتكون نموذجا لحياته ومنارة يهتدى بها فى ظلمات الحوادث ومشكلات الامور ، وفى قصة الهجرة مايستوقف النظر ويوحى بالعبرة لمن اعتبر ومن العبر التى توحى بها الهجرة ، الاستهانة بالصعاب واحتمال الالام فى سبيل العقيدة الحقة وتمكينها فى النفوس ، فقد لقى الرسول من قريش صنوفا من العذاب تجمعوا لهـا وافتنوا فى تدبيرها وماصرفه ذلك عن دعوته وعقيدته بل مازاده الا تمسكا بها واستبسالا فى نجاحها فقد رماه أبو جهل بالحجارة وخنقه أبو معيط بثوبه وهو يصلى فاطلقه ابو بكر منه وهو يقول : اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله ، ومن عبرها الوقوف بجانب الحق وايثاره على المال والاهل والوطن فقد عرضت قريش على الرسول ماشاء من مال وجاه ورياسة ليتخلى عن دعوته فابى وقال قولته الخالدة والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان أترك هذا الامر ماتركته حتى يظهره الله أو اقضى دونه ، ومن عبرها الاستعداد للتضحية بالنفس والمال لنصرة المبدأ الصحيح والعمل على اذاعته ونشره فقد عرض على بن ابى طالب نفسه للقتل دفاعا عن الحق وانتصارا لصاحبه فنام مكان الرسول ليلة الهجرة ليفديه بنفسه وهو يعلم ان القتل قاب قوسين منه وكذلك فعل ابو بكر رضى الله عنه أثناء الهجرة ، ومن عبرها أن العاقبة للحق وأن قل انصاره وطال زمانه لان الله ناصر من ينصره ، وان الدائرة على الباطل وان كثر أشياعه واعوانه .

ومن عبرها ان التناصر للحق والتعاون على البر سبيل المؤمنين الصادقين فقد عاون الانصار اهل المدينة اخوانهم المهاجرين من مكة وتآخوا اخوة صادقة حتى كان الانصارى يقاسم اخاه المهاجر ماله وما يملكه ، وكانوا يتوارثون كما يتوارث الاقارب وفى القرآن الكريم « والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض » . ومن عبرها ان العناد والمكابرة فى الحق تفضى الى الشر وتورث الحرمان من الخير وقد اورثت مكابرة قريش حرمانهم من هداية الله وارثتهم الخذلان فى الدنيا والخزى والنكال فى الآخرة .

تلك هى بعض العبر التى توحى بها هجرة الرسول من مكة الى المدينة وهى الهجرة الشهيرة فى تاريخ الدعوة الاسلامية التى اعتاد الكتاب ان يتحدثوا عنها فى ذكراها ولكن هناك هجرتين آخريين للرسول لا ينبغى اغفالهما حين يكتب الكاتبون عن جهاده وجهوده فى سبيل دعوته ، هناك الهجرة الاولى الى الطائف وهى اولى هجراته فقد هاجر الى ثقيف هناك عسى ان يجد فيهم من ينشرح صدره لدعوته ويكون عونا له على رسالته ويعوضه عما فقده من المعونة والرعاية بموت عمه ابى طالب وزوجه خديجة ولكنه وجد من ثقيف ماوجده المستجير بعمرو فى قول الشاعر :

والمستجير بعمرو عند كربته
كالمستجير من الرمضاء بالنار

فلقد لقى من ثقيف سفها وعنتا ولم يحسنوا ضيافته ولم يكرموا وفادته وافحشوا له فى القول والفعل واصاخ له عامتهم وتنكر له سادتهم حتى قال له احد اشرافهم حين اعلنه بالرسالة : اما وجد الله احـدا ارسله غيرك ؟ وقال له آخر : محمد طبع الله على قلبه وغلبت عليه شقوته . والله لا اكلمك ابدا لئن كنت رسول الله كما تقول لانت اعظم قدرا من ان ارد عليك ولئن كنت تكذب على اللهماينبغى ان اكلمك ، واغروا به وبصـاحبه زيد بن حارثة علمائهم وسفهاءهم يرمونهما بالحجارة حتى ادموا قدمى الرسول وتفننوا فى تعذيبه فكلما وجد الم الحجارة قعد ليحمى قدميه اخذوا بعضديه يقيمونه ليرموه من جديد امعانا فى تعذيبه والتنكيل به حتى اضطروه الى بستان يحتمى به هو وصاحبه مما يلاقيان وهناك سقطا تحت ظل شجرة مما ارهقهما واعياهما وفى هذه اللحظة الرهيبة من الرحلة القاسية اعتصم بالله والتجا اليه وناجاه بهذا الدعاء الباكى فقال : اللهم اشكو اليك ضعف قـوتى وقلة حيلتى وهوانى على المخلوقين ياارحم الراحمين ، انت رب المستضعفين وانت ربى الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى ام الى عدو ملكته امرى ، ان لم يكن بك على غضب فلا ابالى ، غير ان عافيتك أوسع لى ، اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات ، وصلح عليه امر الدنيا والآخرة أن ينزل سخطك أو يحل بى غضبك فلك العتبى حتى ترضى .

ثم عاد الى مكة يواصل كفاحه لم ينل منه مالقى من ثقيف بل ضـاعف عزيمته وقوى تصميمه ومضى فى طريقه

وهناك هجرة ثالثة كان لها اثرها فى نجاح دعوته لاينبغى ان نغفلها فى حساب الاحداث التى اعترضت الرسول صلى الله عليه وسلم وهى هجرته من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم الى السماء عارجا الى حيث قدر له ، وقد كانت هذه الهجرة شاقة ومثيرة فكيف لبشر ان يخترق الحجب ، ويزاحم الشهب ، ويجتاز الانجم والافلاك ، ويفتح السبع الطبـاق ، ويردفه جبريـل على البراق ، وينزل حيث امر ، ليرى بعين البصيرة او البصر ، ماحجب عن البشر ويتلقى عن الله مانهى عنه ومابه امر فلقد تلقى فى هذه الرحلة شيئا من قواعد رسالته ففيها فرضت الصلاة على المسلمين وعاد منها بسلاح جديد يستظهر به فى كفاحه وكانت هـذه الهجرة مدعاة لايذائه والسخرية به من اعدائه اولا ثم كانت من دلائل نبوته وصدقه فى رسالته آخرا فحين اخبر قريشا بما راى صاحوا به وتداعوا الى السخرية منه وقال ابو جهل : يامعشر قريش تعالوا لتسمعوا العجب من احاديث محمد تعالوا لتسمعوا نبا رحلتـه الليلة الى السماء ولكن اباجهل قدباء بالسخرية وجلله الخزى اذ استوصف محمدا بيت المقدس فوصفه كما هو لم يخطىء فى شىء منه ولم يكن رآه من قبل فبهت ابو جهل وسقط فى يده وازداد المؤمنون ايمانا بما بلغ محمد عن ربه وتصديقا بنبوته

هاتان الهجرتان كانتا بين التجارب والاحداث التى دخلت فى تاريخ الرسالة المحمدية وكان لهما شانهما فى نجاح الدعوة الاسلامية فقد زودت الهجرة الاولى من هاتين الهجرتين محمدا عليه السلام بطاقة من الاحتمال والصبر وزودته الثانية بقوة من الرجاء والامل ، فى ظلهما واصل كفاحه حتى نجحت دعوته وتمت رسالته . فسلام الله عليه فى المجاهدين . وسلام الله عليه فى الانبياء والمرسلين .

وفى أنفسكم
أفلا تبصرون

الدكتور عبد الحليم كامل

ما هى الحياة وما سرها ؟

سؤال من الصعب أن نجد له اجابة دقيقة او تعريفا واضحا ولكننا نعرف الحياة بمظاهرها ، فاذا عرفنا مظاهر الحياة عرفنا منها ما هى الحياة ؟ .

فكلنا يعرف أن ما على الأرض من كائنات اما أن يكون كائنا حيا أو غير حى . وأن الكائنات الحية تمتاز بمظاهر الحياة المختلفة من تغذية واخراج ونمو واحساس وحركة وتنفس وتكاثر .

اما الكائنات الغير حية فلا تظهر فيها أو عليها أى ظاهرة من هذه الظواهر السابقة وتعرف بيننا بما نسميه بالجماد كالأحجار والصخور والرمال .

ولكن العلم الحديث يحدثنا عن عالم وسط بين عالم الاحياء وعالم الجماد . له من صفات الأحياء ما يجعله واحدا منها .. وله من صفات الجماد ما يضعه فى صفه .. وما ذلك العالم الا عالم الفيروسات .

وهذه الفيروسات هى التى تصيب الانسان فتسبب له امراضا كثيرة مختلفة منها الجدرى والحمى الصفراء والانفلونزا . كما انها تصيب ايضا النباتات فتسبب لها كثيرا من الأمراض .

ولو أن الانسان شاهد هذه الأمراض وعرفها وعانى منها الكثير فدرسها ودرس خواصها الا أنه لم يستطيع أن يعرف مسبباتها لتناهى هذه الفيروسات فى الصغر من جهة ولضعف الوسائل العلمية عن ادراك كنهها من جهة أخرى . ولكنه الآن وقد تقدمت البحوث وتحسنت الوسائل العلمية استطاع أن يجزم برأى فيها فعرفها ووصفها وعرف خواصها بل وفصلها ورآها رأى العين بنوع خاص من الميكروسكوبات وسماها الفيروسات ووجد أنها تشبه الكائنات الحية فى القدرة على التكاثر والانتشار وتختلف عنها فى عدم القدرة على الانتقال والحركة .

كما أن هذه الفيروسات تشارك المواد العضوية فى خاصية التبلور ولكنها تختلف عنها أيضا فى قدرتها على التكاثر والانتشار .

فهى اذن تجمع بين صفات الكائن الحى وصفات الجماد فهى نصف حية ـ اذا سمحنا لانفسنا فى ان نطلق هذا التعبير ـ اذا فقدت خاصة التكاثر انضمت الى عالم الجماد وان اكتسبت خاصية الحركة اصبحت فى عالم الاحياء . فهى اذن كما يقولون الصلة بين عالم الجماد وعالم الاحياء . لذلك كان واجبا علينا ان نجد تعريفا جديدا للحياة على هذا الضوء الحديث .

ومن يدرى ماذا سيكشف عنه العلم بعد ذلك فقد حدثنا عن تركيب الذرة وهى وحدة الكائنات . فاصبحنا ندرك تمام الادراك أن ذلك الأثاث الجامد وتلك الجدر الصامته وهذه الأرض التى ندب عليها وان كان مظهرها يدل على أن لا حياة فيها ولا حركة . ولكنها فى الحقيقة متحركة دائما تلك الحركة المثلة فى ذراتها . وماالحركة الا ادل علامة من علامات الحياة بل هى اهم علامة من تلك العلامات . ثم ها هو العلم يقرب المسافة بين الجماد والكائن الحى باكتشاف الفيروسات عام ١٩٣٨ .

ثم فلننتقل سويا من هذه النظرة العابرة العامة الى الكائنات احيائها وجمادها وفيروساتها ثم فلننظر نظرة اعمق وادق الى هذه الكائنات الحية ووحدتها التى منها تتكون الا وهى الخلية .

وقد اكون نسيت أن أذكر أن مميزات الكائن الحى أن يتكون من اعضاء . وكل عضو بدوره يتكون من عدد من الأنسجة . وكل نسيج يتركب من وحدات صغيرة تسمى الخلايا متراصة بجوار بعضها . وتتشابه الخلايا فى النسيج الواحد فى الشكل والحجم ولكنها تختلف فى الأنسجة المختلفة .

والنبات كالحيوان تكون كل مجموعة متشابهة من الخلايا نسيجا يقوم بوظيفة خاصة . فهذا مثلا النسيج الوعائى ينتقل فيه الماء والمواد الذائبة من الجذر الى الساق ثم الى الأوراق ويعرف هذا النسيج بالخشب . كما ان هناك أنسجة خضراء يصنع فيها غذاء النبات العضوى كما أن هناك نسيج يدعم النبات ويعطيه صلابة وهكذا .

فالخلية اذا هى وحدة تركيب الكائنات الحية من حيوان ونبات . وتتكون الخلية من مادة حية تعرف بالبروتوبلازم او المادة الاولية . والبروتوبلازم مادة هلامية لا لون لها شفافة أو نصف شفافة وأحيانا تكون معتمة اذا احتوت على حبيبات دقيقة . ولا يذوب البروتوبلازم فى الماء وتؤثر فيه الحرارة فيتجمد عنه درجة ٥٥ تقريبا . ولا يتأثر بالبرودة الا اذا انخفضت الحرارة الى عشرة درجات مئوية تحت الصفر . ويتميز البروتوبلازم الى جزئين اساسيين وهما السيتوبلازم والنواة .

اما السيتوبلازم فهو الجزء الهلامى فى الخلية ويشغل الحيز الاكبر من حجم المادة الحية ويحيط به غشاء رقيق يسمى الغشاء البلازمى وهو الذى يعمل كجدار خارجى للخلية .

أما النواة فهى جسم بروتوبلازمى كرى أو بيضى الشكل يحيط بها الغشاء النووى . وتحتوى النواة على شبكة تتلون بالوان لاتتلون المادة الاولية . وتحتوى النواة فى كثير من الخلايا على جسم صغير واحد أو أكثر من ذلك يسمى بالنوية .

كما انه يوجد بداخل البروتوبلازم جسم صغير يسمى محور الجذب او السنتروزوم وتعزى جميع المظاهر الحيوية الى تلك المادة البروتوبلازمية الحية . فهى تعتبر بحق اساس الحياة فى مظاهرها المختلفة .

ومما يدل دلالة لا تقبل الشك على هذا أن هناك من الكائنات الحية من يتكون جسمه من خلية واحدة تقوم بجميع مظاهر الحياة المختلفة من تغذية وتنفس واخراج وحركة وتكاثر ونمو واحساس مثل الأميبا .

واذا كان أغلب الخلايا صغير الحجم لا يرى الا بالمجهر فان منها ما يصل الى حجم يمكن رؤيته بالعين المجردة كبيض الضفادع وبيض كثير من الاسماك . وقد يصل بيض الطيور الى حجم كبير نتيجة لما يختزنه من مواد غذائية يحتاج اليها الجنين أثناء النمو .

اما الخلية النباتية فتتميز بجدارها المكون من مادة تعرف بالسليولوز وتمتاز الخلية النباتية ايضا باحتوائها على بلاستيدات وهى اجسام كثيفة تختلف فى الشكل وتحتوى على المادة الملونة الخضراء التى هى السبب فى لون النبات الاخضر .

وكما هو الحال فى عالم الحيوان توجد نباتات يتركب جسمها من خلية واحدة تؤدى الوظائف الحيوية المختلفة من تغذية ونمو وتكاثر وتنفس وغير ذلك ومن أمثلتها نبات الخميرة .

والفرق بين الخلية الواحدة فى نسيج ما وبين الخلية فى نبات أو حيوان وحيد الخلية هو أن هذه الخلية الواحدة فى هذه الكائنات وحيدة الخلية تقوم بجميع الوظائف الحيوية المختلفة من تغذية واخراج ونمو وحركة وتنفس وتكاثر وحس بينما الخلية الواحدة فى نسيج ما لا تستطيع أن تؤدى وحدها هذه الوظائف المختلفة بل هى وحدة من وحدات نسيج ما يؤدى وظيفة خاصة .

اذن ماهو جوهر الحياة ؟ او بمعنى آخر ماهو سر الحياة ؟

كان ارسطو عام ٣٨٤-٣٢٢ ق.م يعتقد بان كل التطورات التى تحدث فى الكائن الحى تحدثها قوة عليا مفكرة وظل هذا الرأى يؤيده علماء تارة وينفيه آخرون تارة أخرى حتى استطاع شفان عام ١٨٣٩ أن يثبت أن جسم الكائن الحى يتركب من خلايا كما هو الحال فى جسم النبات ولكن شفان أضاف الى ذلك ان هذه الخلايا تنشأ من عمليات طبيعية وكيمائية مثلها فى ذلك مثل بلورة أى ملح من الأملاح تظهر فى محاليلها . وهكذا أعاد شفان الى الافكار مرة أخرى النظرية الآلية لديكارت . حتى اذا جاء تشارلس داروين فى وقت كانت المادية النفعية تسيطر على روح العصر من سياسة واقتصاد واجتماع وغير ذلك من مرافق الحياة .

وهكذا اصطبغت كل تفسيراته التى كتبها فى كتابه المشهور عام ١٨٥٩ بان الاختلافات البسيطة التى تظهر بين أفراد النوع الواحد تتوارث وفقا لمنفعتها .

وقد اعتنق داروين توماس هكسلى بانجلترا وارنست هيكل بالمانيا . ولقد كان للاول منهما الفضل فى التعبير بوضوح عن ميكانيكية نظرية داروين وان الحياة مردها فى النهاية الى تفاعلات طبيعية وكيميائية .

اما ثانيهما وهو ارنست هيكل فقد آمن بالتدرج الى بعيد وتعمق فى ايجاد القرابة والنسب بين الأنواع وبعضها ثم وضع قانونا يقول فيه بان التكوين الجنينى يعيد تاريخ تطور الفرد .

ثم جاء رو وهو تلميذ لهيكل وكان يعتقد أن الطريقة المثلى لدراسة هذه العوامل هى الطريقة التجريبية ومن هنا نشأ علم ميكانيكية النمو وعنده تفرع علم الأجنة التجريبى .

ولقد استطاع دريش أن يصل الى ان الخلايا الاولية للجنين اذا فصلت عن بعضها نمت كل واحدة منها الى

فرد مماثل للاصل ولو انه أصغر نسبيا فى الحجم . ومن هذه التجربة ادرك دريش قدرة المادة على الاستمرار فى الحياة . وكذلك قدرة الكائن الحى على الملاءمة والاجابة . فاذا جرح الجسم فالجرح يندمل . واذا قطعت زائدة من سحلية أو ضفدعة أو جمبرى نمت غيرها . واذا فصصت بيضة قنافذ البحر الى خليتين أو أربع أو ثمان أو حتى لاثنتين وثلاثين استعاض كل جزء ما ينقصه ونما الى يرقة كاملة . ومن هذه التجارب وغيرها آمن دريش بان هناك قوة عليا تهيمن على مصير الفرد وهكذا نعود مرة أخرى الى ما كان ينادى به ارسطو بان هناك قوة عليا مفكرة تسيطر على كل التطورات التى تحدث فى الكائن الحى .

وقد كان لداروين تأثير كبير على علماء الفسيولوجيا وعمل كل منهم جهده على تفسير الظواهر المختلفة على أساس التفاعلات الكيميائية الطبيعية بل وذهبوا الى ما هو أبعد من ذلك وهو أن فى استطاعتهم تركيب الأحياء داخل انابيب الاختبار . ولكن كل هذه المجهودات ذهبت هباء .

واذا كان لهؤلاء آرائهم ومعتقداتهم فان من معاصريهم من يعتقد أن من مظاهر الحياة أو بمنعى أدق من مظاهر المادة الحية وصفاتها وخواصها بل والكائن الحى على العموم ما يتنافى مع القوانين الطبيعية والكيميائية ويوحى بان المادة الحية لن تكون فى أى يوم من الأيام فى متناول علماء الطبيعة أو علماء الكيمياء بل هى فى متناول قوة عليا مفكرة ومدبرة . تسير الأمور وتسيطر على الكائنات بيدها الأمر واليها الأمر واذا ارادت شيئا فانما تقول له كن فيكون .

حتى اذا ظهر علم الوراثة فى أوائل القرن الحالى تداعت نظرية داروين التى تقول بان الاختلافات البسيطة التى تظهر بين أفراد النوع الواحد تتوارث وفقا لمنفعتها .

وفى الربع الأول من هذا القرن ارتد العلماء عن النظرية الآلية أو الميكانيكية للحياة .

فاذا نظرنا الى انزيمات الحيوان وسألنا أنفسنا لماذا لا تهضم هذه الانزيمات خلاياه ، بل يقتصر عملها على جزئيات الطعام التى تماثل فى طبيعتها ما جاورها من الأنسجة . وقد يكون الجواب من السهولة بمكان اذا علمنا ان خلايا الحيوان خلايا حية ، يميزها عن جزئيات الطعام ما يميز الجسم الحى عن الجسم الميت .

وقد يبدو هذا جوابا معقولا ولكننا اذا علمنا ـ وقد ايدت التجارب هذا ـ اننا اذا وضعنا رجل ضفدعة حية فى انبوبة اختبار بها هذه الانزيمات لتأثرت هذه الرجل بهذه الانزيمات . ولعل هذا يعيدنا مرة أخرى الى سؤالنا وتساؤلنا لماذا لا تهضم الانزيمات خلايا الحيوان ويقتصر عملها على جزئيات الطعام . ولكنها الحياة وأسرار الحياة .

ثم فلنترك هذه الانزيمات جانبا ثم فلننظر الى القلب ذلك العضو الذى زعموا أنه انما يدق وينبض بقوة الجهاز العصبى . وزعم آخرون بانه انما يفعل ذلك بتأثير تلك الشبكة من العقد العصبية المنتشرة فى عضلاته . ولكنهم صدموا بالحقائق الآتية التى هدمت نظرياتهم فعلموا بالتجربة انه انما يدق وينبض بتأثير قوة خفية لا يفهم كنهها ولاسرها الا الذى خلق الانسان ووهبه الحياة .

فلقد اتضح أن قلب الضفدعة مثلا اذا نزعت هذه العقد العصبية من عضلاته ظل ينبض كما كان دون تأثير . ثم رأوا أنهم اذا جذروا الاعصاب التى تمد هذه العقد العصبية بمادة مخدرة فان القلب يظل ينبض كما كان قبل أن تخدر هذه الأعصاب .

كما أنهم قد وجدوا ان قلب الكتكوت أو بمعنى أصح جنين الدجاجة يبتدأ فى النبض فى اليوم الثانى فى أيام الحضانة . ولما تنمو الخلايا العصبية بعد والتى لا تتكون الا فى اليوم الخامس .

ولقد رأوا بالاضافة الى هذا أن قطعة صغيرة من عضلات القلب خالية من أى عقدة عصبية تنبض بانتظام اذا وضعت فى محلول خاص . فهذه القطعة التى انتزعت من القلب والتى ظنوا انهم انتزعوا منها الحياة فانها لم تزل حية لان الذى خلقها أودعها هذه القدرة والقوة . والتى لم ولن يستطيع أن يفهم كنهها مخلوق من المخلوقات مهما علت قدرته العلمية وذاع صيته وازدادت خبرته .

عندئذ نتيجة لكل هذه التجارب والمشاهدات لا نستطيع الا أن نقول سبحانك ربى ما خلقت هذا باطلا سبحانك فاننا نؤمن بك وبقدرتك وانك يارب الخالق القادر المصور المبدع لهذا الكون وهذه المخلوقات .

وفى عام ١٩٣٦ استطاع هولدين ان يقول ان نشاط الكائن الحى لا يمكن أن يعبر عنه بمجموع نشاط اجزائه وعملياته المختلفة كل على حدة بل هو يرى ان هذا الكائن الحى يعمل كوحدة وتربط بين أجزائه وعملياته المختلفة روابط وثيقة من التآزر والتضامن فكل جزء من أجزائه يؤيد الجزء بل الأجزاء الأخرى . وكل عملية من العمليات المختلفة مرتبطة بغيرها من العمليات ارتباطا وثيقا . وبهذا التأييد والتضامن يعيش الكائن الحى ويهدف نحو الاستمرار . وهكذا يعبر هولدين عن الحياة بأنها القوة المنظمة للتأييد والتآزر .

ولا يبدو عنصر الحياة سهلا عند هذا الحد بل كلما تعمقنا فى فحص كل جزء من الأجزاء وكل عملية من العمليات فحصا دقيقا وعلاقتها بالعمليات الاخرى لوضحت لنا عظمة هذه القوة المنظمة المدبرة وانه لابد ان يكون هناك اله واحد أحد ينفرد بالوهيته وقدرته وعظمته .

واذا قيل هذا عن حياة الفرد استطعنا ان نقول هذا أيضا عن حياة الأسرة وحياة الشعب وحياة الأمة كلها . وبقدر ما يتآزر أفراد الأسرة الواحدة بقدر ما تسعد هذه الاسرة ، وبقدر مايتعاون افراد الشعب بقدر ما تتهيأ الحياة الطيبة الصالحة ، وبقدر ماتسير الأمة فى طريق الرقى والرخاء والقوة والمنعة . فكل كائن حى هو خلية حية فى جسم الأمة وكل فئة من الناس تؤدى عملا خاصا هى جهاز من اجهزة الحياة فى هذا الوطن العزيز .

فاذا صلحت الخلايا ونشطت الاجهزة استقامت الحياة وسعد الوطن وازداد على مرور الأيام رفعة وقوة .

فلنتآزر جميعا وليشد بعضنا أزر بعض وليكن كل منا خلية صالحة فى جسم هذا الوطن ، تؤدى علمها فتحسنه ، وتقوم بدورها فتتقنه ولنذكر كلنا ان الحياة تعاون وتآلف وتآزر .

من أعمال العلماء العرب

في الرياضيات

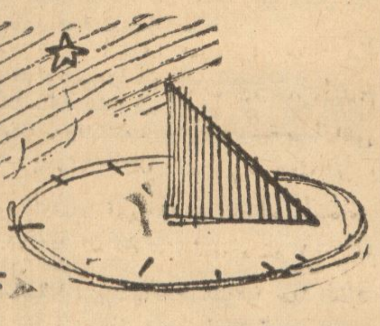

الدكتور عبد الحليم منتصر

لقد اشتهر البابليون والمصريون القدماء بالرياضيات والهندسة ، وعرف هؤلاء وأولئك بعض المعادلات الجبرية ، ونظريات الاعداد ، وانتقلت هذه المعارف الى الاغريق ، الذين أضاف اليها علماؤهم وفلاسفتهم الشىء الكثير، ونبغ من الفيثاغوريين والافلاطونيين والارسطيين من أضفى على الرياضيات ثوبا علميا وفلسفيا أخاذا ، وازدان العصر الاسكندرى بعدد آخر من الرياضيين والفلكيين وسطع منهم عدد غير قليل ، سيذكر منهم على مر التاريخ بطليموس ، وأرشميدس ، وهيرون ، وثاون وغيرهم ، ثم انتقلت هذه المعارف مرة أخرى الى العرب الذين قاموا بدورهم خير قيام ، ومهدوا النهضة العلمية الأوروبية ، وانه كما يقول بعض مؤرخى العلم من الغربيين أنفسهم ، أن وجود ابن الهيثم ، والبيرونى وابن سينا وجابر والرازى ومن اليهم ، كان ضروريا لظهور جاليليو ودافنشى ، ونيوتن ، وديكارت وباكون وغيرهم • ولولا العلماء العرب لاضطر هؤلاء أن يبدأوا من حيث بدأ ابن الهيثم • ويعترف هؤلاء المؤرخون كذلك بأن العلماء العرب لم يكونوا مجرد نقلة او مترجمين ، ولكنهم شرحوا وحققوا ، ونقحوا وأضافوا اضافات هامة ، تدل على التفهم والاصالة والابتكار •

على أن العرب لم ياخذوا عن علماء العصر الاغريقى أو العصر الاسكندرى وحده ، وانما نقلوا أيضا عن الهنود والفارسيين ، ويكفى أن نذكر أنهم أخذوا نظام الترقيم الذى نستعمله الآن عن الهند ، فقد رأوا أنه أفضل من نظام حساب الجمل الذى كان مستعملا لديهم • فقد كان لدى الهنود أشكال متعددة للارقام • فاختار الخوارزمى سلسلتين ، عرفت احداهما بالارقام الهندية وهى المستعملة الآن فى أغلب البلاد العربية (١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥)

وعرفت الثانية باسم الأرقام الغبارية ، وهى المنتشرة فى المغرب العربى ومن الأندلس دخلت أوروبا ، وتعرف باسم الارقام العربية وهى المستعملة حتى اليوم فى كل البلاد الاوروبية (12345) وقد سميت غبارية لأنهم كانوا ينثرون الغبار على لوح مستو ، ثم يرسمون فوقه هذه الارقام .

ثم ان العرب هم الذين ابتكروا طريقة الاحصاء العشرى ، واستعملوا الكسر العشرى ، وضعوا علامة الفصلة لتدل على الكسر العشرى ، وعرفوا الصفر ، واستعملوا له النقطة . وهذه المعلومات ، وان بدت بسيطة الآن ، فانها كانت فى حينها كشفا عظيما ، يسرت العمليات الحسابية ، وخاصة عمليات الضرب والقسمة . ويكفى أن نتصور مثل هذه العمليات اذا كانت طويلة معقدة ، واستعملت فيها الحروف الهجائية بدلا من الأرقام المعروفة والمستعملة الآن .

كذلك توسع العرب فى استعمال النسبة ، وقسموها الى ثلاثة أنواع ،قالوا انها العددية والهندسية والتاليفية ، وكانت الاخيرة لاستخراج الأنغام والألحان الموسيقية .

وقد كانوا يكثرون فى كتبهم ومؤلفاتهم الرياضية من التمارين والامثلة العددية ، ويأتون بمسائل عملية ، تتناول ما يقتضيه العصر فى معاملاتهم التجارية والمعاشية ، من صدقات ، وتوزيع الغنائم والخراج والمواريث والبيع والشراء .

ولعنا ان نذكر فى هذا المقام صاحب الفضل الأول فى ذلك وهو العالم الاشهر محمد بن موسى الخوارزمى ، وهو أول من أورد الارقام الهندية فى مؤلفاته وكتبه فى الحساب ، وكان كتابه فى الحساب الأول من نوعه ترتيبا وتنسيقا وتبويبا ، نقله الغربيون الى اللاتينية ، وظل مرجعهم فى علم الحساب قرونا متطاولة. وقد بقى علم الحساب نفسه معروفا لديهم باسم « الغوريتمى » نسبة الى الخوارزمى نفسه ، صاحب الفضل الأول على علم الحساب الذى يعرفه اليوم الغربيون والشرقيون على السواء .

ولم يقف فضل العرب فى الرياضيات على علم الحساب وحده ، ولكنه شمل علم الجبر كذلك وهم أول من أطلق لفظ « الجبر » على العلم المعروف بهذا الاسم حتى الوقت الحاضر ، وبقيت كلمة الجبر هى المستعملة فى اللغات الاوروبية للدلالة على هذا العلم ، وكان الخوارزمى نفسه هو أول من ألف فيه كتابا مرتبا ، مبوبا ، منسقا . ويقول « كاجورى » ان المرء ليدهش عندما يرى ما يعمل العرب فى الجبر ، ويقول المرحوم الدكتور مشرفة ، صحيح أن البابليين قد حلوا معادلات جبرية قبل الخوارزمى بالفى عام . ولكننا لا نعرف كتابا قبل كتاب الخوارزمى «الجبر والمقابلة» نسق علم الجبر على هذه الصورة .

وعلى ذلك يكون العرب قد حلوا كثيرا من معادلات الدرجة الثانية ، بل حلوا معادلات من قوى أعلى . ووضعوا حلولا جبرية وهندسية لمعادلات ابتدعوها مختلفة التركيب واستعملوا الرموز فى المعادلات الرياضية ، وجمعوا بين الهندسة والجبر ، واستخدموا الجبر فى حل بعض الأعمال الهندسية كما استخدموا الهندسة لحل بعض الأعمال الجبرية ، ووضعوا أسس الهندسة التحليلية ومهدوا لنشأة علم التفاضل والتكامل . وعرفوا الجذور الصماء ، وكان الخوارزمى أول من استعمل كلمة أصم للدلالة على العدد الذى لا جذر له .

ويقول الاستاذ قدرى طوقان مشيدا بفضل العلماء العرب « لقد مهدوا لاكتشاف اللوغاريتمات وكان قصدهم من ذلك تبسيط عمليات الضرب والقسمة المطولة ، فيحولونها الى عمليات جمع وتفريق (طرح) . وقد شرح الحرانى فى كتابه الجمع والتفريق الطريقة التى يمكن بوساطتها اجراء العمليات الحسابية التى تتعلق بالضرب والقسمة بطريقة الجمع والطرح . وكان « ابن حمزه » ممن أسهموا فى ذلك وله بحوث جيدة فى المتواليات العددية

والهندسية ، وانه ليعتبر هو الآخر ممن مهدوا لاكتشاف اللوغاريتمات

أما بحوث العرب فى حساب المثلثات المستوية والمثلثات الكروية ، فقد كانت المعين الذى استقى منه الغربيون ، والمصدر الذى منه اقتبسوا ، ويعترف بذلك سارتون اذ يقول ان كثيرا من النظريات والآراء ، قد نسبت خطأ الى الغربيين ، ثم ظهر بعد البحث والاستقصاء انها من انتاج العلماء العرب ، فأين من يرد الحق الى نصابه ويضع السيف فى جرابه كما يقولون ، وأين من يقول هذه بضاعتنا ترد الينا .

وفى ذلك يقول احد المستشرقين : « ان الرومان لم يحسنوا القيام على الميراث الاغريقى أما العرب فقد حفظوه وأتقنوه ، بل تعدوا ذلك الى الترقية والاضافة والابتكار ، وبذلوا جهدا خارقا فى تطبيقه وتحسينه وانمائه حتى سلموه الى العصر الحديث .

ويقول « سارتون » مرة أخرى لو لم ينقل العرب كنوز الحكمة اليونانية ، لتوقف سير المدنية بضعة قرون ، فقد كانوا أعظم معلمين فى العالم وخاصة من القرن الثامن حتى القرن الثانى عشر الميلادى .

ونقول انه لو لم تصلنا محنة المغول والتتار والترك والاستعمار ، لكنا نحن أصحاب هذه النهضة العلمية التى تدل بها اوروبا علينا . ولتقدمنا عليهم كما يقول « سارتون » عدة قرون .

أما الرياضيات الفلكية ، فقد قطع العرب فيها شوطا كبيرا ، صحيح أن بعض العلماء العرب قد مزج علم النجوم بعلم التنجيم ، ولكن الصحيح أيضا أن كثيرا من العلماء العرب قد أقاموا المراصد ، وابتدعوا الأجهزة والادوات ، وسجلوا الرصدات البارعة وقاسوا محيط الارض وحققوا مواقع النجوم ورصدوا الاعتدالين وكتبوا عن كلف الشمس ، ووضعوا الأزياج والجداول الفلكية ، التى كان لها شأن أى شأن فى تقدم علم الفلك .

ولم يستطيع ان يجحد الا « حاقد » أو « حانق » فضل العلماء العرب على العلوم الرياضية والفلكية ، من حساب وجبر وهندسة وحساب مثلثات وفلك ، أو يتعامى عن دورهم فى التطور الفكرى الانسانى ، وانهم هم الذين مهدوا السبيل لانبثاق فجر التفكير العلمى الحديث ، وسطوع أسباب النهضة العلمية الحديثة ، وارساء قواعدها على أسس متينة من الفهم الصحيح . وحقا انه لولا نتاج القريحة العربية لتأخر سير المدنية عدة قرون .

ويطيب لنا فى هذا المقام أن نذكر بالخير بعض من إعترف بفضل العلماء العرب من الفرنجة ، أمثال « سارتون » الذى يعتبر ابن سينا من أشهر العلماء العالميين ، ويقول عن ابن الهيثم انه أكبر عالم طبيعى سلم فى جميع العصور والأزمان . ومن أمثال « سخاو » الذى يقول عن البيرونى « انه أعظم عقلية فى التاريخ » وذلك بعد أن اطلع على بحوثه فى الرياضيات والتاريخ والفلك والجغرافيا وكذلك فعل « هولميارد » بالنسبة لجابر بن حيان ، و « كاردانو » بالنسبة للكندى فعده من الاثنى عشر عبقريا الذين هم من الطراز الأول فى الذكاء فى العالم كله .

ما أشد حرصى على أن يقرأ شباب العرب هذه الصفحات ليعلموا مكان أمتهم فى التاريخ بالنسبة للعلم والحضارة والفكر الانسانى عامة .

المجتمع الإسلامي بعد الهجرة

فضيلة الشيخ عبد الله المشد

المجتمعات السليمة لا بد ان تكون لها اسس متينة من المبادىء والأصول التى توحى بها البيئة وتمليها الاحداث وتستمد قوتها من كفاح الماضى وعبر التاريخ ، وترسم خطوطها على ضوء المستقبل والفهم الواعى للرسالة الانسانية والهدف الذى يرمى اليه المجتمع .

والمسلمون كأمة انتدبت لنشر رسالة الحق فى العالم اجمع . وتغيير معالم الاجتماع الذى كان يسوده الظلم والطغيان والاستغلال وتشوه معالمه الانانية والفوارق والانانية . والمسلمون ايضا كاصحاب دعوة تميزت على سائر الدعوات الدينية بانها آخر رسالة فى الوجود، واشمل دعوة تخطت حواجز الطبيعة ، وفوارق الاجناس والالوان ، بل تعدت عالم الاسس الى عالم الجن - هؤلاء المسلمون الذى سينهضون بهذا العبء الضخم لا بد لهم من قوة قوية يندفعون بها الى الميدان الواسع ، ويقتحمون بها العقبات التى تتعدد ألوانها ، وهذه القوة تكون فى العقيدة والاخلاق وفى العمل والعلم وفى سائر المجالات .

لقد كان لهم فى مدة مقامهم بمكة مواقف مشرفة فى قوة العقيدة ، تأبوا بها على الاضطهاد وشمخت نفوسهم أمام عوامل الاغراء ، امتحنوا امتحانات خطيرة فلم تلن لهم قناة ، لأنهم وجدوا فى دعوتهم الجديدة متنفسا لهم عن الكبت الذى كان يعانيه الكثيرون ، والسمو الروحى الذى كان يتطلع اليه ذوو الفكر ، والخلق المتين الذى تتعشقه

النفوس الأبية . وما كان لهم بمكة دولة بمفهومها الصحيح، وما كانت لهم رابطة تتوزع على أفرادها مسئولية الدعوة ، فهم فى ذلك الوقت كانوا أفرادا أكثر منهم جماعة ، وكانت العصبيات القبلية لها تأثيرها فى حماية بعض الأفراد ، وكانوا فى وضع دفاعى سلبى لايوحى باندفاع الى الامام أو تنفيذ لخطط الدعوة الشاملة . ولما انتقلوا الى المدينة بدأت نواة المجتمع الجديد وبدأت فكرة الدولة الجديدة، وبدأت معالم العالمية فى الدعوة تتضح أكثر ، وتأخذ مجالها التنفيذى الواقعى بعد مجالها النظرى الفكرى ، وبدأت المسؤوليات تكبر وتتعدد .

وهناك كان لا بد من ارساء القواعد لهذه الحياة الجديدة ، وكان أول ما فكر فيه النبى - صلى الله عليه وسلم - هو تنفيذ فكرة الأخوة الاسلامية والتعاون التام بين أفراد الامة ، وضم الجهود وتكتلها لتواجه المستقبل بتبعاته الضخمة . وكانت المؤاخاة المعروفة بين المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، وبين الأنصار الذين سخت نفوسهم وآثروا اخوانهم ولو كان بهم خصاصة ، وكانت هذه المؤاخاة السريعة منقذة للمجتمع من أزمة خطيرة يقع أمثالها عبر التاريخ فى القديم والحديث من أثر الهجرات التى تدفع اليها عوامل اقتصادية أوسياسية . وبروح التعاون الذى بدت طلائعه من أول يوم نزل فيه المهاجرون على الأنصار سار المجتمع الاسلامى الجديد يحقق انتصاراته فى جميع الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية وغيرها .

وفكرة التعاون مستمدة من فلسفة انسانية عميقة ، فالله قد خلق الانسان وجعله خليفته فى الأرض وامده بالامكانيات اللازمة لعمارة الكون ، ولكنه كفرد لا يستطيع أن يقوم بهذه المهمة وحده فكان لا بد له من التعاون مع غيره حتى يحقق رسالته .

والنهضات التى قامت بها المجتمعات فى تاريخ البشر ، والدعوات الاصلاحية التى حمل لواءها الأبطال من المصلحين لم تستطع أن تنجح وتصمد أمام الحوادث وتنتصر على التحديات الا بتعاون القوى وضم الجهود ، ورسالة الاسلام وهى أسمى رسالة فى الوجود ما كانت لتحظى بهذه المنزلة ولا أن تحقق هذه الانتصارات الا بمبادئها واخلاقها الاجتماعية وروحها التعاونية العالية .

وروح التعاون كانت سمة بارزة فى حياة النبى - صلى الله عليه وسلم - حتى قبل أن تأتيه الرسالة ، وكان الله سبحانه وتعالى يؤهله بها لمواجهة التبعات الضخمة التى تنتظره فى المستقبل ، لقد وصفته السيدة البارة خديجة - رضى الله عنها - عندما جاءته تباشير الوحى فقالت : **والله لا يخزيك الله أبدا ، أنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، وهذه كلها مظاهر لروح التعاون .**

ورسالة النبى نفسها كانت رحمة للعالمين ، وأخلاقه كانت صورة صادقة لما جاء فى القرآن الكريم : **« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » « فيما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر »**

التعاون الذى وضع أساسه الاسلام هو تعاون على البر والتقوى كما ورد فى القرآن الكريم ، والبر فى معناه الجامع ينتظم كل عمل يفيد منه الانسان ويستفيد منه مجتمعه ، وذلك فى جميع المجالات الروحية والمادية ، والتقوى هى اتخاذ الوقاية التى تحمى هذا البر من أن تنال منه يد الفساد ، أو تدنس حماه قوى البغى والعدوان ، ومظاهر البر كلها لا بد أن تكون فى اطار الدين ، لا اثم فيها ولا معصية .

لقد قوى النبى فى نفوس المسلمين هذا المعنى الاجتماعى التعاونى فأمر كل فرد أن يؤدى ضريبة لمجتمعه ، وأن تكون علاقته بغيره قائمة على أساس تبادل المنافع ، فلا يعيش بين الناس آخذا كاسبا فقط ، بل لا بد أن يقابل ذلك بالاعطاء والبذل والعمل لخير الجماعة ، ولعل هذا هو ما يعنيه قوله صلى

الله عليه وسلم « على كل مسلم صدقة ، قالوا يا رسول الله فان ألم يجد ، قال يعمل ويتصدق ، قالوا فان لم يستطع ، قال يعين ذا الحاجة الملهوف ، قالوا فان لم يستطع قال يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، قالوا فان لم يستطع ، قال يمسك عن الشر فان امساكه عن الشر صدقة » • وقد حثهم على تقوية الروابط بينهم فقال : **« لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابو » وقال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »** . **وقال : « أحب الناس الى الله أنفعهم للناس »** . ونعى على الانعزاليين السلبيين فقال : **« من لايهتم بأمر المسلمين فليس منهم »** • وبين لهم خطأ من يظن أن التدين قاصر على أداء العبادات المعروفة كالصلاة مثلا ، وان لم تثمر ثمرتها فى تزكية نفسه ، ولم تهز جوانب الخير والرحمة فيه ، ساهيا عن حكمة مشروعيتها فى خدمة المجتمع وسعادة البشر ، متخذا اياها ستارا يتوارى عن الناس بما فيه من شح وقسوة وأنانية اقرأ قول الله تعالى : **« أرأيت الذى يكذب بالدين • فذلك الذى يدع اليتيم • ولا يحض على طعام المسكين • فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون • الذين هم يراءون ويمنعون الماعون •**

بهذه النصوص القوية ربى الاسلام فى الناس روح التعاون والرحمة والمحبة، وبين ضرورتها للمجتمع الاسلامى ليعيش سليما يصمد أمام الحوادث ، وقويا يحمل تبعة الدعوة والجهاد فى سبيل الله .

لقد سار المجتمع على هذا النمط العالى من التربية فكانت الهدية تأتى الى الواحد منهم فلا تلبث فى بيته الا بمقدار ما يقسمها ثم يرسل بها الى اخوانه . وقد تتناول الهدية ايد كثيرة ، وتنتقل من بيت الى بيت ، وكل يرى أن غيره أولى بها منه حتى تعود الى مرسلها الاول . هذا المجتمع الذى يصفه عبد الله بن عمر بقوله : لقد أتى علينا زمان وما منا رجل يرى أنه أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم . هذا المجتمع المثالى استطاع بتعاونه وترابطه واجتماع قلوب أهله على المحبة والصفاء ، دون فوارق وعصبيات - أن يأتى بالعجب العجاب فى عالم القوة والابداع • واستطاع ان يقف صامدا أمام الأحداث تتحطم على صخرته أمواج البغى والعدوان ، وتيارات الانحراف والضلال ، وأمكنه فى فترة وجيزة من التاريخ أن يكون امبراطورية مترامية الاطراف ، أصلها ثابت وفرعها فى السماء .

نحن الآن - كأمة اسلامية - فى أمس الحاجة الى روح التعاون التى لا تعرف الحدود السياسية المصطنعة ، التعاون بين الافراد والهيئات والحكومات والدول والشعوب - نحن نرى كتائب الشر من حولنا تتحفز ، **والعالم المادى الموتور يريد أن يقتص من المسلمين أو يشل حركتهم ليفسح الطريق أمام مذاهبه وأفكاره ، وأمام أطماعه وأحلامه نحن أمة دينها يقدس الحرية والعزة ويدعو الى القوة والعمل والجهاد . ويركز اهتمامه على التعاون والمحبة والاخوة ، لقد آن الاوان الى أن تعيدوا أمجادنا الاولى ، من الصلابة فى الحق والثبات أمام العدوان . وتخليص المظلومين والعطف على المحتاجين . فلنقف صفا واحدا ولنسر فى طريقنا روحا واحدة وقلبا واحدا وقيادة واحدة ، واذا كانت هذه آمالنا فى المسلمين عامة ، فهى آمالنا القوية للعرب بنوع خاص ، فهم الآن فى وضع لايسمح لأحد منهم - فردا أو دولة - أن يشذ عن الجماعة أو يتنكب الطريق أو يؤثر مصلحته الشخصية « وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون »** .

الإيثار والتضامن في الهجرة

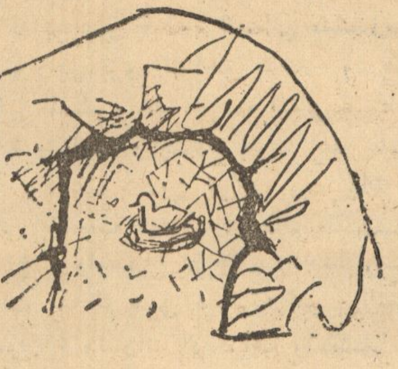

الدكتور محمد سلام مدكور

كانت هناك علاقة تربط محمد بن عبد الله صلوات الله عليه بيثرب، فله بها علاقة القربى، وهم بنو النجار اخوال جده عبد المطلب ،وله بها قبر عزيز على نفسه ، قبر ابيه عبد الله الذى مات ،ومحمد جنين لم يولد بعد، وقد تعلقت نفسه بقبر ابيه وعرف مكانه حينما حج اليه مع أمه وهو فى السادسة من عمره ، وقد شاءت ارادة الله أن تموت أمه « السيدة آمنة » أيضا وهى فى طريق عودتها الى مكة بعد هذه الزيارة ، وتدفن (بالأبواء) فى منتصف الطريق وبذا أصبح قبر أمه فى الطريق الى يثرب التى تحتضن تربتها قبر أبيه . وهذا مما يجعله بحكم النبوة متطلعا الى هذه الجهة ، وقد ربطته بها أيضا علاقة التجارة حينما كان يمر بها وهو يتجر فى مال السيدة خديجة .

فلما آذته قريش وبالغت فى ايذائه والتضييق عليه فى نشر الدعوة ، واسترسلت فى تعذيب من آمن برسالته واتبع دعوته ، اتجهت نفسه بحكم النبوة الى الهجرة من هذه القرية الظالم اهلها والفرار بيثرب هذه البلدة الآمنة التى تاقت نفسه اليها من قبل بحكم البنوة ، حتى يتمكن من تبليغ رسالة ربه ونشر دعوته وخاصة أن بها كثيرا ممن يؤمنون برسالة السماء من أهل الكتاب ، وهؤلاء اقرب الى تقبل الدعوة من عبدة الأوثان الذين تعلقت أنظارهم وقلوبهم ونفوسهم بالأرض ونحتوا من تربتها بأيديهم آلهة لهم يعبدونها ويتقربون اليها .

وحتى من بيثرب من عبدة الأصنام وغير أهل الكتاب ، لهم قلوب اكثر لينا وطواعية للحق وتقبلا للارشاد والنصح بسبب اختلاطهم بأهل الأديان السماوية فعرفوا التطلع الى السماء ، وتكونت لدى الكثير منهم فكرة عن خالق الكون ومبدعه وأنه هو الذى بيده الأمر فمنه المبدأ واليه النشور ، وبذا يسهل توجيههم ، وتتوقع منهم الاستجابة الى الدعوة ، وحتى من يتعنت منهم فانه لا يكون عنيفا فى عدائه وخصومته عنف كفار قريش .

أحس الرسول صلوات الله عليه بهذه المعانى فى نفوس أهل يثرب من قبل ، وحينما قدم الى مكة « سويد بن الصامت » وهو احد كبار اشراف يثرب ، والتقى به الرسول

وعرض عليه دعوته وتلا عليه ما عنده من القرآن فما نفر ولا ضجر ولا أعرض ولا استنكر . وانما قال : هذا حسن ، وانصرف يفكر بعمق فيما سمع .

وكذلك فقد لمس الرسول هذه الروح فى أهل يثرب حينما قدم وفد الى مكة فيه اياس بن معاذ لقضاء بعض شئون لهم والتقى بهم الرسول ، وكذلك احس فيمن وفد من جماعة الخزرج الى مكة فى موسم الحج ولقيهم الرسول ودعاهم الى الاسلام وشرح لهم وجهته وأسمعهم ما نزل عليه من وحى فانهم استجابوا له واطمأنوا اليه وآمنوا به ، وعادوا الى قومهم بما هم عليه . وعرفوهم بما رأوا وما سمعوا فلم يستنكروا صنيعهم ولم يصدوهم او يعرضوا عنهم ، انما كان - كما علم الرسول - الارتياح والتشوق والرغبة فى التزود منه .

بل لما استدار العام وجاء الحجيج الى مكة بايع اثنا عشر رجلا من أهل يثرب الرسول بالعقبة على الا يشركوا بالله احدا ولا يأتوا ببهتان ، وآمنوا بدعوته وأسلموا وجههم لله ، وأرسل النبى معهم من يعلمهم الاسلام ويفقههم فى الدين ..

وهكذا تزايد عدد المسلمين فى يثرب ، وتزايد عدد الذين لانت قلوبهم للدعوة فيها واستعدوا للاستجابة اليها ، ولم يتعرض لهؤلاء بشىء من الأذى أحد من الوثنيين بيثرب ولا أحد من أهل الكتاب فيها ، بل حدث فى عام قابل أن وفد الى الرسول جمع كبير من من الأوس والخزرج وبايعوه ، ولم تقتصر بنود هذه البيعة على الدعوة الى الاسلام فحسب ، بل تضمنت حماية الرسول ومنعته مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم .

طابت نفس محمد بهذه الظواهر الطيبة وازداد اطمئنانه الى أهل هذه البلد التى يحن اليها بطبعه كما قلنا وآمن بأنها خير مكان تبدأ منه دعوته وتكون نواة لدولته . فأمر أصحابه بالهجرة اليها متفرقين كى لا تنتبه قريش الى خطورة الهجرة ، فهاجر كل من استطاع تاركا المال والأهل والوطن قرارا بالعقيدة ، وقد تزودت نفوسهم بايمان صادق وأمل كبير فى نصر الله ، غير عابئين بالمعوقات والعراقيل التى تضعها قريش فى سبيل الهجرة اذ تنبهت لخطورة عاقبتها .

وكان ممن رغب فى الهجرة أبو بكر رضى الله عنه ، غير أن النبى صلوات الله عليه استمهله لأمر فى نفسه لم يطلع صاحبه عليه ليبقى سرا حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا ، وأراد الرسول أن يقوى الصلة بينه وبين أبى بكر ويربطها برباط النسب والمصاهرة فعرض **عليه أن يزوجه ابنته عائشة فطابت نفس أبى بكر بهذه الصلة ، وتم العقد وأرجأ أبو بكر هجرته حتى يأذن له الرسول .**

ولما تتابعت هجرة المسلمين الى يثرب حتى لم يبق بها الا النفر اليسير ، وتزايد المسلمون من أهلها ايضا ، واصبح جوها جوا اسلاميا مما أخاف قريشا ، فكرت فى مقتل محمد للتخلص منه ومن دعوته ، وأعدت نفسها لذلك ، وهنا تطلع محمد صلوات الله عليه بدوره الى الهجرة ودعا الله أن يأذن له بذلك ، فاستجاب الله دعوته وحقق له رغبته ، فاعد نفسه لذلك .. لكن كيف المفر وقد تآمرت عليه قريش وأحاط شبانها بداره من كل جانب ليقتلوه .؟

أسر الى على بن عمه أن يتسجى برده الحضرمى الأخضر وان ينام فى فراشه حتى يظنه القرشيون اذا نظروا محمدا ، ويتمكن بذلك من الخروج فى غفلة منهم ، وأوصى عليا أن يبقى بمكة فترة كى يرد الودائع ويقضى الديون ويقوم ببعض الشئون .

خرج الرسول ليلا وقد جعل الله على أبصار المحيطين بالدار من كفار قريش غشاوة فهم لا يبصرون ، واتجه الى دار صديقه وصهره أبى بكر أخبره بما اعتزم عليه من الهجرة فرغب أبو بكر فى أن يأذن له الرسول فى صحبته فأجابه وعرفه أنه كان قد استمهله من قبل لذلك .

خرجا معا الى غار « ثور » وهو فى غير الطريق الى يثرب ، بل هو يدل على أن الاتجاه الى اليمن ، ولم يكن يعلم بمكانهما الا

عبد الله بن أبى بكر واختاه عائشة وأسماء ومولاهم عامر بن فهيرة ، ومكث الرسول وصاحبه فى هذا الغار ثلاثة أيام أخذت قريش تبحث وتنقب عنهما فيها فى كل مكان باذلة العطاء لما يرشد عليهما أو يدلها عليهما ، وبعد أن يئسوا من وجوده فى مكة أو حولها وذهبت بهم الظنون كل مذهب استأنف محمد وصاحبه السير فى الطريق الى يثرب وتمت الهجرة كما هو معروف ومدون .

والذى نتصدى له فى مقالنا هذا ليس مراحل الهجرة ووصف الطريق وبدء الخروج ووقت الوصول ووعورة الطريق وما الى ذلك من النواحى التاريخية الجغرافية . وانما الذى نهدف الى التحدث عنه هنا بيان ما فى مواقف الهجرة كلها من صدق ايمان وخالص تضحية والتفانى فى مناصرة جماعة المسلمين، وايثار الله ورسوله على كل ما فى الدنيا من مال وأهل فهذا هو الذى يناسب الكلام عنه الآن بعد أن أصبح حديث الناس فى النظم الاقتصادية التى تدفع الى التضامن والتعاون والتكافل بين الأفراد بمناسبة الدعوة الاصلاحية التى وجه اليها السيد رئيس الجمهورية والتى صرح بانها من صميم الاسلام وفى نطاقه ولا تخرج عنه .

وحتى يتبين الناس ان هذه المفاهيم كان الاسلام أول من دعا اليها وجاء بها منذ أربعة عشر قرنا وقت أن كان العالم بأسره تتحكم فى دوله قلة من ذوى الجاه والسلطان من الاقطاعيين وأصحاب رءوس الأموال ، فاذا ما تبينوا هذا تعلقوا بعقيدتهم الصالحة المصلحة وتفانوا فى سبيل الاستمساك بها واقبلوا على كل دعوة اصلاحية فى دائرة الاسلام بدافع من العقيدة والايمان ، وابتعد عن الذهن أى شك فى أن دعوتنا الاصلاحية لها ارتباط بأى نظام غير اسلامى ، وباء المغرضون الذين تحدثهم نفوسهم بالتوجيه الى نظام معين بالفشل ، فاننا شعب يؤثر عقيدته ولا يقبل الانحراف عنها قيد شعرة .

ومعانى الايثار والتضامن فى الهجرة صورها الله سبحانه تصويرا جامعا فى قوله جل شانه فى سورة الحشر « للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ، والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »

فهذا يصور لنا ماصدر من ايثار وتضحية من أهل مكة الذين هاجروا واهل المدينة الذين استقبلوا اخوانهم المهاجرين : اما الاولون فقد ضحوا وآثروا الله ورسوله وخرجوا فى سبيل الله تاركين وراءهم وطنا غاليا من شانه ان تفتديه النفوس بالمهج والأرواح ، وهل يهجر الوطن ويترك الا اذا كان لأمر اعز على النفس من النفس .

نعم تركوا وطنهم وأهلهم وأموالهم فرارا بعقيدتهم التى هى عقيدة التوحيد من ملك الله الى ملك الله علهم يستطيعون الجهاد لاعلاء كلمة الله وهداية الناس ونشر دعوة الاسلام ، ومن يدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فيعودون الى وطنهم فاتحين ظافرين لهم الكلمة العليا ولهم الشأن والأمر ، خرجوا بدينهم الى الله تاركين من خلفهم أموالا هى قوام حياتهم غير مبالين بما يصيبهم من فقر أو مغبة ، وانفصلوا عن كل ما لهم انفصال الغصن من شجرة عائدا الى شجرة أخرى من الايمان واليقين تبشر بالثمر والظلال .

اما أولئك الأنصار فقد وصفهم الله بأنهم يحبون من هاجر اليهم حبا صادقا فى الله ورسوله دون مبالاة بما يترتب على ذلك الحب من تضحيته أو فقدان بعض متع الحياة أو مظاهرها المادية ، ولذلك فانهم يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وفقر ، وما اقوى فعل الدين والايمان فى نفوس أصحابه الذين يأخذونه على الوجه الصحيح ، فامتلأت قلوبهم بالايثار والبذل والتضامن والتكافل فتسابقوا فى مد يد العون لاخوانهم المهاجرين فى كل نواحى الحياة ، وكل ما تتطلبه حياة الاستقرار بل وصل بهم التسابق فى مد يد العون لهم الى شىء من التشاحن فلم يك يفصل بينهم فى هذا الا الاقتراع .

نعم كانت قوة الايمان ، وتغلغل العقيدة فى نفوس المؤمنين تصنع العجائب والمذهلات مما يبين احسن بيان أن عقيدة المرء أغلى من نفسه وأعز عليه من ماله واهله ، فهى ذلك الأمر الروحى الذى يختلط من الانسان بلحمه ودمه ويستحوذ على فكره حتى يكون هو الموجه له فى كل شأن .

فانظر الى على وقد سره ان يعرض نفسه للهلاك حين هم الرسول بالخروج من الدار ليلة الهجرة ، والمشركون يحيطون بالدار من كل جانب يترقبون فراش النبى ويتحسسون حركاته وتقلباته ليظفروا به يقظا ويقتلوه ، ومع وضوح نية الغدر فى نفوس المشركين وعزمهم على التخلص من محمد ودعوته ، لم يتوان على امعانا فى تضليل المشركين وتمكين الرسول من خروجه سالما ، أن يتسجى برد الرسول الحضرمى الأخضر وينام على فراش الرسول حتى اذا ما نظر المشركون عليه من ثقب او منفذ ظنوا أن الرسول نائم فى فراشه واطمأنوا الى ظفرهم به ، وبذا يتمكن الرسول صلوات الله عليه من الخروج وهم فى غفلة منه .

فعل على ذلك وهو يعلم سوء العاقبة ، وأنه قد يستثير بهذا حفيظة المشركين عليه ، وانه من المحتمل أن يكون ذلك سببا فى اطاحة عنقه خطأ منهم او عمدا ، لكن شيئا من ذلك لم يترك فى نفسه أى أثر من خوف أو تراجع أو نكوص لأن ايمانه بالله وقوة عقيدته وصدق اخلاصه يأبى عليه شيئا من ذلك بل يدفعه الى أكثر منه ، بل يرى بسبب صدق الايمان أن كل ما يصيبه من اذى فى سبيل تمكين الرسول من تبليغ رسالة ربه ونشر دعوة الاسلام يمكنه من حياة فى كنف الله سعيدة مستقرة تطيب بها نفس كل مؤمن صادق فى ايمانه .

وخرج الرسول على المشركين وقد أغشاهم الله عنه فلم يبصروه ، ولم يصيبوا عليا بأذى حينما تكشف لهم أنه هو الذى ينام على فراش الرسول ، وسخروا من أنفسهم وبقى على بعد ذلك فى مكة وحيدا ينفذ ماعهد الرسول اليه به ويواجه عاصفة غضب الكفار وسخطهم .

وهذا ابو بكر يأبى الا أن يصاحب الرسول فى أحرج المواقف فيضحى بتجارته وعمله وماله وولده ويخرج مع الرسول فى هجرته لا يصاحبهما الا الله فى وحشة الليل ووحشة الفرار من تتبع الأعداء واقتفائهم أثر الرسول وبذلهم الجوائز النفيسة لكل من يستطيع العثور عليهما ، ثم يستقر معه فى غار (ثور) ذلك الغار الذى يزيد الوحشة تفاقما والخوف تضاعفا . واقاما بالغار ثلاثة أيام لم يفتر فيها محمد عن ذكر الله ، ولم تهدأ فيها نفس أبى بكر فكان متيقظا بكل معانى التيقظ يرهف أذنيه وكل حواسه لتعرف مافى خارج الغار من حركات ويتبين ما عساه يسمعه من أصوات ، حتى أحس بنفر من المشركين على قرب من الغار وسمعهم يسألون أحد الرعاة عنهما . فيجيب بأنهما قديكونان فى الغار وان كان هو لم يرهما . واقبل بعض القرشيين يتسلق الى الغار ولكنه قفل راجعا دون أن يقتحمه ، ولما سأله رفاقه لم لم تدخل قال : ان للعنكبوت على فتحتيه بيتا خاطه من قبل مولد محمد ، وان بفم الغار حمامتين وحشيتين ، وأن شجرة تدلت فروعها الى فوهة الغار لا تمكن أحدا من الدخول فى فوهته .

كان ابو بكر يسمع هذا الحوار فيقترب من صاحبه ويلصق نفسه به فيهمس محمد فى اذنه : لا تخف ان الله معنا ! ولما انصرف الكفار اطمأن ابو بكر وزادت نفسه ايمانا بالله ورسوله ونادى محمد : الحمد لله . الله أكبر .. اقرأ قول الله تعالى فى هذا « اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » ويقول أبو بكر فى تصوير بعض ما كان فى هذه اللحظات : رأيت أقدام المشركين ونحن فى الغار فقلت لرسول الله لو نظر احدهم تحت قدميه لأبصرنا . فقال : يا أبا بكر . ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟!

لم يكن ابو بكر خائفا على نفسه ، وانما كان حريصا على نجاة الرسول وسلامته ، فلو

ظفر الرسول بالنجاة ووقع هو فريسة فى أيدى المشركين لهانت عليه نفسه ولأخذت الدعوة الى الحق سبيلها الى النور والانتشار لكن اذا ظفروا بالرسول لا نتهى كل شىء . خاف على الرسول لأن الغار لا يوجد له منفذ آخر يستطيع أن يتسرب منه الرسول ولو منفردا ، ولا يوجد فيه مخبأ يستطيع أن يختبىء فيه الرسول اذا ما هوجم الغار . وكان خوف أبى بكر على الرسول أشد من خوفه على نفسه وحرصه على نجاة الرسول من أى أذى هو الشاغل له ، ولكن الرسول وقد ثبت الله فؤاده يطمئن على نفسه وعلى الدعوة فتهدأ نفسه ويذهب عنها الخوف فيطمئن صاحبه . وهذا المعنى فى نفس أبى بكر واضح كل الوضوح فى مدى ما وصلت اليه نفس أبى بكر من ايثار الله ورسوله وتضحيته بنفسه وماله وأهله .

وهذه أسماء بنت أبى بكر تأبى الا ان تخرج من مكة بالطعام والشراب لتحضره لهما فى مخبئهما المخيف البعيد فى ظلمة الليل ووحشة الطريق غير مبالية بما عساه أن يقع لها من أذى أو ينالها من هلاك دون أن تشعر بتقلبات الجو ووعورة الطريق لأن الايمان والتضحية والايثار اذا تملكا على النفس هان كل شىء ، بل هانت النفس أيضا ، وكيف لا تضحى وقد رأت أباها يهاجر معه ويرافقه فارا بدينه تاركا كل عزيز عليه .

انظر الى أسماء وقد ذهبت لهما بالغار فى اليوم الثالث بالطعام والشراب الذى يكفى لرحلتهما ولما ارتحلا ولم يجدا ما يعلقان به الطعام والماء فى رحالهما شقت نطاقها الآخر فسميت لذلك « ذات النطاقين » .

وهذا عبد الله بن أبى بكر . يقضى نهاره بين قريش يتسمع ما يأتمرون وما يقولون ثم يأتيهما حينما يسدل الليل ستاره فيخبرهما بما دار وسمع ولما نعود الى مكة نجد بطلا آخر يسهم فى نجاح هذه الرحلة هو عامر بن فهيرة مولى ابى بكر يتبع أثر عبد الله بالغنم حتى يعفى عليه فلا يتبينه أحد ، ويصل الى مكان الرسول وصاحبه

كان جميع أفراد بيت أبى بكر من وراء هذه الهجرة : يربط عقد زواج الرسول بعائشة بين محمد وصاحبه برباط النسب والمصاهرة فوق رباط العقيدة فيختص نفسه برفقته لأنه اول رجل آمن به ولأنه صهره ، ويختص أفراد بيت أبى بكر بالاعداد لهذه الهجرة ، ويأخذ أبو بكر معه خمسة آلاف درهم هى كل ما عنده من نقد .

وفى الطريق الى يثرب يراهم أحد الأفراد فيخبر قريشا بركبهم فيعدوا خلفهم سراقة ابن جشعم ليأسرهما وينفرد بالمائة ناقة . الجائزة التى وعدت بها قريش . ولكن يكبو فرسه من شدة انطلاقه حين اقترب منهم كبوة ألقى سراقة وسلاحه ، وكان هذا دافعا لأن يرد نفسه عما قدم اليه ، وأن يعمل على حماية محمد وصاحبه وأخذ نفسه بتضليل من يطارد محمدا ورفيقه وهان المال فى نظره وضؤلت الجائزة وأصبحت غير ذات قيمة أمام ما أحس به عند كبوة جواده من ايمان يتخذ طريقه الى قلبه .

والدين وان كان ربط بين قلوب المؤمنين من المهاجرين والأنصار الذين أقاموا معا بيثرب الا ان الرسول خشية أن تثور فى نفوسهم البغضاء القديمة . دعاهم الى المؤاخاة فى الله ، ولتذهب عن المهاجرين وحشة الغربة وليؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، وليشد بعضهم ازر بعض . فآخى بينهم على الحق والمؤاساة وعلى أن يكون كل منهم دمه دم الآخر ، وأن يرث كل منهما الآخر دون ذوى رحمه .

وتمت المؤاخاة بين أبى بكر وخارجة بن زيد الأنصارى ، وبين عمر بن الخطاب وعثمان بن مالك الأنصارى وبين جعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل الأنصارى وبين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة الأنصارى ، وبين أبى عبيدة الجراح وسعد بن معاذ الأنصارى .. وهكذا حتى آخى بين خمسين من المهاجرين وخمسين من الانصار وقد بلغ من كرم الانصار واخلاصهم أن كان الواحد منهم يعرض على صاحبه أن يشاطره ماله ، وأبى المهاجرون العيش كلا على غيرهم فكافحوا وعملوا فى

سبيل لقمة العيش ووجدوا فى ذلك لذة وسعادة ، ولأن العمل فى سبيل الكسب أمر يدعو اليه دينهم ..

وهكذا نجد الأنصار يعرضون أموالهم ويزهدون فيها لان اخوانهم أحوج اليها منهم، ويؤثرون اخوانهم عليهم بهذا ، والمهاجرون يشكرون لهم هذا البذل والايثار ويقدرون فيهم روح التعاون والاخاء الكامل الا أنهم يأبون الا العمل والكفاح ، فيسهمون مع اخوانهم فى توفير سبل المعيشة ، ولكى لا يسنوا للناس من بعدهم سنة العيش عالة على مجهود الغير وماله مع القدرة على العمل والتكسب .

فانظر الى أى مدى كان التسابق الى الخير والى التعاون ، والى أى مدى كان الوفاء والحب والى أى مدى كان التآلف والتفانى - يحاول الأنصارى أن ينزل عن شطر ماله لأخيه المهاجر حتى يوفر له سبل العيش ويحقق له الهناء والراحة ، ويأبى المهاجر الا أن يعمل بكده وجهده وساعده فى تجارة أخيه الأنصارى أو زراعته أو اى عمل ولم تستطب نفسه لقمة العيش دون كفاح فكلاهما سباق للبذل والعطاء هذا بماله وهذا بعمله ومجهوده .

وبهذه الروح تمت الهجرة على خير وجه فى جو يغمره ذلك الحب والتفانى ، وبهذا الاخاء والتعاون والتضامن كتب الله لهم النصر والفلاح ، وكانت هجرتهم معالم حدود بين طور وطور فى دعوة الاسلام وبدء تحول من توجيه روحى وتقويم خلقى الى تكوين تشريعى وتنظيم دولى . فبدأت معالم الدولة كاملة وكانت فكرة الهجرة بدء التوجيه لمعالم الدولة الاسلامية ذات الحدود والقوة ذات القوانين والنظم التى يكفل اتباعها السعادة والرخاء والمحبة والصفاء لأنها كلها تقوم على السلام والتضامن وتدفع الى البذل والمشاركة والايثار .

وهكذا يضع الله أمامنا مثلا عليا من صفات المؤمنين الأولية ، وصورة عملية لتطبيقهم تعاليم الدين حتى نحذو حذوهم ونسير على نهجهم ، وما أحوجنا الآن الى الأخذ بهذه المعانى وقد حاول العدو تفكيك الأمة منذ أمد بعيد فوضع دولة اسرائيل فى جزء من الأراضى العربية فشرد أهله ، كما حاول العدو من زمن بعيد أن يباعد بين الأقطار الاسلامية واتجاهاتها ، وان يجعل من المسلمين حلفاء لاعداء المسلمين ضد اخوانهم فى الدين . وما كان هذا الا فى غفوة من الايمان والدين .

ولو اخذنا بتعاليم ديننا وتلمسنا فى ماضى سلفنا العظات والعبر . فضحينا كما ضحوا وتعاونا وتضامنا كما تعاونوا وتضامنوا واحب كل منا لأخيه ما أحب لنفسه لصرنا جسدا واحدا يحس كل مسلم مهما بعد موطنه بآلام أخيه المسلم أينما كان .

فبالتضحية والايثار نقوى ونتكتل وتتحد صفوفنا ، ونقضى على المؤامرات التى تحاك من حولنا ونسترد أرض فلسطين الأرض العربية الى أهلها المبعدين المشردين .

الإسلام بين العقل والنقل

للأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي

« ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون » .

جمعية اخوان الصفا :

هم جماعة من الشيعة الاسماعيلية ومن تلاميذ الحسن الصباح والاسماعيلية ومنهم الفاطميون والبابية والبهائية وشيعة أغا خان أيضا كما هو معلوم ألفوا فى الفلسفة رسائل تناسب حالهم أو قل باطلهم .

وقد دونوا فلسفتهم هذه فى احدى وخمسين رسالة سموها رسائل اخوان الصفا واخفوا اسماءهم وان كانت معلومة وهى تمثل الفلسفة المزعوم انها اسلامية على ما كانت عليه من الشذوذ والانحراف ، وهذه الرسائل تشمل النظر فى مبادىء الموجودات وأصول الكائنات وصنوف العالم ، فالهيولى والصورة وماهية الطبيعة والأرض ، والسماء ووجه الأرض وتغيراته والكون والفساد والآثار العلوية والسماء والعالم وعلم النجوم وتكوين المعادن وعلم النبات وأوصاف الحيوانات ومسقط النطفه وكيفية رباط النفس بها وتركيب الجسد والحس والمحسوس والعقل والمعقول والصنائع العلمية والعملية والعدد وخواصه والهندسة والموسيقى والمنطق وفروعه واختلاف الأخلاق وطبيعة العدد الخ .. وكلها رواسب يونانية متخلفة عن افلاطون وفيثاغورث وارسطو وافلوطين مضافا اليها - خرافات شبه اسلامية كثيرة .

ومن أعضاء جمعية اخوان الصفا السرية أبو سليمان محمد بن معشر وأبو الحسن بن على الزنجي وأبو أحمد المهرجاني والكوفى وزيد بن رفاعه وهو رئيسهم .

ومن أقوالهم الدالة على سوء نيتهم وسخف معتقدهم قولهم : « ان الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة اليونانية لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتماعية » . وأى حكمة اعتقادية يا ترى ! ؟ وأى مصلحة اجتماعية يا ترى فى ذلك الخليط المهوش من قشور الدين واوحال فروع الفلسفة التى هى خليط من أفكار موروثة عن الفلاسفة القدماء بعد تشويشها وتحورها حين كانت الفلسفة فى عصر طفولتها .. ! ؟

وانظر الى قولهم « حتى اذا انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال « وأى كمال يا ترى فى ذلك الخليط الذى ان دل على شىء فلا يدل الا عل الفساد فى الارض والتشويش عل الفلسفة والدين معا وتسوىء سمعتهما .

الغزالى :

وكان الغزالى رضى الله عنه مشتغلا بسائر العلوم العقلية والنقلية وكان ذا عقل ذكى ونفس كريمة ، وجل غرضه فى مسعاه اظهار فضيلة الدين الاسلامى على سائر الأديان وعلى الفلسفة خصوصا . ولما درس علم الكلام والجدل والاعتزال ومذاهب الفلاسفة جنح الى التصوف الاسلامى معتقدا ان أهله هم اهل الفرقة الناجيه ، كما جاء فى الحديث النبوى .

وقد نشا عند الغزالى ميل شديد للتصوف ، فترك مهنة التدريس سنة ١٠٩٥ م وودع مظاهر المجد والشهرة ، وخرج من بغداد موريا بالحج لكى لا يلحوا عليه بالبقاء . وبينما هو فى الطريق لابسا لباس الصوفية رآه أحد أصدقائه فقال : أهكذا يا امام . ؟ ! (ناظرا الى بساطة ملبسه) فاجابه بهذه الأبيات :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما القلب الا للحبيب الأول
كم منزل فى الأرض يألفه الفتى
وحنينه دوما لأول منزل
تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل
وعدت الى مصحوب أول منزل
ونادت بى الأشواق مهلا فهذه
منازل من تهوى رويدك فانزل
غزلت لهم غزلا رفيعا ولم أجد
لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

وهكذا ظل رضى الله عنه أحد عشر عاما متنقلا من مدينة لأخرى فزار دمشق وبيت المقدس والاسكندرية ومكة المكرمة ، وأخيرا عاد الى طوس باحثا عن الحقيقة ، طالبا للحياة الروحية فى التأملات الدينية .

وكان أكبر باعث على عودته الى العالم العلى الحاح « فخر الملوك » الذى عرض عليه مهمة التدريس بنظامية نيسابور ، مظهرا له ان من الخطأ حرمان أبناء المسلمين من المعرفة التى وهبها الله له فقبل الرأى ، ولكنه لم يبق فى التدريس طويلا بل عاد الى طوس واعتزل فى منزله حتى انتقل الى جوار ربه وقيل أنه لما مات وجدت عند رأسه هذه الأبيات :

قل لاخوان رأونى ميتا
فبكونى ورثوا لى حزنا
اتظنون بانى ميتكم
ليس ذلك الميت والله أنا
أنا فى الصور وهذا جسدى
كان بيتى وقميصى زمنا

انا كنز وحجاب طلسم
من تراب كان ضيقا وعنا
انا در قد حواه صدف
لا متحانى فنفيت المحنا
انا عصفور وهذا قفصى
طرت عنه وبقى مرتهنا
احمد الله الذى خلصنى
وبنى لى فى المعالى مسكنا
كنت قبل اليوم ميتا بينكم
فحييت وخلعت الكفنا
وانا اليوم اناجى ملا
وارى الله جهارا علنا
عاكف فى اللوح اقرا وارى
كل ما كان تناى ودنا
وطعامى وشرابى واحد
وهو رمز فافهموه حسنا
ليس خمرا سائغا أو عسلا
لا ولا ماء ولكن لبنا
فافهموا السر ففيه نبأ
اى معنى تحت لفظى كمنا
واهدموا بيتى وفضوا قفصى
واذروا الطلسم يعلوه الفنا
قد ترحلت وخلفتكم
لست أرضى داركم لى وطنا
لا تظنوا الموت موتا انه
لحياة وهو غايات المنى
حى ذى الدار نؤوم مفرق
فاذا مات اطار الوسنا
لا ترعكم هجمة الموت فما
هو الا نقلة من ها هنا
وخذوا فى الزاد جهدا لا تنوا
ليس بالعاقل منا من ونا
واحسنوا الظن برب راحم
شاكر للسعى واتوا أمنا
ما أرى نفسى الا انتم
واعتقادى انكم انتم انا
عنصر الانفس منا واحدا
وكذا الجسم جميعا عمنا
فارحمونى وارحموا انفسكم
واعلموا انكم فى اثرنا

ومن أهم مؤلفاته رضى الله عنه : أحياء العلوم ـ مقاصد الفلاسفة (الذى ترجم الى اللاتينية بمعرفة بطرس لختنشترن ، وطبع بفينا سنة ١٥٠٤ م) ـ تهافت الفلاسفة ـ المنقذ من الضلال ، وكثير غيرها مما يربو على الستين مؤلفا .

وفلسفته دينية صوفية حسب شريعة القرآن ، فلا يسلم بقدم العالم ولا بالانبثاق الفلكى الذى قال به الكندى وابن سينا عن أفلوطين ، ويقول بضرورة العلم وتحكيم العقل فى الأمور الدينية والعلمية بشرط ان تنقى النفوس من ادران النفايات الشخصية والجمود المذهبى ، وان أحسن طريقة للحصول على سعادة الدارين ان يتجه القلب لذكر الله الى ان تفيض عليه الرحمة وينكشف له سر الملكوت .

أما علم الأخلاق الذى علم به الغزالى فهو مزيج من العقائد القرآنية والفلسفة الأخلاقية ، والمذهب الصوفى الذى اعتنقه فيه مزيج من علوم الشريعة وأسرار الحقيقة الالهامية والرياضيات النفسية .

ويقول رضى الله عنه : « ان المعرفة الكونية تكتسب بواسطة الحواس والعقل ، اما معرفة الحكمة الالهية فلا تنال ألا بالقاء الهى ، وبواسطة الايمان والمجاهدة فى الوصول الى انكشاف الحقيقة ، ويقول : قد انحصرت أصناف الطالبين للحقيقة عندى فى أربع فرق :

١ ـ المتكلمون : وهم يدعون أنهم اهل الراى والنظر .

٢ ـ الباطنية : (الشيعة الاسماعيلية) وهم يدعون انهم أصحاب التعليم ، والمخصوصون بالاقتباس من الامام المعصوم .

٣ ـ الفلاسفة : وهم يزعمون انهم أهل المنطق والبرهان .

٤ ـ الصوفية : وهم يرون انهم خواص الحضرة وأهل المشاهدة والمكاشفة .

فقلت فى نفسى : الحق لايعدو هذه الاصناف الأربعة ، فهؤلاء هم السالكون سبيل طلب الحق ، فاذا شذ الحق عنهم فلا يبقى فى درك الحق مطمع ، والرجوع الى التقليد بعد مفارقته محال ، اذ من شرط المقلد أن لا يعلم انه مقلد ، فاذا عرف ذلك انكسرت زجاجة تقليده ، وهو شعب لايراب ، وشعث لايلم بالتلفيق والتاليف ، انما يكون بارجاع الزجاجة الى النار لتذوب ، فيستانف لها صيغة أخرى مستجدة .

ولما علمت ذلك ابتدرت لسلوك هذه الطرق واستقصاء ما عند هذه الفرق مبتدئا بعلم الكلام ، ومثنيا بطريق الفلسفة ، ومثلثا بتعاليم الباطنية ومربعا بطريق الصوفية .

فعلمت يقينا بالبحث الجاد : ان الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وان سيرتهم أحسن السير ، وطريقتهم أصوب الطرق ، واخلاقهم أذكى الأخلاق ، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم ، ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا اليه سبيلا ، وان جميع حركاتهم وسكناتهم فى ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض من نور يستضاء به . وبالجملة فماذا يقول القائلون فى طريقة أول شروطها طهارة القلب عما سوى الله تعالى ، ومفتاحها الجارى فيها مجرى الاحرام من الصلاة هو استغراق القلب بالكلية فى ذكر الله وآخرها الفناء بالكلية فيه .

ولا عجب ان يرى الغزالى رضى الله عنه ان المعرفة الصحيحة هى التى تاتى عن طريق القلب وطريق الهداية الالهية لأن للبصيرة القلبية اتصالا مباشرا بالحقائق الالهية والأسرار النورانية الخافية عن أعين خفافيش العلم الناقص والفلسفة الحائرة ، وتلك المعرفة الصحيحة تجعل الصلة دائمة بين الخالق والمخلوق وبصفة لا تنقطع ، وهى مؤسسة على المحبة واستمرار الصحبة وحسن الطاعة .

هذا ، ولا بدع أيضا ان يعتنق الغزالى رضى الله عنه التصوف وقد تحقق ان أهل التصوف الاسلامى الصحيح هم الفرقة الناجية ، ولا غرابة أيضا فى ان يكون الغزالى الدارس لسائر أحكام الشريعة وعلوم الكلام والفلسفة والتصوف لسانا ناطقا للصوفية وكاتبا عظيما قد سخر قلمه لنصرة التصوف الحق وتنقيته مما ادخل عليه من فكر لا يعرفها الاسلام وليست من أصوله أو فروعه فى شىء .

والغزالى رضى الله عنه يعد من كبار أئمة الدين ، وكذلك يعده الفلاسفة من رجال الفلسفة ، وقد وضعناه نحن فى أهل التصوف كما ترى ولم نعده من الفلاسفة او مجرد الفقهاء ، وكان لنا على ذلك شاهد ومؤيد من كلامه الذى مر بك فى التصوف وذلك ليس بمانع له من ان يكون اماما فى كل ما لابسه من علم ومعرفة .

التولى يوم الزحف

الفريق عبد الرحمن أمين

> عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال :
>
> « اجتنبوا السبع الموبقات ٠ قالوا وما هن يارسول الله قال : الشرك بالله ٠ والسحر ٠ وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ٠ وأكل الربا ٠ وأكل مال اليتيم ٠ والتولى يوم الزحف ٠ وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات »
>
> (رواه البخارى ومسلم)

فى هذا الحديث الصحيح من أحاديث الرسول بين لنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لونا من ألوان الجرائم وأنواعا من الاثم والمعصية هن ولا شك أمهات الكبائر ولا أدل على ذلك من أن يقرنها ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالكفر نعوذ بالله من شره ٠ ومن هذه الكبائر (التولى يوم الزحف) ٠ ولفظ التولى فى اللغة يحمل أكثر من معنى فمنه التولى بمعنى القيام والمباشرة يقال تولى زيد عمله أى تقلده وباشره ٠ ومنه التولى بمعنى الاتجاه أو الاقبال كما جاء فى قوله تعالى « فسقى لهما ثم تولى الى الظل » وكما ورد أيضا فى قوله ـ جل شأنه « فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » ومنه ما يكون عكس ما سبق أى بمعنى الاعراض والتخلف أو الادبار والفرار اذ يقول جل جلاله « ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استنزلهم الشيطان » وهذا المعنى الأخير هو ما يهدف اليه حديث الرسول من لفظ التولى ٠ والزحف ومعناه السير البطىء الا أن المراد به فى هذا الحديث هو زحف جيوش الأعداء المجهزة بأدوات الحرب والقتال حيث يقول ـ تبارك وتعالى « يأيها

الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار » ٠

على هذا البيان والتبيان من كتاب الله وعلى هذا النور من هدى رسول الله يصبح (المتولى يوم الزحف) آثما بحكم الكتاب والسنة مطرودا من رحمة الله ، ملعونا فى الدنيا ويوم القيامة مع الكفره والمشركين وآكلى السحت ومال اليتيم ، طبقا لما أخبر به رسول الله وتثبيتا لقوله من القرآن الكريم حيث يقول – جل شأنه – « **ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير** » ٠

وقد أخبر المفسرون وعلماء الحديث أن (التولى يوم الزحف) ليس مقصورا فقط على الجندى المحارب فى ساحة القتال بل هو فى الواقع يشمل الجندى المحارب والجندى غير المحارب اذ أن كلاهما متمم للآخر ولا غنى لهذا عن ذاك ٠٠ والجندى غير المحارب هو كل فرد ذى صفة ومسئولية تتعلق بالمعركة يستوى فى هذه المسئولية الكبرى القريب من ميدان المعركة والبعيد عنها ، فما كان لجيش مهما كان عدده وعدته ومهما كانت شجاعته وقوته أن ينعقد له لواء النصر الا اذا كانت من ورائه قوة ثانية من غير المحاربين وأولئك هم جنود الصف الثانى المنوط بهم خدمة هذا الجيش المحارب باطعامه وشرابه وتضميد جراحه ومده بما يحتاج اليه من مؤونة وعتاد وكافة مستلزمات القتال وعلى هذا التقدير يصبح كل فرد من أفراد القوات المسلحة وقت الحرب من الجندى الصغير الى القائد الكبير (مجاهدا فى سبيل الله) وكل من يساهم فى القيام بخدمة هذه القوات بما يعينها ويشد من أزرها (مجاهد فى سبيل الله) بل ان كل متكلم بكلمة خير يقصد بها وجه الله وخير الأمة ترفع من معنوية الجند وتلهب العزائم والهمم (مجاهد فى سبيل الله) وهؤلاء جميعا هم المجاهدون حقا وصدقا وممن اصطفاهم ربهم وفضلهم على ما عداهم بقوله : « **لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ٠ فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما** » ٠

من هذا نستخلص أن الجهاد فى سبيل الله هو غاية الفضل ونهاية العمل وان شهداء الجهاد على موعد مع الله الا يذيقهم طعم العذاب وزفرة الموت وانهم من ساعه استشهادهم احياء يرزقون » **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ٠ فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » ٠

فطوبى لعبد قتل شهيدا وبعث شهيداً وحشر شهيدا مع النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ٠

فيا قوم اياكم والتقاعس عن مركب الفضل وسبيل الجهاد واياكم والتخلف عن تلبية دعوة الحق اذا ما استغاث بكم الوطن وتحرجت الأمور وحذارى من الهرب والفكاك ساعة الكرب والشدة ويحذركم الله نفسه بأنكم بهذا الفكاك والهرب انما تعبرون جسرا الى جهنم ٠ فان الجندى حينما يفر من وجه العدو ويوليه ظهره فقد (تولى يوم الزحف) وان الرجل حينما يختفى هربا من التجنيد ساعة الحرج والشدة فقد (تولى يوم الزحف) ومن استطاع أن يعالج أو يواسى جرحى الحرب ولم يفعل فقد (تولى يوم الزحف) ومن لم يساهم فى حدود طاقته سواء بما له أو بلسانه أو بقلمه أو بصنعته أو بقوته ولم يفعل فقد (تولى عند الزحف) وأن القائد الذى فى عنقه أمانة ويتحول عن الجهاد والاستشهاد ويشذ عن الجماعة فقد (تولى يوم الزحف) وضل طريق الهدى والنور وكفر بما نزل على محمد « **ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم** ٠

الا فليعلم كل من لا يعلم أنه لا يوجد شيء فى هذه الحياة يعدل فضل الجهاد فى الله والاستشهاد فى سبيله • فهذا عبد الله بن رواحه يبعثه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى سرية وأفق غدوها يوم جمعه فيتباطأ ساعات قليله لا هربا من القتال ولكن طمعا فى أن يؤدى فريضة الجمعه خلف رسول الله فلما انتهت الصلاة سأله الرسول قائلا : ما بال عبد الله لم يغد مع أصحابه فقال احببت أن أصلى الجمعة معك يارسول الله وهأنذا لاحق بهم فقال له النبى – صلى الله عليه وسلم – (لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما أدركت فضل غدوتهم) •

وهذا سعد بن الربيع يبلى فى غزوة أحد أحسن البلاء ويصول ويجول فى ساحة المعركة حاملا على المشركين حملات قاتلة حتى اذا ما خبا صوته وهدأت جلجلته ويتفقده رسول الله ولا يجده يكلف زيد بن ثابت بالبحث عنه ويقول له ان رأيته فاقرئه منى السلام وقل له كيف تجد نفسك ، قال زيد فأتيته فاذا هو فى النزع الأخير وبه نحوا من سبعين ضربة ما بين طعنة رمح وضربة سيف وقلت له أمرنى رسول الله أنظر اليك أنت فى الأحياء أم فى الأموات قال انى فى الأموات فاقرىء رسول الله منى السلام وقل له ان سعدا يجد ريح الجنة فجزاك الله عنى وعن أمتك أحسن الأجر والجزاء ، الا وبلغ القوم بهذا وقل لهم ان سعدا ، يقول لكم لا عذر لكم بعد اليوم ان تخاذلتم عن نصرة رسول الله ولا عذر لكم بعد اليوم ان خلص الى رسول الله مكروه وفيكم عين تطرف ثم استشهد رضوان الله عليه بعد ما رأى مقعده فى الجنة ، وبعد ما ربحت مع الله تجارته وبيعته • **« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »** •

ويحدثنا التاريخ عن أم من أمهات المؤمنين الصادقين وعلم من أعلام النساء المجاهدات الصابرات وهى (الخنساء) لقد وقفت يوما تحض بنيها الاربعة على القتال والخروج مع جيش المسلمين فى حرب القادسية فقالت لهم كلمتها المشهورة التى سجلها لها التاريخ بأحرف من نور وما زالت حتى وقتنا هذا تتناقلها كتب التاريخ والأدب وألسنة الخطباء والدارسين •

أى بنى • لقد أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، فوالله الذى لا اله الا هو انكم لبنوا رجل واحد وبنو امرأة واحدة ، ما خنت اباكم ولا فضحت خالكم ولا غبرت أصلكم ونسبكم ، فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقيها ، فيمموا شطرها وخوضوا غمارها ووطيسها ، وجالدوا رئيسها ، تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والمقامة ، أى بنى اطلبوا الموت توهب لكم الحياة •

وحينما جاءها الخبر بمصرع بنيها الأربعة وما كان منهم من حسن البلاء ما صاحت ولا ولولت وما أنت وما تضررت بل قالت الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وحبانى بجهادهم واستشهادهم ، اللهم انى اسألك الرحمة والغفران وأن تجمعنى واياهم فى مستقر رحمتك وواسع جنتك يا أرحم الراحمين • فسلام على الخنساء فى قبرها وسلام عليها يوم بعثها ونشورها وسلام على أم الشهداء فى دار الخلد والبقاء •

وأخيرا فهذا عمرو بن الجموح حينما يرى أبناءه ذاهبين الى ساحة الجهاد لا يتمالك نفسه ويصر على مصاحبتهم للقتال فيحولون دون ذهابه قائلين له نحن نكفيك وان الله يعذرك لعرجتك وكبر سنك ولكنه يصيح فيهم ما لكم تمنعوننى من دخول الجنة ثم يذهب شاكيا للرسول الذى يخلى بينه وبينهم ، ثم يقول يا رسول أأذا استشهدت فى سبيل الله أدخل الجنة بعرجتى هذه ؟ فيطمئنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويقول له كلا بل تدخلها صحيحا • فيرفع يديه الى السماء ويقول اللهم أن ارجعتنى فارجعنى منصورا وان قبضتنى فاقبضنى شهيدا ثم يخرج من حضرته

الى ساحة القتال مبتغيا الشهادة لا مرائيا ولا مخادعا وحينما يسمع الرسول بنبأ استشهاده يقول والله لكأنى أرى عمرا بن الجموح يمشى بعرجته هذه سليما فى الجنة •

أجل يارسول الله فوالله ما أصدقك لقدتاجر عمرو مع الله لا بمال او عرض وانما تاجر بروحه ونفسه فكان حقا على الله أن يدخله الجنه وينزل فى حقه كتابا يقرا وقرآنا يتلى ، اقرءوا ان شئتم قول الله تعالى :

« الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون • يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم • خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم » •

أيها العرب الأحرار ••

تلك صفحة عابرة من تاريخ أمتكم وهى كما تعلمون كانت وما برحت خير أمة أخرجت للناس نقرؤها عليكم ونحن مقبلون على أيام عصيبة وساعات رهيبة ايمانا منا بأن الحق والباطل ضدان لا يتفقان • فلقد قضى الأمر وتكشف الظلم وظهر الجشع والبشع وكشر الاستعمار عن أنيابه وبانت أحقاده وأضغانه أقام عليه دولة صهيون بين ربوعكم وفوق قطعة غالية من أرضكم ودياركم كانت من قبل مهبطا للوحى والرسالة ومصدرا للنور والهداية •• وما كان العرب وهم الصفوة من الأخيار والأحرار أن يقبلوا على أنفسهم مواقف الذل والمهانة ويرتضوا وضعا فيه استعبادهم واستغلالهم وفيه هتك أعراضهم وتذبيح أبنائهم الا فاعلموا ان الصهيونية عدوة الله فى الأرض فضحها الانجيل والقرآن الكريم ولعنها محمد وعيسى وموسى - عليهم الصلاة والسلام - فاجمعوا أمركم وصفوا صفوفكم ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص •

دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الإسلام

الأستاذ حسنى عبد المجيد

يعيش عالمنا العربى اليوم فترة من أخصب وأغزر فترات حياته . ويعبر مجتمعنا المسلم مرحلة هى بحق وجدارة مرحلة حاسمة فى تكوينه وانطلاقه الثورى الى آفاق عريضة لانغالى أن قلنا ان مجتمعنا الاسلامى لم يشاهدها من قرون عديدة .

ونحن اذا أمعنا التأمل فى المجتمع الاسلامى فى عهوده الزاهرة والمقومات التى شدت البنيان صامدا فى وجه القرون والأحداث . ونحن اذا حاولنا مخلصين أن يتناول النسيج الذى تكون منه هذا المجتمع فى تلك العصور المنيرة . لوجدنا ان صلاح المجتمع وعظمته كانت فى واقعها تشع من جدية الاعداد والتربية للفرد المسلم ليكون عنصرا صالحا لبناء مجتمعنا المسلم وانه من محاسن الاعمال وجلائلها أن يتولى رسولنا العظيم بنفسه بناء المجتمع الاسلامى الأول حتى يعلمنا كيف يتكون هذا المجتمع وماهى الاسس التى يجب أن تتوافر فيه فنشأت بذلك الاسرة الاسلامية الواحدة التى خطت خطوات حاسمة حققت بها .. الامثلة التاريخية الرائدة للحرية الانسانية والوحدة .

واذا كان الرئيس عبد الناصر قد وقف فى مجلس الأمة فى فبراير ١٩٦٥ ينادى بضرورة العناية والاهتمام بخلق جيل ثورى جديد يحمل اعلام الثورة الانسانية الاشتراكية التى نبعت من واقعنا وآمالنا . فانما يتمثل الرئيس فى ذلك بما بذله الرسول العظيم من جهد فى تكوين مجتمعنا الاسلامى . وخلق القيادات العظيمة داخل المجتمع المسلم . هذه القيادات التى قامت على اكتافها الدولة الاسلامية الكبيرة ولم يفت الميثاق ان يتناول بالقيادة الحقيقية فى بابه الثامن فهى الاحساس بمطالب الشعب والتعبير عنها وايجاد الوسائل لتحقيقها وتجميع قوى الشعب وراء الجهود المحققة لها .

واليوم .. والمجتمع العربى .. يعيش عاما من اخطر اعوام النضال العربى كما اعلن

ذلك الرئيس عبد الناصر يجدر بنا ان نقف على التحديات التى تعترض طريقنا فى هذه الفترة التى نحن مقبلون عليها ومسئولياتها ان هذه التحديات بكافة أعماقها وابعادها ترسم لنا الطريق الصحيح للمسلم . بما ينبغى أن يتم من بناء وتشييد واعداد . بناء فى القوة . وتشيد لمنابع القوة والطاقة واعداد الفرد المسلم المؤمن الذى آن الأوان ان يحس من اعماقه بأنه قد أصبح عضوا فى مجتمع مسلم . له عليه التعاون والتواد وحدة العمل وروح التضحية فى مواجهة التحديات . ويمكن ايجاز هذه التحديات فى ثلاث .

أولها : بناء الصناعات الثقيلة أهم اعباء المرحلة القادمة لأن تحقيقها الى جانب اتمام بناء السد العالى يمنحنا قوة ذاتية امام أى تحد مهما كانت قوته .

ثانيا : الخطر الاستعمارى الاسرائيلى المباشر ضد الوطن العربى وضد حقوق الشعب العربى فى فلسطين

ثالثا : العمل من أجل الوحدة العربية .

والى هنا .. يدق الرئيس ناقوس الثورة ويعلن استمرارها وتدفقها . مبتدئا بمنابع القوى فى مجتمعنا المسلم وقوته الذاتية الكامنة التى أن خرجت من عقالها لكفلت الأمن والأمل لكل مسلم مؤمن . وتبدأ قوتنا الذاتية . بتكوين الفرد المسلم . وهو اليوم مخالف لتكون الفرد المسلم الذى تم فى مكة اذ ان الظروف والأحوال تختلف الآن عما كانت عليه منذ أربعة عشر قرنا . لقد نقل الاسلام . المسلم الأول من السيف الى المسالمة ومن القوة الى السلم والسلام والقانون . ومن الثأر الى القصاص . والمسلم الذى نريده الان والذى نادى الرئيس عبد الناصر بضرورة العمل على تنميته واعداده حتى نضمن جيلا قائدا رائدا يضمن للثورة تدفقها وسرعتها ـ هذا المسلم هو ليس قطعا بالعربى الذى كان يلجأ الى السيف ويخضع للقوة . ويخضع بها غيره .. انه المسلم المؤمن الواعى بماضيه وتراثه الموقن بدوره الحالى . دوره الايجابى البناء فى صنع جيل أكثر ايمانا بحقه ورسالته فى مواجهة أعدائه مهما كان عددهم وعدتهم فالدين الاسلامى الحنيف وتعاليم القرآن الكريم تنير الطريق واضحا . بحسم وقوة. فالدين يدعو للعلم . والعمل والتراحم والتكافل . وهذه الدائرة الخلقية التى أسماها مجتمعنا الاسلامى الحديث . فى الميثاق . فى الباب السابع . ان الانتاج كله للمجتمع فى خدمته ولتحقيق سعادته ولتامين الرفاهية وتوفيرها لكل فرد فيه ان المجتمع هو كل انسان يعيش على تربة الوطن وترتبط أماله مع آمال غيره من المواطنين من أجل غد عزيز لهم جميعا وللأجيال القادمة من أبنائهم وأحفادهم . ان غاية الانتاج الحقيقية هى توفير أكبر قدر ممكن من الخدمات لتكون أعلام الرفاهية التى ترفرف على المجتمع كله . وهكذا يحدد الميثاق أهداف الأنتاج وانعكاسه على المجتمع ليزداد قوة . وليصبح قادرا على مجابهة التحديات الكبرى . وقوة المجتمع هنا ليست قوة مادية فحسب وانما قوة معنوية ، تنبع من القوى الاجتماعية الجديدة التى أعادت كل شىء الى وضعه ومكانه الصحيح . هذه القوى الاجتماعية هى الحقوق الاجتماعية والتى انطلقت لتعرف مستقرها ، لاول مرة فى صورة تأييد الحياة للمواطن المسلم ونشر الطمأنينة والكفالة فى الرعاية الصحية والعلم والعمل وتأمينات الشيخوخة والعجز .

والحقوق الاجتماعية والحرية الاجتماعية فى واقعها وكما أوردها الميثاق الوطنى وسيلة ومنهج عمل خلاق لاعادة تكوين المواطن المسلم على أسس وقواعد جديدة يشعر من خلالها بحقوق جديدة كانت غائبة عنه . كفلها له المجتمع الاشتراكى ليعيد له حقا كان مغتصبا . ويعيد تشكيل نفسيته . ويمنحها الأمن والأمان ومن خلال هذه الحقوق الاجتماعية أيضا . تتولد لدى المواطن المسلم الشعور الصحيح الصادق بالواجب والالتزام نحو هذا المجتمع الجديد الخلاق واهدافه

ومبادئه . فلا تلبث الأسرة الاسلامية ان تسترد مكانتها فى مواجهة التحديات التى ذكرها الرئيس جمال عبد الناصر وأولها تنمية القوة الذاتية لمجتمعنا ببناء الصناعات الثقيلة ولست أجد آية تحمل روح القوة والعزم فى مواجهة التحديات مثل (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم . وماتنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف اليكم وانتم لاتظلمون ـ الأنفال . ويقول تعالى فى سورة الحديد (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز) وهكذا يدعونا القرآن الكريم أن نفجر قوانا الذاتية فى كافة أبعاد حياتنا الاقتصادية . وتقويمها التقويم الصحيح .. معدين كل ما أسطعنا من قوة أقتصادية واجتماعية وسياسية حتى تصبح الصناعة أساسا من أسس مجتمعنا الجديد وهى بذلك وسيلة من وسائل الانتاج الذى يدعم طاقاتنا الانتاجية . هذه الطاقات الموجهة توجيها دقيقا والتى أصبحت ملكا للشعب العربى المسلم . أنشأت فى الواقع علاقات اجتماعية جديدة قامت على قواعد اخلاقية فى المعاملات فأصبح كل فرد مناعضوا فى مجتمع مسئول عنه وعن أولاده ..وقوانا الاقتصادية التى أمرنا الله تبارك وتعالى ان نحسن أطلاقها وتجميعها هى التى جعلت مجالات العمل الصناعى فى مجتمعنا ليس له حدود . وأصبح قادرا على انتاج كل مايحتاجه الشعب فى حاضره مقدرا لما يطلبه فى مستقبله . وبهذه القوى الصناعية . وبالسد العالى . وبالصناعات الثقيلة وبأنتاجنا من الحديد والصلب . وبثرواتنا البترولية الجديدة والمعدنية . بكل هذا سيقف المواطن المسلم المؤمن قويا ثابتا . أمام تحديات الاستعمار واسرائيل . ويقول تعالى فى سورة آل عمران (ولا تهنوا وتحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين . ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين) صدق الله العظيم

ويوضح الرئيس جمال عبد الناصر لنا التحدى الثانى وهو التحدى الاسرائيلى الاستعمارى والتحالف الرجعى معه والواقع ان مجتمعنا المسلم قد منى بكثير من الاعداء الذين تسلطوا عليه وهاجموه وفتكوا بالكثير من المسلمين ولكن العدو الارذل الذى سرق أرضنا العربية ومازال يهدد كياننا ويحاول سرقة مياهنا العربية . هو اليهود ووراءهم الاستعمار الصليبى الحاقد . ولعله يجدر بنا ان نسأل أنفسنا . هل هذا العدوان السافر يجرى بأسم الدين أو بأسم السياسة ؟ .. وكان البعض ومازال يعتقد بأن هذا العداء يجرى بأسم السياسة وان التكتلات العالمية والمواقع الاستراتيجية الهامة والمحافظة على الاسواق التجارية هى التى دعت الى ماعاناه الشرق من الغرب ولكن هذه النظرية لاتقوى على الوقوف امام البحث العلمى التاريخى ولم يعتنقها الامن عرفوا بسلامة النية .. وفى كل يوم تقوى الادلة ويزداد وضوحا ان العداء هو أولا دينى لاسياسى ثم هو ثانيا عداء الغرب للشرق . فالروح الصليبية كامنة فى صدورهم وهى أبدا تنظر الى الاسلام نظرة العداء والحقد والتعصب الممقوت

وهكذا يزيح الرئيس عبد الناصر الستار عن التحدى الخطير الثانى الا وهو الاستعمار واسرائيل . تلك القوى المتربصة للامن العربى والأمل العربى . يقول تعالى فى سورة التوبة (يأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل) صدق الله العظيم **ويقول تعالى فى سورة النساء (الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل . والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) مشيرا بذلك الى بنى اسرائيل واخلاقهم.**

ولكن مجتمعنا المسلم . الذى عرف كيف يشق طريقه بالايمان بالله وبتعاليمه . وسنة

رسوله والذى بدأ يوقن بأن العمل هواساس الايمان وان الانتاج والرفاهية هى اعـلام انسانية تظلل المسلم وايمانه ٠ وان حقيقة الايمان تنطوى على المعرفة والعلم ٠ وعلى القيام بكل الواجبات والالتزامات ٠٠ هذا المجتمع الذى ضرب للعالم العربى منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو المثل الكامل فى الصلابة والبناء والتعمير وكشف عن أرادة المسلم الصحيحة فى التحدى لكافة الأعباء الى حد الحرب الشاملة مدافعا عن الحق والحرية والانسانية ٠

ومجتمعنا فى كفاحه وعلى طول الطريـق الطويل ملك لأول مرة خطة واضحة المعالـم ذات مناهج وبرامج ومراحل ٠ وضحت أمامنا كل الوان التحديات المتربصة بنا ٠ سـواء جاءت هذه التحديات من الاستعمار أو اسرائيل أو الرجعية فالمواطـن المسلم اليوم - وبفضل وعيده الذى انبثق من ايمـانه بقيادته الثورية وايمـانه بوجوده - بدأ لأول مرة يحس بأن دورا ينتظره فى معركة المصير ٠ معركة نصرة الانسان العربى المسلم ٠ والمواطن المسلم اليوم من خلال المرآة الجديدة التى عكست عليه صورة مجتمعنا الحـالى بكل ابعاده وتقدميته ٠ وجدته ٠٠ وحزمه والتى مـلأت كل نفس بالأمل ٠ والقوة ٠ والحق ٠ هـذا المواطن ٠٠ بدت له الصورة الصحيحـــة للمؤامرات التى يدبرها الكارهون الحاقدون على وجودنا الحى الخلاق ٠٠ كما بدت له كل ابعاد جذور نضاله ونضال اجداده فى سبيل رفعة الاسلام والســلام وحرية الانسان ٠ الا ان هذه المحاولات النضالية لم يكن يخبتها سوى العدو التقليدى ٠٠ عـدو الاسلام وعدو الأمة العربية وعدو نموهـا وعدو قوتها الذاتية ٠ الا وهو الاستعمار - الذى وصل به حد التحدى لكل الامة العربية ان قطعة من الأرض العربية فى فلسطين قد اعطيت من غير سند من الطبيعة او التاريخ لحركة عنصرية عدوانية أرادها المستعمـر لتكون سوطا فى يده يلهب به ظهر النضال العربى اذا استطاع يوما ان يتخلص من المهانة وأن يخرج من الأزمة الطاحنة (الميثاق الباب ٤)

وهكذا فاقت أمة العرب ، وعرفت دورها وفتحت لها بصيرتها كل آفاق المستقبل ٠ مستقبل المجتمع المسلم ٠

هذا المجتمع المسلم ٠ عرف طريقه الصحيح بعد ان اكتشف نفسه وبعد ان امتلات نفسه بأيات الله البينات (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ٠٠) ويأتى التحدى الثالث فى خطاب الرئيس فى ضرورة العمل من أجل الوحدة العربية والواقع ان وحدتنا الوطنية فى الجمهورية العربيـــة المتحدة وتعاونها وتآزرها ووحدة صفهـــا فى مواجهة التحديات طوال مرحلة التحول العظيم كانت مثلا رائعا للمسلمين كافة فى المجتمع العربى ٠ والعدان علينا عام ١٩٥٦ ليس ببعيد عندما خرجت الأمة كلها لتقف امام الطاغوت الثلاثى ٠ حتى كسرت شوكته واعادت للعروبة وجهها الصحيح وللاسلام سطوته وعزته ٠ وهكذا تصبح الوحـدة العربية والعمل من أجلها هدفا اسمى ٠واذا قام المصلحون اليوم يطلبون الى المسلمين ان يهبوا من رقدتهم ليعيدوا للاسلام عـزته وللمسلمين كرامتهم فلن يكون ذلك الا بوحدتهم واصطفاف آمالهم فى وحدة عمل ٠ وفى وحدة منهج ٠ وراء وحدة المصير العربى ٠٠ ومن هنا يتضح الطريق أمامنا ومن هنا تأتى حتمية وحدة العمل العربى وان نكون عـلى درجة كبيرة من اليقظة ٠٠ وان ننمى قواتنا الذاتية وان ندعم قواتنا العسكرية وان نؤكد التضامن العربى وان نقوى العمل العربى الموحد فى مواجهة هذه التحديات متعاونين على البـر والتقوى ٠ متعاونين متآزرين حيث يصدق كلام الله تبارك وتعالى علينا (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ٠٠٠٠) صدق الله العظيم ٠

والعمل العربى - كما ينص الميثاق فى بابه التاسع - يحتاج فى هذه المرحلة الى كل خبرة الأمة العربية مع تاريخنا الطويل المجيد

الاسلام والجهاد

الأستاذ صلاح الدين محمد عطية

الاسلام دين السلام يدعو للخير والمعروف لقوله تعالى : ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهـون عن المنكر » . ولقـد أمرنا الله بالدعوة بالحسنى والاقناع لقوله تعالى : ادع الى سبيل ربك بالحكمـة والموعظة الحسنةوجادلهم بالتى أحسن»ليكون الاسلام عزيزالجانب مهابا أمرنا اللهما نستطيع بالتسلح والتدريب الجدلقوله تعالى : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيـل ترهبون به عدو الله وعدوكم » . وقال صلى الله عليه وسـلم : « علمـوا أولادكم الرمى والسباحة وركوب الخيـل » وقال صلى الله عليه وسـلم ، المؤمن القوى خيـر من المؤمن الضعيف .

ولقد اذن الله للمسلمين بالقتال فى سبيل الله واعلاء كلمة الحق والذود عن الديار بقوله تعالى : أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنـا الله ولولا دفـع الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيـع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » وقال الله تعالى : « ولولا دفع الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضـل على العالمين » .

وأمرنا الله بقتال المشركين ومن يقاتلونا لقوله : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » . وقوله تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » .

ولقد بشرنا الله بحسن المآب لقوله تعالى: « يأيها الذين آمنـوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنـون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهـار ، ومساكن طيبة فى جنـات عدن ذلك الفوز العظيم » .

وقـال تعـالى : « ان الله اشـترى من المؤمنين أنفسـهم وأموالهم بأن لهم الجنـة يقاتلون فى سبيل الله فيتقلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيـل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الـذى بايعتم به .. الى قوله : وبشر المؤمنين .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجـل قال : « دلنى على عمل يعدل الجهاد ، قال لا أجده . قال هل تستطيع اذا خرج المجاهد أن تدخـل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر قال ومن يستطيع ذلك قال ابو هريرة ان فـرس المجاهد ليستن فى طوله فيكتب له حسنات .

وعن أبى هريرة قال سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مثل المجاهد فى سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله

كمثل الصائم القائم وتوكل الله للمجاهد فى سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة .

وعن أبى هريرة أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أفلا نبشر الناس قال: ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة أراه فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((والذى نفسى بيده لا يكلم أحد فى سبيل الله والله أعلم بمن يكلم فى سبيله الا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك .

ولقد أوصانا الله ان نكون أشداء على الكفار رحماء بيننا كما وصف سبحانه وتعالى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ومن معه فى الآية ((محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود)) .

كما أمرنا الله أن نعود للسلم اذا ما ألقى العدو السلاح وجنح للسلم لقوله تعالى : ((فاذا اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا)) . وقال تعالى : ((وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله)) .

كما أوصانا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بتقوى الله وان نكون رحماء فى قتالنا لقوله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بتقوى الله ومن معكم من المسلمين خيرا اغزوا باسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله لاتغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا كبيرا ولا منعزلا بصومعته ولا تحرقوا نخلا ولا تقطعوا شجرة ولا تهدموا بناء)) .

والمؤمنون يعتقدون أن الله يحيى ويميت وهو المؤثر وحده لقوله تعالى : ((أينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة)) أليس فى ذلك ضمان وترغيب لهم وتهديد ووعيد للكافرين وتالله أيها المسلمون لئن قتلتم فى سبيل الله أو متم فهناك مغفرة الله ورضوانه . أليس خالد بن الوليد لله دره مثلا من أمثلة المؤمنين فى قوله فى مرض الموت : ما فى شبر الا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح وهأنذا أموت على الفراش كالبعير فلا نامت أعين الجبناء .

وقول الشاعر :

واذا لم يكن من الموت بد

فمن العجز أن تموت جبانا

فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا)) .

ولقد نصحنا الله فى القتال بالوحدة فى طاعة الله والصبر فى القتال لنفلح لقوله تعالى : يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط)) .

ولقد حذرنا الله من ترك الجهاد لقوله تعالى : ((يأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتهم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم)) .

فيا أيها الذين اتصفتم بالايمان واهتديتم بالقرآن الكريم هل بعد هذا تتثاقلون ولا تنفرون أفلا تجهزون لقتال مع المعتدين من شراذمة الصهيونيين الذين نهبوا ديار العروبة فى فلسطين وشردوا أهليها الم نسمع قول الله تعالى فى المتخلفين)) .

فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى

البقية ص ١١٢

من جهود علماء المسلمين في خدمة النص القرآني

أبوزكريا الفراء ومؤلفه معاني القرآن

الدكتور مصطفى الصاوي الجويني

منذ تلقف المسلمون كتابهم الاقدس وهو يحظى من كل عالم فى فن بخدمة الدرس والبحث وشارك بجهد طيب مشكور فى ايضاح معانى القرآن والتنقيب عن جمال أساليبه وأسرار تراكيبه جماعة اللغويين المسلمين نعرض اليوم بالبحث لعلم منهم هو أبوزكريا الفراء أمير المؤمنين فى النحو كما يحلو لثعلب أن يلقبه .

لانعرف من أمر نشأته وأسرته الا أن أباه زيادا هو الاقطع قطعت يده فى الحرب مع الحسين بن على وكان مولى لأبى ثروان وأبو ثروان مولى بنى عبس فهو اذن ابن أحد الموالى . ويذكر ابن النديم أن الفراء كان مولى لبنى منقر وان مولده بالكوفة . على كل حال هذه النشأة فى الولاء كانت عاملا من عوامل تفوقه العلمى ، فطبيعى أن الموالى فى مجتمع عربى يشعرون بسقوط المنزلة ولعله مما يعوضهم عنها أن يبرزوا فى مجال من المجالات وهكذا نجد هذا العامل يلعب دورا رئيسيا فى حياة معظم الموالى فيدفعهم الى العمل فالامل فى ادراك اسمى المراتب فى الدولة العربية ومما نعرفه من أمر أسرته أيضا أنه منها الخبيث ومنها الطيب ، فكان له ابن شاطر صاحب سكاكين ، ثم أن محمد بن الحسن الفقيه الشيبانى كان ابن خالة الفراء .

ذلك مبلغ علمنا عن أسرته أما أساتذته فحدثت كتب التراجم أنه حدث عن قيس بن الربيع ومندل بن على وعلى بن حمزة الكسائى وأبو بكر بن عياش وسفيان بن عيينة وأنه ثقف عنهم علوم العربية والحديث والفقه . وفى اللغة والنحو أخذ أيضا عن يونس بن حبيب البصرى فاستكثر منه والبصريون ينكرون ذلك . وأن ما ثقفه فى القراءة خاصة انما كان عن طريق ابى بكر ابن عياش وعلى بن حمزة الكسائى ومحمد بن حفص الحنفى . ولقد كان الفراء يشتهى أن تتم له الثقافة الكلامية ، فالجاحظ يقول : دخلت بغداد فى سنة أربع ومائتين حين قدم اليها المأمون وكان الفراء يحبنى ويشتهى أن يتعلم شيئا من علم الكلام فلم يكن له فيه طبع . ومع أن الفراء لم يدرك من هذه الثقافة الكلامية ما أمل الا أنه كان يميل الى الاعتزال ويتفلسف فى تصانيفه ويسلك ألفاظ الفلاسفة . ولعل تلقيبه بالفراء لانه كان يفرى الكلام ، هذا ماقاله أبو الفضل الفلكى فى كتابه الالقاب .

ويستوى للفراء من عناصر الثقافة مايصفه به ثمامة ابن الأشرس حين يقول : رأيت له أبهة أدب فجلست اليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحرا وعن النحو فشاهدته نسيج وحده وعن الفقه فوجدته فقيها عارفا باختلاف القوم وفى النجوم ماهرا وبالطب خبيرا وبأيام العرب واشعارها حاذقا . واذن يرسم لحياته طريق الاتصال بالسلطان الحاكم فهذا أكفل لحياته فى عصر كان الاتصال بالحاكم فيه مرقاة الرفعة والغنى ، وهكذا نجده يتصل بالخليفة الرشيد ولعل اتصاله به كان بعون أستاذه الكسائى .

فيحكى قطرب أن الفراء دخل على الرشيد فتكلم بكلام فلحن فيه مرات فقال جعفر بن يحيى انه لحن يا أمير المؤمنين فقال الرشيد للفراء : أتلحن ؟ فقال الفراء : ياأمير المؤمنين ان طباع أهل البدو الاعراب وطباع أهل الحضر اللحن فاذا تحفظت لم ألحن واذا رجعت الى الطباع لحنته . فاستحسن الرشيد قوله .

وظننا فى هذا الخبر بما يتضمنه من تعثر الفراء حتى لحن ، أن هذا كان أول اتصال له بالخلفاء الحكام وان تلطف فعلل تلحنه وأحسن التعليل . ثم بعد اذ اتصل بالخليفة العباسى الرشيد وجنى ثمار هذا الاتصال غنى وجاها حرص على أن يبقى على صلته هذه بالحكام فنراه يتردد على باب المامون ويلتقى به ثمامة بن الاشرس الذى يعرف المامون مبلغ علمه فيامر باحضاره لوقته .

وقد بلغ الفراء منزلة من المامون نستقيها من خبر يرويه أبو بريدة الوضاحى مفاده أن أمير المؤمنين المامون عهد الى الفراء أن يؤلف ما يجمع به اصول النحو وما سمع من العرب فامر أن تفرد له حجرة من حجر الدار ، ووكل بها جوارى وخدما للقيام بما يحتاج اليه حتى لايتعلق قلبه ولا تتشوف نفسه الى شىء ، حتى انهم كانوا يؤذنونه باوقات الصلاة ، وصير له الوراقين وألزمه الامناء والمنفقين فكان الوراقون يكتبون حتى صنف كتاب الحدود وأمر المامون بكتبه فى الخزائن . ويظهر أن تاليفه لكتاب الحدود على الصورة التى يحكيها الخبر السابق انما جاء بعد مراحل من املاءات ومحاضرات فى موضوع الكتاب ، اذ يروى ابن النديم خبرا يحكيه ابو العباس ثعلب ان السبب فى املاء الفراء الحدود هو أن جماعة من أصحاب الكسائى صاروا اليه وسألوه أن يملى عليهم أبيات النحو ففعل ، فلما كان المجلس الثالث قال بعضهم لبعض ان دام هذا على هذا علم النحو الصبيان والوجه أن يقعد عنه فغضب وقال سالونى القعود – يعنى للمحاضرة والاملاء – فلما قعدت تاخروا ، والله لاملين النحو ما اجتمع اثنان فاملى ذلك ست عشرة سنة . ونجد مباحث هذا الكتاب فى الفهرست لابن النديم .

ووثق المامون به وبعلمه فاتخذه معلما لاولاده . واتصل الفراء أيضا فى عهد المامون بعبد الله بن طاهر والف له كتاب البهى وموضوعه ما تلحن فيه العامة .

وهكذا نجده يوسع اتصالاته برجال الدولة وكبرائها ويؤلف لهم كتبه العلمية التى نجد قائمة بها فى المصادر التى عرضت لترجمة الرجل . غير ان ما يهمنا هنا هو ما ألفه فى الدراسات القرآنية فنجدهم يذكرون له :

١ – كتاب المصادر فى القرآن .

٢ – كتاب الجمع والتثنية فى القرآن .

٣ – كتاب الوقف والابتداء .

٤ – كتاب اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام فى المصاحف .

٥ – كتاب معانى القرآن – موضوع بحثنا .

ويذكر ابو العباس ثعلب السبب فى تاليف هذا الكتاب فيقول : كان السبب فى املاء كتاب الفراء فى المعانى ان عمر بن بكير كان من أصحابه وكان منقطعا الى الحسن بن سهل فكتب الى الفراء أن الامير الحسن بن سهل ربما سالنى عن الشىء بعد الشىء من القرآن فلا يحضرنى فيه جواب فان رأيت أن تجمع لى أصولا او تجعل فى ذلك كتابا أرجع اليه فعلت . فقال الفراء لاصحابه اجتمعوا حتى أمل عليكم كتابا فى القرآن وجعل لهم يوما فلما حضروا خرج اليهم وكان فى المسجد رجل يؤذن ويقرأ بالناس فى الصلاة فالتفت اليه الفراء فقال له : اقرا بفاتحة الكتاب نفسرها ثم نوفى الكتاب كله فقرأ الرجل ويفسر الفراء فقال ابو العباس لم يعمل احد قبله مثله ولا احسب أن أحدا يزيد عليه .

وكان وراقاه فى املاء كتاب المعانى سلمة بن عاصم وأبا نصر بن الجهم . ويذكر ياقوت عن أبى بريدة الوضاحى قوله : أردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لاملاء كتاب المعانى فلم نضبط عددهم ، ولما فرغ من املائه خزنه الوراقون عن الناس ليتكسبوا به وقالوا .لاتخرجه لاحد الا لمن اراد أن ننسخه له على أن يكون عن كل خمسة أوراق درهم فشكا الناس الى الفراء فدعا الوراقين وكلمهم فى ذلك وقال : قاربوا الناس تنفعوا وتنتفعوا فابوا عليه فقال : ساريكم ، وقال للناس : انى أريد أن أملى كتاب معان أتم شرحا وأبسط قولا من الذى أمليت قبلا ، وجلس يملى فاملى فى الحمد مائة ورقة ، فجاء الوراقون اليه وقالوا : نحن نبلغ الناس ما يحبون فنسخوا كل عشرة أوراق بدرهم .

وهذا الموقف من الفراء تجاه محبى علمه يجرنا الى الحديث عن خلقه العلمى وسلوكه الادبى وهو اذا كان قد وقف موقفا حازما من الوراقين نجده يقف الموقف عينه من علماء النحو الذين يريدون أن يضنوا به على الناس ، فقد مر بنا ما حكاه أبو العباس ثعلب من انصراف كثير من التلاميذ عن الفراء لانه يسر النحو وسهله لكل شاد فلما رأى ذلك منهم أصر على الاملاء حتى وان حضر اثنان من التلاميذ واستمر فى املاءاته النحوية ست عشرة سنة . فهو لايرى العلم وقفا على جماعة من المسلمين دون أخرى وانما زكاة العلم نشره واذاعته . ثم انه من ناحية أخرى تصور لنا تلك الاخبار مدى ماوصل اليه علم الفراء من الانتشار حتى أن الناس يتهافتون على مؤلفاته والوراقون يستغلون هذا استغلالا ماديا .

ثم المترجمون لحياته يحكون انه كان أكثر مقامه ببغداد وكان يدخر مما يكسبه فاذا كان آخر السنة خرج الى الكوفة وأقام بها أربعين يوما فى أهله يفرق فيهم ماجمعه ويبرهم . وهو الى بره هذا كان متدينا ورعا .

لكن وان زانت الفراء خلال وخصال فهو انسان لابد فيه من سمات نقصان فيحكى أنه كان على تيه وعجب وتعظم وكان زائد العصبية على سيبويه وكتابه تحت رأسه يعتمد عليه فيه .

ولم يؤثر عن الفراء من الشعر غير ابيات ثلاثة لعله قالها بعد اذ اتصل بالحكام وخبر الحياة وناسها فاودعها رايا هو ثمرة تجاريبه ، وقال :

لن ترانى تلك العيون بباب
ليس مثلى يطيق ذل الحجاب

يا أميرا على جريب (١) من الار
ض له تسعة من الحجاب

جالسا فى الخراب يحجب فيه
ما رأينا اماره فى خراب

وتحين ساعة الفراء فيموت بطريق مكة سنة سبع ومائتين عن سبع وستين سنة . ويحكى تلميذه سلمة بن عاصم يقول : دخلت عليه فى مرضه وقد زال عقله وهو يقول : ان نصبا فنصبا وان رفعا فرفعا . وهكذا يلهج العالم بما شغل به طول حياته من علم النحو واللغة اراد بهما ان يخدم النص القرآنى ووقف على ذلك الفرض حياته كلها ، وموعدنا مع القارىء الكريم فى مقال تال نعرض فيه بالدرس والتحليل لكتاب (معانى القرآن) للفراء .

(١) الجريب : الناحية

حديث السيف

قال الرسول

ستفتحون مصر

الأستاذ محمد فرج

قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه « ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما » .

وما من مسلم عاش فى حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو بعد وفاته الا وهو يعلم أن مصر مفتوحة للمسلمين عن يقين .

وبينما كانت أسلحة المسلمين تنساح فى بلاد فارس بامرة الأحنف بن قيس ونعيم بن مقرن وسويد أخيه وعبد الله بن عبد الله بن عتبان وغيرهم من أمراء الجند ذوى المكانة والبأس كان عمرو بن العاص يتقدم بجنده فى مصر يفتح مدنها ويجلى الروم عنها ويديل دولتهم فيها .

وكانت مسيرة عمرو الى مصر باذن من الخليفة عمر بن الخطاب .

فبعد أن صالح أمير المؤمنين أهل بيت المقدس فى السنة السادسة عشرة من الهجرة جاءه عمرو يحدثه حديثا شيقا عن مصر .. وقال مؤيدا فكرة غزوها ان ارطبون الروم قد انسحب بقواته من فلسطين الى مصر وانه لا بد من تتبعه والقضاء عليه قبل أن يستفحل أمره وخوفا من أن يكون شوكة فى جنب الدولة الاسلامية فى فلسطين والشام وخاصة اذا توافرت له فرصة التحصن فى بلاد وافرة الخصب ، عظيمة الثروة ، فيستطيع أن يجد فى حصونها المنيعة وميرتها الوفيرة من أسباب الدفاع وأسباب المقاومة وأن يجد فيها جندا تحارب تحت امرته يهدد بهم قوات المسلمين .

كما أوضح عمر ان مصر حين تكون فى يد العرب فهى قوة تحمى جنب المسلمين فى الشام وتؤكد سلامة الدولة .. وصور عمرو للخليفة سوء العلاقة بين المصريين وحكامهم من الروم وأغرى عمرو الخليفة بثراء مصر وبخيراتها الوفيرة مما يضاعف حظ المسلمين من نعيم الدنيا بقدر ما يضاعف الاستشهاد فى الجهاد حظهم من نعيم الآخرة .

وأطال عمر التفكير فى حديث عمرو عن مصر ، ولكنه كان مترددا فى تنفيذ الفكرة تحت تأثير عوامل كثيرة متعددة :

١ ـ كانت سياسته فى الفتح سياسة عربية فلم يكن يريد أن يتعدى العراق والشام وكان يرى أن ملك العرب يجب أن يكون من خليج عدن والمحيط الهندى الى أقصى الشمال

٢ ـ لم تكن الشام وقت حديث عمرو قد خضعت كلها لسلطان المسلمين ، فقد ظل شمالها يناوىء المسلمين ثم ان قيسارية ظلت تقاوم المسلمين وتهدد مراكزهم بفلسطين حتى قضى عليها معاوية بن أبى سفيان ٠

٣ ـ انتشرت فى شبه الجزيرة مجاعة هددت أهلها بالفناء فشغل عمر بها ولم يكن من المستطاع فتح جبهة جديدة والناس جياع لا يصلحون مددا ٠

٤ ـ بعد أن انتهت المجاعة فى شبه الجزيرة فشا الطاعون عمواس بفلسطين ثم امتد منها الى الشام والبصرة وبات المسلمون فى خشية انتفاضة يقوم بها أهل الشام والعراق ٠

وكان عمرو يرقب الأحداث فى شوق كبير ليحقق نصره العظيم فى مصر وجاءته الفرصة فقد سيطرت قوات المسلمين على الشام وانتهت المجاعة فى شبه الجزيرة وبرأت فلسطين والشام من الوباء ٠

وقدر عمرو موقفه فكان ينحصر فى :

١ ـ لو أن المسلمين قنعوا بالاستقرار فى البلاد لصور ذلك من جانب أعدائهم بالضعف ولأغراهم ذلك على مهاجمتهم ٠

٢ ـ الارطبون فى مصر يجمع الجموع ويعد العدة فاذا لم يهاجم من مصر فانه سيخرج بقواته الى فلسطين لاستعادتها ٠

٣ ـ الهجوم خير وسائل الدفاع وخير للمسلمين أن يهاجموا مصر فيفاجئوا الارطبون فى مأمنه ٠

٤ ـ اذا تقدمت قوات المسلمين لغزو مصر فان الروم يدركون ان المسلمين ما زالوا ذوى بأس فتأمن بذلك الشام رجعتهم لغزوها ٠

٥ ـ ان وجود مصر تحت الحكم الاسلامى يضمن سلامة المسلمين فى بلاد الشام والعراق ٠

٦ ـ الأذهان والنفوس فى مصر ثائرة غاضبة على الروم راغبة فى الحكم الاسلامى الذى سمعت عن عدله وانصافه ومساواته ومبادئه الانسانية الخالدة ٠

٧ ـ مصر بلاد غنية وفى غزوها مكسب للعرب وللاسلام

وأخيرا اقتنع عمر بفكرة عمرو ولكنه لم يأذن بالغزو وانما عاد الى المدينة يفكر جديا فى الموضوع ٠٠ وانتهى تفكيره الى الموافقة على الغزو فان فى فتحها خيرا للمسلمين ٠٠ كان خصبها ووفرة انتاجها مضرب المثل فى الامبراطورية الرومانية ثم ان بها غير الغلال أرزاق لا تحصى ثروتها من الأحجار والمعادن كثيرة وهى أكبر سوق وبها ثغور مزدحمة بالحركة وبها تجارة واسعة من القمح والكتان والورق فوق ما كانت تحمله اليها السفن من بلاد النوبة والهند والصين من الذهب والعاج وأنواع البهار والحرير والفضة ٠

ومما لا شك فيه انه كانت هناك علاقات كثيرة تربط العرب بمصر منها مثلا :

١ ـ علاقات تجارية فمصر منذ عهد الفراعنة دولة بحرية وكانت أساطيلها الحربية والتجارية تشق عباب البحرين الأحمر والابيض وكانت بعض هذه السفن تذهب الى الجنوب من بلاد العرب تحمل اليه التجارة وتجىء منه بمختلف السلع وفى مقدمتها العطور والروائح، كما كان هناك طريق فى شبه جزيرة سيناء عبده المصريون القدماء الى مناجم النحاس الواقعة بها وكان هذا الطريق يجرى فى شمال

الحجاز حتى يتصل عند تيماء بالطريق المؤدى الى بابل وكان يتصل بطريق القوافل المنحدر الى مكة والمدينة وعلى هذا الطريق كان جانب من تجارة مصر وبلاد البحر الابيض ينتقل الى اليمن وفارس والهند وبلاد الشرق الأقصى ، كما كان جانب كبير من تجارة هذه البلاد تنقل على هذا الطريق الى مصر وبلاد البحر الابيض ، وكان المصريون الذين يصحبون تجارتهم يجتازون بلاد العرب ويختلطون بأهلها كما كان العرب الذين ينقلون تجارة الشرق الى مصر يدخلونها بقوافلهم ويختلطون بأهلها ، وقد أدى ذلك الى استقرار عدد غير قليل من العرب ببوادى مصر منذ عهد الفراعنة والى استقرار جالية من المصريين عند واحة على الطريق وكانت هذه الواحة النواة التى نشأت حولها يثرب .. هذا فوق ان العرب كانوا يقومون برحلتى الشتاء والصيف وكانت رحلة الصيف الى الشام وكان منهم من يتحول عن طريق القوافل عند آيلة الى مصر .

٢ ـ علاقات سياسية ، فان ملوك مصر الرعاة « الهكسوس » من أصل عربى نزحوا الى فلسطين واستقروا بها ثم ساروا منها الى مصر فغزوها وأقاموا بها ملكا دام خمسة قرون متعاقبة .. ثم ان العرب كانوا يتابعون ما يجرى بين فارس والروم حتى انهم انقسموا أحزابا تؤيد بعضها فارس ويميل البعض الآخر الى الروم فاما انتصر الفرس على الروم فى القرن السابع وفتحوا مصر والشام كان الرسول قد بعث وكان خصومه يميلون الى الفرس ويذكرون أن الروم هزموا لأنهم أهل كتاب كالمسلمين وتشيع المسلمون للروم ونزل قوله تعالى : « غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين » .

ولا يفوتنا أن نذكر أن المقوقس حاكم مصر تلقى دعوة الرسول للاسلام بروح طيبة وكان صاحب أجمل رد واكثر الملوك ودا ومجاملة حتى ان الرسول تزوج من ماريا القبطية هدية المقوقس وقال « استوصوا بالقبط خيرا فان لهم ذمة ورحما » .

٣ ـ علاقات دينية فاسماعيل بن ابراهيم ـ عليهما السلام ـ من العرب وهاجر أم اسماعيل مصرية ، فقد ارتحل ابراهيم مع زوجه سارة من العراق الى فلسطين ثم الى مصر فأهدى اليه ملكها هاجر فتزوجها وولدت له اسماعيل وغضبت سارة حين رأته يسوى بين هاجر وبينها فاقسمت ألا تساكنها .. فصحب ابراهيم هاجر وابنها الى بلاد العرب وأنزلهما بالوادى الذى تقوم به مكة اليوم وتزوج اسماعيل فتاة من جرهم ولدت له اثنى عشر ولدا هم آباء العرب المستعربة وهؤلاء ينتمون من ناحية خؤولتهم من جرهم الى العرب أبناء يعرب بن قحطان وينتمى أبوهم اسماعيل من ناحية خؤولته الى مصر .

وما ان استقر رأى عمر على الغزو حتى جمع أصحابه وأولى الأمر فى المدينة وعرض عليهم الفكرة وشرح لهم تفاصيلها ثم طلب رأيهم فانقسم الرأى .. وافق بعضهم على الغزو وعارض البعض وفى مقدمتهم عثمان بن عفان الذى قال : « يا أمير المؤمنين ان عمرا لمجرأ وفيه اقدام وحب للامارة فأخشى أن يخرج من غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لا يدرى تكون أم لا » .

ولم يأخذ عمر بوجهة نظر عثمان وكتب الى عمرو « اندب الناس الى السير معك الى مصر فمن خف معك فسر به » . وحمل شريك بن عبده الكتاب الى عمرو .

وعلى رأس أربعة آلاف مقاتل عربى تقدم عمرو الى مصر فاجتاز حدودها ثم خاض غمار معارك طويلة أبدى فيها وجنده من البسالة ما سجل فى تاريخ الحروب بالفخر واستطاع أن يحقق حلمه الكبير فطرد الروم من مصر ورفع فى سمائها لواء الاسلام يعلن صدق ما قاله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ستفتحون مصر ..

توحيد أعياد المسلمين

الأستاذ
محمد عبد الحافظ صوفي

١ ـ نشر « المنبر » الأغر فى عدد شهر صفر سنة ١٣٨٤ مقالا قيما تحت هذا العنوان لفضيلة الشيخ الجليل مبشر الطرازى الحسينى ، ومقالا آخر فى عدد شعبان سنة ١٣٨٤ لفضيلة الأستاذ الجليل عبد الحميد السائح ، أدليا فيهما بفيض من القواعد الشرعية بأدلتها ومراجعتها المتعلقة بتوقيت المواسم الاسلامية وبخاصة ببدء ونهاية صوم شهر رمضان المعظم .

والمفاد من البحثين القيمين أن عدم توافق تواريخ المواسم الشرعية فى جميع الأقطار الاسلامية مسألة لم تكن غريبة على المسلمين من عهد النبوة ، منبع النور ، ومصدر التشريع الى الآن . ولم يكن بد طوال التاريخ السابق على عصرنا الحالى ، عصر سرعة النقل بالبخار والطائرات ، وسرعة الاعلام البرقى وغير البرقى من التطبيق الحرفى لقوله تعالى :

« **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** » .. أن من رأى الهلال أو سمع عن رؤيته من المعهود فيه الصدق أو الحكم ، ولازم ذلك أن من لم يشهد فلا صوم عليه . وأكد هذا التغير السنة الشريفة قولا وعملا . ففى الحديث الشريف ، صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته الخ ..

والواقع انه لم يكن فى ذلك بأس مطلقا ولا أدنى اضطراب فى العمل أو الفكر :

أولا ـ لعزلة الأقطار الاسلامية وتشتتها ـ جغرافيا ـ بعضها عن بعض لبعد المسافات وتعذر الاتفاق على تاريخ واحد كما حصل ذلك فى عهد الراشدين .

ثانيا ـ ولعله الأهم لأن العبادات هى قبل كل شئ لله تعالى ، الغنى الحميد ، الذى لا يضره نقص يوم فى الصوم ولا يسره زيادة يوم آخر ، بل يرضيه ـ سبحانه وتعالى ـ مجرد الطاعة والاخلاص فيها على نحو قوله تعالى فى فريضة الحج فى سورة البقرة ٢٠٣ :

« **واذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى** »

وعلى نحو قوله تعالى فى فريضة الصلاة ، الآية ١٢٧ سورة البقرة :

« **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر** » .

بيد أنه لما حدث فى عصر السرعة الحالى الذى تلاشت فيه ـ أو كادت ـ الفوارق الزمانية والمكانية بين الأقطار الاسلامية حتى أن الرجل ليفطر فى قطر ويتغدى فى قطر ثان ويتعشى فى ثالث !.. دعت الضرورة العملية والاجتماعية الى النظر الجماعى لسد ثغرة عدم توافق التواريخ التى قد تحدث بلبلة على الأقل لدى المسافرين بين الأقطار المختلفة ، وفى شرعنا الحكيم متسع لحل أى اشكال حلا لا يفوت غرضا شرعيا ولا مصلحة اجتماعية .

هذا ملخص الموقف الذى لا يعلو سماءه الصافية شئ من ضباب الشك أو عدم الطمأنينة أو النقص فى القواعد الشرعية ذاتها لكن قصار النظر أو مرضى القلوب يجسمون الأمر ويرون فيه مهزلة ـ معاذ الله ـ وما هو الا كمال فى كمال !

وقد حصروا نظرهم فى هذه المفارقات الظنية ناسين أو متناسين الحكمة البالغة الأساسية التى شرع الله بها لعباده هذه القواعد الفطرية الرحيمة التى تتسع للانسانية جمعاء بدوها وحضرها ، مسافرها ومقيمها ، حاسبها وأميها على السواء .. كل بحسب طاقته « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » .. و « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» فكانت مواقيت العبادات الاسلامية جميعها محددة بظواهر طبيعية واضحة ، ومواسمها ثابتة ومحددة بالشهور القمرية وليست متنقلة ولا ثابتة بالتاريخ الشمسى ، ولولا ذلك لسقط عن معظم المسلمين واجب أدائها بأعذار طبية وقهرية يستحيل التغاضى عنها ، **فمثلا لو كان الحج ثابتا فى فصل شمسى معين حتى لو كان هو فصل الربيع بعينه ، فقد يتعذر على المكلف أداؤه طول عمره أو ردحا طويلا منه لأن معايشه قد تكون فى هذا الفصل فى حاجة ماسة لحضوره شخصيا وعنايته بها وآخر لا يستطيع أن يحج لأن السفر فى هذا الفصل لا يلائمه صحيا ولكن هذا وذاك يستطيع كل منهما أداء الفريضة فى فصل آخر أنسب لمعيشته أو مزاجه الصحى المزمن . (وقد نوهت بذلك فى مقدمة كتابى ــ معالم التقاويم) ، ومثل هذا مسألة تحديد شهر الصوم متنقلا بين فصول السنة الشمسية ــ وتحديد بدئه برؤية الهلال ، فقد يكون المكلف عاجزا ومعذورا عن أدائه فى فصل معين فيمكنه صومه فى أيام أخر ، فيستمتع بالطاعة والبركة ، ولولا هذا التنقل لحرم من هذا المدد الروحانى طول حياته .. فسبحان الله الحكيم الرحيم .**

ولو أن بدء الصوم وغايته توقفا على **الحساب لحار فى أمرهما حتى فى عصرنا الآلى الكثيرون من سكان البوادى والقفار .. فأحالهم الحكيم الرحيم على الرؤية كيفما اتفقت لهم ونبههم الى أن المعول عليه هو التقوى وخلوص العبادة من الرياء والاضرار بالناس .**

وأخيرا أرجو أن تسمحوا لى بعود قصير الى موضوع الخلاف الذى يوشك أن يحل :

أ) فقد كان فى قرار لجنة الفتوى ببدء الصوم فى شهر رمضان الحالى فى الجمهورية العربية المتحدة متابعة المملكة السعودية فيما شهدت برؤيته شرعا . وأبلغته للأقطار الاسلامية ، صارفة النظر عن اختلاف المطالع بل عن الحساب الحقيقى الذى قرره علماء الفلك المحليون ، **ما يشعر بالاتجاه الى تغليب هذه القاعدة مستقبلا على كل قطر يبلغه من** قطر آخر ثبوت رؤية الهلال قبل موعد الامساك بل وقبل منتصف الليل ليتمكن المبلغون من سنة السحور والاعداد له . وعلى ألا يبعد الفطر شاهد الرؤية أكثر من ٣٠ درجة أرضية (٥٠٠٠ ك.م تقريبا) شرقا وغربا وشمالا وجنوبا لأنه وراء هذه المسافة يرجح عدم التوافق ــ والله أعلم .

ب) ثم ان هناك مسألة فريدة أعتقد أنه يمكن اعتبارها فى حكم المحلولة ، تلك هى وجوب اتباع المملكة السعودية فى جميع الأحوال بالنسبة لحساب أول شهر ذى الحجة لتحديد يومى الوقفة وعيد الأضحى على أساس أنها شعيرة محلية وفى الأقطار الأخرى عيد متابع ، لأنه ليس من المستساغ أن اقليما اسلاميا يحتفل بوقفة عرفات فى حين أنها سبقت أو لحقت فعلا بيوم لا سيما وان الفرصة لمعرفتها واسعة من بدء الشهر الثامن منه ، وانها يترتب عليها ترتيب قدوم المتاخرين فى يوم الوقفة الحقيقى المحلى ! بصرف النظر عن حسابه فى أى بلد آخر .

ج) وهل آن ــ مع تباشير تضامن الأمم الاسلامية الحالى ، أن تكون لجنة دولية اسلامية ــ لتحديد تواريخ جميع شهور السنة فيظهر وجه سافر وضاء لعودة الاخوة الاسلامية ــ وان الاسلام وطن مشترك .

الله الهادى لأقوم سبيل وكل عام وأنتم بخير .

وقد أدلى بهذا الاقتراح الأخير السيد الأستاذ عبد الرحمن حقى السفير السابق فى ركن « ما قل ودل » من جريدة الأخبار الصادرة فى ١٧ ــ ٥ ــ ١٩٦١ .

القانون الدولى العام والإسلام

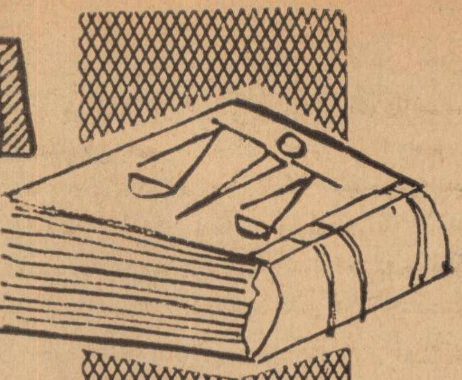

الأستاذ إسماعيل كشميرى

عندما نقول ان الاسلام دين جمع واوعى وانه لم يترك صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فانا لا نقول هذا الكلام جزافا بل نؤيده بالدليل القاطع والبرهان الواضح . واحتواء القرآن الكريم على كل التعاليم والمبادىء التى تجعل من الانسان خليفة الله على الارض ، والتى تنظم علاقة الافراد بالافراد والجماعات بالجماعات ، والتى تجعل من المرء حين يتبع هذه التعاليم انسانا جديرا بانتمائه الى البشرية ، احتواء القرآن الكريم على كل هذا يجعل من الاسلام دينا صالحا لكل زمان ومكان عن حق وعن صدق .

والغريب ان الاسلام تعرض منذ نشأته الأولى لمسائل لم تظهر خطورتها الا فى العصور الحديثة . وكل القوانين التى تمخضت عنها عقول الفقهاء والمشرعين فى كل بلد من بلاد العالم لم تخرج عن نطاق ماتضمنه القرآن عن اى موضوع طرقه هؤلاء الفقهاء والمشرعون . وان كان هذا يدل على ان القرآن هو كتاب الانسانية بحق وانه كتاب النجاح والرفعة فان هذا يدل على اعجازه .

ولنعرض اليوم لمسالة أسرى الحرب ولنشرح ما صدر بحقهم من قوانين ومبادىء وما تضمنه القرآن الكريم حول هذا الموضوع .

والواقع انه ليس هناك نص صريح فى ميثاق حقوق الانسان الصادر عام ١٩٤٨ عن مسالة اسرى الحروب ، ولكن روح الميثاق والمواد التى تعالج موضوعات العبودية وكرامة الانسان تتضمن القواعد المعترف بها عن هذه الموضوعات وقد تضمن القانون الدولى المعترف به من جميع الدول ـ لاسيما الدول الاعضاء فى هيئة الامم المتحدة ـ نصوصا صريحة عن هذه المسالة

وقد ظهرت الرغبة فى التفريق بين المحاربين والمدنيين فى القرن التاسع عشر . وتم تعريف المدنيين منذ الحرب العالمية الاولى ، وراحت القوانين الداخلية تصنع التعاريف المختلفة لهم . ومنذ ذلك الحين اتفق عن جواز اعتقال رعايا الدولة التى دخلت معها الدولة التى تظلهم تحت سمائها ومعاملتهم معاملة اسرى الحرب او وضعهم تحت قيود معينة . واتفق كذلك على جواز وضع ممتلكاتهم تحت الحراسة . وبعد ذلك وضعت القواعد الخاصة بمعاملة الجرحى والمرضى من هؤلاء الاسرى وتضمنها ميثاق ٢٧ يوليه عام١٩٢٩ ثم الميثاق المعدل عام ١٩٤٩ـ وتعرف هذه القواعد بميثاق الصليب الاحمر الدولى . وهناك ميثاق آخر صدر فى نفس عام ١٩٤٩ خاصا باسرى الحرب يمكن ان يقال انه ميثاق توخى احترام شخص الأسير والمحافظة على حياته . وظلت هذه القوانين سارية المفعول الى ان ادخل عليها اخيرا تعديلات ونصوص تضمنتها الاتفاقية الخاصة بمحاكمة ومعاقبة مجرمى الحرب المسئولين عن اشعالها ـ وصدرت فى ٨ اغسطس ١٩٤٥ ثم محاضر جلسات المحكمة العسكرية الدولية التى انعقدت بنورمبرج عام ١٩٤٥ـ ٤٦ والاحكام التى اصدرتها هذه المحكمة عام ١٩٤٦

اسرى الحرب فى الشريعة الاسلامية :

وقد كان الاسلام اول دين ـ بل اول قانون ـ تعرض لهذه المسالة فى طول عصور التاريخ . وكان كذلك اول دين كفل بعض الحقوق للعدو وللمحارب ، وكتب الفقه الاسلامى زاخرة بالمبادىء الواجب اتباعها بالنسبة لاسرى الحرب .

اما بالنسبة للاسرى المسلمين فقد نصت الشريعة على الزامهم بالوفاء بالوعد واحترام « كلمة الشرف » التى قطعوها على انفسهم . اما اذا لم يعطوا لآسريهم وعدا فانهم أحرار فى أن يهربوا من الأسر أو أن يلحقوا الاذى بهم ان عن لهم ذلك . وعلى الدولة الاسلامية أن تعمل على الافراج عنهم لقاء فدية تدفعها من بيت المال او من طريق تبادل الاسرى مع الدولة المعادية . وينص القرآن على وجوب تخصيص مبلغ معين من ايرادات الدولة لتحرير الرقاب ـ اى تحرير الاسرى المسلمين وتحرير الارقاء . وقد ذكر البخارى كثيرا من الاحاديث النبوية التى تحض على هذا العمل . وكان الخليفة عمر يفتدى الاسرى المسلمين بمبالغ ياخذها من بيت المال .

اما بالنسبة للاسرى الذين يقعون فى يد المسلمين فان القرآن وضع الاحكام التى يجب اتباعها فى حقهم وهناك احاديث نبوية حول هذا الموضوع وسوابق قام بها النبى على المسلمين أن يتبعوها من بعده .

يقول القرآن الكريم . « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فاما منا بعد واما فداء ، حتى تضع الحرب اوزارها » ويقول : « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض » .

اما النبى فكان يوصى المسلمين باطعام اسرى الحرب مما يطعمون به هم انفسهم ويلبسونهم من نفس الثياب التى يلبسون . وفى غزوة بدر كان الرسول الكريم

شديدا فى مطالبة المسلمين بوجوب معاملة اسراهم معاملة كريمة ، ويقول الطبرى أن المسلمين كانوا يطعمون اسراهم من التمر والخبز المخصص لهم .

والاسلام يمنع قتل الاسرى الا فى حالات نادرة حيث تخرج جرائمهم من نطاق جرائم الحرب او حين يصرون على محاربة الاسلام الامر الذى يجعل الافراج عنهم من الخطورة بمكان . وكان هؤلاء يحاكمون وتفرض عليهم العقوبة المنصوص عنها .

وهناك اجماع بين الفقهاء المسلمين على أن المحاربين ليسوا مسئولين عن اى ضرر قد يلحق حياة او املاك المسلمين .

ويمنع الاسلام اخذ اى مال من الاسير لقاء الطعام الذى يقدم له بل ان على بيت مال المسلمين ان يدفع هذه النفقات . يقول القرآن : « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا . انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا »

ولا يقتصر الامر على ذلك بل ان واجب الدولة الاسلامية ان تقى اسراها من الحر والبرد . وفى « الكامل » لابن الاثير أن على الدولة أن تساعد الاسير اذا كان فى ضيق وأن تسمح له بوضع وصيته اذا اراد ذلك . وتنص الشريعة السمحاء على عدم فصل الوليد عن امه اذا وقعت فى الاسر . وليس فى تاريخ صدر الاسلام اى ذكر لاجبار الاسير على العمل من اجل الدولة الاسرة .

ويجرنا الحديث عن هذا الموضوع الى موضوع اخر له به كبير الصلة هو موضوع الرق والعبودية .

تنص المادة ٤ من ميثاق حقوق الانسان الصادر عام ١٩٤٨ على مايلى :

« يجب الا يتعرض اى انسان للعبودية والرق . ويجب منع الاتجار فى الرقيق فى كل صوره واشكاله »

وتقول المادة ٥ من نفس الميثاق :

« يجب الا يتعرض اى انسان للتعذيب او اى عمل من اعمال القسوة او اى عمل يتنافى مع الانسانية او يلقى معاملة مهينة او عقابا »

والاسلام لم يشجع على تحرير الارقاء والعبيد وحسب بل يسمح بالتزاوج معهم . والقرآن يحض على معاملة الارقاء معاملة طيبة ، فهو يقول : « وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا » ويقول : « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا » ويقول : وما ادراك ما العقبة ، فك رقبة » و « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب » و « ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم » و « بالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم » و « وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ، أن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله »

وللرسول الكريم فى هذا الموضوع احاديث كثيرة تحض على تحرير الرقاب .

ومن المحتمل الا تكون فكرة الرقيق قد عرفت فى فجر الحضارة البشرية ، وانما هى بدات عندما طرا على الانسانية الانحلال حين وجدت الطبقات نتيجة لظهور الصناعة والحرف والمهن التى فرقت بين الفنان او صاحب راس المال والعامل ثم نشوب المعارك بين القبائل والعشائر التى اقتضت اخذ الاسرى فى حالة ما اذا امتنعت احدى القبائل عن قتلهم وفضلت ان تستبقيهم لديها ولا تفرج عنهم .

والى ماقبل عهد غير بعيد كانت الشعوب المتحضرة وغير المتحضرة تمارس الرقيق وتعده امرا مشروعا . وكان الرقيق - بطبيعة الحال - يعامل معاملة غير انسانية ، والواقع ان الراى لم يتجه الى تحرير الرقاب الا عندما ظهر الاسلام . وليس هذا الكلام من عندنا بل هو كلام اعترف به الغربيون قبل الشرقيين . فقد ذكر الاستاذ « هوب هاوس » فى كتابه الذى الفه بالفرنسية باسم « تطور الاخلاق » ان الاسلام كان اول دين اعترف بقداسة الانسان وطالب بتحرير الارقاء . وكان الرقيق من قبل يعد متاعا من امتعة السيد وكان يطلب اليهم العمل بالسخرة .

وفى حين كان الاسلام لايعترف بالرق والعبودية كانت الشريعة الرومانية تعترف بهما . وحسب هذه الشريعة فان اى انسان كان يمكن ان يكون عبدا فى اى حالة من هذه الحالات :

١ - الاشخاص الذين صدر فى حقهم احكام ببيعهم نتيجة لرفضهم القيام باى عمل فى الميدان الوطنى .

٢ - الاشخاص العاجزين عن سد ديونهم .

٣ - اللصوص المتلبسين بجريمة السرقة - وكانوا يباعون بواسطة من القى القبض عليهم .

٤ - الاطفال - وكان لآبائهم الحق فى بيعهم .

٥ - اسرى الحرب وحتى الأجانب - وقد ظل هذا المبدا معمولا به الى ايام الامبراطور جستنيان .

٦ - وكان يباح للرجل الذى تعدى سن الخامسة والعشرين ان يبيع نفسه ليفيد من ثمنه فى اى ناحية من نواحى الحياة .

٧ - واذا تمت عملية الزنا بين اى سيدة حرة وعبد فانها تصبح والحالة هذه عبدا لسيدها .

٨ - وحتى عهد جستنيان كان الرجل يعد عبدا اذا اشترك فى عملية غش فى البيع او اذا صدر عليه حكم بالعمل فى المناجم او محاربة الوحوش الكاسرة او اذا كان الرجل عبدا وحرر ولكنه لم يبد من الاخلاق ما يجعله خليقا بالرجل الحر فقد كان يعاد الى اسر العبودية .

اما الاسلام فلا يبيح للرجل ان يصبح عبدا بناء على اى حالة من هذه الحالات التى ذكرنا الا اولئك الذين اخذوا على انهم اسرى حرب او قدموا هدية من غير مسلم يقطن دولة غير اسلامية . اما العربى فكان محظورا من ان يعامل معاملة العبيد الارقاء .

وكانت الشريعة الرومانية تمنع العبد من تكوين اسرة له لانه كان ممنوعا من التزاوج المشروع . ولم تكن له حقوق كذلك . اما الاسلام فقد اباح للعبد ان يتزوج وان يكون له اسرة . والعبد - فى الاسلام - كان عضوا من اعضاء اسرة سيده . وكان له ان يمتلك كما كما كان مسموحا له ان ينوب عن سيده فى الالتزام باى عقد او اتفاق . وكان محرما على السيد ان يطلب افتراق العبد عن زوجه او عن اسرته ، بل كان واجبا على السيد ان يمد عبده بكل مايلزمه من ماكل او ملبس ، وكان للعبد أن يقاضى سيده اذا ما امتنع عن فعل ذلك

مقارنة الأديان

اليهودية

الدكتور أحمد شلبي

مقدمة :

فى أحاديثنا السابقة تكلمنا عن منطقة فلسطين ووصفنا سكانها ، وتحدثنا عن الكنعانيين والفينيقيين والفلسطينيين وسكان آمون ومؤاب وادوم ، وهذه تمثل الدائرة الضيقة التى أحاطت بالعبرانيين ، كما تحدثنا عن مصر وآشور وبابل التى تمثل الدائرة الواسعة حولهم ، ثم عرجنا على العبرانيين فوصفنا تحركاتهم وتتبعناهم من أور الكلدانيين حتى دخل بهم ابراهيم أرض الكنعانيين ، ثم غادرها الى مصر ، وقفل بعد حين عائدا الى فلسطين ، وجاء بعده ابناه اسماعيل فى الحجاز ، واسحق فى فلسطين ، وجاء يعقوب بعد أبيه اسحق ، ثم جاء يوسف ، وسرنا مع قصة يوسف حتى رأيناه مديرا لخزائن الطعام بمصر ، ثم رأيناه يستدعى أهله ليلحقوا به فيلحقون ، وشهدنا تكاثر بنى اسرائيل بمصر وخيانتهم للحكم الوطنى بعد طرد الهكسوس وتآمرهم ضد سلامة الدولة ، وقيامهم بعدة ثورات فى عهد رمسيس الثانى وذكرنا أسباب هذه الثورات ، ثم تحدثنا عن نشأة موسى ودعوته وخروجه من مصر وانحراف بنى اسرائيل عنه وعبادتهم عجل السامرى ثم وفاته هو وهارون دون أن يدخلا فلسطين ببنى اسرائيل ، وانتقال القيادة الى يوشع الذى استطاع بظروف مختلفه أن يقتحم فلسطين على أهلها ، وتحدثنا بعد ذلك عن بنى اسرائيل فى فلسطين ، فانتهينا من الكلام فى عهد القضاة وعهد الملوك ونتكلم اليوم عن المرحلة الأخيرة من مراحل بنى اسرائيل فى فلسطين وهى :

عهد الانقسام وزوال ملك بنى اسرائيل

بعد وفاة سليمان حوالى سنة ٩٣٥ ق.م أعلن رحيعام نفسه ملكا على دولة اليهود ، وبايعه سبطا يهوذا بنيامين فى أورشليم على ذلك ، ثم اتجه رحبعام الى الشمال لأخذ البيعة من باقى الأسباط فاجتمع حوله شيوخ بنى اسرائيل فى شكيم (نابلس الآن) وانضم لهم أخوه يربعام الذى كان قد ثار على أبيه وفشلت ثورته فهرب الى مصر ، وعاد الى فلسطين بعد وفاة سليمان ، وقالوا لرحبعام العبارة التى سبق أن سقناها عن قسوة سليمان وشدة تضييقه عليهم وطلبوا منه أن يخفف من نيره ، ونصح المستشارون الشيوخ رحبعام بقبول ذلك الرجاء ، ولكن زملاءه من الأحداث حذروه من ذلك ، ونزل رحبعام على رأى الأحداث وأعلن للقوم أن خنصره أغلظ من متنى أبيه ، وأن أباه أدبهم بالسياط وهو سيؤديهم بالعقارب ، ولذلك رفض الشيوخ فى الشمال أن يبايعوه ،وبايع الأسباط العشرة يربعام ملكا وأراد رحبعام أن يحارب أخاه ولكن النبى شمعيا نصحه بالعدول عن الحرب ، وهكذا انقسمت المملكة الى مملكتين جنوبية وعاصمتها أورشليم واسمها مملكة يهوذا ، وشمالية وعاصمتها شكيم واسمها اسرائيل .

ومن مطالعتنا للعهد القديم وللمراجع التاريخية يمكن أن نوجز تاريخ هاتين المملكتين فى العبارات الآتية :-

- ضعفت مملكة سليمان فى آخر أيامه وبخاصة عندما ثار عليه ابنه يربعام وأيده كثير من الشيوخ نتيجة لسياسة سليمان فى الضغط وتحصيل الضرائب ، وكان سلطان مصر شيشنق قد بدأ يقوى ، واصبح فى حالة تمكنه من استعادة سلطانه على فلسطين لولا الابقاء على صلة النسب بينه وبين سليمان ، على أن شيشنق مهد لاستعادة سلطانه على فلسطين باغتيال حيرام ملك صور الذى هيأت تجارته انواعا من الغنى لداود وسليمان وكذلك بحمايته ليربعام الابن الثائر على أبيه .

- لما مات سليمان بدأ شيشنق ينفذ تخطيطه ، واستغل يربعام فى ذلك فلما نجح فى تقسيم الدولة والتسلط على جزئها الشمالى كان ذلك فى الحقيقة انتصارا عمليا لفرعون مصر ، ولم يكتف شيشنق بهذا بل غزا فلسطين وصعد على أورشليم ونهبها وبسط سيطرته على دولة يهوذا ثم على دولة اسرائيل وامتد سلطانه الى الجليل .

- تعرضت هاتان الدولتان أيضا الى الضغط من جهة الشمال ، للقضاء على القوة اليهودية الدخيلة فى المنطقة من جهة ، وللمنافسة بين العراق ومصر من جهة أخرى

- كانت دولة اسرائيل تمثل أغلبية الأسباط ، وكانت أوسع رقعة من دولة يهوذا ولكن دولة اسرائيل كانت مضطربة كثيرة الانقلابات فى حين كانت دولة يهوذا أكثر استقرارا وهدوءا ، ومن أجل هذا تقلب على عرش مملكة اسرائيل ملوك من أسر متعددة ، وتغيرت عاصمتها مع الانقلابات اكثر من مرة ، أما يهوذا فقد ظل الملك بها فى سلسلة متصلة من ذرية سليمان وظلت عاصمتها أورشليم ، وعدد الملوك هنا وعددهم هناك ١٩ ملكا .

- يتحدث سفر الملوك الأول والثانى وسفر الأيام الأول بافاضة عن الوقائع التى تكاد تكون متصلة بين دولتى اليهود من جانب ومجاوريهم من جانب آخر ، وكذلك عن الوقائع الأخرى الغادرة المتكررة بين دولة يهوذا ودولة اسرائيل وطالما استعانت احدى هاتين الدولتين بدولة مجاورة ، وكان وقوع دولتى اليهود بين مصر من جهة وآشور وبابل من جهة أخرى مثارا لحروب طويلة كانت فلسطين ميدانها ، حتى يمكن القول ان عهد الانقسام كان عهد دماء تسيل وأرواح تزهق وأنيين ينبعث .

- أما نهاية الدولتين والطريق الى النهاية فيصفه WELLS أبلغ وصف فى قوله : لم يتمتع الشعب العبرانى بخفض العيش الا أمدا وجيزا ، فمات حيرام ، وانقطع عون صور الذى كانت تقوى به أورشليم ، ثم قويت

شوكة مصر ثانية ، ويصبح تاريخ ملوك اسرائيل وملوك يهوذا تاريخ ولايتين صغيرتين بين شقى الرحى ، تعركهما على التوالى سوريا ثم بابل من الشمال ، ومصر من الجنوب ، وهى قصة نكبات ، وقصة تحررات لا تعود عليهم الا بارجاء نزول النكبة القاضية ، هى قصة ملوك همج يحكمون شعبا من الهمج ، حتى اذا وافت سنة ٧٢١ ق.م. محت يد الأسر الاشورى مملكة اسرائيل من الوجود ، وزال شعبها من التاريخ زوالا تاما ، وظلت مملكة يهوذا تكافح حتى أسقطها البابليون سنة ٥٨٦ ق.م.

وكان سقوط مملكة اسرائيل على يد سيرجون الثانى ملك آشور ، الذى اعتقل هوشع بن ايله آخر ملوكها ، ونفاه مع عدد كبير من رجاله الى مملكته ، واقام عليها واليا يحكم باسمه ، وفى سنة ٦٠٨ قم زحف

فرعون مصر على مملكة يهوذا فاحتلها ، واستمر فى زحفه فاحتل مملكة اسرائيل التى كانت قد سقطت تحت سلطة الآشوريين كما سبق القول ، وقد ثار ملك بابل نبوخذ نصر (بختنصر) لذلك وزحف على فلسطين فهزم فرعون مصر واستعاد مملكة اسرائيل واحتل مملكة يهوذا ، وقتل صدقيا بن يواقيم آخر ملوك يهوذا ، ونهب أورشليم ودمرها ، وسبى أهلها الى بابل ، واقام عليها واليا من قبله ، وانتهى بذلك ملك اليهود بفلسطين ، واطول فترة لحكم اليهود بهذه المنطقة تمتد من دخول يوشع خليفة موسى هذه الارض حتى سقوط مملكة يهوذا وهى حوالى خمسة قرون ، وهى مدة قصيرة جدا بالقياس لتاريخ فلسطين قبل اليهود وبعدهم ، ثم ان اليهود جاءوا الى فلسطين من الخارج ، واقاموا سلطانهم بطريق الغصب وبعد حروب طويلة ، ولم يمتد سلطانهم الى فلسطين كلها فى اية فترة من الفترات .

اليهود بعد سقوط اسرائيل ويهوذا :

خلت فلسطين تقريبا من اليهود اثر سقوط مملكتى اسرائيل ويهوذا وفى سنة ٥٣٨ قم احتل قورش ملك الفرس بابل ومن ثم أصبح له السلطان على أرض يهوذا ، واطلق الفرس على شعب يهوذا اسم اليهود ، واطلقوا على عقيدتهم اليهودية ، وسمح قورش لليهود المتقيين بالعودة الى فلسطين فعاد بعضهم واستطاب أكثرهم البقاء فى بابل وفى بيت المقدس أعاد هؤلاء بناء الهيكل بتصريح من قورش .

وفى حوالى سنة ٣٣٠ قم زحف الاسكندر الأكبر على فلسطين وجعلها قطعة من امبراطوريته ، وآل أمرها بعده الى البطالسة

وفى سنة ٦٣ قم اكتسح الرومان فلسطين واستولوا على القدس ، وفى سنة ٧٠ م ابان عهد الامبراطور الرومانى تيطس قام اليهود ببيت المقدس بثورة ، فدمر الامبراطور مدينة أورشليم واحرق الهيكل الذى كان قد بنى برعاية قورش .

وفى سنة ١٣٥ م دمر الرومان أورشليم مرة أخرى تدميرا تاما وحرثوا أرضها وتخلصوا من البقية الباقية بها من اليهود ما بين قتل وتشريد ، فرحلوا الى مصر وشمال افريقية واسبانيا واوربا ، واقام الامبراطور الرومانى أوريا نوس مكان الهيكل اليهودى هيكلا وثنيا باسم الاله المشترى (جوبيتر) اذ لم تكن المسيحية قد اعترف بها بعد ، وبقى هذا الهيكل الى أن قامت المسيحية فى أورشليم فدمره المسيحيون من اساسه فى عهد الامبراطور قسطنطين .

وفى سنة ٦٣٦ م فتح العرب فلسطين

ومنذ ذلك التاريخ اصبحت فلسطين عربية دما ولحما ، أو قل عادت الى فلسطين عروبتها الكاملة فقد كانت عربية على أثر الهجرات العربية المبكرة لها ، وتزاحم عليها اليهود وسواهم من الفاتحين ولكن الفتح الاسلامى عاد الحق الى نصابه ورفع من جديد شعار العروبة بهذه البلاد ، وظلت كذلك اكثر من ثلاثة عشر قرنا حتى عاد اليهود لاغتصابها سنة ١٩٤٨ م على ما سياتى تفصيله فى المقالات التالية .

وقفة بين عامين

فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع

يصل هذا العدد الى أيدى السادة قراء المجلة الدينية الكبرى « مجلة منبر الاسلام » الغراء فى لحظات فاصلة بين عامين تطوى عاما وتنشر عاما آخر .. وفى هذا عظة وذكرى لقوم يتفكرون .. حقا فان فى اختلاف الليل والنهار آية وان فى تعاقب الأعوام عبرة وان فى كر الغداة ومر العشى ذكرى للموقنين .

« وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوا » . « قل أرأيتم أن جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم أن جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من آله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » فاختلاف الليل والنهار وتعاقب الأعوام دليل القدرة . وعنوان العظمة . وروعة التدبير .

ومع هذه اللحظات الفاصلة تهتز أعماق الانسان بهذا الاحساس الفطرى الذى يرفع عن الانسان أستار الغفلة ، ويكشف له آفاق الحقيقة ليرى هناك صورا مذهلة وأحوالا مدهشة ، يرى عمرا يمر بين أيام تمضى وأعوام تكر ، فتتساقط فى ثناياها أعمارنا ، كما تتساقط أوراق الخريف ، ونحن معها نتقلص – نتلاشى رويدا رويدا فى عجاجة هذا الموكب الكبير .. والمدهش أننا مع هذا التقلص والتلاشى نبتسم ونتبادل التهانى ، وتنشط فى نفوسنا آمال ضخام ، ثم نصحو من هذه الغفوة لحظة تستغرقنا فيها كل مشاعرنا نحو مصائرنا ، ونهاية حياتنا كيف تكون ، ونحو موقفنا من الله كيف ينتهى وبماذا يتم فيه الوضع ، ولا نلبث حتى نغفو ثانية من جديد ، ونسلم أنفسنا للزمن لينتهب منا جزءا آخر .. ولتتزاحم مناكبنا على طريق الحياة . نرضى ونسخط . ونحب ونكره . ونحقد ونتسامح . ويقهقه من حولنا قدر كبير يحركنا ، ويستهلكنا بالالم ، كما يستهلكنا باللذة . تلك هى قصة حياتنا ، وهى قصة غريبة ، تتناقض فيها الأحداث ، وتهتز فيها الصور ، ومع ذلك تبدو الحياة جميلة تبهرنا دائما ، وتشدنا اليها بألفى

سبب ، وما دمنا فى حياتنا على هذه الوتيرة نصحو ونغفو ، فلابد لنا اذن أن نقف بين هذين العامين وقفة لنتخذ من العام الماضى عدة للعام المقبل ، فينظر كل فرد فى صحيفة عمله ، ليتبين مواطن الضعف فى دينه ، وفى خلقه ، وفى عمله ، سواء فى ذلك عمله مع ربه ، ومعاملته لولده وزوجه ، وخلقه مع أهله وعشيرته وجيرته والناس اجمعين ، وعليه أن يجد كل الجد فى اصلاح ما فسد من أمره . وتقويم ما اعوج من خلقه ، وتكميل ما نقص من دينه ، فيتعلم منه ما جهل ويقوى منه ما ضعف ويساعده فى مهمته هذه غشيانه دروس العلم ، وتردده على مواطن الخير ، وجلوسه الى أهل الصلاح والتقوى ، وبمثل هذا نستعد لنستقبل عامنا الجديد أقوياء . أقوياء فى عقائدنا . أقوياء فى ديننا . أقوياء فى اخلاقنا ، مستقيمين فى سلوكنا كى نعز كما عز أسلافنا .

واذا كان التجار وأرباب المهن فى آخر كل عام يعملون احصاء لموردهم ومصرفهم ليعلموا ربحهم من خسارتهم فيتفادوا أسباب الخسارة ويدعموا عوامل الربح ، فالعبد فى معاملته لربه أولى بهذا الاحصاء لأن الله تعالى دله على **التجارة الرابحة التى تنجيه من صروف الدنيا وأهوال الآخرة اذ يقول : « يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله . وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » .**

هذه هى التجارة ، وتلك هى عناصرها . يستطيعها كل فرد ، ولايعجز عنها احد ، فى مكنة الغنى والفقير ان يخوض معركتها ، وفى مقدور القوى والضعيف ان يكافح ويناضل فى سوقها ، رأس مال هذه التجارة ايمان بالله وجهاد فى سبيله بالنفس والمال ، وانه ليسير على من يسره الله عليه . وليس الايمان أن يقول الشخص أنا مؤمن ولا أن يولد من ابوين مؤمنين ، وليس له من عمله ما يعلن عن ايمانه **« أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون »** انما الايمان الصحيح الذى يعتد به فى مثل هذه التجارة اذعان لله بالقلب وتسليم له فى السر والعلن ، الايمان الحق يقين يشع نوره فيكشف لصاحبه طريق الحياة الصحيحة ويهديه لصالح العمل **«ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم»** وربح هذه التجارة مغفرة الله ورحمته وسلعة الله الغالية الا وهى الجنة **« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »** .

وقد امتدح الله المخلصين فى تجارتهم هذه فيقول : « ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ، ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور » كما نعى على الذين اساءوا التعامل مع الله فى هذه التجارة اذ يقول « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » ويقول « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار » .

وانى اذ أدعو كل مسلم الى أن ينظر صحيفة عمله فى نهاية كل عام — ويتفقد مواطن الضعف فى دينه وخلقه وعمله فيها ويقوى ما ضعف عنده ليستقبل عامه الجديد قويا — لم آت بجديد بل هو سنة موروثة عن المؤمنين الاولين وقد جنوا ثمرتها ، ولأنها سنة عظيمة النفع عميقة الأثر دعوت اليها ، نعم لقد درج المؤمنون الأولون والمخلصون السابقون على هذا المبدأ ، فكان الواحد منهم يراجع صحيفة عمله كل يوم لا كل عام وينظرها نظرة دقيقة فاحصة على ضوء الدستور السماوى يطبقه على ما سطر فى صحيفة عمله اليومى فان وجد بينهما تطابقا حمد الله وأثنى عليه

وشكر له أنعمه والا ندم على ما قدم وعالج ما افسد على هدى هذا الدستور الحكيم فيصلح عن صحيفته وقد اعتبر بما فيها من حوادث واتخذ منها دروسا تفيده فى علاقته بالله اذ يتفادى فى عمله كل منكر ويتحاشى كل منهى عنه ويتخذ تعاليم الاسلام ركيزة عمله يسير على هديها فى سلوكه ويبثها فى ذريتـه وينشرها فى بيئته ليعيش فى جو عامر بتعاليم الاسلام • غامر بتوجيهات الاسلام • ويصبح الاسلام قانونهم الأول وأساس تعاملهم المتين ، به فى الاحداث يعتصمون ، واليه فى المنازعات يحتكمون فلا تسمع فى مجتمعهم الا صـوت الحق والحكمة ولا ترى بينهم الا التعـاون والمساواة والوحدة ، ولا تحس منهـم الا الاخلاص والوفاء والاخـاء والمودة ، فوفوا بذلك ماعاهدوا الله عليه وانجز الله لهم ما وعدهم به ، فأعلى كلمتهم واسس دولتهـم ومكن لهم شريعهم وكانوا سـادة وقادة وأصبحوا مضرب الامثال بين الناس اجمعين ؟ فاين مسلمو هذا الزمن من هؤلاء ؟ لا يظهر مكان المسلمين الآن من هؤلاء الا بمقارنتهـم بهم – والحق والحق أقول – ان الرعيل الاول من المؤمنين بلغوا الذروة • ووصلوا القمة • وتربعوا على عرش العظمة ، وانفردوا ببسط السلطان وعلو الكلمة ، وما أتيح لهم كل هذا فى هذا الزمن الوجيز القليـل فى عمر الامم والدول ، ما أتيح لهم ذلك الا بشىء واحد هو القرآن ، بطاعة أوامر القرآن وترك ما نهىعنه القرآن • والسير وراء تعاليم القرآن فأعزهم القرآن حتى قهروا به دولا وفتحوا به مدنا وأسسوا به ملكا ، وتركوها امجادا ، ورثها عنهم المسلمون فى أحقاب متعاقبة عبر الزمن والتاريخ يحدثنا أن موقف المسلمينالموروثين غير موقف المسلمين الوارثين ، اذ كان موقف الاولين من القرآن الكريم موقف سمع وطاعة واستجابة وانابة ، موقف كفاح ونضال وبناء، اسسوا فى رحابه وبنوا وغرسوا فى رياضه وزرعوا حتى أثمر غرسهم مجدا وعزا وفخرا ورثه عنهم المتاخرون واستولوا عليه لقمة سائغة لا منغص معها ولا معارض لها ، فاعتزوا بما ورثوا ، وانشغلوا بما أثروا وفتنوا بما حابتهم الدنيا من ترف حتى انزلقوا فىمكانس الريب ، وغشوا مواطن اللهـو واللعب ، ونسوا القرآن مهذب آبائهم ومؤسس مجدهم نسوا القرآن فانساهم الله أنفسهم • ونزع من عدوهم رهبتهم ، وتهاوت رايتهم • وانحنت عزتهم ، وتقلصت دولتهم حيث ورثوها دولة • وأورثوها دويلات هذا مكانهم من أسلافهم بعد المقارنة • وأصدق شىء يؤيد ان القرآن رفع الاولين ، وان اهماله انحط بالآخرين • مثل ضربته فى مقال سبق • هو غزوة بدر الكبرى فقد كان فيها معسكران معسكر قريش وكان ذا قوة وبأس كامل العدد والعدد وفيه المال والفن ومعسكر الرسـول وصحبه ، وكان معسكرا قليل العدد والعدد قليل المال ضعيف الفن وواضح من هنا أن يكون النصر فى معسكر القرشيين لتوافر وسائل النصر الظاهرة فيه وضعفها فى معسكر المسلمين ولكن الواقع كان العكس اذ كان النصر فى معسكر المسلمين على قلته وفاقته • وهنا نتساءل كيف كان هـذا النصر وليس معه ما يوجبه • يبدو ان هناك عاملا غير ظاهر هو السبب الحقيقى لهـذا النصر فما هو اذن وقد استكملت المعـركة أسلحتها جميعا العدد والعدد والمال والفن • وكلها كانت فى الجانب الآخر ، لم يجد شىء الا القرآن الكريم ، فالسبب الحقيقى اذن القرآن والقرآن لا غير – لانه موجـود فى صفوف المسلمين ومفقود من معسكر المشركين ، واذن لنا ان نقول ان المال وحده لا يغنى ، وأن العلم وحده لا يجدى ، وان القوة حتى مع المال والعلم قد تخفق أو تفشل وقد فشلت فعلا فى غزوة بدر وكان النصر للقرآن الكريم ، لذا امتن الله على المسلمين بهـذا النصر مبينا اسبابه الحقيقية فيقول « **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون** » الآية الى قوله « وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » •

قد يقول المسلمون الآن أنا كذلك مؤمنون ، وعلى القرآن محافظون •• ياسادة تكلمـوا منصفين • واحكموا عادلين • وضـعوا فى اعتباركم ما قلناه سابقا « ان الايمان الحق يقين يشع نوره فيكشفلصاحبه طريق الحياة الصحيحة ويهديه لصالح العمـل » وان

القرآن لا يؤتى ثمراته الا اذا نفذت احكامه كلها وروعيت تعاليمه جميعها ، ففيها جميعها العلاج وفيها البناء لأن كل واحد منها مكمل للآخر فلا ترجى الفائدة الا بعد استيعاب جميع ما يطلب القرآن من الانسان أمرا ونهيا أما اذا نفذ البعض وأهمل البعض الآخر فلا ترجى هذه الفائدة ، فهو بمثابة « روشتة الطبيب للمريض » لا تثمر الا اذا روعيت تعاليم الطبيب فيها . وكل الذى نرجوه فى خشوع وضراعة أن يوجه الله المسلمين للقرآن يحلون حلاله ويحرمون حرامه وان يجعلوه قانون تعاليمهم مع الله والناس ، يتعامل به الرجل مع زوجه وولده وأسرته وجيرته ، يتعامل به التاجر مع عميله والرئيس مع مرءوسه ، والموظف مع رئيسه حتى يكون المجتمع الاسلامى مجتمعا منظما على أساس القرآن ، وهناك تكون الامة الاسلامية سلكت طريق أسلافها ، ويكون الله معها ولها ، والله على ذلك قدير وهو سميع قريب مجيب .

والحمد لله أن برقت فى امتنا العربية بارقة أمل على يد ثورتنا المباركة بزعامة بطلها الملهم الرئيس جمال ، أيقظت الغفاة ونبهت وعى السراة وضربت على أيدى المستعمرين الطغاة واستردت منهم بعض ما اغتصبوا ، وهى تكافح الآن فى نضال عنيف لترد حق الامة الاسلامية كاملا فى الوطن العربى ، وتربى للمستقبل جيلا جديدا لتبنى من جديد مجدا شامخا وعزا تالدا .

وكل ما نرجوه ان يمد الله رئيسنا «جمال» بروح من لدنه ويهيىء له من أمره رشدا ويكلأه بعنايته ، وأن يمد له فى عمره حتى يكمل للامة ما بدأ لها ، ويجنى ثمرة ما غرس انه سميع الدعاء محقق الرجاء .

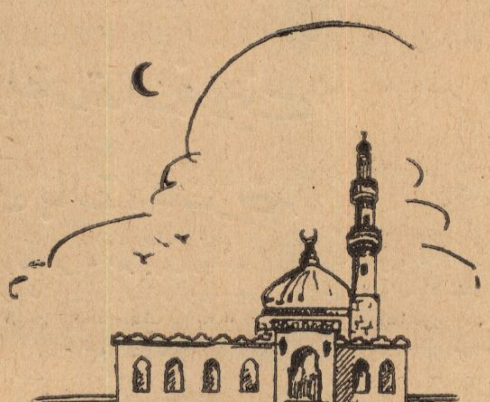

عبد الناصر صانع السلام

الأستاذ كامل عبد المجيد

فى مؤتمر القمة الافريقى الثانى بالقاهرة

« اذا كان شعبنا يؤمن بوحدة عربية فهو يؤمن بجامعة افريقية ويؤمن بتضامن آسيوى افريقى ويؤمن بتجمع من اجل السلام يضم جهود الذين ترتبط مصالحهم به »
« فى الميثاق »

تلعب الجمهورية العربية المتحدة ممثلة فى قائدها وزعيمها - صانع السلام - دورا هاما فى سبيل تحرير القارة الافريقية والنهوض بشعوبها .. وبفضل هذه الجهود استطاعت كثير من شعوب افريقيا .. وشعوب آسيا .. بل وشعوب العالم المتطلع الى الحرية - استطاعت هذه الشعوب ان تتحرر من السيطرة الاستعمارية .. بفضل جهود قائد شعبنا المحب للسلام .

وتتضح هذه الجهود - على المستوى الافريقى - فى انعقاد مؤتمر القمة الافريقى الاول الذى انعقد فى ٢٢ مايو سنة ١٩٦٣ باديس ابابا - والذى تحدثنا عنه فى مقال سابق - الذى بحث المشروعات المتعلقة بالقارة الافريقية وما يتصل بها من دعم للتعاون بين دولها فى كافة صوره ، والعمل على تحرير بقية الارض الافريقية التى لايزال الاستعمار يسيطر عليها .. وكذلك مقاومة التفرقة العنصرية ..

وانتهى هذا المؤتمر باعلان قيام « منظمة الوحدة الافريقية » التى تتالف من دول قارة افريقيا ومالاجاش والجزر المجاورة لها . وكان الهدف من قيام هذه المنظمة هو تشجيع وحدة وتضامن الدول الافريقية وتعاونها فى سبيل حياة افضل لشعوبها والقضاء على جميع صور الاستعمار ومحاربة التمييز العنصرى والدفاع عن سيادة دول المنظمة وسلامة اراضيها .

ثم شهدت القاهرة فى ١٧ يوليو سنة ١٩٦٤ اللقاء التاريخى الثانى بين زعماء القارة الافريقية الذى حيا فيه صانع السلام زعماء جددا لدول افريقية تحررت حديثا حضروا هذا المؤتمر لاول مرة وهم الرئيس جومو كينياتا قائد النضال المجيد لشعب كينيا ، والرئيس هاستنجز باندا زعيم شعب مالاوى ، وايضا الرئيس

كينيث كواندا الذى قاد معركة تحرير بلاده الى الاستقلال • وفى خطاب الرئيس فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر حيا ايضا (روبرتو هولدن) رئيس حكومة انجولا الذى حضر الى المؤتمر لاول مرة بعد ان اعترفت معظم دول منظمة الوحدة الافريقية بحكومته قيادة شرعية لنضال الشعب الانجولى الباسل ضد آخر معاقل السيطرة الاستعمارية السافرة على ارض القارة

كما مد زعيم السلام وصانعه يده ويد الزعماء الافريقيين من داخل المؤتمر الى كل ابطال التحرير الافريقى الذين يتصدون بالمقاومة الباسلة ضد النظام القديم الذى فرض على القارة تحكما واستغلالا بواسطة الاستعمار والتفرقة العنصرية ـ ويعملون بالثورة ليوم جديد تشرق فيه الشمس على ارضهم مع الحرية والكرامة •

وفى هذا المؤتمر اوضح صانع السلام لزعماء افريقيا الطريق الصحيح والبداية الصالحة لمركز انطلاق دائم فوضع امامهم شعارين لابد من الالتزام بهما :

« * لابد ان تبقى فاعلية الثورة الافريقية وحيويتها الخلاقة تعمق الاستقلال بمضمون اجتماعى شامل سياسى واقتصادى وثقافى »

« * ولابد ان تكون القارة الافريقية فى الوضع الذى يسمح لها دائما بان تقدم اجابة على كل سؤال يطرحه التطور عليها ولا تنتظر من خارجها قرار مستقبلها •• تعيش مع غيرها وتتعاون ، لكن غيرها ليس له ان يصوغ شكل حياتها ولا يفرض عليها مايريد »

كما ان صانع السلام ، فى خطابه الى المؤتمر عبر عن رايه وامل بلاده فيه حين قال :

« سوف تصدر قرارات هامة ـ بغير شك عن هذا المؤتمر ، لكننا سوف نظل مؤمنين بان اعظم مايمكن ان يصل اليه هذا المؤتمر لايكتب فى قرار لانه « روح » وليس خطوة تتجسد اجراءا ماديا فى هذا الاتجاه او اتجاه غيره •

ومع ذلك فان هذه « الروح » يمكن ان تكون اعظم محرك لقرارات الاجراءات المادية واعظم ضمان لالتزامنا بها ، بل والمضى بعدها طواعية وتحمسا »

ولذلك قال لهم :

« ان الجمهورية العربية المتحدة يهمها الوصول الى « روح الوحدة الافريقية » قبل الوصول الى دستورها »

الى هذا المدى العريض المتسع من الامل والحب كان صانع السلام يتحدث الى زعماء افريقيا وقادتها عن الوحدة الافريقية لانه « بروح الوحدة نصل الى حقيقة الوحدة »

وهكذا استمرت جلسات المؤتمر الى يوم ٢١ يوليو سنة ١٩٦٤ فى عاصمة القارة الافريقية ، وعمل ملوك ورؤساء ٣٤ دولة افريقية حرة مستقلة فى جو يسوده الوفاق والتفاهم والمودةمن اجل الوحدة الافريقية الكبرى التى وضعت خطوطها العريضة فى المؤتمر الاول ، ومن اجل تحرير القارة من براثن الاستعمار الذى اعلن عليه زعماء افريقيا الحرب فى مؤتمرهم السابق ، ومن اجل تحقيق الحرية للعالم اجمع ومحاربة التفرقة العنصرية من اجل العمل على ارتقاء شعوب القارة الى مصاف الدول والاحلاف العسكرية والحروب الذرية ، وايضا •• من التى كانت تستنزف خيرات القارة ومصادرها من اجل مطامعها الشخصية •

اجتمع هؤلاء القادة الافريقيون على كلمات وقرارات سجلها لهم التاريخ بحروف من نور ، وصدرت قرارات هذا المؤتمر بعد اختتام دورته الاولى مساء يوم ٢١ يوليو سنة ١٩٦٤ ومنها :

* مطالبة جميع الدول ، وخاصة التى تقوم بينها وبين حكومة جنوب أفريقيا علاقات تجارية ، بالتعاون فى مجال مقاطعة جنوب افريقيا •

* مناشدة جميع الدول المنتجة للبترول بان تكف فى الحال عن تزويد جنوب افريقيا بالبترول والمنتجات البترولية الاخرى

* الدعوة الى الافراج عن نلسون مانديللا ، ووالتر سيزولو ، ومانجاليسو سوبوكوى وغيرهم من المعارضين لمسالة التفرقة العنصرية الذين سجنوا او اعتقلوا طبقا للقوانين التعسفية الجائرة لحكومة جنوب افريقيا

* بالنسبة لمسالة روديسيا الجنوبية تعهد المجلس باتخاذ خطوات عنيفة وعاجلة ضد اى اعلان لاستقلال روديسيا الجنوبية تتخذه حكومة الاقلية الاوروبية من جانبها فقط • وقد تعهد رؤساء الدول الافريقية باتخاذ الاجراءات الملائمة ، بما فى ذلك الاعتراف بل وتاييد قيام حكومة وطنية افريقية فى المنفى فى حالة ظهور مثل هذا الاحتمال كما دعى المجلس الى الافراج فورا عن مستر جوشوانكومو وندانينجى سيكهولى وغيرهما من المسجونين والمعتقلين السياسيين

* وبالنسبة لمسالة الاراضى الواقعة تحت سيطرة البرتغال ، ادان رؤساء الدول والحكومات الافريقية البرتغال لاصرارها على رفض الاعتراف بحق الشعوب التى تخضع لسيطرتها فى تقرير المصير والاستقلال وادانوها ايضا لعدم انصياعها لقرارات مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة

* بحث رؤساء الدول والحكومات الموقف الذى قد يواجه المناطق الثلاث الخاضعة للوصاية وهى : باسوتولاند ، وبتشوانالاند ، وسوازيلاند عند حصولها على الاستقلال ، وقرروا ان تقوم منظمة الوحدة الافريقية بالتشاور مع المسئولين فى المناطق الثلاث وبالعمل على ان تقوم الامم المتحدة بمنع المناطق الثلاث التكامل الاقليمى والاستقلال والسيادة •

وكانت مسالة تصفية الاستعمار فى القارة الافريقية فى مقدمة المسائل التى بحثها مجلس ملوك ورؤساء الدول الافريقية ، كما استكمل المؤتمر فى القاهرة البناء الذى وضعه فى اديس ابابا وهو الهيكل العام لمنظمة الوحدة الافريقية ، فاختيرت اديس ابابا مقرا دائما لسكرتارية المنظمة واختير ديالloتيلى ممثل غينيا الدائم لدى الامم المتحدة سكرتيرا عاما اداريا للمنظمة كما انتخب اربعة سكرتيرين مساعدين له من كينيا والجزائر وداهومى ونيجيريا ، واتفق الرؤساء على ان يكون اجتماعهم القادم فى اكرا عاصمة غانا فى اول سبتمبر عام ١٩٦٥ •

ولا ننسى الاشارة فى ختام هذا المقال الى قول الرئيس عبد الناصر ـ صانع السلام ـ فى الجلسة الختامية للمؤتمر :

« لقد كان مؤتمركم اشارة واضحة الدلالة بالنسبة لابطال الحرية فى القارة امثال « نكومو » و « مانديللا » الذين وضعهم الاستعمار وراء القضبان ، وللشعوب التى مازالت بالبسالة والشرف تحاول تحطيم اغلالها •

اشارة لكل هؤلاء ، للابطال وللشعوب معناها ان قارة باسرها بشعوبها بدولها ، بقادتها ، يقفون معهم وقفة العمل المشترك من اجل مصير مشترك يابى ان تتجزأ قضايا الحرية والتقدم والسلام عليها »

الإنسانية في الإسلام

الأستاذ محمد عطية الإبراشي

قد عنى الاســـلام بالمرضى والجرحى من الاعداء ، والمحافظة على الاطباء منهم ، ومن يساعدهم من المرضين والمرضات ، ونهى عن قتل الوصفاء وهم المملوكون ، والعسفاء وهم المستخدمون للتمريض واسعاف الجرحى، والقيام بتخفيف آلامهم وحاجاتهم فى العلاج . وقد نهى الرسول الكريم عن الغدر وتعذيب العدو ، وقال : « لا تعذبوا عباد الله » . ونهى الاسلام عن قتل العزل واحراق الاحياء أو الموتى بالنـــار ، واحراق بيوت الاعداء وامتعتهم ، وافساد ثمارهم وحاصلاتهم الزراعية . ونهى عن قطع نخيلهم ، أو تسميم مياههم . فالاسلام لا يسمح بالتعذيب والتمثيل بالعدو ، واتلاف أى شىء من غير ضرورة .

وقال عمران بن حصين : ما خطبنا رسول الله خطبة الا امرنا بالصدقة ، ونهانا عن المثلة » . فالاسلام ضد ازهاق الارواح ، وتعذيب عباد الله والتنكيل بهم ، وفى الغزوات والحروب لم يقصد الا دفع شرور المعتدين ، وحماية المسلمين من العدوان ، وظلم الكفار للمسلمين ، واخـــراجهم من ديارهم وأموالهم بغير حق ، فأذن الله للمسلمين بالقتال دفاعا عن أنفسهم .

قال تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . وان الله على نصرهم لقدير » .

المساواة بين الذميين والمسلمين أكبر دليل على التسامح

وأكبر دليل على التسامح فى الاسلام أنه قرر المساواة بين الذميين والمســلمين ، فان للذميين ما للمســلمين ، وعليهم ما عليهم . وقد كفل الحرية للذميين . وأمر المسلمين أن يتركوهم وما يدينون به من الاديان . والا يتعرضوا لهم فى العقيدة التى يعتقدونها . وكان اليهود والمسيحيون يقيمون مع المسلمين فى بلادهم ، يبيعون ويشترون ، ويتاجرون ، ويتســـاوون معهم فى عقوبة القصاص المأخوذة من قوله تعالى :

« وكتبنا عليهم فيهـــا أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والانف بالانف ، والاذن بالاذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص » .

وكان المسلمون يعاملون غيرهم ممن يخـــالفونهم فى الدين أحسن معاملة . ويعـــاشرونهم أحسن عشرة ، ويعطفون عليهم ، ويحسنون اليهم ، ويعدلون فى الحكم عليهم . وقد أباح الاسلام للمسلمين طعام أهل الكتاب ، وأحل لهم ذبائحهم ، وأباح مصاهرتهم والتزوج منهم .

قال الله تعالى : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم . والمحصنات من المؤمنات ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » .

وللزوجة التى لا تدين بالاســـلام من الحقوق على زوجها ما للزوجة المسلمة . وقد نهى الله عن مجادلة أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن .

قال تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن »

كالدعاء الى الله بآياته ، والتنبيـــه على حججـــه . وللمسلم أن يتبادل مع غير المسلم الهدايا والضيافة ، فينزل الاول ضيفا على الثانى ، والعكس .

وفى البلاد الاسلامية يتمتع غير المسلمين بالحرية فى العقيدة ، والحرية فى العبادة . فلا يتعرض لهم أحد

فيما يعتقدون وما يعبدون . وهم احرار فى اقامة الشعائر الدينية فى كنائسهم وبيعهم ومعابدهم .

وقد عاش اليهود والمسيحيون مع المسلمين فى البلاد الاسلامية مئات السنين يتمتعون بالعدالة الاسلامية ، والرحمة الانسانية ، لا يشكون ظلما ، ولايحسون ضيما ، ولا يبخسهم مسلم حقا من حقوقهم ، ولا يعتدى عليهم احد . ولا عجب فروح الاسلام كله تسامح وعفو وصفح ، وعطف وعدل ومساواة ، روح تتمثل فيه الانسانية الكاملة .

تسامح المسلمين :

ولنذكر هنا عهد خالد بن الوليد لاهل دمشق بعد فتحها لترى كيف كان المسلمون متسامحين :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى خالد بن الوليد اهل دمشق يوم فتحها ، أعطاهم امانا على أنفسهم وأموالهم ، وكنائسهم ، وسور مدينتهم لا يهدم ولا يسكن شيء من دورهم . لهم على ذلك عهد الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم والخلفاء والمؤمنين ، لا يعرض لهم الا بخير اذا أعطوا الجزية » .

وفى هذا العهد ما يثبت وفاء المسلمين وتسامحهم ، وحسن معاملتهم ، حتى وجد اليهود والمسيحيون من المسلمين ما لم يروه ممن كانوا يدينون بدينهم . فقد عاهدهم خالد أن يطمئنوا كل الاطمئنان على أرواحهم وأموالهم ومعابدهم ، وألا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة ولا دار من دورهم ، ولا قصر من قصورهم ، على أن يعطوا الجزية .

وفى عهده لاهل الحيرة عاهدهم على ما ذكر ، وعلى ألا يمنعوا من ضرب النواقيس ، وعلى أن يضيفوا من قربهم من المسلمين مما يحل لهم من طعامهم وشرابهم ، وشرط عليهم الا يعينوا كافرا على مسلم سواء أكان من العرب أم من العجم ، ولا يدلوهم على عورات المسلمين ، وجعل لهم أيما شيخ ضعف عن العمل ، أو اصابته عاهة من العاهات أو كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه اعفى من دفع الجزية ، وأعطى اعانة تكفيه وتكفى عياله من مال المسلمين ما دام مقيما بدار الاسلام .

ثم انظر الى ما كتبه عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - الى أبى عبيدة بن الجراح يوصيه بحسن معاملة المشركين بعد أن هزموا حيث يقول : « وامنع المسلمين من ظلمهم ، والاضرار بهم ، وأكل أموالهم الا بحقها . ووف لهم بشرطهم الذى شرطت لهم فى جميع ما أعطيتهم » .

فالاسلام يسالم من لا يدينون به ما داموا غير معتدين على المسلمين . وينادى بالمساواة بين المسلمين وغيرهم فى الحقوق والحريات ، والبر والعدالة وتبادل الحاجات ولا يمنع أى دولة اسلامية من تبادل علاقات تجارية وسفراء ومعاهدات مع دولة غير اسلامية ، ما دام العدل سائدا بين الدولتين .

تسامح صلاح الدين الايوبى :

وانظر الى ما فعله صلاح الدين الايوبى حينما دخل بيت المقدس .

لقد دخل جيش صلاح الدين بيت المقدس منتصرا على الاعداء ولكنه لم يقتل انسانا ، ولم يأسر احدا ، ولم تنهب جيوشه بيتا من البيوت ، فقد أمن الجميع على أموالهم وامتعتهم ، وعامل الكل بالرأفة والرحمة ، فدهش الاعداء كثيرا لعدله وشفقته ، وحسن معاملته .

وحينما كان ماشيا فى طرقات بيت المقدس تقدم اليه رجل مسيحى كبير السن ، يعلق صليبا ذهبيا فى رقبته ، وقال له :

أيها القائد العظيم ، لقد كتب لك النصر على أعدائك ، فلماذا لم تعذبهم ؟ ولماذا لم تنتقم منهم ، وتفعل معهم مثل ما فعلوا معكم ؟ وأنت تعلم حقا أنهم أتوا كثيرا من الفظائع ، ونهبوا الاموال ، وقتلوا النساء والاطفال والرجال ، حينما فتحوا بيت المقدس .

فقال له صلاح الدين : أيها الشيخ ، ان دينى يمنعنى من تعذيب أى انسان ، وضميرى يمنعنى من الانتقام ، ولن أفعل مثل ما فعلوا .

فقال له الشيخ : وهل دينكم يمنعكم من الانتقام من قوم بدءوكم بالعداوة ، وعذبوا قومكم بكل أنواع العذاب ؟

فقال له صلاح الدين : نعم ان ديننا يمنعنا أن نفعل مثل أعدائنا فى عنادهم ، ويأمرنا أن نكون أوفياء بوعودنا ، وأن نعفو عمن أساء الينا ، ونصفح عن المذنب عند المقدرة .

فقال الشيخ : نعم الدين دينكم ، وانني احمد الله على ان هدانى الى ما فيه خيرى فى أيامى الاخيرة من هذه الحياة ثم سأل : وماذا يفعل من يريد الدخول فى دينكم ؟

فقال له صلاح الدين : يؤمن بأن الله واحد ، ومحمدا - صلى الله عليه وسلم - رسوله ، ويفعل ما أمر الله به ، ويبتعد عما نهى الله عنه . وعند ذلك أسلم الشيخ، وحسن اسلامه ، وأسلم معه كثير من ابناء قومه برغبتهم ، ومن تلقاء أنفسهم ، عن ايمان وثقة وعقيدة .

وقد كان من بين الاسرى فى حروب صلاح الدين فتاة فرنسية ، فتقدمت جهة صلاح الدين ، وقالت له : « لقد قتلت أبى فى الحرب ، أيها المجرم القتال ، وأسرت أخوين لى ، وأخذت أملاكنا التى كنا نملكها ، فلم يبق لى من ينفق على ، ولم يبق لى ما آكل منه . وانك اليوم تمن على بجعلى حرة ، لكى يزداد تعبى وعذابى »

فضبط صلاح الدين نفسه وشعوره ، ولم يتأثر من تلك الشتائم المرة ، بل عفا عنها ، وابتسم فى وجهها ، وسألها : ما اسم أخويك ؟ فذكرت له اسميهما .

فأرسل جنديا ليحضرهما ، فحضرا ، وحضر معهما القائد الذى كان الاخوان من نصيبه ، فطلب اليه صلاح الدين أن يبيعه هذين الاسيرين . فامتنع القائد عن اخذ الثمن عندما عرف غرض سيده ، وتركهما حرين يتمتعان بالحرية ، ثم رد لهما ما كانا يمتلكانه من الاموال ، ثم اتى جهة الفتاة وسألها :

هل ما زلت عند رأيك من اننى مجرم قتال ؟

فقالت الفتاة : عفوا يا سيدى ، فانما هى شدة الحزن على أبى ، وفقد من كان ينفق على ، وضياع مالى ، وخوفى مما تأتى به الايام ، وما كنت اسمعه فى بلادى خطأ عن ظلم المسلمين ، كل هذا جعلنى انطق باشياء لا أفهمها . واننى مع هذا لست يائسة من صفحك ، وكرم عفوك . ولما قامت وأرادت الانصراف ، سألها صلاح الدين : الى أين انت ذاهبة ؟

فاجابت : الى بلادى .

فسألها : وماذا ستقولين لقومك ؟

اجابت : ساقول للمتعصبين منهم كلمة الحق فى الاسلام والمسلمين ، ثم تركت بيت المقدس هى واخواها بعد أن أسلموا . فلما وصلت الى قومها أخذت تدعو الناس الى الاسلام ، وتذكر لهم محاسنه وعدالته ، وتحكى ما رأته بنفسها من حسن معاملة المسلمين لها ، وشفقة صلاح الدين وعظمته ، ونبله وانسانيته . فلم تعجبهم هذه الدعوة من فتاة منهم ، واتفقوا فيما بينهم سرا على قتلها ، وقتلوها ظلما ، لأنها تقول الصدق ، وتدعو الى الحق ، وتنادى بالاسلام ، فماتت شهيدة مجاهدة فى سبيل الله ، واعلاء كلمته .

وذات يوم كان صلاح الدين جالسا فى خيمته ، يحكم بين الناس بالعدل والاحسان ، فوقفت أمام الخيمة سيدة مسيحية ، تصيح والحزن يخنق صوتها ، حتى ارتمت على الارض ، فابعدها الحراس عن الخيمة ، ولكن صلاح الدين الطيب القلب ، النبيل الخلق ، سمع صوتها ، فأمر بادخالها فى الحال . فلما وقفت بين يديه سألها : ماذا أصابك أيتها السيدة الحزينة الباكية ؟

فاجابت : لقد اختطف اللصوص ولدى ، وأسر زوجى فى الحرب ، وهو الذى ينفق على .

فتألم صلاح الدين ، وحزن كثيرا لحالها ، وأمر فى الحال باخراج زوجها من بين الاسرى ، ثم طلب من جنوده أن يبحثوا عن الغلام المسروق ، فبحثوا عنه حتى وجدوه ، فأحضروه لأمه ، ففرحت السيدة حتى بكت من شدة الفرح ، واخذت تمدح صلاح الدين ، وتدعو له بأن يبارك الله فى عمره .

فقال صلاح الدين : نحن لم نفعل أيتها السيدة الا ما امرنا به ديننا الكريم .

قالت السيدة : هل يأمر دينكم يا مولاى بالرحمة والعطف على الاعداء ، ومساعدة المنكوبين والضعفاء ؟

قال صلاح الدين : نعم يا سيدتى ، فالاسلام دين الله فى هذه الدنيا ، وهو رحمة للناس جميعا ، وسلام لكل الامم .

قالت السيدة : وكيف أستطيع يا سيدى ان اكون مسلمة ، فانى قد أحببت هذا الدين السمح الكريم من صفاتكم الجميلة ، وأخلاقكم النبيلة ؟

قال صلاح الدين : طريقة الاسلام سهلة ، تشهدين أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله .

فنطقت المرأة بالشهادتين ، ودخل نور الاسلام قلبها ، ثم تلفتت وراءها ، فوجدت زوجها الذى كان أسيرا يقول مثل قولها . وأسلمت المرأة ، وأسلم معها زوجها ، لما فى الاسلام من منطق وعدالة وانسانية ، ورحمة وتسامح ومدنية .

وقد كان الحكام من المسلمين فى الاندلس متسامحين كل التسامح مع المسيحيين ، فقويت الصلة والعلاقة بين المسيحيين ، والمسلمين . وسمى المسيحيون أبناءهم بأسماء عربية ، وحلت اللغة العربية محل اللغة اللاتينية فى جميع أنحاء أسبانيا ، حتى أهملت اللاتينية ونسيت فى القرن الحادى عشر الميلادى فى تلك البلاد . ولكثرة المعاشرة والاختلاط بالمسلمين ثابر المسيحيون على تعلم اللغة العربية وآدابها ، لغة القرآن الكريم والدين .

ولهذا لا نعجب اذا رأينا مؤلفا مثل (الفار AIVAR) معروفا بعدائه للاسلام ، وتعصبه ضد الدين الاسلامى يعترف بأن لغة القرآن عذبة جميلة فصيحة جذبت حتى المسيحيين ، فاخذوا يقرءونه ، ويعجبون به كل الاعجاب .

(بقية مقال الاسلام والجهاد)

سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلاوليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون» .

نرجو للمسلمين الذين آمنوا بما جاء فى القرآن الكريم ان يوحدوا كلمتهم فى ركب الزحف المقدس ويسيروا صفا واحدا يتنافسون فى الفوز بمابشرنا الله به وعار علينا أن نترك أرض العروبة الطاهرة يدنسها الصهاينة فاذا ما سرح الخيال الى الثمانين مليونا من المسلمين فى اندونيسيا والخمسين مليونا فى الصين وبضعة الملايين فى الملايو وسيام وبورما وما يقرب من المائة مليون فى الباكستان واكثر من مائة مليون فى منطقتنا بالشرق الاوسط وأربعين مليونا من المسلمين داخل الاتحاد السوفييتى وملايين غيرهم فى ارجاء الأرض المتباعدة ألا يمكن أن يحقق التعاون بينهم امكانيات هائلة تكفل للاسلام قوة بغير حدود .

ألا يمكن أن يكون الحج مؤتمرا سياسيا يجتمع فيه كل قادة الدول الاسلامية ورجال الرأى فيها وعلمائها وكتابها وتجارها وشبابها ليضعوا فى هذا البرلمان الاسلامى العالمى الخطوط العريضة لسياسة بلادهم وتعاونها معا حتى يحين موعد اجتماعهم من جديد بعد عام ؟ يجتمعون خاشعين .. ولكن أقوياء متجردين من المطامع لكن عاملين مستضعفين لله ولكن أشداء على مشاكلهم وأعدائهم حالمين بحياة أخرى ولكن مؤمنين أن لهم مكانا تحت الشمس يتعين عليهم احتلاله فى هذه الحياة . وهذه هى الحكمة الحقيقية للحج كما أوضحها الرئيس جمال عبد الناصر فى كتاب فلسفة الثورة وفقه الله لجمع شمل المسلمين واعلاء كلمة الحق والدين فوالله لو توحدت صفوف المسلمين لدككنا أعناق المعتدين ومن يمالئونهم وكان وعدا أعلى الله نصر المؤمنين .

نظرة إسلامية في أخلاقيات البيع والشراء

الأستاذ محمد فاروق عسر

الطعام وسوء التغذية اصبحت الان من المشاكل التى تبحث على الصعيد الدولى . تنعقد لها المؤتمرات وتصدر لها التصريحات .

وفى الجمهورية العربية المتحدة نجد المشكلة تاخذ فى حلها طريقا معينا يتفق مع سياستها الاشتراكية فى النهوض بمستوى الأفراد وتوفير الخدمات التموينية لهم . والحد من سيطرة الاحتكار ورأس المال المستغل والاقلال من الوسطاء والاعباء التى تزيد من أثمان السلع مع مداومة مراقبة الاسعار وتوفير المواد الغذائية بأيسر الاسعار .

وقد جاء فى الباب الاول من الميثاق . « ان الشعب المصرى فى ثورته الاصيلة ضرب جميع الاحتكارات المحلية فى نفس الوقت الذى كانت هذه الاحتكارات تتصور ان حاجته اليها بسبب ضرورات التطور ماسة وشديدة » .

ثم يوضح الميثاق العلاقة بين الاحتكار وبين الحرية بما ياتى . « ان الذى يحتكر رزق الفلاحين والعمال ويسيطر عليه ـ يقدر بالتبعية ان يحتكر اصواتهم وان يسيطر عليهم ويملى ارادته ـ ان حرية رغيف الخبز ضمان لابد منه لحرية تذكرة الانتخاب ـ ان حرية التصويت من غير حرية لقمة العيش وضمانها فقدت كل قيمة فيها واصبحت خديعة مضللة للشعب » .

وفى بيان الرئيس جمال عبد الناصر فى افتتاح مجلس الامة يوم ٢٦ مارس سنة ١٩٦٤ جاء فى باب مظهر الرخا وجوهره « كان يمكن ان يضللنا فى هذه الظروف مظهر الرخاء عن جوهر الرخاء . ان الرخاء للقلة على حساب الكثرة فى المجتمع صدام فى داخله لايمكن تجنبه . ولا ضمان سلامته . فضلا عن عدم اخلاقيته ومنافاته لكل مبدأ انسانى . بل لكل حق انسانى » .

كما جاء فى الباب السادس من الميثاق : « ان التقدم عن طريق النهب أو التقدم عن طريق السخرة لم يعد أمرا محتملا فى ظل القيم الانسانية الجديدة » .

لهذا لم يكن غريبا أن نجد الرئيس جمال عبد الناصر يهتم اهتماما شخصيا بالاسعار ومشاكل السلعة والتموين فى الجمهورية ويعطى سيادته توجيهات كبيرة فى هذا الشأن .

ومشكلة الاسعار ومشكلة البيع والشراء مشكلة قديمة منذ بدأ الانسان يمارسها . وقد احتك بها الاسلام منذ أول ظهوره . احتك بها ليضع لها قواعد مستمدة من الاخلاق الكريمة والصلات الانسانية على أعلى مستوى . « واحل الله البيع وحرم الربا » .

ونجد فى مجال تطبيق هذه الآية الكريمة فى الحياة العامة قواعد أخلاقية عظيمة تمس من قريب كل قواعد البيع ومجال نشاطه . وتجعل العملية تسير فى نظام سليم يضمن تداول السلعة فى غير احتكار وفى غير مغالاة فى الاسعار وبدون غش .

وكل مجال من هذه المجالات يحتاج فى بحثه الى ما يزيد عن نطاق هذه المجلة الغراء . ولكن يمكن بسرد بعض الامثلة وبعض الوقائع ان نفهم روح المشرع المسلم والحاكم المسلم فى تنظيم البيع بصفة عامة وفى حل

المشاكل التموينية بصفة خاصة . ونحيط بجانب ذلك بقوة العقيدة وحسن الاسلام والايمان عند كل من البائع والمشترى .

يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « المسلم اخو المسلم لايظلمه ولا يسلمه » . وقال الامام ابن حزم : « من تركه يجوع ويعرى فقد أسلمه »

ويحسن أن نعرف الاحتكار كما قال به بعض فقهاء الاسلام . فالاحتكار لغة احتباس الشيء انتظارا لغلائه وشرعا اشتراء الطعام ونحوه وحبسه الى الغلاء .

والاحتكار بهذا المعنى حرام . ووارد فى تحريمه احاديث كثيرة . منها قوله صلى الله عليه وسلم : (لايحتكر الا خاطىء) . (من احتكر على المسلمين طعامهم لم يمت حتى يضر به الله بالجذام او الافلاس) (الجالب مرزوق والمحتكر ملعون) . (من دخل فى شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة) أى بمكان عظيم .

وقد أورد ابن القيم خلاصة حكم الاسلام فى الاحتكار فقال : (ان المحتكر الذى يعمد الى شراء ما يحتاج اليه الناس من الطعام فيحبسه عنهم ويريد اغلاءه عليهم وهو ظالم لعموم الناس . ولهذا كان لولى الأمر ان يكره المحتكرين على بيع ما عندهم بقيمة المثل عند ضرورة الناس اليه . مثل من عنده الطعام لا يحتاج اليه والناس فى مخمصة . أو سلاح لا يحتاج اليه والناس يحتاجون اليه للجهاد . أو غير ذلك . فمن اضطر الى طعام غيره اخذه منه بغير اختياره بقيمة المثل ولو امتنع عن بيعه الا باكثر من سعره . فاخذه منه بما طلب . لم يجب عليه الا قيمة مثله) .

اما التسعير فقد عرفه الشوكانى فى نيل الاوطار بقوله (هو أن يأمر السلطان او نوابه او كل من ولى من أمور المسلمين امر أهل السوق الا يبيعوا امتعتهم الا بسعر كذا فيمنع من الزيادة عليه أو النقصان لمصلحة) .

ويرى الامام مالك رضى الله عنه انه يجوز للامام التسعير رعاية لمصلحة الناس ودفع الضرر عنهم . ولا يشترط الامام مالك التعدى الفاحش ليتدخل الامام كما يشترط ذلك الاصناف .

ونود أن نوضح أنه فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم طلب منه التدخل فى الاسعار فرفض . فقد روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال (غلا السعر فى المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال الناس: يارسول الله غلا السعر . فسعر لنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله هو المسعر القابض الباسط الرازق . وانى لارجو أن القى الله تعالى وليس احد الامام كما يشترط ذلك الاحناف .

وقد علل ابن القيم عدم التسعير ايام الرسول صلى الله عليه وسلم اذ قال وانما لم يقع التسعير فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة لانهم لم يكن عندهم من يطحن ويخبز بكراء . ولا من يبيع طحينا وخبزا بل كانوا يشترون الحب ويطحنونه ويخبزونه فى بيوتهم . وكان من قدم لا يتلقاه أحد بل يشتريه الناس من الجلابين . ولهذا جاء فى الحديث (الجالب مرزوق والمحتكر ملعون) وكذلك لم يكن فى المدينة حائك بل كان يقدم عليهم بالثياب من الشام واليمن وغيرهما فيشترونها ويلبسونها) .

ولكن لما تغيرت الحال بعد ذلك فى الدولة الاسلامية واتسعت رقعتها وتعددت مشاكلها . وظهرت مشاكل لم تكن موجودة او لم تكن واضحة تماما . اقر الائمة مبدأ التسعير كما راينا فى رأى الامام مالك رضى الله عنه .

وقد كره النبى صلى الله عليه وسلم الغش فى المعاملات . ومما قاله فى هذا الشان « من غشنا فليس منا . كما قال أيضا : لاضر ولا ضرار . وكره المسلمون أن يغش بعضهم بعضا أو أن يدخل عليه بضاعة بالتدليس والخداع مهما كان الربح .

ومما يروى فى هذا الشان أن الامام ابا حنيفة رضى الله عنه كانت له تجارة يتكسب منها ، واتفق أن شريكه باع صفقة من ثياب الخز وفيها ثوب معيب دون ان يطلع المشترى على عيب الثوب . وكان المشترى تاجرا غريبا. فلم يعثر له على أثر . فتصدق ابو حنيفة بقيمة الصفقة كلها . تورعا أن يدخل عليه قيمة الثوب المعيب ..

وكان الامام البخارى يتكسب من التجارة فاتاه من يساومه على شراء صفقة من الثياب بثلاثة عشر الفا فلم يقبل . فلما ذهب المشترى ندم البخارى على أنه لم يبعه تلك الصفقة بما دفع من المال . ونوى أنه ان رجع باعه اياها بذلك المبلغ . ولكنه عاد فى اليوم الثانى ودفع اليه خمسة عشر الفا . فأبى البخارى أن يقبض أكثر من ثلاثة عشر الفا . فعجب المشترى من ذلك وقال له : بالامس دفعت لك هذا المبلغ فلم تقبل . وانا ادفع لك اليوم ما طلبته بالامس . فما شانك ؟ فاجابه البخارى : اننى بالامس كنت نويت أن أبيعك الصفقة بهذا المبلغ اذا عدت . وانى أخجل من الله ان أعود من عزم قد عزمت عليه .

وكان عند يونس بن عبيد ثياب مختلفة الاثمان ،ضرب قيمة كل حلة منها أربعمائة ، وضرب قيمة كل منها مائتان فذهب الى الصلاة وخلف ابن أخيه فى الدكان . فجاء اعرابى وطلب حلة بأربعمائة . فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها ، فاشتراها ومضى بها وهى على يديه ، فاستقبله فى الطريق يونس فعرف أنها من بضاعته . فقال للاعرابى : بكم اشتريت ؟ فقال : بأربعمائة . فقال يونس : لا تساوى أكثر من مائتين ، فارجع حتى تردها . فقال الاعرابى : هذه فى بلدنا تساوى خمسمائة ، وانا ارتضيها . فقال له يونس : انصرف فان النصح فى الدين خير من الدنيا بما فيها ، ثم رده الى الدكان ، ورد عليه مائتى درهم . وخاصم ابن أخيه فى ذلك وقاتله ، وقال له : أما استحييت ؟ أما اتقيت الله ؟ تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين؟ فقال : والله ما أخذها الا وهو راض بها . قال يونس : فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك .

وكان السرى السقطى قد اشترى لوزا . الكر منه بستين دينارا وكتب عنده أن ربحه ثلاثة دنانير . فصار اللوز بتسعين . فأتاه الدلال وطلب اللوز . فقال خذه قال الدلال : بكم ؟ فقال بثلاثة وستين . فقال الدلال - وكان من الصالحين - فقد صار اللوز بتسعين . فقال السرى : لقد عقدت عقدا لا احله . لست أبيعه الا بثلاثة وستين . فقال الدلال : وأنا عقدت عقدا بينى وبين الله ألا أغش مسلما . لست آخذ منك الا بتسعين. فلا الدلال اشترى ولا السرى باع .

هذه أمثلة ومثلها كثير فى معاملات السلف الصالح وفيها اسمى معانى التمسك بمبادىء الاسلام الكريمة والتحلى بكل القيم الخلقية والانسانية السمحة مهما كان الغرم المادى طالما أن ذلك تقوى الله وحسن عبادته *

الجمال الساحر في أسلوب القرآن

الأستاذ حسن الشيخة

السحر الحلال هو كل ما لطف ماخذه في التعبير ، واشرق في النفس بما يملؤها نورا ، وفي القرآن الكريم من ذلك ما تسجد له القلوب ، وتصلى له الافئدة صلاة الجمال ، ويستقر في احساس من يتذوقه - بغير استئذان .

الجمال في التعبير ادق لطفا من البلاغة ، فكم من تعبير بليغ يجمع في ألفاظه المتخيرة كل الفصاحة ، وفي معانيه السرية كل البلاغة ، في أسلوب عذب سلسل ، ولكنه لا يشيع في نفسك البهجة مثلما يشيع جمال تعبير القرآن ، ولا يشعشع في قلبك ما يمتزج به من جمال الذكر الحكيم .

جرى الفلاسفة أشواطا في التعرف على مواقع الجمال ، واكب علماء النفس على التهدى الى طرق الكمال ، وسطر جهابذة اللغة العربية فصولا في المقارنات بين التعبيرات ، وعندما وضعوا بجانبها نظم القرآن في ضرب الأمثال ، عرفوا انها نسيج وحدها في الجمال المطلق الذي لا يقارن بأي جمال .

خذ مثلا قوله تعالى

« الله نور السموات والارض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري ، يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء ... »

هذه الآية الكريمة من الآيات التي تستوقفني كلما تلوتها ، فنظمها عجيب ، وجمالها أعجب ، ونسجها حديقة غناء ، شجراء ورقاء

النور له معنيان ، نور حسي وهو الظاهرة الفائضة على الكون ، التي يكون بها الابصار ، والاهتداء الى المرئيات ، ونور معنوي هو الادراك بالبصيرة ، وهذا هو معنى النور المجرد عن كل اضافة ، اما اضافته في الآية الى الذات العلية اولا ، والى السموات والارض ثانيا فان ذلك ينقل معنى النور الى فسيح من القول ارحب رفعة ، واوسع افقا .

النور بالاضافة الى الذات العلية لايصح ان يؤول في الآية بتلك الظاهرة المحسوسة وهي العين التي هي واسطة الابصار ، بل يكون المراد به اما الهداية ، هدى أهل السموات والارض الى طريق الرشاد ، بما أودع في نفوسهم من قوة ، وبما صور لهم من أدلة ، تنورلبصائرهم طرق الرشد فيتبعونه ، واما أن يكون بمعنى التدبير ، باجراء سنتهما في شئونهما على مقتضى الحكمة التي فصل لهما آياتها ودقائقها ، وسهل لهما سبيل السير على مقتضاها ، واما أن يكون بابداعهما في خلقهما ، على غير مثال سابق ، وعلى أكمل تصوير ، واما أن يكون بمعنى منورهما بالكواكب نورا حسيا ، وبالشرائع نورا معنويا ، وهذه تقديرات عدة في المراد من معنى النور ، على أنه يصح أن يشملها جميعا ، لانه لا تناقض فيها ، ولان النور بالاضافة اليه تعالى لا حدود له يقف عندها ، فهو نور الانوار جميعا ، ومظهر الكائنات كلها ، ولولاه لكانت مطموسة في ظلمات العدم

جمال التمثيل في الآية واضح ، وهو تشبيه هيئة مركبة باخرى مثلها ، دون التفات الى الاجزاء التي حصل منها التركيب ، واذن فلا داعي الى أن يقال ان الآية شبهت صدر المؤمن بالمشكاة ، وقلبه بالمصباح ، والمعارف التي تغدق عليه بالزيت .. فان هذا انما يكون في التشبيه المفرد ، لا في التمثيل الذي يراعى فيه الهيئة المركبة ، التي هي وجه الجمال في الآية الكريمة .

أما المفردات التي كونت هذه الهيئة المركبة التي ضربها الله مثلا لنوره فهي أولا المشكاة ، وهي الكوة في الحائط غير النافذة ، وثانيا المصباح ، وهو السراج الثاقب ، كان اصل أخذه من الصبح ، لما فيه الضوء ، ولما يشعه من النور ، وثالثا الزجاجة ، وهي القنديل الشفاف الصافي ، ورابعا الكوكب ، وهو من الاجرام السماوية المضيئة ، وقد وصف بالدري نسبة الى الدر ، لصفائه وتلألؤه ، وخامسا الزيتون وهو معروف ، ومعنى وصف شجرة الزيتون بانها لا شرقية ولا غربية انها ليست شرقي جبل أو حائط يحجب عنها ضوء الشمس آخر النهار ، ولا غربي

« البقية ص ١١٨ »

حل الأزمات في الإسلام

الدكتور فؤاد محمد فخر الدين

تحدثنا في المقال السابق عن الأزمات التي تطرأ على حياة الانسان الفردى ، والانسان العائلى ، والانسان الجماعى ، والانسان الشعبى ، والانسان الدولى ، مما جعل الانسان فى حياته متأثرا بظروف قاسية يحتاج الى علاج يخرجه منها حتى يستطيع الحياة فى جو هادىء مطمئن البال .

لاشك ان الانسان القديم فى عصور غابرة يعانى هذه الازمات النفسية ، وكان يعالجها بأنواع السحر والشعوذة ، يقوم بها الكهان والعرافون ، وهؤلاء الذين يدرسون القضية الانسانية على ان النفس تنفصل فى مفهوما عن الروح ، وقد تطورت هذه الفكرة العلاجية الى اقامة حفلات الزار ، وهى من الامور التى تخرج النفس من ازمتها وهما ، وفى المعتقد التوتمى يرى الانسان فى علاج نفسه اعتبارها اقل شأنا من معبوده المقدس سواء كان ذلك المعبود حيوانا او غيره . فيصور تلك النفس خاضعة للظروف التى هى فيها فلا يقاومها ، انما يترك المسألة على علتها ، لان المعبود هو الذى يتصرف فى هذه الأمور ، وهو حقير بالنسبة لذلك المعبود . والدين البراهمى يقسم الانسان الى طبقات لاخضاع النفس الانسانية الى الحياة التى فرضت عليها حسب النظام الالهى ، ولا يستطيع المرء تغيير هذا الوضع الطبقى والخروج عنه مهما بلغ من ثقافة او ثروة او سعى او جهاد روحى او عمل .

هذه المسائل دخلت فى الحياة المدنية بصورها واخذت صورا كثيرة فى الشعور بالتفرقة العنصرية ، وبالنزاع الجنسى ، وبالخلاف القبلى ، وهو ناشىء عن ازمة نفسية ، واحساس قلبى اشعلته نظم الحياة والحضارة ، وجعلته عنصر العناء الشديد فى حياة الانسان الفردى والجماعى .

فالانسان الذى يعيش فى هذا العالم المضطرب فى افكاره يسوده القلق ، وتؤثر فيه تلك الاختلافات والخلافات التى تؤدى الى نزاع سواء فى الميدان الوطنى او الميدان السياسى ، وسواء فى شعب واحد او بين الشعوب . فهناك ازمات التفرقة العنصرية وازمات سياسية بين وطن ووطن ، وبين أمة وأمة ، وما زلنا نعالج هذه الازمات بطرق سياسية بحتة وهى مبنية على التفكير الانسانى المطلق ، والى العقل المجرد من الضمير الدينى والوازع الروحى ، فلم تنجح عصبة الامم التى وجدت اثر الحرب العالمية الاولى فى اداء مهمتها فى حفظ السلام واقامة العدل . ولم تستطع هيئة الامم المتحدة التى انشئت عقب الحرب العالمية الثانية علاج المسائل والازمات الدولية القائمة حول النزاع العنصرى ، والخلاف الدينى ، والتباين المذهبى فى السياسة وغيرها . فاضاعت مصالح امم ارضاء لامم اخرى ، وذهبت من اجلها فلسطين العربية الجريحة ضحية مصلحة الصهيونية العالمية التى لها نفوذ اقتصادى وسياسى فى الغرب . هكذا ضاعت مصالح الامم الصغيرة اشباعا لهوى الامم الكبيرة دون ضابط دينى سائد ودون شعور انسانى متحكم .

ومن هذا القبيل انتعشت التفرقة العنصرية فى الولايات المتحدة الامريكية ، وفى جنوب افريقيا ، وهى لاتتفق والمبدأ الانسانى ، والاسلام يبغض مثل هذه التفرقة ان تعيش بين الامم قويها وضعيفها ، فنادى بالوحدة فى القلوب والاحساس والشعور تلافيا من كراهية الانسان لاخيه الانسان مهما اختلفت اللغات ، وتباينت الالوان ، وتنوعت العناصر والجنسيات « الناس ولد آدم ، وآدم من تراب ، وقال تعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » وقال سبحانه : « يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا .. ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير » وقال جل شانه : « وكلهم آتية يوم القيامة فردا » وقال عليه الصلاة والسلام : « لافضل لعربى على عجمى ، ولا

لقرشي على حبشي الا بالتقوى » . وقال : « الناس سواسية كأسنان المشط » . وقال : « اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كان راسه زبيبة » وقال : « اوحى الله الى ابراهيم : ياخليل ، حسن خلقك ، ولو مع الكفار ، تدخل مداخل الابرار ، فان حكمتي سبقت لمن حسن خلقه ، ان اظله في ظل عرشي ، وان اسكنه حظيرة قدسي ، وان ادنيه من جواري » وقال : « اول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين على اثرهم كاشد كوكب دري في السماء اضاءة ،قلوبهم على قلب رجل واحد لااختلاف بينهم ، ولا تباغض ولا تحاسد » .

ويقول جوليان هكسلي في كتابه : « الانسان في العالم الحديث » ص ٣ : « وبالقضاء على النظم الدينية والخلقية والسياسيةالقديمة ، اصبح الانسان في حاجة ملحة الى نظام للقيم والمثل العليا ، فما دفعه الى اعادة البحث بدقة اكثر في مركزه البيولوجي . واذا كان ذلك كذلك فانه موضوع اتركه للمؤرخين الاجتماعيين ، وتبقى الحقيقة وهي ان الخطار يتارجح ثانية ، وتتسع الهوة بين الانسان والحيوان مرة اخرى » .

ويقول في مكان آخر من ص ٢٤٧ : « والعالم الغربي في هذه الايام ، واقع في ورطة ظاهـرة بين طريقتين متعارضتين للفكر . الاولى تفكر بمصطلحات المطلقات ـ مطلقات الحق والجمال والعدل والطبيعة وهي مستمدة كلها من مطلق المطلقات وهو الله .

ويتم العالم الطبيعي ماوراء الطبيعة ، والجسم والروح والمؤقت الابدي ويعطى هذا الراى بالضرورة ، صورة ثابتة للعالم . وليس تتابع الحالات الا تغيرا نحو كمال القيم الابدية ، والتقدم الوحيد فيها تقدم روحي . وهذه الطريقة لاتعرف الاختبار والطريقة التجريبية . ويقول اتباعها ان الكتاب المقدس يجيب عن كل الاسئلة التي يمكن الاجابة عنها وان مكانة الانسان في العالم هي مكانة الروح الخالدة التي خلقها الله ، والتيتصنع مصيرها بمصطلحات القيم الدائمة » .

« والثانية الطريقة العلمية . وهي تخضع استنتاجات العقل الى حكم الحقيقة ، لتكون مجموعة متزايـدة من المعرفة المختبرة . وترفض الاسئلة التي لايمكن الاجابة عنها ، وترفض الاجوبة التي لايمكن استمدادها الا من الكتاب المقدس . وهي تكشف عن الصلات بين الاشياء في العالم ـ صلة حركة القمر باثر الارض والشمس ، وصلة طبيعة الكائن الحي ببيئته ، وصلة الحضـارة الانسانية بالظروف التي اوجدتها . وهي تدخل التاريخ في كل شيء . فالنجوم والمناظر الطبيعية لها تاريخها مثل انواع النبات ، والمنظمات الانسانية . ولا يمكن فهم اى شيء من غير معرفة شيء عن ماضيه . ويقـول هويتهد ان كل حالة ، صورة او اثر لكل حالة اخرى ماضية وحاضرة . وهي ترفض التثنيـة . وما وراء الطبيعة ـ الى حد ما ـ عبارة عن المنطقة التي ، لمـا نفهمها من الطبيعة ، وهي الى حد ما من مبتكرات الوهم الانساني ، ثم انه الى حد ما لايمكن معرفته . وليس الجسم والروح ذاتيتين منفصلتين ، ولـكنهما مظهران لبناء واحد . والانسان هو ذلك الجزء من مادة العالم العامة ، التي تطورت حتى اصبحت قادرة على ادراك القيم العقلية والمفيدة . ومركزه في العالم مواصلـة هذا التطور وتحقيق تلك القيم » .

ولا يمـكن التوفيق بين هاتين الطـريقتين للبحث والتفكير في العالم ـ كما لا يمكن التوفيق بين السحر والزراعة العلمية ، وبين التطبيب بالشـعوذة والطب الوقائي ، او بين تاليه العدد والرياضة العالية . ولما كان تفكيرنا لايزال يشتمل على عناصر من كلتيهمـا فكثيرا مايحدث الخلط بينهما » .

ويقول جراهام دالاس في كتابه « الطبيعة البشرية في السياسة » ترجمة الاستاذ عبد الكريم احمد في صفحة ٢٧ : « ان اى شخص يعتزم ان يقيم تفكيره السياسي على اساس من اعادة فحص الطريقة التي تعمل بهـا الطبيعة البشرية يجب ان يبدا بمحاولة التغلب على ميله هو ، نحو المبالغة في تقدير الناحية العقلية في الجنس البشري » .

ويقول في ص ٣٠ منه : « وتحدو الآن الـكتب المدرسية في علم النفس ، كل طالب ضد خرفة « العقلية» التي تمثلها العبارة التي نقلتها عن « ماكول » ومن المتفق عليه الآن ان للنزعة تاريخا في التطور يسبق تاريخ تلك العمليات العقلية التي كثيرا ماتوجه النزعة او تغيرها . فالتكوين الذى ورثناه يجعلنا نجنح الى الاستجابة ، عن طريق رد الفعل ، بطريقة معينة لبواعث بذاتها ، لان مثل هذه الافعال المنعكسـة افادت في المحافظة على نوعنا في الماضي .. وبعض هذه الافعال هي مانسميه بالتحديد « غرائز » اى النزعات نحـو تصرفات ـ او سلسلة من التصرفات ـ محدودة مستقلة عن اى توقع لنتائجها المحتملة » .

وتكون هذه الغرائز احيـانا لاشعورية ولا ارادية واحيانا اخرى تكون شعورية وارادية ، كما هو الحال فينا وفي الحيوانات العليا .

بيد ان مايظهر فيها من ربط بين الوسائل والغايات ليس نتيجة لتدبير من جانب القائم بالتصرف ، بل لما تم في الماضي من بقاء « الاصلح » من بين عدة اتجاهات مختلفة في التصرف . بل ان الغريزة تستمر حتى بعد ان يتضح عدم فائدتها ، كما في حالة الكلب الذى يدور حول نفسه لتمهيد الحشائش قبل ان يقام على بساط ، بل وحتى عندما يدرك خطره ، كما يحدث عندما يحس شخص شفي لتوه من التيفود برغبة شديدة في الاطعمة الصلبة .

والحقيقة التي مؤداها ان النزعة ليست دائما نتيجة للتفكير الثورى في المستقبل تبدو باوضح مايكون في حالة الاطفال » .

ويقول بعد ذلك : « وبناء عليه فمن الممكن ان نتجنب المعضلة المعقدة التي استعملها مستر « بالفور » حجة للدلالة على انه لابد لنا ان نثبت ان الرغبـة ـ في الوصول الى الحقيقة العلمية مثلا ـ تنحدر من صـلب غريزة بذاتها من بين الغرائز التي تعلمنا « القتال والاكل وتربية الاطفال » ، والا لما بقى امامنـا الا ان نعترف بان الدرس الديني القصير له مصدر علوى » .

ولم يعالج الدين المسيحي الازمات النفسية فالتبتل مثلا عند عباده ورهبانه وكهـانه كثيرا مايؤدى الى اضطراب نفسي ، وهو نظام يخالف طبيعة البشر العادى ويتنافى والغريزة الانسانية وتكوين الانسان الشخصي كما انه يتعارض والنظام العـام في حياة الافـراد والجماعات ، ويقف عقبة امام الفطرة السليمة من تكوين زيجة ، وانشاء بيت عائلي وتاليف مجتمع اسرى .

ويذكر الدكتور كمـال دسوقي في كتـابه « امراض نفسية » ص ١٨ : « اما اكثر المهن تعرضا للعصاب فهي مهنة المدرسين وخصوصا المدرسات (حيث اثبتت هـذه الدراسة عيبها ان نسبة ٥٤٪ من المدرسين المفحوصين تعاني هذا المرض) يليهم الراهبات ورجال الدين » .

ذلك الكبت ، والاضطراب الداخل الناتج عن حرمان النفس من طلباتها الطبيعية التي ادت الى تلك الازمة لم

يكن هو الوحيد فى اثارة الازمات النفسية ـ على وجه العموم ـ بل هناك الانحراف فى السلوك الذى ينبىء عن اضطراب عقلى ونفسى .

وقد تناول التصوف هذه الناحية من الترويض النفسى واعلاء الذوق الروحى المقتبس من الدين لتكون الروح مسيطرة على الشهوات والاهواء والنزوات حتى يكون الانسان صافيا نقيا . فالتصوف من هذه الناحيـة معالجة النفس باظهار الاخلاق الفاضلة ، وهو يجمع بين علمى النفس والاخلاق فى اطار واحد ليجعلهما طريقا واحدا فى مجابهة تلك الشهوات والنزوات والاهواء .

ويقول السيد محمود ابو الفيض المنوفى فى كتـابه « المدخل الى التصوف الاسلامى » ص ١٠ عن تعريف التصوف : « والصوفى الحقيقى اجمالا : « رجل مدنى اجتماعى بجسمه ، وعارف الهى بروحه وقلبه » ويقول الاستاذ جلال العشرى فى كتابه « حقيقة الفلسفات الاسلامية » ص ١١٥ ـ ١١٦ : « والمتأمل فى هذه التعريفات التى قالها اصحابها فى رياضاتهم ومجاهداتهم العملية ، وفى اذواقهم ومواجيدهم النفسية ، وفى مكاشفاتهم ومشاهداتهم القلبية ، لاينبغى له ان ينفر منها لغرابتها عليه وعدم الفه لها

فان لغة العقل تعجز احيانا عن التعبير فى دقة عما يكنه القلب ، واسلوبنا المشوب بشوائب مادية قد لايجد السبيل الى وصف الالهامات النفسية ، والارواح التى تسبح فى عالم النور تعز مساحاتها فى حيز المادة والجسم المحـدود . ولعل الصوفية معذورون فى التزيى بزى خاص ، كى يتفق ظاهرهم مع باطنهم ، وفى اتخاذ لغة مستقلة تفصلهم عمن سواهم » .

وفى القرن العشرين ظهرت الحركة الشيوعية نتيجة لازمة اجتماعية أثر الثورات التتالية فى القارة الاوروبية وأثر التطور الصناعى الذى احدث انقلابا فى حياة البرجوازية واظهار العمال والفلاحين فى حياة جديدة . ومن اثر هذه الازمة حدوث تطور فى العقيدة اذ نادت الشيوعية بعدم الايمان بالله بل بعدم وجود الله ، واعتقدت بان الدين مخدر للشعوب . ثم ظهرت الحركة الفاشية فى ايطاليا سنة ١٩٢٢ والحركة النازية فى المانيـا سنة ١٩٣٣ وفى اسبانيا سنة ١٩٣٩ ، وهذه الحركات احدثت ازمات سياسية واقتصادية واجتماعية بل اظهرت الروح الوطنية العمياء التى تعادى ماسواها .

كل هذه الحركات خـروجا على الدين ، واحدث ثغرة فى النفوس مما ادى الى تزعزع فى العقـائد ، وتنافس فى البقاء ، وتسابق فى الفناء مما احدث حروبا افنت البشرية ، وحطمت المدنيات ، وغيرت النفوس واوجدت الضغائن والنفور

« يتبع »

بقية مقال «الجمال الساحر فى أسلوب القرآن»

شىء كذلك يحجب شمس اول النهـار ، فهى فى وجه ضوء الشمس ، ومرور الهواء ، وذلك أكمل لنضجها ، واطيب لثمرها ، فان الشجر المحجوب عن الشمس والهواء يكون عادة ضعيفا ، هزيل الثمر

هذا الجمال فى التصوير يحدث بلا ريب أثرا فى النفس، فقد جعل النور نور مصباح ، ولم يجعله نور شمس، ذلك أن نور الشمس وان كان اقوى الانوار المعروفة للعين ، الا انه لشمول بسطه على الارجاء لا تجد له فى النفس من تمثل معنى النور ـ ما تجده للمصباح يوقد فى الظلام ، فيبدده فى مقره ، مع بقاء الظلام فى غير المـكان الذى اضاءه المصباح ، وذلك ما يجذب البصر بما لا يجذبه اليه الضوء الشامل ، كالبرق فى تراكم دجى الظلمات ، يكون له من المفاجاة ما لا تحسه العين فى ضوء الشمس ، على حين أنه اشد منه ، هذا من ناحية العين المبصرة ، أما من الجهة النفسية فان نور المصباح اشد انطباقا على نور الهدى وسط ظلمات الشك التى تحيط ببعض النفوس واما ذكر المشكاة فلانه كلما كانت الأشعة منعكسة عن قرب كان ضوؤها أشد وكان جوانب المشكاة تعكس الاشعة بعضها على بعض عكسا متكررا ، فيزيدفى مضاعفة النور ، ومن هنا جرت العادة ان المصباح يحاط بما يجمع اشعته ، وتوجهها الى اتجاه واحد ، فيكون ذلك اقـوى لضوئها .

وكذلك جعل السراج فى زجاجة ، وهو ما يزيد صفاءه ولمعانه ، ولذلك وصفت الزجاجة فى الآية الكريمة بمايرى مزيد صفائها ، وقوة تألقها ، فشبهها بالكوكب الدرى المتلألىء الذى يموج شعاعه فيدفع بعض نوره بعضا.

بعد أن استوفى التصوير باعتبار ما يحيط به وصف مادته التى تغذيه ، وكان اعظم مايعرفون من مادة الاستصباح هو الزيت ومعروف ان زيت الزيتون اجود اصنافه ، وقد وصف شجرته بالنمو والبركة ، ثم عاد الى وصف الزيت بأنه يضىء ولو لم تمسسه نار ، والتعبير بلفظ « يكاد » مما يجعلنا نعرف جمال التعبير فى ان الزيت وان كان فى اضاءته بحاجة الى أن تمسسه النار ، الا انه لشدة صفائه وشفافيته يكاد يضىء وحده .

وبعد فان سلاسة التعبير فى الآية ورقته ، وبراعـة التصوير ، تجلى فى فطرة النفس التى هى مستعدة للالهام الأدبى انها أمام نور على نور ، وليس المراد بتكرار كلمة النور أنه نوران اثنان ، وانما المتبادر من جمال التعبير انه نور مضاعف ، يزداد كلما نظرت اليه وتاملته ، وذلك مثل ما تلهم من قول الشاعر :

يزيدك وجهـه حسـنا
اذا مـا زدته نظـرا

والموصوف بانه نور على نور هو نور هداية الخالق لعباده ، الممثل بذلك النـور الحسى الذى انتظمته الآية الكريمة .

حول الإمبراطورية الإسلامية و الأماكن المقدسة

تأليف المرحوم الدكتور
محمد حسين هيكل

عرض الدكتور
محمد جمال الدين الرمادي

هذا كتاب جديد لم يتح له القدر ان يرى النور الا منذ فترة وجيزة بل ان القدر لم يأذن له بالظهور الا بعد ان انتقل مؤلفه الى جوار ربه وفاضت روحه الى بارئها وهو كتاب قيم يضم الى سلسلة كتبه الاسلامية التى اثرى بها المكتبة الاسلامية اثراء عظيما .

اما الكتاب فهو الامبراطورية الاسلامية والاماكن المقدسة » اما المؤلف فهو المؤرخ الراحل المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل .

والدكتور هيكل له اياد بيضاء على التاريخ الاسلامى وسير اعلام المسلمين ومن اشهر اثاره العلمية كتاب حياة محمد الذى ارخ فيه حياة سيدالمرسلين وتناول فيه سيرته منذ ولادته حتى بعثه الله شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ثم تعرض لكفاحه فى سبيل تحقيق رسالة الاسلام وغزواته وسرياته حتى تم له الفتح المبين والنصر المؤزر العظيم واتم الله عليه نعمته ثم فارق الدنيا بعد ان ترك دينا وطيد الاركان متين الدعائم وكتابه لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وحماة لهذا الدين يستشهدون فى سبيله ويفدونه بالمهج والارواح .

ومن مؤلفاته ايضا « كتاب الصديق ابو بكر » الذى تناول فيه سيرة اول الخلفاء الراشدين ودرس البيئة السياسية والاجتماعية التى عاش فيها ودوره فى محاربة المرتدين والمارقين واعزاز كلمة المسلمين وكتاب « الفاروق عمر » الذى تعرض فيه لسيرة الامام العادل عمر بن الخطاب وصوره فيه اروع تصوير وحلل شخصيته واعماله ابدع تحليل .

والكتاب الذى نتحدث عنه اليوم هو كتاب الامبراطورية الاسلامية والاماكن المقدسة وقد تعرض فيه الدكتور محمد حسين هيكل للمبادىء العامة لنظام الحكم وخرج منها الى حقيقة هامة لابد من اجلائها وهى ان نظام الحكم الذى يتفق مع مقررات الاسلام هو النظام الذى تكفل فى ظله الحريات ويتخذ لنفسه اساسا من رضا المحكوم عن الحاكم وحق المحكوم فى مراجعة الحاكم ومحاسبته .

كما تعرض فيه المؤلف لفكرة اشتراكية والديمقراطية فى الاسلام وخلص الى ان الاشتراكية الاسلامية هى التى تقوم بالنفس على انها من فرائض الايمان فضلا عن ان الاسلام نادى بالا اكراه فى الدين انما لا بد ان يتم الايمان عن اقناع واقتناع ، ويقول المؤلف انالاشتراكية الاسلامية تناقض الشيوعية وتحاربها فهى على خلاف الشيوعية تعتبر الملك والاسرة والميراث نظما اساسية فى الحياة الاجتماعية ولكنها ترى الغنى الفاحش مصدر طغيان يخشى خطره ولذلك عملت للحيلولة دونقيام الملكية الكبيرة على اساس غير المجهود الذاتى .

ويقول المؤلف ان النظام الاقتصادى فى الاسلام مزاج من الفردية والاشتراكية فهو يقرر الملك والاسرة والميراث وهو يقيم طائفة من القيود والحدود تخفف عن التفاوت بين الناس فى حظهم المادى وهو يجعل قواعد الخلق القائمة على اركان الايمان الاسلامى اساس هذا النظام .

ويسرد لنا المؤلف نماذج مستقاة من التاريخ الاسلامي لتوضيح وجهة نظره والتدليل على رايه فيقول ان رجلا من اهل المدينة سال محمدا اى الاسلام خير فاجابه تطعم الطعام وتقرا السلام على من عرفت ومن لم تعرف •

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى الفقر فخره ويرى فى ادخار المال ما لا يتفق ومقامه من الرسالة • وكان عنده اول ما اشتد به المرض الذى اعقبته وفاته سبعة دنانير خاف ان يقبضه الله اليه وماتزال باقية عنده فامر اهله ان يتصدقوا بها لكن اشتغالهم بمرضه انساهم تنفيذ امره وسال عنها قبيل وفاته فلما ذكرت عائشة انها ماتزال عندهم طلب اليها ان تحصرها ووضعها فى كفه وقال ما ظن محمد بربه لو لقى الله وعنده هذه ثم تصدق بها على فقراء المسلمين •

واضاف المؤلف الى هذه الرواية التى تدل على عدالة رسول الله رواية اخرى تفيض بعدالته وتنضح بمروءته وتنم عن انصافه •

فقد حدث حين قسم النبى ان كان الخمس من الفيء والغنائم يرد الى رسول الله بحكم القرآن الكريم غير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى فى اعقاب حنين ان يتالف خصومه من اهل الطائف وغيرهم بأن يرد اليهم ما غنمه المسلمون منهم •

وفى عهد الصديق ابى بكر اكتشف منجم للذهب على مقربة من المدينة فى اراضى بنى سليم فساد ابو بكر فى تقسيم الذهب المستخرج منه سيرته فى تقسيم مابقى من الزكاة واخماس الفيء والغنائم •

فكان يسوى فى قسمته بين السابقين الاولين والمتاخرين فى الاسلام وبين الحر والعبد والذكر والانثى ، وقيل له الا تقدم اهل السبق على قدر منازلهم فكان جوابه انما اسلموا لله ووجب اجرهم عليه يوفيهم ذلك فى الاخرة وانما هذه الدنيا متاع •

اما عمر بن الخطاب فانه فضل السابقين الى الاسلام فى توزيع ما للمسلمين من حق فى بيت المال على غيرهم كما فضل نساء النبى امهات المؤمنين ثم فضل اهل بيت النبى وذوى قرباه •

وعدل عمر بن الخطاب عن توزيع الخمس الذى لبيت المال فى الغنائم والفيء وكان يقول :

لا اجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه •• والواقع ان عمر بن الخطاب كان يتوخى فى خطته العدالة الاجتماعية اولا وقبل كل شيء كما كان متاثرا براى الجماعة قبل ان يكون متاثرا بالنواحى الفردية •

وكتب الى سعد بن ابى وقاص يقول حين فتح العراق بعد ان امره ان يقسم المال بين من حضر من المسلمين « واترك الاراضى والانهار لعمالها فانك ان قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء » •

وان اعتبار الصدقة فريضة تعبدية وجعل مافى بيت مال المسلمين منها حقا مقررا لمن فرضه الاسلام لهم هو الذى يؤكد معنى الاشتراكية الاسلامية وكما كان المسلمون يبنون المساجد للعبادة ويرونها حقا مشتركا للجميع لا ينازع فيه منازع كانوا يبنون المدارس للجميع يتعلمون فيها بلا مقابل ويرون التعليم حقا مشتركا للجميع لاينازع فيه منازع كما كانوا يقيمون موارد للماء يشرب منها كل ظامىء وكانوا يعتبرون هذا كله وماماليه حقا مسلما به لذوى الحق فى الصدقة ممن ورد النص عليهم فى آيات القرآن الكريم •

ويضيف المؤلف الى هذه الافكار قوله ان الاشتراكية متحققة فى العبادات فمعنى الاشتراكية واضح فى صلاة الجماعة وفى الصوم كما ان فريضة الحج تنطوى على معانى الاشتراكية الاسلامية حتى لا يبالغ من يقول انها اوضح مظهر لهذه المعانى جميعا •

والفصل الثالث من كتاب الدكتور هيكل خصصه للمبادىء الرئيسية للحرية الشخصية التى قامت على اساسها مواثيق التنظيم الدولى فى اعقاب الحرب العالمية الثانية مبينا مابين هذه المبادىء وبين مقررات الاسلام من صلة التقارب او التباعد بين الطرفين • كما اوضح ما يترتب على وجود هذه الصلة من مسئوليات جسيمة وتبعات عظيمة فى بناء المجتمع الدولى المعاصر •

اما الجزء الاخير من كتاب الدكتور محمد حسين هيكل الآنف الذكر فهو خاص بالاماكن المقدسة فى الشرق الاوسط وقد تعرض فيه المؤلف الى اثر هذه المعالم الدينية فى الحياة الروحية فى العالم •

وحديثه فى هذا الجزء يذكرنى بكتابه المعروف « فى منزل الوحى » الذى تناول فيه الاماكن الاسلامية المقدسة غير انه فى هذا الكتاب لا يقصر الحديث على المعالم الاسلامية انما يتناول ايضا الاماكن المسيحية المقدسة مثل كنيسة المهد ببيت لحم وكنيسة القيامة •

وقال ان مولد عيسى معجزة فى الاسلام كما انه معجزة فى المسيحية فقد نفخ الله من روحه فى مريم فحملت فولدت عيسى فكان ذلك آية من آيات الله كما تناول الدكتور هيكل « مبكى اليهود » وصورة الحداء •

وقال الدكتور هيكل ان فكرة التوجه الى الله بالتوبة وطلب المغفرة هى التى ابقت الاماكن المقدسة جديدة امام كل جديد • وهى التى انشأت تلك الاماكن اول امرها •

وهى الاساس لنشأة اقدم هذه الاماكن واكثرها قدسية فمنذ فجر الاسلام كان الطواف بالكعبة يجمع كل معانى التوجه لله من شكر الى رجاء الى توبة الى استغفار ومن ثم كان شعور الحجاج اذ يبلغون هذه الاماكن المقدسة قويا فياضا بمعان روحية جليلة لا سبيل الى تصورها فى غير هذه الاماكن •

وقد حض الله تعالى على تبجيل الاماكن المقدسة فى الاسلام فكان مما قاله فى مقام ابراهيم :

« واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى •••

كما قال تعالى فى الصفا والمروة •• ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم »

هذا قليل من كثير مماتضمنه هذا الكتاب القيم الذى دبجته براعة المؤرخ الراحل محمد حسين هيكل وانه لن امتع ما الفه الفقيد واروع ماصدر فى تاريخ الاسلام •

ابن الفوطى البغدادى

الأستاذ محمد سيد جاد الحق

فى مستهل اليوم السابع عشر من المحرم سنة ٦٤٢ من الهجرة اشرقت فى سماء الوجود شمس وليد مبارك العمر مأمول الخير منتظر المستقبل ذلك الوليد الذى قدمه لنا التاريخ هو كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق بن احمد بن محمد المعروف بابن الفوطى البغدادى المؤرخ الاخبارى المحدث

مولده ونشأته :

ولد ابن الفوطى فى درب القواس من المحلة الخاتونية الخارجة عن دار الخلافة العباسية فى شرق بغداد فى بيت من بيوت الحنابلة وينتهى فى النسب الى الامير الكبير معن ابن زائدة الشيبانى وكان اهله بحكم مجاورتهم لدار الخلافة العباسية من أرباب الثراء وأهل الوجاهة والجاه وذوى الجدة واليسار . ولما ولد دعى أحد المنجمين وهو مجد الدين ابو الفرج محمد بن محمد الموصلى المنجم لعمل مولده على حسب طريقة أهل التنجيم فعمله كما كان يعمل عليه القوم لاولادهم وكان والده تاج الدين من الوجهاء والمختلفين الى مجالس الزهاد والصالحين والمحدثين والادباء والمتصوفة وكان أخوال والده من بياعى الفوط فعرف بابن الفوطى نسبة الى اخواله وكانت والدته من بيت معروف بالرياسة والتقدم فى الدولة العباسية وكان مولد ابن الفوطى فى خلافة المستعصم بالله الشهيد الذى كانت خلافته برهة اختلال فى شئون الدولة وتضاؤل فى جسمها وانحلال ادى الى سقوطها وزوالها على يد الطاغية هولاكو بن جنكيزخان التتار وقد نشئ ابن الفوطى تنشئة ابناء الاعيان فى ذلك الزمان وحضر منذ الصبا مع والده مجالس الوعاظ والصوفية المذكرين والادباء والرواة ولقى الزهاد والدعاة الى الله فتبرك بهم وباركوه على قلة هذه الوجهة عند الحنابلة واحضره والده مجالس كبراء المذهب الحنبلى فى ايامه واتصل بابناء الامراء والادباء ودرس مقامات الحريرى وسمع الحديث النبوى مع ذوى قرابته وتعلم صنعة التجارة ومهر فيها ونسب اليه انه كان يكاتب ملوك الشام وأرادوا تصديقه فهرب الى دمشق والفرار مما لايطاق من سنن المرسلين وفى كل قطر نزح اليه كان يبدو ميله الى الادب والتاريخ وعلم النسب فضلا عن علم الحديث المشهور بين الحنابلة وزاد من اقباله على علم النسب وجد انه واهله ينتسبون الى معن بن زائدة الشيبانى وقد ولد ذلك فى نفسه الترفع وان عرف بالتواضع ولين الجانب فى آخر عمره لما قاساه من أحداث الزمان وكوارث الايام ولما لاقاه من عبء السنين الفادح وذلك الولوع بعلم النسب ساعد على تكوين ملكته التاريخية فلا انساب بلا تاريخ وقد اخذ منذ عنفوان شبابه يقيد مواليد الشيوخ ووفياتهم ويثبت فى مجموعة فوائدهم على عادة الحديث الفوقة .

ابن الفوطى الاسير

ولما بلغ ابن الفوطى الرابعة عشرة من عمره دخل المغول بغداد فاتحين بقيادة طاغيتهم الجبار هولاكو فنكلوا باهلها وفعلوا الافاعيل من السلب والنهب وكان من بين القتلى الخليفة الشهيد المستعصم بالله وابناه الاكبر والاوسط احمد وعبد الرحمن واسروا الشباب والصبية واسترقوهم وسخروهم فكان ابن الفوطى فى جملة أسرى المغول من بغداد وقد بقى زمنا أسيرا مستعبدا حتى هرب من الكفار وتحرر وبعد ماافلت ابن الفوطى من يدى المغول انضوى الى الحكيم الفاضل العالم نصير الدين الطوسى وزير الطاغية هولاكو ولم نقف على الطريقة التى سلكها فى الانضواء اليه غير اننا نعلم ان الطوسى كان حكيما واسع الافق بعيدا عن التعصب الاعمى على النزعات ولولا انضمامه الى بطانة

هولاكو الطاغية لاجمعت الامة على تعظيمه واجلاله وايا كان الامر فقد صار ابن الفوطى فى عداد طلابه واتباعه ولعله اختاره لما رآه فيه من امارات الادب والرغبة فى العلم والفلسفة وتعلم الفارسية .

ابن الفوطى فى دار العلم النصيرية

لما انشا نصير الدين الطوسى دار العلم والحكمة بمراغه من مدن ازربيجان اسند الخزن فى خزانة كتب الرصد الى ابن الفوطى وكان الطوسى قد جمع فيها اربعمائة الف مجلد حملها اليها من مختلف البلاد فضم ابن الفوطى الى ما اخذه من دروس الطوسى ما تفرق فى تلك المكتبة من انواع الثقافات المختلفة فازدهرت معارفه ونما فضله وتم علمه فجمع منها مجاميع واقتبس وصنف والف وانتسخ لنفسه منها ونسخ لغيره واتصل بفئات من العلماء والادباء على تباين مشاربهم واختلاف الوانهم ونحلهم فاتسعت ثقافته العلمية والادبية وسلخ صباه وقضى عنفوان شبابه فى البحث والدرس ورای فى مراغة مالم ير فى مدينة اخرى سوى بغداد من مظاهر التمدن ومجامع العلماء وزمر الواردين من طلاب العلم ورواد الجاه وخطاب الولاية والامارة فصادف فيها جوا خصيبا من المعرفة وعيشا سهلا وعيشة لينة وتزوج بها زوجة حنبلية فولدت له أبا المعالى وأبا سهل واشتد حنينه الى بغداد فعاد اليها وخلف عياله فى مراغه واحتاج الى نفقة لعياله بمراغة فانفذ الى بعض الفضلاء يكتب من
الى نفقة لعياله بمراغة فانفذ الى بعض الفضلاء بكتب من
والدنانير تفضلا منه واتقن ابن الفوطى اللغة الفارسية ليستطيع العيش فى بلاد الفرس ويعايش زوجته الفارسية اللغة وقرا دواوين المشهورين من شعراء الفرس ونثارهم والف مجموعا ادبيا بالفارسية ومدح رجالا بانهم يحسنون الفارسية وفى ذلك دلالة على علمه بها وقد سمع ابن الفوطى فى بلاد العجم طائفة من شيوخ الحديث وأهل الادب والشعراء وطاف فى البلاد الفارسية واقام فى عدة بلدان منها فقويت ثقافته بالدراسة والمطالعة والسماع والمحاضرة والمحاورة والمحادثة فضلا عما كان حفظه فى ايام صباه ببغداد

عودة ابن الفوطى الى بغداد

عاد اليها فى ايام السلطان اباقا بن هولاكو وكانت بغداد قد عادت الى حالتها من الازدهار والطمانينة واطردت فيها مجارى الحياة وجرت امور مدارسها ومساجدها ومشاهدها على احسن حال حتى قيل انها كانت فى ذلك العهد خير منها فى ايام المستعصم بالله قتيل المغول وفى ايام استقراره بها نسخ كتاب التنجيم الذى ساد ذكره فى الناس مسير الشمس فى كل مكان وكان ابن الفوطى كثير الحركة فى طلب الرزق والعلم وسافر الى الكوفة ليستعين على رقة حاله برقة قلوب الاثرياء والامراء والكبراء وكثيرا مالهج بما اصابه من احسان المحسنين ونعمى المتفضلين مما يدل على كرم خلقه وحسن تواضعه وشكرانه للاحسان .

ابن الفوطى المؤرخ

كان ابن الفوطى مؤرخا بارعا وناسخا مجددا ومتقنا للغة الفارسية فكان اشتغاله بالمدرسة الغزانية فى الظفرية من شرقى بغداد مخففا لمؤنة العيش ولا احسب ان اشتغاله فى المدرسة المذكورة كان مقصورا على مقابلة تاريخ رشيد الدين الموسوم بجامع التواريخ بل كان ينسخ ويقابل فى اكثر تاليفه وفى ربيع الاخر من سنة ٧١٦ سافر ابن الفوطى الى السلطانية شاكيا او مسترفدا فقد كان يود عزل جمال الدين ابن العاقولى عن الاوقاف ولعله سعى فى ذلك فى تلك السفرة وعاد ابن الفوطى الى بغداد مرة أخرى وكان من توفيق الله عظيم منته عود ابن الفوطى اليها قبل قتل الوزير بن رشيد الدين ولولا ذلك ماسلم من الاذى لانه كان فى خدمته ومن أتباعه وان كان فى زمرة الناسخين والكتاب ففى ساعة الغضب وعسر الحساب لايتحدد الاذى والعقاب

سيرته العلمية وآثاره الادبية

كان ابن الفوطى قد هياه والده لدراسة الادب واتقان الحديث النبوى وعلومه فدرس المقامات الحريرية قبل ان يبلغ الرابعة عشرة من عمره ولكن كانت تلك الدراسة قليلة الجدوى لصغر السن لان الحشد اللغوى الذى احتوت عليه المقامات الحريرية وغريب الحديث الذى اشتمل عليه جامع الترمذى ليسا مما يستوعبه ويعيه تلميذ فيما دون الرابعة عشرة من العمر فالدراسة التى درسها ابن الفوطى قبل اسره ونقله الى خارج العراق اى قبل سنة ٦٥٦ التى قرضت فيها الدولة العباسية انما كانت اشبه بالاحلام الا ان فائدتها الجليلة كانت فى انقاذ ابن الفوطى من الامية وتعليمه الكتاب وهما بابا التثقيف والتعلم الاوحدان وفى شانه يقول الصلاح الصفدى وأما خط ابن الفوطى فلم ار أقوى منه ولا ابرع ولا اسرح ولا اسرع خط فائق رائع رائق بديع الى الغاية فى تعليقه وقال الذهبى وتبعه ابن رجب كتب الكثير بخطه المليح

وقال الذهبى فى المعجم المختص العالم المتفنن مؤرخ الدنيا فاق علماء الآفاق فى علم التاريخ وايام الناس وصنف فى ذلك وقر بعير بخطه المنسوب وعبارته العذبة وقال ابن حجر كان له نظر فى علوم الاوائل فقد درس ابن الفوطى علوم الاوائل ومنها الفلسفة على نصير الدين الطوسى وحضر مجالس كبار العلماء فى ذلك العصر وكانوا يردون مراغته جماعات ووحدانا وقضى من عمره اكثر من ست وخمسين سنة فى خزانتى كتب هما اعظم الخزائن فى عصره وهما خزانة الرصد وخزانة المدرسة المستنصرية ولهج ابن الفوطى بالتاريخ على اختلاف انواعه المعروفة يومئذ لان العيش الصوفى يميل الى التاريخ وفيه كثير من المواعظ والعبر والحوادث والتجارب والصبر ولانه خير ما تقضى به الأوقات وتستمع به النفوس الحكيمة وترك ابن الفوطى من التاليف ما تضيق الدنيا عن فضلها حتى اقر له بالفضل ، الذهبى والصفدى وابن حجر وابن رجب والسخاوى .

النهاية

واذا كان لكل شىء نهاية فقد كانت نهاية ابن الفوطى عند آخر شوط من اشواط عمره الغالى فاستمر دارسا باحثا منقبا حتى اصابه الفالج فتوفى مفلوجا عن احدى وثمانين سنة وكانت وفاته فى اخر غرة المحرم سنة ٧٢٣ بعد ما استمر فى الفالج اكثر من سبعة اشهر ودفن فى الشونيزيه مقبرة الصوفية وهى اقرب الى شرقى بغداد من مقبرة الامام احمد بن حنبل بباب حرب وكانت على سيرة ابن الفوطى مسحة من التصوف فكان صوفى السيرة والمعيشة دون المشرب والذوق وربما كان فى دفنه هناك سبب لانزال نجهله مما يخص سيرة ابن الفوطى من حيث الوفاء بحقوق المذهب الحنبلى وسلوك الطريقة السلفية والقيام بالفرائض والسنن اجزل الله له المثوبة وبلل بالرحمة ثراه .

حياة المقر الشهابي

ابن فضل الله العمري

مؤلف اكبر موسوعة عربية إسلامية في الجغرافيا والتاريخ والأدب

تتمة الوصف الشافي والبيان التاريخي الوافي

(١٢) عن مسجد الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي

تتمة الوصف الرائع الشافي ، والبيان التاريخي الوافي عن « مسجد الصخرة المشرفة » و « المسجد الاقصى » .

صفة السور الغربي

السور المغربي :

ويشتمل على سبعة ابواب بما فيه من باب الطهارة فانه الآن « عصر ابن فضل الله العمرى » غير نافذ .

وامام كل باب شجرة كبيرة من الميس او التوت ، وتحتها مسطبة يصلى الناس عليها ، ويستظلون ، خلا باب الغوانمة ، فليس قدامه شيء . ومبدا السور من المأذنة المذكورة .

ابوابه :

واول ابوابه من هذه الجهة ، باب الغوانمة . وطوله اربعة أذرع ، وعرضه ثلاثة أذرع . يصعد اليه من الحرم الشريف بعشر درج . وبحده الشمالى خلوة للبواب ، بارزة فى الحرم تقدير خمسة أذرع . ومن هذه الخلوة الى المأذنة المذكورة خمسة وثلاثون ذراعا . ومن الباب المذكور ـ على مضى ثمانية عشر ذراعا طالبا للقبلة ـ باب لطيف لخلوة فى باطن عرض السور لبعض الفقراء المجاورين . ومن حد هذه الخلوة الى نهاية اربعة وعشرين ذراعا حاكورة بها اشجار وكروم تحت دار وقفها علاء الدين الأعمى .

آثار علاء الدين الاعمى ناظر الحرم ؟

وكان هذا الرجل من نظار الحرم المتقدمين ، وله تأثيرات حسنة فى الحرم من المواعيد والابنية .

وطول الحاكورة طالبا للشمال خمسة واربعون ذراعا فى عرض سبعة اذرع وكسر .

ومن نهاية الحاكورة الى اقصى السور ، وهو المأذنة المذكورة ، كشف بلا اروقة .

باب الرباط المنصورى :

ولصيق هذه الحاكورة من القبلة باب كبير يعرف بباب الرباط المنصورى . طوله ستة وعرضه خمسة ونصف . وامامه ممشاة يتوصل بها الى السلم الذى يتوصل منه الى صحن الصخرة ، قبالة الباب الحديد الآتى ذكره .

ونجد الباب المذكور الى جهة الشمال عقد على ساريتين طوله تسعة اذرع ، وعرضه عرض الحاكورة وسائر الاروقة المتصلة به . وهذا العقد اول العقود فى السور الغربى .

مساكن ومجالس وخلوات :

وعمل فى ثخانة الحائط التى فى اوله مع ثخانة السارية خلوة صغيرة للقيم والبواب بالباب المذكور

وتحت هذا العقد يجلس الناظر والمباشرون يومئذ للنظر فى المصالح . وتلو الباب المذكور عرضه عرض الاروقة ، وطوله مائة وثمانية اذرع ، معقود على ست عشرة سارية . وعلى تقدير عشرة اذرع من اوله شباك القاعة التى هى سكن الناظر على اوقاف الحرم . وفى آخره خلوة لطيفة سكن القيم وبرسم القناديل .

باب الحديد :

وتلو ذلك الباب المعروف بالحديد . طوله اربعة ونصف ، وعرضه ذراعان وثلثا ذراع . وامامه ممشاة مبلطة يتوصل منها الى سلم لصحن الصخرة الشريفة . عرضه ثلاثة وعشرون ذراعا ونصف ، وعدد درجة احدى وعشرون درجة . وليس باعلاه قناطر اسوة بقية السلالم .

وتلو هذا الباب رواق على ثمان سوار ، طوله ثمانية وخمسون ذراعا ، وعرضه عرض سائر الاروقة ، وبآخره باب لطيف لخلوة لبعض الفقراء .

الباب الجديد :

ثم يتلو هذا الرواق باب كبير عمل من قريب (عهد ابن فضل الله العمرى) واستجد فتحه . ينزل اليه بعشر درجات . له مساطب فى خديه . طول كل منها سبعة اذرع ، وعرضها ذراع وثلثا ذراع ، قد اتقنت عمارته . وارتفاعه ثمانية اذرع ، وعرضه خمسة اذرع . وعقده بوجهين . منقوش بالحجر الملون . وطراز كتابته بالذهب ، نقر فى الحجر . وابوابه مصفحة بالنحاس المذهب المخرم ، متقن العمارة والزخرفة . ويتوصل منه الى القيسارية المستجدة . وتشتمل على صفى حوانيت ، بعضها وقف على الحرم ، وبعضها وقف على المدرسة والخانقاه اللتين انشاهما الامير سيف الدين تنكز ، رحمه الله ، وسيأتى ذكرها عن كثب . ان شاء الله !

الخلاوى والطهارات والمساكن :

والى جانب هذا الباب رواق معقود على ساريتين كبار جدا ، طوله خمسة عشر ذراعا ، وعرضه الى خارج الساريتين سبعة اذرع وثلثا ذراع ، والى باطنهما خمسة اذرع ونصف . بصدره شباك لقاعة من وقف الحرم . وبجانب الشباك خلوه لطيفة للقيم والبواب . والى جانب هذ الرواق باب الطهارة . وهو يشتمل على طهارتين : احداهما للنساء ، والثانية للرجال . وتشتمل طهارة الرجال على ثلاثة وعشرين بيتا وفسقية كبيرة . وباعلى طهارة النساء مساكن تكرى لوقف الحرم

باب الطهارة :

ويباب الطهارة ينزل اليه من ارض الحرم باربع درجات . وطول الباب اربعة اذرع وثلثا ذراع ، وعرضه ثلاثة وثمن . وبعده سبع درجات الى دهليز مستطيل ، يتوصل منه الى طهارة الرجال والى سلم يتوصل منه الى علو طهارة النساء . وطهارة النساء فى اوائل الدهليز ، على يمين الداخل .

ويتلو باب الطهارة رواق طوله ثلاثة وستون ذراعا ، وعرضه سبعة ونصف . معقود على تسع سوار .

وفيه فى ثخانة السور بابان لخلوتين : احداهما للقيم والاخرى برسم فقير . وفى آخره من جهة القبلة محراب ملاصق للمأذنة ، يصلى فيه صلاة مفردة بامام مفرد . وتجاوره المأذنة المختصة بالحرم وارتفاعها ثمانية واربعون ذراعا . وباعلاها درابزينان من الخشب وهى مكللة من العمد الرخام اللطاف بثمانية اعمدة .

باب السلسلة « وهو باب السحرة » - :

ويتلو المأذنة بابان قد غلق الشمالى منهما وسمر والمأذنة الى جانبه . ويسمى الباب المفتوح باب السلسلة ويعرف قديما بباب السحرة . سعته خمسة اذرع وثلث ، وطوله ثمانية ونصف . وكذلك المغلق . وامام هذا الباب ممشاة قلع يتوصل منها الى سلالم صحن الصخرة بعقد قبالة المعظمية . ذرعها سبعة وسبعون ذراعا وربع .

ويتلو الباب رواق معقود على عشر سوار ، طوله سبعة وخمسون ذراعا ، وعرضه سبعة اذرع وربع ، وارتفاع عقده عشرة اذرع ونصف . وهو نظير ارتفاع سائر سقوف اروقة الحرم .

وهذا الرواق فيه شباكان للمدرسة التنكزية . ابوابهما من الابنوس والعاج ، وداخلهما المدرسة . وظهره حامل للخانقاة التنكزية . وفى آخره باب لطيف يصعد منه الى اعلى المدرسة وسكن الصوفية . وفى آخره سواريه ستة اعمدة من صوان كبار .

ويتلو هذا الرواق من القبلة مسطبة ارتفاعها ذراع وطولها من الجنوب للشمال ثمانية وثلاثون ذراعا الا ثمنا ، وعرضها عرض الرواق المذكور .

باب حارة المغاربة :

وتقيس من هذه المسطبة ثلاثة وثلاثين ذراعا ، تجد باب حارة المغاربة . وسعته ثلاثة اذرع وربع ، وطوله اربعة ونصف .

وتلو الباب المذكور على ثلاثة اذرع مسطبة . وهى نهاية السور الغربى واول السور القبلى . وهذه المسطبة مجاورة للزاوية الفخرية التى هى اول السور القبلى من جهة الغرب وقد تقدم ذكرها .

واذ قد استوعبنا صفة السور المحيط ، فلنذكر الآن ما وعدنا بذكره مما اشتمل عليه سوى صحن الصخرة .

الخلاوى والحواصل تحت الصخرة :

وتبدا بما هو تحت الصخرة ، وعدته تسع خلاو : احدها جعل حاصلا لاصناف الحرم .

فمنها بالجهة القبلية ثلاثة : منهن ماعلى ابوابه مساطب ومعرشات كرم ، وفيه ابواب الرواق المعظمى التى تحت مدرسته . وهو مصلى للحنابلة بامام مفرد وبجانبه الشرقى حاصلان يجعل فيهما زيت الحرم واصنافه .

وفى الجهة الشرقية من تحت صحن الصخرة اربع خلاو : منها ماعمل قدام ابوابه حاكورة وغرست اشجارا . والجهة الشمالية خالية من الخلاوى والحواصل .

وبالجهة الغربية خلوتان . احداهما جعلت حاصلا لاصناف الحرم . وفيه ابواب للرواق المعظمى . وقبالة ابواب الرواق المعظمى من الغرب قبة موسى عليه السلام وهى امام باب السلسلة أمام رواق الحنابلة . بين المسطبة العاملة لها وبين باب السلسلة ثمانية وعشرون ذراعا وطول المسطبة من القبلة للشمال اربعة وعشرون ذراعا ، وعرضها من الشرق للغرب احد وعشرون ذراعا ونصف ، وارتفاعها نصف ذراع ، بصدر المسطبة القبلى القبة المذكورة . طولها من ظاهرها من القبلة الى الشمال عشرة اذرع ، وعرضها من الشرق للغرب مثل ذلك . وارتفاع كرسى القبة من ظاهر المسطبة ثمانية اذرع . تشتمل هذه القبة من باطنها على ارض مفروشة بالرخام

بابها يفتح للشمال . عرضه ذراع ونصف ، وطوله ذراعان وثلثان . وبخديه شباكا حديد فى طول الباب وعرضه . وبكل جهة من جهاتها شباكا حديد . يغلق على كل شباك ، زوج ابواب . وهى محمولة على الاركان وبين كل حائط واخيه قوس عقد . وباعلى كرسى القبة كرسى ثان ، فيه خمس طاقات زجاج . وباعلى الكرسى الثانى القبب المعقودة . وتقدير ارتفاعها من ظهر الكرسى الثانى ثمانية اذرع . وليس فيها عمد رخام بالجملة الكافية ، حتى ولا فى خدى المحراب .

صفة قبة سليمان عليه السلام :

وهذه القبة بالجانب الشمالى من الحرم . وهى مسافته للصهريج والسلم الذى يصعد منه الى الخانقاه الاسعردية والمدرسة السبيلية آل ملك .

ومن واجهة الصهريج الى باب القبة ثمانية واربعون ذراعا . وهو يفتح للشمال . طوله ذراعان ونصف ، وعرضه ذراع وثمن . بخديه عمدا رخام ومسطبتان : يمنى ويسرى طول كل منهما خمسة اذرع وربع ، وعرضهما مثل ذلك .

وبخدى الباب المذكور شباكان مطلان على هاتين المسطبتين . طول كل شباك منهما ذراعان وثلثا ذراع وعرضه ذراع وثلثان .

يدخل من هذا الباب الى قبة مثمنة . وتتمة التثمينات مسدودة . بها اربعة وعشرون عمودا من الرخام ، طول كل عمود - خارجا عن القواعد - ذراعان ونصف . فى كل تثمينة من المسدودات اربعة اعمدة حاملة للرخامة التى فى عقد القناطر . وبخدى المحراب عمودان لطيفان ، طول كل منهما ذراع ونصف

وفى نهاية العمد - عند نهاية كرسى القبة - طاقات زجاج بدائرها . سعة القبة ستة اذرع ونصف ، وارتفاعها من قطب القبة للارض عشرون ذراعا .

صخرة سليمان :

وعلى يمنة المصلى فى المحراب صخرة صغيرة ، طولها ذراعان وربع ، وعرضها من الجهة القبلية ذراع ، ومن الشمالية ثلثا ذراع . يدعو الزوار عندها . ويقال انها من الآثار السليمانية ، وان الدعاء عندها مستجاب .

وفى حائط هذه القبة القبلى ، من خارج ،عمودان من الرخام ، وبهما تكمل ما بهذه القبة من الاعمدة ثلاثين عمودا .

صفة المجلس الذى بناه سليمان عليه السلام ويسمى الان « عصر ابن فضل الله العمرى » : « اصطبل سليمان »

اصطبل سليمان :

قال الصاحب تاج الدين : هذا المجلس بناؤه اعجب واتقن من المسجد الذى اعلاه . وله من داخل الخانقاه الصلاحية « يعنى المجاورة لمقصورة الخطابة وبها الآن « عهد ابن فضل الله العمرى » شيخ يعرف بالختنى ، وبه تعرف الآن » سلمان : احدهما ست وثلاثون درجة ، ينزل منها الى بعض اقسام المجلس المذكور ، والثانى اربع وخمسون درجة ، ينزل منها الى بقية اقسام المجلس المذكور .

قال : والمكان فى غاية النور لما عمل له من المناور والطاقات المحكمة . وهو رواقات عقودها محمولة على عمد من الصوان واركان البناء . وعرض هذه المجالس من القبلة الى الشمال : منها ماعرضه ثمانية اذرع ، ومنها ماعرضه تسعة اذرع ، ومنها ماعرضه عشرة اذرع وارتفاع عقوده من الارض التى بها الابواب النافذة لراس وادى عين سلوان ، منها ماتقدير ارتفاعه عشرون ذراعا ، ومنها ماتقديره خمسة عشر ذراعا .

ويقال : ان احد هذه الابواب كان منه دخول الانبياء عليهم السلام .

مربط البراق :

وفى احدى اسطواناته حلقة . يقال ان البراق ربط بها ليلة الاسراء .

وهذه الاروقة كلها آخذة من الشرق للغرب . فمنها ماامكن قياس طوله ، الذى امكن التطرق اليه . فكان تقديره ثلاثة وتسعين ذراعا . ومنها مالم يكن قياس طوله لكون اطواله قسمت حيطانا : منها ماهو فى وقتنا هذا « عصر ابن فضل الله العمرى » مملوء بالتراب المهول ، ومنها ماهو صفة حواصل ، ومنها ماهو مساكن ومرافق لسكان الخانقاه المذكورة .

قال : ونطاق النطق ضاق عن استيعاب وصف هذا المجلس ، لكن الاماكن التى امكن التطرق اليها والمشى لما هو نافذ منا دلت على ان البقعة المسماة بالجامع « يعنى المسجد الاقصى » موضع الخطبة الان « عصر ابن فضل الله العمرى » ، وبقعة جامع النساء ، وغالب المشاوات التى بالحرم والاشجار المزدرعة : كلها معلقة على هذه العقود والسوارى .

قلت « ابن فضل الله العمرى » : ولقد دخلت الى بعض هذه الاماكن ، ورايت من عجائب الابنية بها ما يملأ العين وكان دخولى اليها من الزاوية المعروفة بسكن الختنى ، ثم افضيت منها الى الكروم وظاهر المسجد .

اما وصف « قبر الخليل » عليه الصلاة والسلام وما جاوره من قبور بنيه والازواج فسياتى فى المقال التالى ان شاء الله تعالى .

« للترجمة بقية »

بين القرآن الكريم
وبين كتب العهد القديم

الأستاذ بهاء الدين القبانى

رأينا فى المرحلة الأولى من هذا البحث .. كيف أن سفر التكوين قد اغفل ذكر نقطتين تعتبران من أدق النقاط التى تقوم عليها دعائم دعوة نوح عليه السلام الى الله الفرد .. هما : رسالة نوح والدعوة الى التوحيد .. ومع أن هاتين النقطتين دقيقتان فى جوهرهما .. الا انهما تعتبران بسيطتين فى مظهرهما ! فما من نبى من الأنبياء او رسول من الرسل الا وكانت لديه هاتان الوثيقتان الخطيرتان عن الله تبارك وتعالى .. وكأنهما عيناه اللتان يبصر بهما ! .. أو أذناه اللتان يسمع بهما ! فاذا ما افتقدا فى شخص من الشخوص .. فلابد من القول بانه انسان عادى .. أو رجل يتصرف تصرفات لا تبهرنا .. ولا تدعونا الى الاعتراف له بالنبوة بأية حال ! ..

ونوح عليه السلام اورد سيرته سفر التكوين من كتب العهد القديم .. ولكن سفر التكوين اسقط النقطتين الرائعتين المذكورتين .. وأهمل ذكرهما على الاطلاق ! فكأنما طرح سفر التكوين على نوح آفة العمى .. وخلع عليه آفة الصمم أيضا .. هكذا بكل بساطة !! .. وبدون وازع من ضمير ! وبدون رجوع الى منطق .

ونأتى فى مرحلتنا الثانية هذه الى نقطتى الخلاف التالتين وهما :

١ — المعارضة والمجادلة ..
٢ — الدعاء ..

وفى الواقع .. وقبل أن نبحث نحن هاتين النقطتين العنيفتين .. كنا نعتقد فى أنفسنا أنه سيلزمنا جهد كبير فى الاستقصاء عنهما .. والغوص اليهما فى أعماق بحار سفر التكوين للكشف عن أسرارهما الرائعة ... خاصة وأن سفر التكوين له بعض المواقف التى يفصل فيها تفصيلا .. مع أنه لا يكون ثمة داع لهذا التفصيل .. ويشرح فيها اصحاحات باكملها تنتظم عدة صفحات مزدحمة بالسطور ذات الأحرف الدقيقة .. وبدأنا فى الاستعداد .. وشحذنا هممنا ودربنا أذهاننا على قوة التركيز حتى لا تفوتنا كلمة دون النفاذ الى ما ورائها .. وحتى لا نعدو على رمز من الرموز المقول بورودها فى أرجاء كتب العهد القديم دون أن نقف عنده طويلا لنكتشف اكتشافا رائعا مثل ذلك الاكتشاف الذى توصل اليه أرشميدس بقوله : « وجدتها ! ! » .. فيكون لنا نصيب من تخليد الذكر أسوة بالعظماء من الباحثين السابقين ! ! ..

ولقد اعترتنا دهشة كبرى لا تقل عن دهشتنا لعدم وجود نقطتى الخلاف الأوليين فى قصة نوح .. واذا بآمالنا فى سفر التكوين تنهار جميعا ! فليس فى سفر التكوين عن النقطتين اللتين نحن بصددهما آية كلمة أو رمز أو اشارة اليهما ! . واذا بالبحر الذى كنا نعتقد فى عمقه أنه جاف تماما ليست فيه نقطة من الماء واحدة ! فلم يكن سوى سراب خادع .. يحسبه الظمآن ماء .. فاذا جاءه لم يجده شيئا ! ! ..

أما كيف يكون ذلك ؟ وسفر التكوين كتاب منزل من الله تعالى . او يفترض فيه ذلك .. والله منزه عن كل نقص .. وعيب .. ونقد .. فهذا ما نريد .. بل ونلح لدى القساوسة والرهبان .. ونطالب به البابوات أصحاب الحكم المأثورات ! .. أن يجدوا لنا تفسيرا لهذا الأمر المتناهى فى خطورته ! وأن يضعوا حلا مرضيا .. ليس مرضيا لنا كمسلين فحسب .. وانما مرضيا للمسيحيين وللمسلين ايضا .. فليس سفر التكوين كتابا يختص به المسيحيون دون المسلمين .. وانما للمسلمين فيه باع طويل .. طويل جدا .. لا يقل عن القرآن العظيم .. ولكن تشويه الحقائق الذى ينتظم سفر التكوين من أقصاه الى أقصاه جعل المسلمين ينظرون اليه وهم على جانب كبير جدا من الحيطة والحذر ! ! .. بالاضافة الى أن القرآن قد كفى المسلمين مئونة البحث والتنقيب .. فلقد جاء لهم باجابة كل ما يعن لهم من استفسارات .. ليس فى حياتهم الماضية فحسب .. بل وفى الحاضر .. وفى المستقبل كذلك .. مما يفضى بهم الى السعادة فى الدنيا وفى الآخرة .. واننا لواثقون من أن كلا من اخواننا المسيحيين

الافاضل ينتظر الرد المقنع .. فان المسألة فى خطورتها تفوق الوصف .. بدلا من ذلك التخبط العنيف الذى يعيث فيه المسيحون جميعا فى كل ارجاء الارض !

ونحن نعلم جميعا .. أن كل نبى من الانبياء والمرسلين لا تخلو قصته من معارضة قومه له .. ولا تخلو من وقوف قومه فى وجهه وقوفا عنيفا لا هوادة فيه ولا رحمة .. ولقد وصلت هذه الشدة فى الكبرياء والعناد فى وجه المرسلين والانبياء حدا جعل بعض شعب بنى اسرائيل يقتلون أنبياءهم بغير حق .. ويرجمونهم بالأحجار .. ويتهمونهم بالجنون .. فلم يرد على الاطلاق ذكر لنبى أنه صدقه قومه على الفور .. أو ان قومه قد استقبلوه استقبالا حافلا بالرضا .. أو مملوءا بالعطف عليه .. دون أن يشهروا فى وجهه سلاح التكذيب والسخرية !..

وبالطبع .. ما كان الله تعالى ليرسل الأنبياء مادام اهل الارض يعبدونه ويعترفون له بالوحدانية .. ولا يشركون مع الله الها آخر .. ولكن الله يرسل المرسلين عندما تبلغ الارض درجة قصوى من الالحاد .. وعبادة الأوثان والأصنام .. عندها يرد الله عقول أولئك القوم اليهم عن طريق رسله الاطهار . ولكن عقيدة عبادة الاوثان والأصنام تتملك عليهم جميع قلوبهم واحاسيسهم ومشاعرهم .. فاذا ماجاء رجل منهم يدعوهم الى عبادة الله الواحد القهار .. اعتبروه نغما نشازا أجنبيا عن النغمات التى يرددونها تجاه آلهتهم .. ولا يتركون النبى هكذا بدون جدل فى معارضة .. والوقوف فى وجهه وطلبهم منه أن يصنع أمامهم المعجزات .. ويفعل الخوارق للعادات اذا كان النبى صادقا فى كلامه .. ومع ذلك فانهم لا يقبلون أيضا ! ولا يصدقون ! مثال ذلك قول بنى اسرائيل لموسى عليه السلام : « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة !! » (البقرة ٥٥) ..

وعلى هذا فاننا نعتبر ان المعارضة والمجادلة هما ركنان هاما جدا من اركان قصة أى نبى .. وبالطبع فهى خطيرة أيضا فى قصة نوح التى نحن بصددها .

ولنبدأ بالمعارضة والمجادلة بالنسبة لنوح عليه السلام ..

ذهب القرآن فى الاتيان بالمعارضة والمجادلة فى قصة نوح الى تحليل شخصية نوح تحليلا دقيقا .. وبالطبع فقد حلل شخصيات قومه أيضا .. وقبل البدء فى ايضاح هذا التحليل .. يحسن بنا أن نلقى بعض الأضواء على العوامل البيئية التى كانت تحيط بنوح .. مما كان لها أثر كبير فى أسلوب دعوته ! .. وفى طريقة جداله ! ..

وفى الواقع .. ان نوحا ليعتبر درجة من درجات السلم النبوى الذى نصبه الله تبارك وتعالى لاخراج الناس من الظلمات الى النور ! .. فالأنبياء بالطبع يتطورون فى أساليب تبليغ دعوتهم من شدة ممزوجة بالتلطف الى لين .. تبعا لتطور البيئات نفسها التى يوجد فيها هؤلاء الأنبياء .. فالبيئات منذ بدء الخليقة تتطور من حال بدائى فيه من شظف العيش .. والمخلوقات التى تقطن فى تلك البيئات تتطور أيضا من حال الشدة وصلابة الوجه والعناد .. وعدم الغرام بالجديد .. الى حال أقل منها وهكذا .. فكلما اقتربنا من بدء الخليقة كلما كان ظهورها اشد .. أما اذا ابتعدنا رويدا رويدا .. فاننا نجد طابع التحضر يصبغ الناس بصبغة تختلف عن السابقة .. الى جانب مسايرة الدعوة النبوية لكل تقدم فكرى واجتماعى واقتصادى .

ويعتبر نوح من الخلائق المقتربين جدا من بدء الخليقة .. أيام أن كانت بداءة العيش وشدتها ..وكان العناد والتمسك بالعقائد الموروثة يتخذ شكلا لا هوادة فيه ولا تلطف ! .. وكان من الممكن ـ فى ذلك الوقت ـ أن يحول جبل هائل ذو أحجار ضخمة من مكان الى مكان آخر بعيد عنه .. أما أن يحول احد الناس من عقيدته التى نشأ عليها الى عقيدة أخرى فهذا لا يمكن تصور حدوثه الا فى النادر المتناهى فى ندرته .. وعلى هذا فاننا نجد نوحا تنعكس عليه أحيانا هذه البيئة فى طريقة مجادلته لقومه .. فاذ بها تتخذ مظهرا مليئا بالشدة فى التخطاب والعنف فى الجدل . فاننا نحس تلطفا كنبى من قبل الله أدبه ربه بالطبع .. فاننا نحس تلطفا رائقا منه فى معاملته لقومه .. الى جانب ذلك الجدل العنيف معهم .. وبالطبع هذا يرجع الى أسلوب قومه انفسهم فى معاملة نوح وتكذيبه والسخرية منه !!

وعلى ضوء من هذه الكلمة الموجزة التى أوردناها آنفا نستطيع أن نلمس تحليلا لشخصية نوح عليه السلام .. وتحليلا لشخصيات قومه أيضا من الجبهتين الهامتين التاليتين :

الجبهة الأولى : كيفية المعارضة والمجادلة .

الجبهة الثانية : نوح يعرض نتائج مباحثاته مع قومه .. على الله تعالى . .

أما عن الجبهة الأولى .. فاننا نرى فيها نقاطا خمس :

أولاها : الانذار :

بدأ نوح دعوته الكبرى الى قومه باعلان ضخم عن نفسه تلقاه عن الله تعالى .. باننى انما ارسلت من الله نذيرا لكم .. ومطهرا لكم ـ يا قومى ـ سبب هذا الانذار ونتائجه .. وهو أن عبادتكم للاصنام ليست بالشىء الذى يعتديه .. ولا بالأمر الذى تقام به حجة .. ولابد من أن تعبدوا الله الواحد الذى خلقكم وخلق الناس جميعا .. وأن لا تشركوا به أصناما وغيرها .. وما ذلك الانذار منى الا خوفا عليكم من عذاب شديد .. ينزله الله بكم يوم القيامة .. يقول القرآن على لسان نوح : « انى لكم نذير مبين .. أن لا تعبدوا الا الله .. انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم » (هود ٢٥ ، ٢٦) .. ويقول القرآن على لسان نوح أيضا : « يا قوم انى لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون .. يغفر لكم من ذنوبكم .. ويؤخركم الى أجل مسمى .. أن أجل الله اذا جاء لا يؤخر ! لو كنتم تعلمون » (نوح ٢ ـ ٤) .

وبالطبع .. نستبين هنا مدى الشدة التى كان عليها قومه .. مما جعل نوحا يخاطبهم بشدة مماثلة .. فيقرن عدم عبادة الله تعالى بالعذاب الاليم فى يوم معلوم .. يحاسبون فيه على ما قدمت أيديهم من الكفر .. وكأنه يخيرهم بين أحد امرين خطيرين يترتب أحدهما على الآخر .. وليس هناك حل وسط .. فان عدم الاعتراف بالوحدانية يترتب عليه بالطبع العذاب الذى لا هوادة فيه .. ومع ذلك فان نوحا يتلطف معهم فيأتى اليهم عن طريق لين .. قد يمس أوتار قلوبهم باظهاره حنانه واشفاقه على قومه بقوله : « انى اخاف عليكم » (هود ٢٦) .

ثانيها : الكبرياء الزائف :

هذا التلطف الجميل من نوح بالطبع لا يمكن أن يقابل بتلطف مماثل من ناحية قومه .. فلقد عرفنا مدى انغلاق قلوبهم وعنادهم .. وهذا هو ما حدث تماما .. فقد فاجأه قومه وخاصة كبراؤهم وأغنياؤهم بقولهم : انك يانوح لاتخرج عن كونك انسانا بشرا مثلنا (ليس فيك مزية تخصك من بيننا بالنبوة) كما ورد فى روح المعانى .. ولا يصح أن تتفضل علينا

بالنبوة .. ثم يخاطبونه بقسوة : من يكون هؤلاء الذين ابتعوك يا نوح ؟ بالطبع انهم الأخساء من الذين يصدرون اراؤهم بدون تفحص او تمحيص ! وأنك يانوح ومن معك من الشرذمة القليلة ليسوا ذوى جاه ومال أكثر منا .. حتى نسلم لكم قيادة أمرنا ! .. ونستطيع يا نوح أن نقول بكل تاكيد ويقين بانك ومن اتبعك كاذبون .. يقول القرآن : « فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا ! وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الرأى ! .. وما نرى لكم علينا من فضل .. بل نظنكم كاذبين ! (هود ٢٧) .

ثالثها : العقائد لا تكون بالاكراه :

ومما لا شك فيه .. أن أسلوب المخاطبة الذى جرى عليه قوم نوح يحمل سبة قاسية له ولمن اتبعه من المؤمنين ! .. بالاضافة الى معايرتهم بأنهم فقراء الى جانب تاكيدهم بأن نوحا كاذب فى دعواه .. وكذلك متبعية .. واذا بنوح يرد عليهم ردا تشوبه الشدة ٤٤ وممزوجة بالسباب الذى يبدو بين السطور .. فيقول بانني نبى على هدى من الله تعالى .. وقد آتانى الله رحمة من عنده .. أما أنتم فعميان قلب لم تروا هذه الرحمة العظيمة التى انعم الله بها على ! وهل يا ترى نكرهكم نحن على قبول هذا الدين القيم .. بالطبع اننا لا نكرهكم عليه .. فان قلوبكم التى فى صدوركم .. والتى أعماها الله عن الاقتراب من عبادته .. هى التى تدعوكم الى الكبرياء والكفر .. ثم اننى لا أرجوكم أن تعطونى مالا كأجر عن دعوتى لكم لتخرجوا من الظلمات الى النور .. وحتى اغتنى من أموالكم بل اننى أدعوكم لوجه الله .. والله وحده هو الذى يثيبنى على ذلك .. يقول القرآن على لسان نوح : « قال : يا قوم .. أرايتم ان كنت على بينة من ربى ، وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم ! انلزمكموها وانتم لها كارهون ؟ ويا قوم : لا أسالكم عليه مالا ! ! ان أجرى الا على الله » هود ٢٨ ، ٢٩) .

رابعها : العزوف عن طرد الفقراء من المؤمنين :

لم يقف قوم نوح عند هذا الحد .. بل أرادوا أن يسيطروا عليه وان يسيروه تبعا لأهوائهم .. فيقربون من مجلسه من يرونه أهلا للقربى .. ويبعدون عن مجلسه غير المرغوب فيهم .. ولما كان نوح عليه السلام يقرب من مجلسه الفقراء الذين آمنوا به فقد أشار الكفار عليه بأن يطرد أولئك الفقراء من مجلسه حتى يمكن لهم أن يفكروا فى الايمان برسالته ! .. ولكن نوحا يرد على الكفار فى هذا الصدد ويصفهم بالجهل .. كيف أطرد من مجلسى هؤلاء المؤمنين بالله .. انهم معترفون بالبعث .. وهم سيلاقون الله ويعرضون عليه وعندها سيشكوننى الى الله ! .. فمن يا ترى يستطيع أن يدافع عنى وينتصر لى عند الله اذا طردت المؤمنين به ؟ ؟ هذا بالطبع عين السخف .. يقول القرآن على لسان نوح : « وما أنا بطارد الذين آمنوا ! انهم ملاقوا ربهم .. ولكنى أراكم قوما تجهلون ! .. ويا قوم : من ينصرنى من الله ان طردتهم ؟ أفلا تذكرون ؟ » (هود ٢٩ - ٣٠) .

خامسها : عدم سيطرة نوح على علم الله وقدرته :

ويبدو أن نوحا عليه السلام كان يرد على الكافرين .. ويجادلهم فى كل قولة يواجهونه بها .. ولا يترك لهم رأيا الا واقام الحجة على بطلانه ما داموا بعيدين عن الطريق السوى .. ومادامو متنكبين السير فيه .. ومن الملاحظ أيضا .. أن القرآن العظيم فى ايجازه المعجز قد جاء بردود نوح على الكفار .. وهذه الردود تحمل فحوى قولهم .. بحيث أن كل متطلع الى قصة نوح فى سورة هود يحس كأنه يقرأ جميع أقوال قوم نوح له .. وان لم تذكر صراحة .. وذلك من خلال رده عليه السلام عليهم .. ونستطيع أن نقول بأن الكفار من الجائز أن يكونوا قد طلبوا من نوح مطالب كثيرة منها المال مثلا .. أو الاخبار بالغيب .. فهو ينفى عن نفسه التسلط على خزائن الله .. أو علم الغيب ويقول بأننى لست ملكا (فان البشرية ليست من موانع النبوة بل من مباديها) - كما ورد فى روح المعانى .. ثم ان القوم المؤمنين الذين يستهزئون منهم .. وتريدون منى أن أطردهم لا أقول بأن الله لن يؤجرهم على ايمانهم به .. بل سيثيبهم الله اثابة حسنة فى الدنيا وفى الآخرة .. ولو قلت ذلك انا .. فبالطبع ساكون ظالما أستحق من الله العذاب .. يقول القرآن على لسان نوح : « ولا أقول لكم عندى خزائن الله ! ولا أعلم الغيب • ولا أقول انى ملك • ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا .. الله أعلم بما فى أنفسهم ! انى اذا لمن الظالمين » (هود ٣١)

وجاء فى الألوسى فى تفسيره لكلمة خزائن الله : « لم أقل لكم أن خزائن رزق الله تعالى وماله عندى حتى انكم تنازعونى فى ذلك وتنكروه .. وانما كان منى دعوى الرسالة المؤيدة بالمعجزات » .

سادسها : عناد قوم نوح :

ويطول الجدل .. ويحتدم النقاش .. وقوم نوح ثابتون على كفرهم لا يتزعزعون .. ويخاف عليهم نوح عليه السلام .. وينذرهم بعذاب يوم أليم .. ولكنهم لا يرتدعون .. ويبلغ بهم العناد فى الكفر حدا يجعلهم يقولون له يا نوح ان كنت صادقا فى كلامك فهات ذلك العذاب الذى لا تفتؤ تذكره أمامنا فانك قد جادلتنا كثيرا .. ولقد تعبت عقولنا معك .. وأصبحنا لا نطبق جدالك .. ولا نصبر عليه .. فيرد عليهم نوح بأن العذاب فى يد الله وحده وهو الذى يسوقه عليكم اذا أراد هو ذلك .. ولن تستطيعوا أن تقفوا فى وجهه لتمنعوه عن ذلك .. وبالطبع فما دام الله تعالى يريد أن يوقعكم فى الكفر فان نصحى اياكم لن يأتى بثمر .. ولن ينفعكم .. وعلى أية حال فالله هو ربكم وخالقكم . وهو الذى يتصرف فى شأنكم كما يشاء .. لأنكم سترجعون اليه حتما •• يقول القرآن : « قالوا : يا نوح .. قد جادلتنا فأكثرت جدالنا .. فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ! ! .. قال : انما يأتيكم به الله ان شاء .. وما أنتم بمعجزين .. ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن انصح لكم •• ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون !! » (هود ٣٢ - ٣٤) .

ونأتى الى الجبهة الثانية لنرى نوحا وهو يعرض نتائج مباحثاته مع قومه .. على الله تعالى ..

فلقد استمر نوح يدعو قومه الى عبادة الله مدة قدرها ألف سنة الا خمسين عاما ! ! .. يقول القرآن : « ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما » (العنكبوت ١٤) .. ولم يزدهم دعاؤه الا بعدا عن الوحدانية لله .. وفى غيرة النبى العظيم على توحيد ربه •• وغضبه من الكفر الشديد الوطأة .. اذا بالنبى نوح يثور ثورة عارمة .. لا تعرف الثورة لنفسها نهاية ! ولا يعرف الغضب لنفسه حدودا .. فلقد رأى نوح وأحس احساسا صادقا كيف ان القلوب المخلوقة من اللحم والدم .. تمسى فى صرامتها وشدتها وصلابتها أقطع من الجنادل التى تعترض مجرى النهر .. واذا بنوح يزمع فى نفسه أمرا .. ! يفوق فى صرامته تلك الجنادل نفسها .. ثم بدأ نوح فى التمهيد للأمر الخطير المتناهى فى خطورته !! وبالطبع .. وقبل أن يقرر نوح هذا القرار الصارم .. لابد وأنه قد تريث كثيرا .. فقد صابر مدة قوامها تسعمائة

وخمسين عاما .. وقلب الأمر على جميع وجوهه .. وناقشه بينه وبين نفسه مناقشة دقيقة .. واذا بجميع هذه المناقشات والوجوه تلتقى فى نقطة واحدة فقط .. ورأى أنه من المستحيل أن تكون هناك نقطة التقاء أخرى ! .

وعلى هذا .. فقد بدأ نوح فى العمل ! ؟ .

بدأ نوح تمهيده بتقديم كشف حساب الى الله تعالى يضم عدة نقاط تدور حول تفانيه فى تأدية الرسالة .. وكيفية عناد قومه : الأولى : افشاء دعوته لقومه بكافة الطرق .

أخذ نوح عليه السلام يعرض على الله تعالى الابعاد الحقيقية التى دارت فيها دعوته .. بأننى يارب لم أدخر وسعا فى دعوة قومى فى كل وقت .. وعلى كل حال .. دعوتهم فى الليل وفى النهار .. فازدادوا بعدا عنى .. بل اننى رغبتهم فى الايمان بك لتغفر لهم .. اذا بهم يضعون أصابعهم فى آذانهم حتى لا يسمعوا قولى .. كرها له .. وينشرون ثيابهم فوق وجوههم حتى لا يروا وجهى كرها له .. ولم أقتصر على هذا .. بل دعوتهم فى الجهر .. وفى السر .. ورغبتهم فى الاستغفار لك لانك غفار لمن تاب وآمن .. ولكنهم لم يرتدعوا .. يقول القرآن على لسان نوح : « قال : رب .. انى دعوت قومى ليلا ونهارا ! فلم يزدهم دعائى الا فرارا ! وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا .. ثم انى دعوتهم جهارا .. ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا .. فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا » (نوح ٥-١٠) .

الثانية : تبيان أنعم الله فى أنفس الخلائق ..

ويستمر نوح فى مخاطبة ربه وكيف أننى أغريت قومى بامطار كثيرة ينزلها الله عليكم من السماء لتنقذكم من القحط .. فتزرعوا الارض وترعوا دوابكم .. ويكثر الله اموالكم وبنيكم ويهيىء لكم فى الارض حدائق غناء ذات أثمار .. الى جانب انهار يجريها لكم لتروى حدائقكم .. ولقد وبخت قومى لماذا لا تحترمون الله تعالى وهو الذى خلقكم من طين .. ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة .. يقول القرآن على لسان نوح : « يرسل السماء عليكم مدرارا .. ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا .. ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا (نوح ١١ - ١٤) .

الثالثة : تبيان أنعم الله فى السماء ..

ولقد حاولت يا ربى أن ألفت نظر قومى الى ملكك الواسع العريض .. ليتفكروا فى خلق السموات والارض .. ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك !.. ووضحت لهم كيف خلق الله سبع سموات بعضها فوق بعض .. وخلق القمر مضيئا ليهتدوا به فى الليل .. وكذلك الشمس ليهتدوا بها فى النهار .. ودفئا .. وحياة .. يقول القرآن على لسان نوح : « ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ! » (نوح ١٥ ، ١٦) .

الرابعة : تبيان أنعم الله فى الارض ..

ولقد بينت لقومى أن الله خلقكم من تراب الارض كما يخلق النبات .. وبعد أن تنقضى أيامكم على سطح الارض .. ترجعون الى الارض أيضا بالموت .. حيث تتحلل اجسادكم الى المادة التى خلقتم منها .. ويوم القيامة بالطبع تخرجون من قبوركم كما خلقكم الله أول مرة .. وذلك بعد أن ينشىء الله عظامكم ويسوى بنانكم .. والارض وهى أسباب عيشكم جعلها لكم ذلولا لتمشوا فى مناكبها وتاكلوا من رزقه .. يقول الله على لسان نوح : « والله أنبتكم من الارض نباتا .. ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا .. والله جعل لكم الارض بساطا .. لتسلكوا منها سبلا فجاجا ! » (نوح ١٧ - ٢٠) ..

وبالطبع هذه هى أبعاد دعوة نوح .. ابعاد متكاملة غير منقوصة .. شرحها نوح أمام الله .. وكيف أنه تفانى فى تأدية الرسالة .. وكيف قابله قومه بالعناد والاستكبار .. وكان لا بد وأن يعلق نوح تعليقا يظهر فيه رأيه الخاص حيال قومه .. وتعليقه هذا يعتبر درجة فى التمهيد لذلك الامر الخطير الذى اتخذ قرارا به نوح بينه وبين نفسه !

تعليق نوح على عناد قومه له : قال نوح يارب .. ان قومى لم يتبعونى .. ولكن اتبعوا أغنياءهم وأصحاب الجاه فيهم .. وهؤلاء يامرونهم بالابتعاد عن الاعتراف لله بالوحدانية .. وهو طريق الخسران المبين .. ولقد أوعز هؤلاء المشركون من الاغنياء للقوم بأن لايتركوا آلهتهم التى يعبدونها وهى خمسة آلهة : ود .. سواع .. يغوث .. يعوق .. نسر .. وقد ورد فى كتاب « تيسير التفسير » للشيخ عبد الجليل عيسى : « أن ابن جرير روى أن هؤلاء كانوا رجالا صالحين فى الامم التى كانت بين آدم ونوح .. وكان لهم أتباع يقتدون بهم .. ولما ماتوا زين ابليس لاتباعهم بأن يبنوا عليهم المساجد .. ويصوروا لهم الصور ليتذكروا بها صلاحهم فيعملوا مثلهم .. فلما طال الزمن ظن أكثر الناس أن آباءهم كانوا يعبدونهم ليتقربوا بهم الى الله ففعلوا مثلهم » .. ولقد جعلوا قومهم يحيدون عن الطريق المستقيم .. فيارب لا تزدهم الا بعدا عن الطريق المستقيم .. يقول الله على لسان نوح : « قال نوح : رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا .. ومكروا مكرا كبارا .. وقالوا : لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا .. وقد أضلوا كثيرا .. ولا تزد الظالمين الا ضلالا ! » (نوح ٢١ - ٢٤) .

ونأتى الى النقطة الثانية : الدعاء .

فلقد يئس نوح من قومه يأسا بلغ الذروة فى عنفوانه .. وأصابته غيرة شديدة على ربه الواحد القهار .. فبالطبع ان نوحا ليحب ربه حبا رائعا .. وكيف أن هؤلاء الشرذمة من الكفار لا يريدون أن يعبدوا الله الذى خلق كل شىء .. واذا بنوح عليه السلام .. يريد أن يثأر لله .. ويثور من أجل الله .. فيستعمل حقه الذى شرعه الله له .. وهو الدعاء !! الدعاء على قومه بالدمار .. فلقد آتى الله كل نبى ورسول دعاء يستجيبه له الله .. فكان أن اتجه نوح الى الله .. بقلبه الخالص المؤمن به ايمانا راسخا ورفع وجهه الى السماء !.. ورفع ذراعيه فى الهواء .. وفى عينيه دموع غزار .. وأزيز صدره كأنه القدر .. يصطرع ما به اصطراعا رهيبا : « وقال نوح : رب !! لا تذر على الارض من الكافرين ديارا !! انك ان تذرهم يضلوا عبادك !! ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ! رب : اغفر لى .. ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا .. وللمؤمنين والمؤمنات .. ولا تزد الظالمين الا تبارا ! » (نوح ٢٦ - ٢٨) ..

وما أن نزل نوح يديه من الهواء حتى بدأ يستعد لرؤية العقاب الرهيب الذى سينزله الله على قومه .. وكأن نوحا قد ضغط زرا من الازرار الحمراء التى تنفجر بعدها أفظع قنبلة عرفها التاريخ .. وبدأت الارض على الفور تستعد لمشاهدة أقسى حدث وقع على ظهرها منذ خلق الله السموات والارض حتى الآن !!..

والى العدد القادم ان شاء الله .. حيث نركب سويا سفينة نوح .. ونتطلع معه - على البعد - الى أجل الله .. ونرى كيف أن أجل الله اذا جاء لا يؤخر !!

الفاروق خطيبا

ملامح شخصيته وغضونها

الدكتور محمد كامل جمعة

نعود الى الحديث عن فن الخطابة فى عصر صدر الاسلام . وقد سبق ان تحدثنا عن الخطابة عند الرسول الكريم وصاحبه ابى بكر الصديق فى أعداد سلفت من « مجلة منبر الاسلام » وغاية ما نرجوه ان يشملنا الله بتوفيقه فيما نزجى من حديث لانستهدف به الا وجه الحق والبحث المنصف ، معرضين عن لغو القول ، وسوء الفهم والاسفاف فى النقد . والله المستعان . واليوم نبدأ الحديث عن الخطابة عند الفاروق ثانى الخلفاء الراشدين .

انه عمر بن الخطاب بن نفيل من بنى عدى بن كعب من بنى لؤى . وامه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة من بنى مخزوم بن يقظة بن مرة . وقد ولد عمر لثلاث عشرة سنة خلت من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان عمر فى صغره يرعى على أبيه غنمه ويضم اليها غنيمات لخالات له . ولما كبر اشتغل بالتجارة فى ماله .. ولم يكن لعمر وفر من المال ، بل كان مقلا من ذلك وبقيت التجارة حرفته فى الجاهلية والاسلام الى ان ولى الخلافة .

وكان عمر عزيز الجانب فى قومه ، مشتهرا بالشدة وصدق العزيمة ، فى جاهليته وبعد اسلامه . وكانت شخصيته تفرض على من حوله الاعجاب والاحترام والهيبة ، والاعتراف بانه نسيج وحده . لما كانت خطبه ووصاياه وكتبه نتاج شخصيته وثقافته وظروف عصره ، رأينا البدء بالحديث عن شخصيته لنرسم لها صورة تبين ملامحها وغضونها ، وتساعدنا فى توضيح مانحن مقبلون عليه من دراسة آثارها الادبية .

واذا كان عمر فى الجاهلية شخصية قوية النفس ، شديدة الباس ، فى نطاق حياته القبلية المرتبطة بشبه الجزيرة العربية ، فالذى لاشك فيه أن شخصية الفاروق ثانى الخلفاء الراشدين ، والتى خلدها التاريخ ، كان للاسلام الفضل الاول فى صقلها وجلائها ، وتهذيب حواشيها ، واظهار خير مافيها . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله ان يعز الاسلام بعمر ، وذلك لما عرفه الرسول من شدة عمر وصرامته ، وقوة مظاهرته لما يؤمن به ويراه حقا .

وقد قال نبى الاسلام فى عمر رضى الله عنه : « لم ار عبقريا يفرى فرية » . وذلك ان عمر كان فريدا فى بابه ، لايلحق احد بركابه . فقد استطاع الفاروق ان ينفخ فى امته ، فبعثها حية تدب للعمل ، جياشة بالامل . كما استطاع بصادق فراسته انتقاء خير الرجال ، للنهوض بجلائل الاعمال ، وتحقيق ماعقده عليهم من الآمال .

وقد كان عمر مهيبا فى طلعته ولفتاته . وحضرته وكلماته ، جادا تقرا فى عينيه العزم ، وعلى ملامحه الصرامة ، وفى حديثه الصراحة . ولذلك كان الناس يهابونه حتى وهم فى حضرة الرسول ، الذى لم ينكر منه شيئا ، لعلمه - صلى الله عليه وسلم - ان نفس عمر انطوت على الخير والرحمة ، والحب والخوف من رب العالمين .

وعندما تولى الفاروق الخلافة تخوف الناس من شدته وقد تحدث عمر بصراحته المعهودة فى ذلك فقال : «بلغنى ان الناس هابوا شدتى ، وخافوا غلظتى ، وقالوا : قد بين أظهرنا ، ثم اشتد وابو بكر والينا دونه ، فكيف بين اظهرنا ، ثم اشتد وابو بكر والينا فقد صدق . فقد وقد صارت الامور اليه ؟ ومن قال ذلك فقد صدق . فقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكنت عبده

وخادمه • وكان من لايبلغ احد صفته من اللين والرحمة فكنت بين يديه سيفا مسلولا حتى يغمدنى او يدعنى فامضى • ثم ولى امر المسلمين ابو بكر ، فكان من لاينكرون دعته وكرمه ولينه ، فكنت خادمه وعونه ، اخلط شدتى بلينه ، فاكون سيفا مسلولا حتى يغمدنى اويدعنى فامضى • ثم انى قد وليت اموركم ايها الناس ، فاعلموا ان تلك الشدة قد أضعفت ، ولكنها انما تكون على اهل الظلم والتعدى على المسلمين • فاما اهل السلامة والدين والقصد فانا الين لهم من بعضهم لبعض »

وقد صدق الفاروق فى افصاحه عن ذات نفسه ، وتحديد مواقفه النفسية بين يومه وامسه • فمواقف عمر فى حياة الرسول الكريم ، وفى خلافة ابى بكر الصديق تشهد لعمر بانه مع شدته فى الحق كان عادلا رحيما ، غيورا ، فطنا ، ثابت الايمان ، راسخ العقيدة •

لقد كانت الرحمة فى قلب عمر موازنه لعدله الذى استهدف صراطا سويا لايحيد عنه • ومع توفر الرحمة فى قلب عمر نجده خشنا فى طبعه ، جافيا فى قوله ، هادرا عند غضبه وثورته وما كان غضب الفاروق الا فى سبيل الله والواجبات الملقاة على كاهله ، والتبعات التى اضطلع بها ونهض بتكاليفها ، فى دولة اسلامية اتسعت رقعتها ، وتعقدت امورها • واى شعور بالتبعة وجسامتها من قول عمر : « لو مات جدى بطف الفرات لخشيت ان يحاسب به الله عمر »

والغيرة عند عمر كانت تحمى عقيدة ودينا ، او حقا يقينا ، او عرضا ضنينا ، او صديقا امينا • وكان عمر بما عرف عنه من الباس قادرا على حماية مايغار عليه • وكذلك كان فى تصريفه يصدر عن ذكاء فطن ، والمعية نابهة • مما هيأ له صدق الفراسة والعلم باخلاق الناس وخبايا النفوس ، وحسن اختيار الذين ولاهم شئون رعيته فى رقعة الدولة الاسلامية المتوسعة فى عهده •

وكانت هذه الصفات فى عمر بن الخطاب بدرجة من القوة والوضوح بحيث تتوارى وتتآلف ، ولا يطغى بعضها على بعض فيتعارض او يتخالف • واذا بكل تلك الصفات القوية تتجمع فى بؤرة نفسه ، وتصطبغ بصبغته ، فكأنها مقصورة على شخصه ، لايشاركه فيها احد من ابناء جنسه • ومن هنا برزت شخصية عمر بن الخطاب ، وفرضت نفسها على الناس فى عصرها ، وعلى الخلود والاجلال فى صحائف التاريخ بعد عصرها .

كان عمر لايبت فى امر من الامور الا بعد كثير من المشاورة للكبار والصغار طلبا للاحاطة بالآراء المتعددة ووجهات النظر المختلفة •

وكان يقول : « أخوف ماأخاف عليكم اعجاب المرء برايه » • وفى هذا ما ينفى عنه الاستبداد براى ، او ضيق الافق وانحصار الفكر عندما كان يستهدف الحقيقة ووجه الصواب • واكبر الظن انه كان فى ذلك متأثرا بصنيع رسول الله من الحرص على المشاورة وتقليب الامور على وجهات النظر المحتملة المتباينة • ولذلك كان عمر اعقل من ان يخدعه انسان ، واكبر من يخدع انسانا • فكان دهاؤه محمودا لا محدودا • ولذلك حذره كل من خبره او اتصل به من دهاة العرب او الساسة فى عصره • واى دليل على ذكائه وحسن تقديره للامور من قدرته على ان يسوس شعوبا كانت خليطا من العرب والفرس والسوريين والقبط ؟! وقد استطاع عمر بن الخطاب ان ينجح فى تسيير دفة الامور فى دولته نجاحا سلكه فى زمرة اقدر الحكام فى التاريخ • وهو نجاح لم يكن محض صدفة ، او ارتجال مغامرة ، مما يحق لنا معه ان نقول ان الفاروق كان مؤسس دولة وصانع تاريخ • بل ان دفة الاحداث كانت ملك يمينه يحولها كيف شاء ، ويوجهها فى عزم وتصميم ودهاء ومضاء •

وربما اخذ البعض على عمر شدته فى معاملة ولاته ، والقصاص منهم ، وتسويتهم بالمحكومين فى ساحة عدالته ، وعزلهم عند الاشتباه فى أمرهم او خوفا من افتتان الناس بهم • ولكن الواقع أن عمر افاد الاسلام بشدته فى الحق ، واستقامته فى الوصول الصريح الى غرضه ، أكثر مما لو كان قد داور ودارى ، او تلمس للمخطئين فى جانب الحق اعذارا • فقد افاد ذلك دين الاسلام أن وثق المسلمون باقامة احكامه ، واطمأن الضعفاء الى عدالته وانصافه ، وخاف الاقوياء من باسه وذلك ان عمر لم ينثن امام الخطوب ، وانما اجبر الخطوب ان تنثنى امام قوة ايمانه وثباته •

ومن هنا يبدو أن حيوية عمر المتدفقة والتى امتاز بها لم تكن حيوية مادة وجسد ، وانما كانت حيوية روح وخلق وعقل • وهى حيوية تمثلت فى رغبة عمر البالغة فى الاصلاح والتقويم ، باذلا فى سبيل ذلك جهودا لم ينهض بها أحد غير عمر •

وان صفات الفاروق النفسية ، وملامحه الخلقية يمكننا ان نردها جميعا الى ان الرجل غلبت عليه طبيعة بلده بجفافها وجبالها وشعابها ووحشها وفيافيها • وقد جعلت منه تلك الطبيعة مقاتلا ممتازا ، وجنديا مندفعا ، تلفه الشجاعة ، وتحدوه الصراحة ، ويسدده الحزم والنجدة ، وتلهبه الغيرة على الشرف ، ويواكبه الايمان بالحق والمقدسات والتبعات التى استقل بحملها ونهض بأعبائها •

اذا هم القى بين عينيه عزمه
ونكب عن ذكر العواقب جانبا

هذا الى حب للنظام والطاعة لله وكتابه ونبيه وهدى ابى بكر اول الراشدين • فطبيعة الجندى المؤمن بما يقاتل فى سبيله هى طبيعة عمر .

وانك تستطيع ان تستقصى اخبار عمر فى صحائف التاريخ لترى ان كل صفات الجندية المشرفة كانت تتحقق فيه طبعا لا تطبعا ، واصالة لا تعودا • فهذا عمر يصلى بالناس ، فلا يستهلها حتى يطمئن الى تسوية الصفوف وانتظامها • وكم حمل درته وهو يمشى بين الرعية لينبه بها غافلا او يقيم معوجا • بل ان حرصه على استقامة الامور بدا - كما أسلفنا - فى حسابه العسير للولاة لما يأتون او يدعون . وفى ذلك يقول الاستاذ الخضرى : « كان عمر ممن يشترون رضا العامة بمصلحة الامراء • فكان الوالى فى نظره فردا من الافراد يجرى حكم العدل عليه كما يجرى على غيره من سائر الناس • فكان حب المساواة لايعدله شىء من اخلاقه » •

وكان عمر شديد المراقبة لعماله كثير السؤال عن سيرتهم واخبارهم ، يقيم عليهم العيون يوافونه باخبارهم ، ولا يتركون خبر سوء يبلغه عن احدهم دون تحقيقه والتثبت فى شانه تثبتا لايدع للشك مجالا ، ولا يغفل ان يرسل اليهم الاوامر تباعا ان يعدلوا ولا

يظلموا ، ولا ياخذوا بالظنة ، ولا يبغوا ولا يغدروا • ومن ذلك ماكتب به عمر بن الخطاب الى العمال : اجعلوا الناس فى الحق سواء ، قريبهم كبعيدهم ، وبعيدهم كقريبهم • اياكم والرشى ، والحكم بالهوى ، وأن تاخذوا الناس عند الغضب • فقوموا بالحق ولو ساعة من نهار » •

ولا يفوتنا ان حرص عمر على التنظيم كان السبيل الى انشاء الدواوين واحصاء الرعية ، وتقدير ماينالون من بيت المال ، وفرض اعطيات للجنود ، وغير ذلك من التنظيمات الدقيقة فى تعبئة جيوش المسلمين ، وتوجيه عمر لقواده فى خطبه وكتبه ووصاياه •

ويفسر لنا جد عمر وعزوفه عن الهزل سر هيبة الناس له • فقد قال : « من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن كثر سقطه قل ورعه » • هذا الى جهارة صوته ، وشدة وطئه الارض فى مشيته • وكانت هيبة عمر تقع فى نفوس الكبراء الذين كانوا يحلمون بالجاه والكبرياء ، حتى ان الواحد منهم كان يفتقد شجاعته فى حضرة الفاروق ، وينصاع لما يامره به • ومن ذلك مايروى من ان زيادبن ابيه كان يتكلم فى مجلس عمر الذى اعجبه حديث زياد فهتف به : « لله در هذا الغلام ! لو كان قرشيا لساق الناس بعصاه » • وكان ابو سفيان حاضرا ، فمال على اذن على بن ابى طالب ، وافضى اليه بحقيقة ابوته لزياد • وعند ذلك قال له على : « فما يمنعك عن استلحاقه ؟ » فاجاب ابو سفيان فى همس الوجل : « اخاف هذا الجالس « يعنى عمر » ان يخرق هل اهابى » •

وكان عمر الى شجاعة الاقدام فى ساحة القتال يتمتع بشجاعة ادبية كبيرة دفعته الى مراجعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – فى كثير من المسائل التى بدا فيها لعمر رأى يخالف راى الرسول • وقد اثمرت تلك المراجعة أن اقتنع الرسول برأى عمر ، واخذ به بعد تمحيص ومشاورة . وكما وزر عمر للنبى . وزر لابى بكر الصديق وراجعه فى مسائل الحكم وشئون المسلمين كبيرها وصغيرها • وكان لتلك المراجعة فضل فى تعديل خطة أو ثبات على رأى • ومع هذه المراجعة فان عمر كان يعرف موضعه من الرسول عليه السلام او من الصديق رضوان الله عليه ، فلم يتجاوزه ، واعطاهما الطاعة والمحبة والاخلاص عن رضا واقتناع •

وقد كان لطابع الجندية الذى اصطبغت به تصرفات الفاروق اثره فى امور تبدو بعيدة الصلة عند النظرة العاجلة ، ولكنها ترتبط به وترد اليه عند التامل والنظر المتثبت • فمن ذلك تحريم رق العربى ، واخلاء شبه الجزيرة العربية من غير العرب • ومن ذلك ايضا سياسة عمر التى اتبعها مع الامم المفتوحة ، فقد أمر عمر جنده . بتصديق كلمة الشرف والبر بالوعد . كما اوجب على قادته انجاز العهد ، اذا نزلوا بلاد الاعاجم ، وفهموا من اشاراتهم مايفيد العهد ، وطلبه والرغبة فيه بدون ان يتعللوا بجهل اللغة او غرابة العادات • ولاشك أن هذه التصرفات لاتصدر الا عن حاكم اتصف بالغيرة وحماية الذمار . والحرص على الوفاء بالعهد وحسن الجوار • وهى خلائق تاصلت فى عمر بن الخطاب ، وصدرت عنه صدور الماء الصافى عن النبع الفياض ، وهى صفات لفها ايمان قوى بالله ، جعل عمر يعيش دنياه زاهدا فيها ، متخففا من زينتها ، قانعا بشظفها ، مستعدا للقاء ربه فى كل حين ، مشفقا من حساب رب العالمين ، متطلعا نحو السماء يلتمس منها الهداية والتوفيق •

أول خليفة في الإسلام

الأستاذ عبد العال السيد شعيب

أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، اتصف بمكارم الاخلاق منذ نعومة اظفاره ، وقبل ان يشرق على الارض نور الاسلام ، وكان ذا يسار يحمل الكل ويكسب المعدوم ، ويبذل المعروف ، وكان محببا الى قريش ، يعرف من أنسابهم ما لا يعرفه غيره ، وكان مصاحبا لرسول الله قبل النبوة ، فلما شرف الله محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته كان أبو بكر أول رجل اجابه ، حتى قال فى ذلك رسول الله : ما دعوت أحد الى الاسلام الا كانت له كبوة غير أبى بكر ، وكان له فى الهجرة الى الاسلام قدم ثابتة وهمة عالية .. فقد كان له شرف الصحبة لرسول الله فى هجرته الى المدينة ، وكان ثانى اثنين اذ هما فى الغار ، فقد كان له شرف الصحبة لرسول الله فى هجرته الى المدينة وكان ثانى اثنين اذ هما فى الغار ، وشهد بعد الهجرة جميع المشاهد الاسلامية لم يتخلف عن واحدة منها ، وكان صاحب الراية فى غزوة تبوك ، وأمره النبى على الحج فى السنة التاسعة ، ولما مرض عليه السلام أمره أن يقوم مقامه فى الصلاة . ولهذا لما انتقل الرسول الى الرفيق الاعلى أسرع المسلمون الى توليته خليفة عليهم ، لمنزلته من الرسول ، ولما اتصف به من كريم السجايا وحميد الخصال ..

***

واختيار الخليفة فى الاسلام يدخل تحت توجيه القرآن العام للامة حيث يقول : (وأمرهم شورى بينهم) ولم يرد نص صريح يدل على طريقة الاختيار ، وكان الشريعة أرادت أن تكل هذا الامر للمسلمين حتى يحلوه بأنفسهم ، ولو لم يكن الامر كذلك لمهدت قواعده واوضحت سبله كما أوضحت سبل الصلاة والصيام وغيرها ، وان للمسلمين طرائق فى اختيار خليفتهم :

١ ـ الطريقة الاولى : طريقة الانتخاب الاستشارية ، وقد حصلت هذه الطريقة فى اختيار أبى بكر الصديق ، حيث اجتمع المسلمون فى سقيفة بنى ساعدة بالمدينة وتشاوروا فى الامر ، ثم انتخبوا أبا بكر ، وسارعوا الى ذلك لتبقى للجماعة وحدتها ، وتظل الامة محافظة على بنيانها ، وقد حدث أن اقترح أبو بكر أن يكون الخليفة واحدا من اثنين : عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة عامر بن الجراح ، لهذا أسرع عمر ومد يده الى أبى بكر فبايعه الناس .

٢ ـ الطريقة الثانية : أن يعهد الخليفة الموجود الى شخص آخر بعده بالخلافة ، وهذه هى الطريقة التى كان بها انتخاب عمر بن الخطاب ، حيث اختاره أبو بكر ، وقد قال للناس : هل رضيتم من اخترته ؟ فقالوا نعم .

٣ ـ الطريقة الثالثة : طريقة الاختيار الشورى من أفراد يعينهم الخليفة الموجود وهى الطريقة التى انتخب بها عثمان بن عفان ، فان عمر لما ضرب واحس بالموت خاف أن يترك المسلمين بدون خليفة حتى لا يضطربوا ، ولم يكن أمام نظره من لو استخلفه يكون مطمئن النفس من قبله ، فلم يشأ أن يتحمل أمر المسلمين حيا وميتا ، فاختار ستة من كبار الصحابة ، ومن يدرى أنه لا يتطلع لامر الخلافة ، ووضع لهم نظاما ينتخبون به الخليفة من بينهم ، فأمر أن يجتمعوا بعد وفاته فى حجرة عائشة ويختاروا الخليفة فى مدة لا تزيد على ثلاثة أيام ، ويجب النزول على رأى الاغلبية ، ومن رفض رأى الاغلبية اعتبر خارجا واستحق القتل ، واذا تساوت الاصوات كان القسم الذى فيه عبد الرحمن ابن عوف مرجحا ..

وبعد أن تمت بيعة أبى بكر ، قام فى الناس خطيبا ، يحدد خطته فى العمل ، وسياسته لأمور الامة فقال :

« أيها الناس ، قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى ، وان صدفت فقومونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله ، لا يدع أحد منكم الجهاد ، فانه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله » .

واذا حللنا هذه الخطبة وجدناها تشتمل على الواجب على الراعى لرعيته ، والواجب على الرعية للراعى ، فيجب عليهم اعانته ، ورده الى الحق اذا صدف عنه ، وفى هذا ضمان لحريتهم ..

وواجب عليه أن يعدل فيهم فلا تمنعه قوة الظالم أن ينصف منه المظلوم ، ولا يمنعه ضعف المظلوم أن ينصفه من ظالمه ، وقد بين له أن الصدق أمانة يجب رعايتها والحفاظ عليها ، واجمل ما يطلبه الراعى من رعيته ان يصدقوه القول ، وأن يمحضوا له النصح ، وأن يخلصوا فى العمل ، بذلك تسعد الامة ويعلو شأنها ، أما الكذب فهو خيانة ، خيانة للعهد الذى قطعته الرعية على نفسها .. واذا تفشى الكذب فى أمة ، ولم يكن الصدق رائد الحاكم والمحكومين فيها فان مصيرها الى التردى فى هاوية الفوضى والفساد .. ثم يحثهم على الجهاد ، الذى هو سبيل النصر والفلاح .. والامة التى تريد أن تحيا عزيزة سعيدة يلزمها أن يتعشق أبناؤها الجهاد ، وأن يوطنوا أنفسهم على بذل أرواحهم وكل عزيز وغال .. ولقد فهم المسلمون فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المعانى فألفوا الجهاد ، واستعذبوا لقاء الله فى سبيل أن تسود كلمة الحق ، وأن تعلو راية الله .. والله يبارك سعيهم وجهادهم فيقول « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

ويقول فى موضع آخر مرغبا فى الجهاد (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ..

وسجل التاريخ مثلا رائعة لعزمات المؤمنين القوية وتضحياتهم العزيزة ، فيروى الامام أحمد أن المشركين لما دنوا فى بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : قوموا الى جنة عرضها السموات والارض ؟ فقال عمر بن الحمام الانصارى : يا رسول الله جنة عرضها السموات والارض ، قال نعم ، قال : بخ بخ ، قال رسول الله : وما يحملك على قول بخ بخ ؟ قال : لا والله يا رسول الله الا رجاء أن أكون من أهلها ، قال : فانك من أهلها ، فاخرج ثمرات من قرنه فجعل يأكل منها ، ثم قال : لئن حييت حتى آكل ثمراتى هذه انها حياة طويلة ، فرمى ما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم وهو يقول :

ركضا الى الله بغير زاد
الا التقى وعمل المعاد
والصبر فى الله على الجهاد
وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

فما زال حتى قتل .

وفى نفس هذه المعركة ، معركة بدر الكبرى حمل السلاح الفتيان الذين لم يتخطوا دور الصبا ، فلم يزالوا فى ميعة الصبا وشرخ الشباب ، لم يطر لهم شارب ، ولم تنبت لهم لحية ، وشأن الفتيان فى مثل هذا العمر أن يحبوا الدنيا ومباهجها أكثر من حبهم للقتال ، لكن تربية الاسلام تجعل من ابنائه جميعا جنودا للحق شبانا وشيبا ، صغارا وكبارا رجالا ونساء . فاذا أذن مؤذن الجهاد ، فالتعبئة عامة ، يسارعون اليها كما يسارعون الى لقاء عزيز حبيب .. فروى سيدنا عبد الرحمن بن عوف هذه الحادثة الرائعة : انى لفى الصف يوم بدر ، اذا التفت فاذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن ، فكأنى لم آمن بمكانهما ، اذ قال لى أحدهما سرا من صاحبه : ياعم ، أرنى أبا جهل ، فقلت : يا ابن أخى ما تصنع به ، قال عاهدت الله ان رأيته أن أقتله أو أموت دونه ، وقال لى الآخر سرا من صاحبه مثله ، قال : فما سرنى أننى بين رجلين مكانهما .

فاشرت لهما اليه فشدا عليه مثل الصقرين فضرباه حتى قتلاه ، ويظهر أنهما تركاه بين الحياة والموت ، وقد استشهد البطلان فى هذه الوقعة ، ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصرعهما يدعو لهما ويذكر صنيعهما .. أما أبو جهل فقد سقط مكانه يلفظ انفاسه ، وتفرق المشركون بعده بددا ، وتركوا سيقانهم للريح ، وولوا خائفين منهزمين ، يلاحقهم خزى الهزيمة وذل العار ..

وتأتى غزوة أحد ، فتظهر الرجال وقيمهم ، والناس كالمعادن ، فكما أن المعدن يختبر بالنار لتظهر جودته ، فكذلك الرجال يختبرون بالشدائد لتظهر أقدارهم ومكانتهم ، وكانت معركة أحد اختبارا ، وأى اختبار ؟ كانت اختبارا عنيفا شديدا ، جيش المسلمين تجمع أولا فى ألف رجل ، ثم انسحب منه عبد الله بن أبى فى الطريق ومعه ثلث الناس ، قائلا : ما ندرى علام نقتل أنفسنا ؟ وقد تبعهم عبد الله بن حرام ينصحهم بالثبات ويؤنبهم على العودة ، ويذكرهم بواجب الدفاع عن المدينة ضد المغيرين ، لكن عبد الله بن أبى رفض الاستماع اليه ، وقد نزلت فيه ومن انسحب معه هذه الآية :

« وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم : تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا ، قالوا : لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان » .

كان هذا الجيش الصغير الذى يعد بالمئات يواجه جيشا ثائرا فى عدد يربو على ثلاثة آلاف ورأى أبوسفيان فائده أن يستصحب النساء معه حتى يكون ذلك أبلغ فى استماتة الرجال دون أن تصاب حرياتهم وأعراضهم .. وتجلت فى هذه المعركة مواقف سجلها التاريخ بمداد العظمة والاكبار .. روى ثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه أمسك يوم أحد السيف ثم قال :

من يأخذ السيف بحقه ؟ فاحجم القوم ، فقال أبو دجانة : أنا آخذه بحقه ، فاخذه ففلق به هام المشركين ، قال ابن اسحاق : كان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب ، وكانت له عصابة حمراء ، اذا اعتصب بها علم أنه سيقاتل حتى الموت ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم تعصب وخرج يقول :

أنا الذى عاهدنى خليلى
ونحن بالسفح لدى النخيل
الا أقوم الدهر فى الكيول
أضرب بسيف الله والرسول

ويعنى بعدم قيامه فى الكيول ، الا يقاتل فى مؤخرة الصفوف ، بل يظل أبدا فى المقدمة ..

ويروى التاريخ أن أبا خيثمة قتل ابنه فى معركة بدر فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لقد أخطأتنى وقعة بدر وكنت - والله عليها حريصا - حتى ساهمت ابنى فى الخروج فخرج فى القرعة سهمه ، فرزق الشهادة ، وقد رأيت البارحة ابنى فى النوم فى أحسن صورة ، يسرح فى ثمار الجنة وأنهارها يقول : الحق بنا ترافقنا فى الجنة ، فقد وجدت ما وعدنى ربى حقا ، ثم قال : وقد أصبحت يا رسول الله مشتاقا الى مرافقته وقد كبرت سنى ورق عظمى ، وأحببت لقاء ربى ، فادع الله يا رسول الله أن يرزقنى الشهادة ومرافقة خيثمة فى الجنة ، فدعا الرسول له فقتل بأحد شهيدا ..

وكان عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج ، وكان له أربعة أبناء شباب يغزون مع رسول الله فلما توجه الى احد أراد أن يخرج معه ، فقال له بنوه : ان الله قد جعل لك رخصة ، فلو قعدت ونحن نكفيك ، وقد وضع الله عنك الجهاد ، فأتى عمرو رسول الله فقال : ان بنى هؤلاء يمنعوننى أن أجاهد معك ، ووالله انى لارجو أن أستشهد فأطأ بعرجتى هذه فى الجنة ، فقال له رسول الله : أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد ، وقال لبنيه : وما عليكم أن تدعوه ، لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة ؟ فخرج مع رسول الله فقتل يوم أحد شهيدا ..

وفى زمن خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، تعرض المسلمون لمواقف شديدة ، تجلى فيها صدق عزيمته ، واخلاصه وشجاعته ، فحينما بلغه أن فريقا امتنع عن أداء الزكاة ، وأن فريقا آخر تبع المتنبئين ظهرت عزيمته الصادقة ، وصمم على حرب هؤلاء الذين خرجوا من الدين وحاربوه بعد أن دخلوا فيه ، وعقد أحد عشر لواء لأحد عشر أميرا ، وبعد أن عين الجنود والامراء كتب للمرتدين من العرب كتابا واحدا ، ويعتبر أول منشور عام صدر عن خليفة المسلمين ليقرأ فى مجامع الناس وأنديتهم ..

وكتب كذلك الى القواد عهدا صورته واحدة ..

وسنتكلم عن ذلك المنشور ، وهذا العهد فى الحديث القادم بمشيئة الله .

أضواء على الهجرة النبوية

الدكتور حسن محمود

فى موسم الحج من عام ٦٢٢ ميلادية أو فى يوم ١٦ يوليو عام ٦٢٢ على وجه التحديد تمت بيعة العقبة الثانية بين الرسول الكريم وبين وفود المؤيدين لدعوته من اهل المدينة • وبدات نذر الهجرة وفى ٢٤ سبتمبر من هذه السنة وصل الرسول بسلامة الله الى قباء ثم دخل المدينة •

وهذه سنوات فى تاريخ الدعوة الى الاسلام لايمر عليها المؤرخون مر الكرام انما يقفون عندها طويلا ، فقد كانت اياما حاسمة فاصلة تؤذن بنهاية فترة من الكفاح وبداية اتجاه جديد فى تاريخ الاسلام ، فالهجرة من اهم الاحداث بسبب النتائج الهامة التى ترتبت عليها ، فالاسلام لم يعد دعوة دينية خالصة انما ارتبط بتنظيم سياسى ، بظهور الدولة العربية بزعامة النبى هدفها ان تدعو الى الاسلام وأن تدافع عن المسلمين ، ووضعت الاصول الاولى لنظم الحكم ونظم الحرب والسلام والمعاهدات والولاية على البلدان والضرائب ، والجيش واسلوب الدولة فى الدبلوماسية • كما انتقلت الدعوة الاسلامية من الدور الدينى الخالص الى مرحلة اخرى ، مرحلة التطبيق العملى ، مرحلة التشريع الذى ينظم امر الجماعة الجديدة فيما يعرض لها من امور الدنيا والدين •

وهذه السنوات على قصرها وعظم امرها فى حاجة الى ان ترتب ترتيبا تاريخيا يستند الى منطق اعتمادا على اوثق المصادر واقدمها

ويمكننا ان نجمل هذه التطورات اولا ثم نعمد الى مزيد من التفاصيل فى عام ٦١٩-٦٢٠ ضعفت العصبية القبلية التى تسند الدعوة ثم تهاوت ومع اشتداد عدوان العصبيات وشدة بغيها كان لابد من البحث عن نصير وفى عام ٦٢١ تمت بيعة العقبة الاولى وفى ١٦ يوليو عام ٦٢٢ تمت بيعة العقبة الثانية وبدات طلائع الهجرة وفى ٢٤ سبتمبر من هذه السنة دخل الرسول يثرب مهاجرا

ونريد ان نبين كيف افضت الامور الى هذا التطور ولماذا كان الاندفاع فى هذا الاتجاه او ذاك •

فقد كانت الفترة من تاريخ الدعوة الى الاسلام التى تقع بين عام ٦١٠ مهبط الوحى ومبعث الرسول وبين ١٦ يوليو عام ٦٢٢ فترة حافلة بالصراع العنيف مر المذاق الذى تبتلى فيها القدرات وتمتحن النفوس •لم يكن الصراع صراع المبادىء السامية فى وجه مفاسد المجتمع القرشى فحسب ولا محاولة لتهذيب هذا المجتمع الشارد ورده الى صوابه وانسانيته فحسب ، انما كان صراعا بين مجموعات من القبائل تنافست على الزعامة والقيادة وما ارتبط بها من مصالح معينة وما لابسها من حقوق وواجبات • مجموعة يتزعمها بنو هاشم ويحالفهم بنو زهرة وبنو فهر وبنو عدى ومجموعة اخرى يتزعمها بنو عبد شمس ويحالفهم بنو نوفل وبنو اسد وعامر وعبد الدار ومخزوم وسهم وجمح •

ظهر الاسلام فى حجر بنى هاشم فاحتضنه بنو هاشم بسبب ولدهم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ووقفت العشيرة من خلفه تؤيده وتحميه وتمنعه يؤيدها حلفاؤها من زهرة وعدى وفهر وفريق آخر راى فى الاسلام عدوانا على مصالحه واحتكاراته التجارية وراسماليته الطاغية وارثه القديم واقتلاعا لجذور بغية وعدانه فوقفوا يعارضون ويكيدون ويناجزون ويؤلبون الاعداء ويشحذون السلاح ، وابن هشام صاحب السيرة النبوية يحدثنا عن معارضة الذين حملوا الى أبى طالب عم الرسول الانذار الاول ثم الثانى ثم الثالث ويتبين لنا من قوله انه كان على راسهم قوم من بنى اسد وحرب ومخزوم وجمح وسهم •

ومادامت المعارضة قد كشفت عن وجهها على هذا النحو فلنحاول ان نبين لماذا عارضت • ويخيل الينا ان الاعتبار الاول الذى دفع الى هذه المعارضة هو اعتبار

العصبية نفس الاعتبار الذى دفع الهاشميين الى التايبد ومادامت المعارضة تكره هاشما فلابد من ان تعارض مايؤيده بنو هاشم • كما ان هؤلاء المعارضين كانت لديهم حساسية غريبة لما قد تبطنه الدعوة الاسلامية من اتجاه سياسى قد يكونون واهمين ولكنهم تصوروا هذا واحسوا به بأن اعلاء نفوذ النبى سيعيد للهاشميين ماكان لهم من مجد وصيت ويصور لنا هذا الموقف مانقله ابن هشام على لسان ابى جهل اذ قال : « تنازعنا وبنو عبد مناف الشرف ، اطعموا فاطعمنا وحملوا فحملنا ، واعطوا فاعطينا حتى اذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسى ، رهان قالوا منا نبى يأتيه الوحى من السماء فمتى ندرك مثل هذا والله لانؤمن به ابدا ولا نصدقه •• وقد ظهر المعارضون اشد الناس حرصا على دينهم ووثنيتهم ولم يكن ذلك منهم ايمانا بعقيدتهم بقدر ماكان ابقاء على منافع معينة • ولعلنا لاننسى كيف ارتبطت الراسمالية القرشية ببعض قبائل الحجاز بأكثر من سبب ولعل اقوى هذه الاسباب هم المشاركة التجارية فدعوة الاسلام فيها اسخاط لهذه القبائل وربما يسفر ذلك عن امتناع هذه القبائل عن حماية القوافل المكية فتبور التجارة وثمةاعتبار اقتصادى فقد كان الراسماليون فى حاجة الى عمل يدوى يقوم به الرقيق والموالى كتسويق السلع واعدادها للتصدير والعمل فى بعض الحرف والصناعات التى يأنف العرب من مزاولتها ، وقد توهموا ان الاسلام يحرض هؤلاء العاملين ويثيرهم على سادتهم فيمتنعون عن العمل اليدوى الذى هو قوام الانتاج الصناعى والاقتصادى • وثمة اعتبار آخر وهو ان رزق

المكيين من تجارتهم كان يعتمد على مكة كمدينة مفتوحة للخبرة والتجارة وراس المال فاذا بالاسلام يبدو فى اوهام المعارضين مثير للقلق فاذا اضطرب الامن هرب راس المال وكان الكساد الاقتصادى • ولا يفوتنا ان نضيف الى ذلك كله عاملا اجتماعيا هو ان طبقة الرقيق والمستضعفين كانت تعيش على هامش الحياة لها العمل الشاق والاجر الزهيد فاذا بالاسلام يحمل لهم المساواة فيكون المولى عند الله راسه براس عتاة بنى مخزوم !

هذه هى الاسباب التى كمنت من وراء هذه المعارضة فاين الوسائل التى توسل بها المعارضون • كانت الوسائل قرشية حقا تنبع من طبيعة القرشيين وتتفق مع اخلاق التجار فقد بداوا بالمسالمة والدهاء فانذروا الهاشميين ثلاث مرات كما ذكرنا فلما تم لهم هذا عمدوا الى المساومة وابن هشام يتحدث عن عروض ومساومات حملها عتبة بن ربيعة على لسان قريش • مؤداها ان يمنح النبى المال اذا كان راغبا وان يعرض عليه السؤدد اذا اراد ، بل امتدت هذه المساومة الى حد المساومة على الدين نفسه لماذا لايتفقون مع النبى فتكون لهم مصالح مشتركة ، اذ عرضوا ان يعترف بالوثنية والاصنام على انها بنات الله ثم يعترفون هم بالاسلام ثم يسير الركب

للرسول دينه ولهم تجارتهم ومصالحهم ، ولكن الرسول رفض المساومة على دينه مؤيدا بالوحى والتنزيل ثم جرب المعارضون حرب الكلام للرد على ماجاء فى الاسلام ولاحراج النبى وافحامه ليزروا به امام انصاره فاستعانوا برجل من شياطين قريش اسمه النضر بن الحارث اختلف الى الحيرة وعرف كتب الفرس فاخذ يعارض النبى ويروى قصصا كالذى يرويه ، ثم استعانوا بحلفائهم اليهود فارسلوا وفدا الى احبارهم يسالونهم الراى ويطلبون المشورة ويبدو ان احبار اليهود طلبوا اليهم ان يسألوا النبى عن ثلاثة امور : فتية ذهبوا فى الزمان الاول والرجل الطواف الذى شرق وغرب ثم عن الروح ثم نزلت سورة الكهف وفيها اجابة صريحة على كل هذه المسائل وكان ذلك هزيمة للمعارضة فى حرب الكلام فلم يبق غير العنف واستخدام القوة • وجمعت المعارضة فلولها وشراذمها فى صورة حلف عدوانى اشبه بحلف الاحلاف الذى تم بعد وفاة قصى وارادوا ان يخلعوا عليه صفة القداسة فكتبوا به صحيفة وعلقوها فى الكعبة مقاطعين بنى هاشم ، لكن هذا السلاح خاب وضل فى ايديهم وفشلت حرب المقاطعة •

وكان واضحا كل الوضوح ان بقاء النبى فى مكة يتوقف على مدى صمود بنى هاشم • والحق ان بنى هاشم صمدوا ما استطاعوا ووقفوا من خلف النبى مضحين بأنفسهم واموالهم • والحق انهم لم يكونوا قادرين على الصمود اكثر مما قدروا فقد كانوا اضعف شأنا فى الناحيتين المادية والادبية ثم تهاوت العصبية الهاشمية وتفرقت بعد وفاة ابى طالب فقد انتقلت زعامة العشيرة الى ابى لهب ، ولم يكن من المعقول أن يظفر النبى من التأييد بالقدر الذى ظفر به وفى نفس هذه السنة سنة ٦١٩ـ٦٢٠ ماتت خديجة وكان انتماؤها الى بنى عبد شمس ومخزوم يخفف من غلواء المعارضة

وابن هشام يصور لنا هذه الاوضاع المحزنة التى انتهى اليها المسلمون • فقد وصل الاذى الى شخص الرسول واضطر الى ان يلتمس لنفسه عصبية جديدة ولابد لها من مثل هذه البيئة فكان مارواه ابن هشام من محاولته التماس نصرة ثقيف ثم ماكان من صد ثقيف وما رواه ذلك المؤرخ من عرض نفسه على القبائل العربية التماسا للنصرة والعصبية فانه يقول ايدونى وامنعونى اى انه يقرن التاييد بالمنعة الصادرة من العصبية المؤيدة • بل يمضى مؤرخ السيرة فى تصوير انحلال العصبية الى ابعد من هذا فيذكر ان النبى بعد منصرفه من الطائف لم يستطع ان يدخل مكة الا مستجيرا فروى انه اعتصم بغار حراء لايقوى على دخول مكة وكيف ارسل يستجير فلبى النداء المطعم بن عدى فجمع قومه وعشيرته ووقف خلف الرسول يجيره ويحميه ولعل هذا هو السبب الذى دفع حسان الى مدح المطعم بشعر ذكره ابن هشام ومن الغريب أن هذا امتد الى اصحاب النبى وراح القادر منهم على الاستجارة يلجأ اليها • وقد ورد فى المنتخب من السنة انه « لما ابتلى المسلمون خرج ابو بكر مهاجرا •• حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة « الحارث بن يزيد » فقال : ابن تريد ياأبا بكر ، فقال ابو بكر : اخرجنى قومى فأريد ان اسيح فى الارض وأعبد ربى فقال ابن الدغنة : فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج .. انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل ـ بفتح الكاف ـ وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فأنا لك جار •

واضح اذن أن انحلال العصبية الهاشمية سنة ٦١٩ ـ ٦٢٠ دفع النبى عليه الصلاة والسلام ان يلتمس لدينه ونفسه عصبية أخرى تحتضن الاسلام وتذود عن المسلمين •

وهناك حقيقة تصور لنا المجتمع العربى اصدق تصوير وهو أن الفرد خارج العشيرة وخارج القبيلة لا حياة له ولا بقاء • وكان لابد للنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من هذه العصبية الحامية المجيرة •••

وظل دءوبا عل ى التماسها الى ان قدر له أن يظفــر بعصبية جديدة وايمان جديد ، ايمان الاوس والخزرج وعصبيتهم لتحل محل العصبية القديمة التى انهارت.

ويمكننا ان نتبع خيوط التطورات التى ادت الى الحدث العظيم فى ١٦ يوليو عام ٦٢٢ . ابن هشام يكشف لنا عن هذه الامور فيشير الى أن النبى - عليه الصلاة والسلام - اتصل ببعض الافراد منهم رجل يسمى سويد بن صامت كان على معرفة بحكمة لقمان وحكمة اليهود .. وقد لقى الرسول فصدق وآمن ولكنه ما تبعد منصرفه من مكة مباشرة ، والتقى بنفر آخر من الاوس جاءوا مكة يلتمسون حلفا من قريش فحدثهم فهشوا له ، ومالت نفوسهم للدعوة . وفى عام ٦٢٠ أسلم ستة من الخزرج وفى موسم الحج من عام ٦٢١ عاد خمسة من الستة السابقين ومعهم سبعة آخرون بينهم ثلاثة من الاوس فبايعوا الرسول بيعة العقبة الاولى ، فلما عادوا الى حيهم يذكرون الاسلام تفشت الدعوة فى المدينة كما يقول ابن هشام حتى انه لم يبق بيت الا وفيه ذكر لمحمد ودعوته ، يدل على ذلك ما أشار اليه ابن هشام من طبقات الافراد الذين دخلوا فى الاسلام من الاوس والخزرج ، لقد كانت بيعة العقبة الاولى على الايمان والاسلام .

ثم جاءت الخطوة الاخيرة فى اتمام البيعة على نحو يحقق ما يريد النبى عليه الصلاة والسلام فى ١٦ يوليو عام ٦٢٢ فى موسم الحج حينما جاءت وفود من المبايعين منهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتين ، فكانت البيعة المعروفة ببيعة العقبة الثانية والتى منحت الرسول ما أراد من المنعة .

وعقد البيعة الثانية من اهم العقود فى تاريخ الدعوة الى الاسلام لانه يضع شروطا على المبايعين والمبايع له وقد ورد فيه « بايعنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيعة الحرب على السمع والطاعة فى عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا والا ننازع الامر اهله وان نقول بالحق اينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم » .

ومعنى هذا انهم سيحاربون الاحمر والاسود ، ويتحملون انتهاك الاموال وقتل الاشراف اذا لم يكن من قتلهم بد .

اذن فقد قدم هؤلاء للنبى - عليه الصلاة والسلام - العصبية التى كان ينشدها ، بل المهجر الذى كان يبغى فقد اشترطوا أن يسالم من سالموا وأن يحارب من حاربوا وألا يعود الى قومه اذا تم نجاح الدعوة فكأنه استبدل بلده ببلدهم وعصبيته بعصبيتهم .

وكان الدعوة التى لفظتها قريش لارتطامها بمصالحها المادية تلقفتها يثرب فقد رأت فيها دواء لادوائها وعلاجا لظروفها ، ففيها الوحدة التى كانت تتطلع اليها خلف زعيم حر عدل يخمد صوت الفتنة ويوحد الصفوف فى كفاح أهلها مع رأسمالية اليهود اصدقاء قريش وحلفائهم النبيعين ، وقد وجدت فى هذه العقيدة الجديدة ما تستطيع به أن تفاخر اليهود الذين عاشوا عيشة الاعتداد والخيلاء .

وقد وجد المجتمع المدنى الزراعى فى الاسلام الحل الذى يتوق اليه وجد فيه الوحدة والمعصم من الفتنة . ولم لا تكون المدينة فى ظل الدعوة حرما يعلو على حرم مكة ويطاوله ويفوقه ولم لا تهفو اليها قلوب المؤمنين. لقد صدق ظن أهل المدينة فقد اصبحت بلدهم كعبة الاسلام وعاصمة البعث الجديد .

وقد فزع المكيون أشد الفزع لهذا الحلف الجديد فقد تسربت اليهم اخبار بيعة العقبة ورأوا فيها عملا عدوانيا .

روى عبد الله بن كعب قال : « فرجعنا فنمنا حتى أصبحنا ، فلما اصبحنا غدت علينا سادة قريش حتى جاءونا فى منازلنا ، فقالوا يا معشر الخزرج انه قد بلغنا انكم قد جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين اظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، والله انه ما من العرب احد ابغض الينا أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم . قال فانبعث من هنالك من مشركى قومنا يحلفون لهم بالله ما كان من هذا شىء ولا علمناه وقد صدقوا .. لم يعلموا ما كان منا » .

ولكن الرسول - عليه الصلاة والسلام افلت من قبضتهم ونجحت الهجرة ، ودخل قباء فى الرابع والعشرين من سبتمبر عام ٦٢٢ .

انتشار الدعوة الإسلامية فى الهند

الأستاذ محمد محيى الدين الألوائى

وصل صوت الاسلام ـ لاول مرة ـ الى الهند بأيدى العرب ، وكانوا هم طليعة المسلمين الذين أناروا الطريق لنشر الدعوة الاسلامية فى شواطىء الهند الغربية. وضاءت به أرجاء الهند الساحلية ، الواقعة فى شواطىء بحر العرب ، عقب أن انبثق فجر الاسلام فى بلاد العرب . وحمل التجار العرب الذين كانوا يرتادون هذه الشواطىء وموانئها ومراكز التجارة فيها قبسا من نور الاسلام الوهاج واضاءوا به منطقة « ملابار » فى ولاية « كيرالا » بجنوب الهند ، فلم يلبث أن توسع نطاق الجهود الفردية التى بداها هؤلاء الدعاة العرب المسلمين ، حيث تبعتهم فى هذا الميدان المسلمون الهنود الذين استضاءوا بذلك النور، وتشبعوا بالدعوة الاسلامية .

وبدات طليعة الدعاة المسلمين ـ العرب والهنود ـ تنشر التعاليم الاسلامية ، واللغة العربية فى ربوع شبه القارة ، بطريق الوعظ والارشاد وكان رائدهم فى ذلك قوله تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » حتى ظهر فى أرجاء البلاد رجال متفقهون فى العلوم الاسلامية ومتمكنون فى اللغة العربية وآدابها ، وبذلوا أقصى الجهود فى سبيل نشر اللغة العربية فى كل بقعة نزلوا فيها ، للدعوة الى الدين الحنيف ، باعتبار كونها لغة القرآن الكريم والعلوم الاسلامية ، فلها مكانة مرموقة فى قلب كل مسلم غيور ، حتى برز فيها علماء ومؤلفون من أبناء الهند، وساهموا مساهمة فعالة فى تكوين مراكز خالدة للثقافة الاسلامية فى البلاد الهندية .

وتتشكل هذه المراكز الاولى للثقافة الاسلامية من المساجد والتكايا والمدارس العربية ، وكانت تقوم بنشر المبادىء الاسلامية ، والتعاليم الدينية فى اللغات المحلية بغية تقريب معانيها ومفاهيمها الى أفهام الجمهور ، ورفع كلمة الله فى قوم تائهين فى غياهب الشرك والضلال ، وغارقين فى الخرافات والخزعبلات والترهات ، وأما الذين كانوا يقدمون بالدعوة الاسلامية فقد خالطوا أهل البلاد وعاشروهم ولقنوهم مبادىء الدين الحق ، وكانوا قدوة حية للاخلاق الفاضلة والسجايا العالية ، كما كانوا ممثلين عمليين لكل ما يدعون الناس اليه ، فتأثر سكان البلاد بأخلاق هؤلاء الدعاة وأعمالهم الصالحة وروحهم الكريمة، ودخلوا فى دين الله أفواجا عن طيب نفس ، واقتناع .

وفى مقدمة الاسباب التى ساعدت على انتشار الدعوة الاسلامية فى شبه القارة الهندية ، عناية العلماء والمشايخ الذين تفانوا فى سبيل نشر الاسلام ، بتربية من أسلم من الأهالى ، تربية كاملة على آداب الاسلام وأخلاقه العالية، وتنشئته نشأة صالحة طبقا لتعاليمه النقية الطاهرة .

وهكذا كان الاسلام يترعرع فى أنحاء الهند ، خصوصا فى مواطن المهاجرين العرب الاولى ، فى السواحل الهندية الغربية والجنوبية بأيدى العلماء الصالحين ، والصوفيين الذين هاجروا أوطانهم فى سبيل الله ، ودخلوا الهند دعاة مرشدين ، بعيدين كل البعد عن المطامع السياسية ، ولذائذ العيش ، وكسب الأموال .

ويدل التاريخ على أن الدعوة الاسلامية كانت تنتشر فى الهند فى العصور الاولى لبدئها بدون أى صدام مع الأديان المحلية الأخرى ومعتقدات أهاليها ، بل وكان الدعاة المسلمون محل احترام وتقدير لدى الحكام الهندوكيين ، وأكبر دليل على ذلك ، المساجد التى شيدها هؤلاء الحكام لرعاياهم المسلمين ، وكان هؤلاء الدعاة يقومون بنشر دعوتهم فى جو من الحرية والأمان ، واستمرت هذه الحالة الهادئة الطيبة الى عصر قيام بعض الأباطرة العجم ، مثل المغول والأفغان والترك والفرس ، بفتوحات مسلحة وغزوات سياسية ، لتولى مقاليد الحكم ، فبدأ التعصب الدينى والنعرة الطائفية تتسرب الى ربوع البلاد ، لأنهم كانوا يقومون بهذه الفتوحات باسم الاسلام ، ومع انه كان جل همهم السيطرة السياسية وتوطيد الامبراطورية ، وانفاق الأموال فى الترف ومتع الحياة الدنيا ، وما اهتموا ـ فى قليل أو كثير ـ بدعوة الاسلام السمحاء فبدأ التعصب ـ بمختلف أنواعه ـ ينتشر فى البلاد ، ونشبت المصادمات المادية والأدبية باسم الدين ، وأما الحكم البريطانى المبنى على مبدأ ـ فرق تسد ـ فقد زاد الطين بلة ، وأشعل منذ بدايته ، نار التعصب الدينى والطائفى فى أوساط الشعب الهندى ، وفرق بين الهندوس والمسلمين باسم الدين بحيل وأباطيل استعمارية ، فحدثت فجوة كبيرة بين الطائفتين . وأول وفد من الدعاة المسلمين العرب الذين وصلوا الى الهند تحت زعامة « مالك بن دينار »

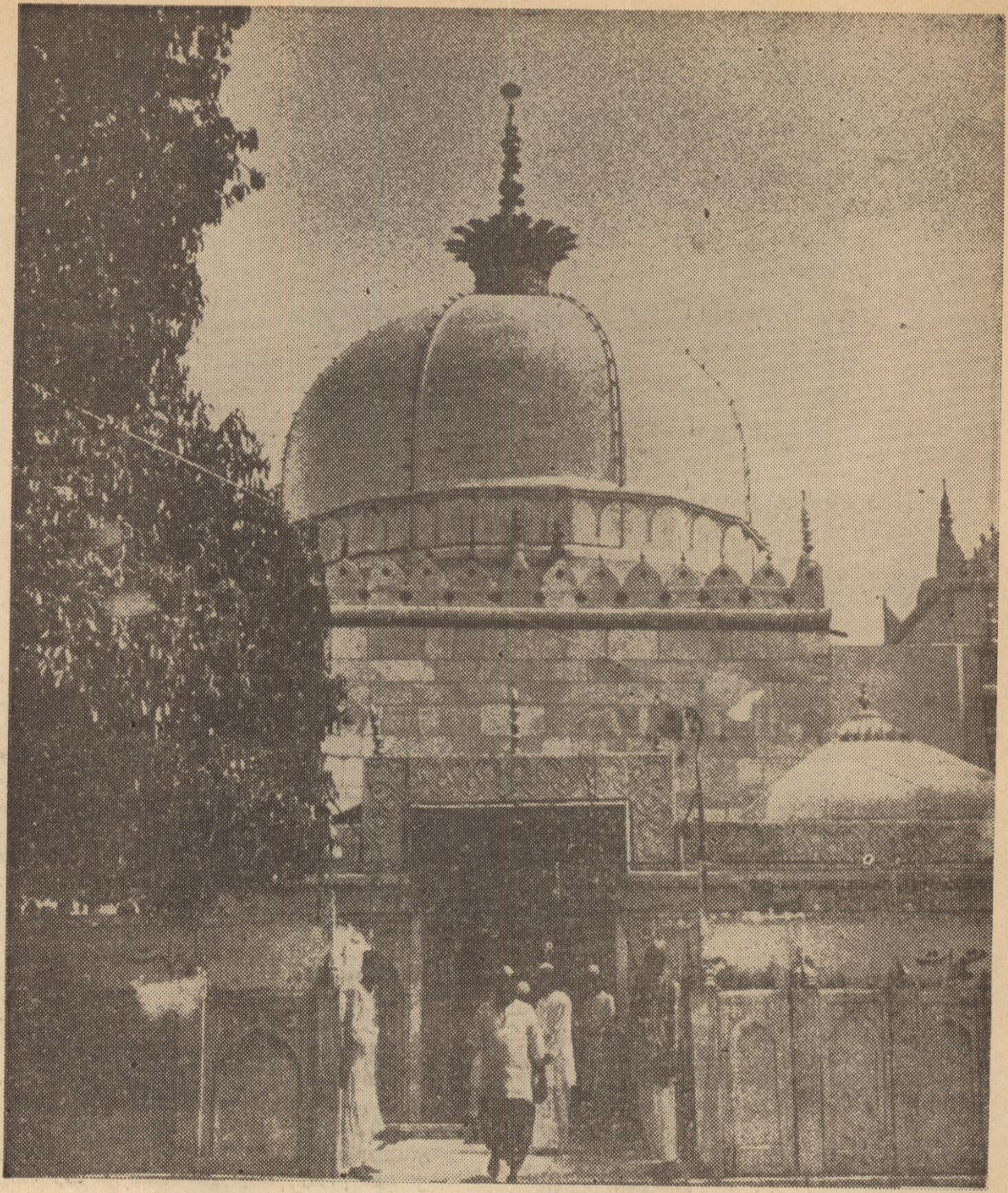

ضريح الشيخ معين الدين جستى فى مدينة اجمير وكان فى طليعة الدعاة المسلمين فى القرون الاولى فى الهند

انما كان يشتمل على اثنى عشر نفرا ، هذا قبل الفتح الاسلامي الاول الذى قام به « محمد بن القاسم الثقفى » فى نحو عام ٩١ من الهجرة النبوية فى مقاطعة السند فى شمال شبه القارة ، بسنين عديدة ، وفى عام ١٩٤٧ أى وقت تقسيم القارة الهندية ـ الى الهند والباكستان ـ فقد بلغ عدد المسلمين فيها أكثر من مائة مليون نسمة ، مع أنه لم تجر فى الهند يوما من الأيام حرب دينية لنشر الاسلام ، وأن الحروب والغزوات التى وردت عن الأباطرة المسلمين ، المغول وغيرهم انما هى حروب سياسية ، ولم ينتشر الاسلام ، قبلهم وبعدهم ، الا طواعية واختيارا ، وبفضل الدعوة والارشاد بطرق سلمية وجو ودى . وانما أسلم ـ كلهم او جلهم ـ من الذين دخلوا فى دين الله ، مقتنعين بصدق دعوة الاسلام ومبادئه العادلة الانسانية ومنهم من أسلم تخلصا من الاضطهاد الطائفى المنتشر فى نظام الطبقيات ، الذى كان سائدا فى الهند ، وانجذابا الى عدالة الدين الاسلامى ومساواته وأخوته .

وبجهود هؤلاء الدعاة تكونت مراكز الاسلامية عديدة فى ربوع الهند ، وكانت نواتها تلك المساجد والمدارس

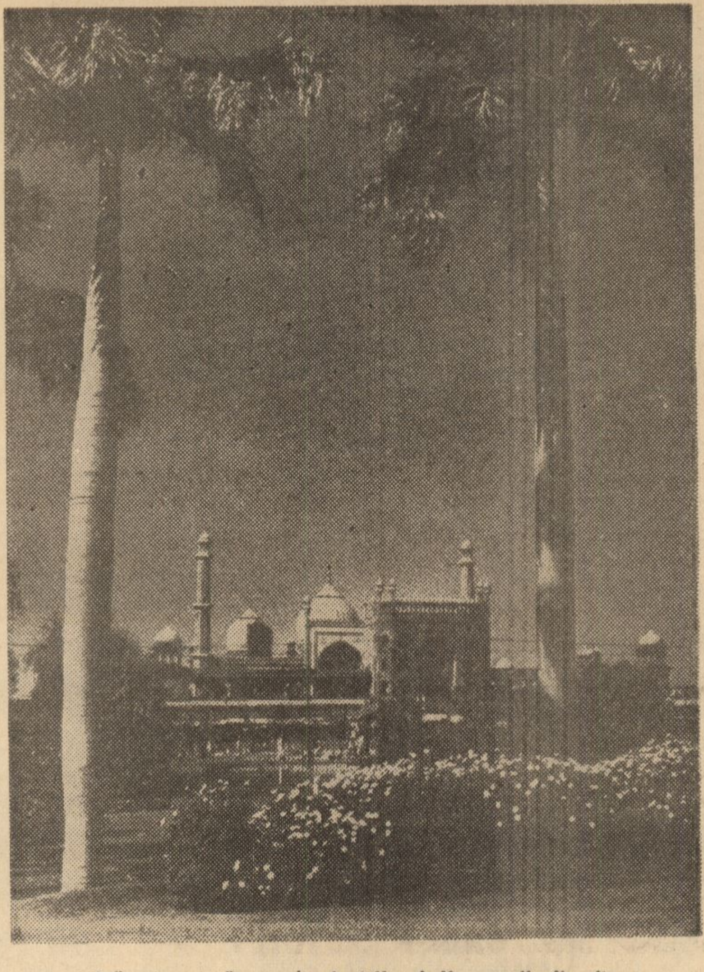

منظر رائع للمسجد الجامع التاريخي فى مدينة دلهى عاصمة الهند

العربية التي انشاها «مالك بن دينار» ورفقاؤه فى جنوب الهند . فلما زار ابن بطوطة تلك البقاع فى القرن السابع الهجرى وجد المراكز الاسلامية منتشرة فى سواحل الجنوب الغربى من « جوا » الى « كولم » (كويلون) ، وعندما وصل « واسكو ديكاما » ، السائح البرتغالى المعروف ، الى شاطىء ملابار فى عام ١٤٨٨م كانت الجالية الاسلامية منتشرة فى تلك البقاع .

ويقول الشيخ زين الدين المعبرى ، فى معرض كلامه عن مشاهداته الأولى لدى وصوله الى ملابار : « ما كان فيها ملك مسلم ، وكان يحكم المسلمين ملوك هندوكيون ، وأما مطالب المسلمين ورغباتهم الخاصة فكانت تعرض على هؤلاء الملوك ويفصلون فيها بالعدل والانصاف وبنوا المساجد والمساكن والمعاهد العلمية لرعاياهم المسلمين، وقد عينوا لهم

القضاة والمؤذنين والمعلمين فى المراكز الاسلامية ، ويتلقون المرتبات الشهرية من خزانة الدولة ، وأما يوم الجمعة فيوم عطلة عامة . وكان المسلمون فى تلك النواحى يشتغلون بالتجارة والصناعة ، وما كانت الحكومة تفرض عليهم أية ضريبة ، وظل المسلمون موضع احترام وتقدير لدى الهندوس ، فاذا اعتنق هندوسى الدين الاسلامى

فكانوا يتعاملون معه أيضا كسائر المسلمين . وبفضل هذا التعاون الوثيق ، والتسامح الودى ، والجو المسالم كان الاسلام يترعرع فى البلاد ، ووجد أرضا خصبة فى ربوعها » .

وأردف الشيخ زين الدين يقول : « أما استيطان المسلمين الأول فلم يكن منحصرا فى ملابار فقط ، بل كانت هناك مراكز آهلة بالمسلمين فى المناطق المجاورة لها ، وتقع فى الجنوب الشرقى لساحل ملابار منطقة تعرف باسم « كورامندل » أو « معبر » كما كان يطلق عليها المؤرخون العرب ، واتخذت السفن التجارية للعرب والفرس ، فى طريقها الى الصين وجاوا ، هذه المنطقة مرسى لها ، ولم تلبث أن صارت موطنا لعدد كبير من اهل جزيرة العرب وايران » .

ويقول المؤرخ الكبير رشيد الدين : « ان للملك « سندراباندیا » الذى كان يحكم تلك المناطق وزيرا مسلما يعرف باسم تقى الدين عبد الرحمن . وعينه الملك فيما بعد حاكما على قطاع « كايلباتنام » ـ وهى من أهم موانىء « معبر » المذكورة ـ التى كانت ملتقى التجار

واجهة أحد المساجد التاريخية فى مدينة جونبور بالهند بناه السلطان حسين شـــاه من السلاطين المسلمين الذين حكموا الهند

العرب من سواحل الجنوب العربي ، وهو المسئول أيضا عن المصالح التجارية أمام الملك ، ومستشاره التجاري الخاص . وأما والد تقى الدين ، الشيخ محمد طيب فقد ولد فى يثرب ـ المدينة المنورة ـ ثم ارتحل الى فارس واشتغل هناك بالتجارة البحرية ، وجعل مركز تجارته جزيرة « قيس » فى الخليج العربى ، وأقام معه نجله الأكبر جمال الدين ، وكانت سفنه التجارية تسير الى شتى أنحاء العالم ، حتى اشتهر بين مسلمى الجزيرة وفارس بلقب « ملك المسلمين » بينما كان أخوه تقى الدين يعرف فى أوساطهم « بالملك الأعظم » و « مرزبان الهند » ولما توفى الملك « سندراباندیا » واعتلى العرش أخوه « كل شيخرا برومال » بقى تقى الدين فى منصبه حتى انتقل الى رحمة الله فى عام ٧٠٣ هـ فاختير من بعده أخوه سراج الدين لهذا المنصب . وفى عام ٧١٠ هـ بنى الملك المسلم ، « كافور » فى مدينة « راميشوارام » فى جنوب الهند مسجدا ضخما تخليدا لذكرى انتصاراته الحربية فى تلك المدينة ، وظل ذلك المسجد أحد المراكز الاسلامية الهامة الى عهد الأمبراطور المسلم « جهانجير » بن السلطان « أكبر » المشهور » .

وتدل هذه الوقائع التاريخية على انتشار الدعـوة الاسلامية ، وتوسع نفوذ المسلمين ، من المهاجرين العرب والمواطنين ، فى أنحاء جنوب القارة الهندية ، فى عصور سبقت قيام حكومات المسلمين فى شمال الهند ، وأما اللغة العربية فقد لعبت دورها فى تمكين روح الاسلام ، وتوطيد تعاليمه فى قلوب المؤمنين بفضـل روعتها ، وعذوبتها ، ومقدرتها فى تشحيذ الأذهان ، وايقاظ الهمم ،

وصرح المؤرخ العربى الكبير « اليعقوبى » فى صدد حديثه عن الهند والهنود : « انهم ميالون الى الفكر والفلسفة والعلم » . فقد خلق القرآن ، بفضل حثه على احراز مزيد من التمكن فى العلوم والمعارف ، واثارة المواهب الكامنة فى صدور الناس ، جماعة من ابناء الهند المسلمين ساهموا مساهمة فعالة فى تكوين ، وتقويم هيكل الثقافة الاسلامية الخالدة ، ونشر اللغة العربية ، وآدابها فى أرجاء الهند ، حتى تركوا معالم اسلامية ، وآثارا طيبة سجلها التاريخ بمداد من نور فى صفحاته المجيدة .

البقيه ص ١٤٩

رباعيات الخيام (٣)

وهل صحيح أن يد التبشير والاستعمار الغربي كانت دخيلة في ترجمتها ونشرها في الشرق ؟!

سماحة الشيخ
مبشر الطرازي الحسيني

لم يقف الغربيون وعلى رأسهم رجال لندن عاصمة الاستعمار ومركز التبشير النصراني ، عند هذا الحد من النشاط في ترجمة تلك الرباعيات الموضوعة ونشرها باسم رباعيات الخيام في الغرب والشرق وادراجها في برنامج التدريس في بعض مدارس وجامعات الهند مستعمرة بريطانية العظمى في ذلك الوقت .

نعم : لم يقفوا عند هذا الحد ، ذلك لانهم علموا أن هذه الجهود ، لا تؤتى أكلها المنشود ، الا ان يعظموا صاحبها المزعوم « عمر الخيام النيسابوري » ويفخموه، فبذلوا كل ما يمكن وكل ما في وسعهم في تعظيمه وتفخيمه فيما ألفوه من كتب ، وما كتبوه من مقالات في هذا الموضوع ، ومنهم على ماقيل البروفيسور ادوارد براون استاذ اللغة الفارسية والعربية بدار الفنون في جامعةكمبردج بانجلترا ، وانما ذلكلكي يخيلوا للشرق والشرقيين ان تلك الرباعيات التي تدعو الناس الي شرب الخمور ، واغتنام العمر بانواع السرور ، وامرار الحياة في زاوية الحانات والخمود ، واتباع مسلك التنابلة (الكسالى) والجمود ، والتي تحمل على الدين الاسلامى حملة شعواء ، وتواجه رسوله بالاستهزاء هي من مثل هذا العالم المسلم العظيم ، والشرقي الحكيم ، والفلكي البارع ، والمنجم اللامع .

ومما يدل على سوء غرض الغربيين في هذا الموضوع : انهم انخلعوا عن الامانة في القول ، والانصاف في التاليف والكتابة ، وابتعدوا عن الذوق السليم كل الابتعاد ، وشوهوا وجه الحقيقة في صفحات التاريخ ، حيث استندوا واعتمدوا (في بحوثهم المفرضة) على تلك الرباعيات المستنكرة الخمرية الخليعة ، التي لا أصل لها ولا وجود لماخذها الاصلي ، بعد ان اسندها عنقصدوارادة الىالحكيمعمر الخيامالنيسابوري ، الذي عرفوه عالما عظيما وشرقيا حكيما وفلكيا بارعا ومنجما لامعا ، وهم يعلمون انها لا تتفق ومكانة الحكيم النيسابوري ، ذلك لأنهم اغمضوا اعينهم اليقظة علي مصالحهم ، واصموا اسماعهم الواعية لشئونهم ، المستمعة لكل مايفيد سياستهم وتتفق وخطتهمالمحددة :

اريدان اقول : انهم قصدوا وارادوا ذلك ، واغمضوا ابصارهم واصموا أسماعهم عما ثبت عن الحكيم النيسابوري من مقولاته وآثاره ، التى تدل على ديانته وتمسكه بتعاليم الشريعة الاسلامية ، وحرصه في تطبيقها علي شئون الحياة في العالم الانساني ، وذلك برواية موثوقة من العلماء الذين عاصروه ، وتباحثوا معه حينما اختلفوا اليه ، او تتلمذوا لديه ، ورواية من بعدهم من ثقاة المؤرخين ، الامر الذى يثبت براءته عن نسبة تلك الرباعيات المستنكرة التى اعتمدوا عليها ، والخمرية التى ركنوا اليها ، والخليعة التى خضعوا لديها ، فاقاموا بها الدنيا واقعدوها ، متمسكين بها لتنفيذ اغراضهم المذهبية ضد الاسلام ، وأهدافهم السياسية ضد المسلمين . فكان مثل الغربيين في هذا الموضوع كمثل من ذمه الشاعر فقال :

اصم عن الشيء الذى لا اريده

واسمع خلق الله حين اريد

وكذلك اسس الغربيون ناديا باسم عمر الخيام في لندن وسموه « عمر خيام كلوب » وكان ذلك سنة ١٨٩٢ م وكان المؤسسون من الادباء والصحفيين الانجليز ، الذين عرفوا بعد ذلك بالخياميين .

وفي سنة ١٨٩٣م زرعوا شجرتين من شجر الورد على قبر فيتز جرالد مترجم رباعيات عمر الخيام ، وكانتا من بذور اقتطفها مستر ويليام سمبسن مندوب جريدة « ايلو ستريتد لندن نيوز » من شجرة الورد التى كانت على قبر عمر الخيام ، وذلك حينما زار القبر اثناء سفره الى ايران في عهد ناصر الدين شاه قاجار ، وبعثها الى بعض أصدقائه الانجليز بلندن وقد قال فيما كتبه اليه : « وارجو ان تزرعوا هذه البذور في انجلترا ، واظن ان الذى بعثته اليكم سيكون خير تحفة للذين يحبون عمر الخيام ، ويحتمل احتمالا قويا ان يكون هذا الورد من نوع ذلك الورد الذى كان الخيام يحبه كثيرا ويتمتع بمناظره في اوقات التفكر وانشاء الشعر » .

نعم : زرعوا شجرتي الورد على قبر فيتز جرالد في حفل تاريخي كبير ، ونصبوا لوحة كتبوا عليها ما ترجمته : « ان شجرة الورد هذه التى اوصلها ويليام سيمبسن من مقبرة عمر الخيام الواقعة في نيسابور ، وانبت في حديقة كيو قد زرعت بايدى نفر من محبى فيتز جرالد من قبل « نادى عمر خيام » وذلك في ٧ اكتوبر سنة ١٨٩٣م .

وانتهز الادباء الانجليز هذه الفرصة وانشاوا اشعارا كثيرة قراوها بهذه المناسبة على الحضار ، ثم انشدوا ترجمة عدة من رباعيات عمر الخيام لفيتز جرالد من تلك الرباعيات الموضوعة الخمرية الالحادية ، وذلك اشباعا لانفسهم في الدعوة الى شرب الخمور ومغامرة الغادة الحسناء ، والحملة على الدين الاسلامى وتعاليمه المقدسة .

وفي سنة ١٨٩٥م اجتمع اعضاء « نادى عمر الخيام » في مجلس عمومي بفندق « برفرد بريج » في لندن ، حضره كثير من اعيان انجلترا ورجالها وانضم الى العضوية للنادى (عمر خيام كلوب) عدد منهم ، ثم انتهزوا الفرصة وانشدوا ترجمة عدة من تلك الرباعيات الموضوعة المزعومة من ترجمة فيتز جرالد لنفس الاغراض الخبيثة .

وفي ٢٥ مارس سنة ١٨٩٧م اقام « عمر خيام كلوب » (اى نادى عمر الخيام) حفلة عشاء في كازينو « فراسكاتي » بلندن ، حضرها عدد كبير من رجال العاصمة وشربوا فيها نخب عمر الخيام ، ثم القيت خطب وقصائد في مدحه وتعظيمه وتمجيده .

ولم يقف النادى اى « عمر خيام كلوب » عند هذا الحد من الدعاية لمصلحة الاستعمار والتبشير النصراني فقد بعث خطابا الي الملك ناصر الدين شاه قاجار امبراطور ايران في ذلك التاريخ ، يطلب منه ترميم مقبرة عمر الخيام ، ولكن الملك لم يرد اليه بشيء ، ولهذا قال مستر ادمندجس بطريق المزاح في كلمته التى القاها في تلك الحفلة التاريخية : « ان جلالة الملك شاه ايران يبلغ سلامه الي اعضاء « عمر خيام كلوب » الواقع في عاصمة ملكة انجلترا وامبراطورة الهند ، ويبدى عواطفه الملوكية نحوهم ويقول : ان مقبرة كل من شعراء بلادى تحت تصرفكم ، فاذا شئتم ترميمها فلكم ، ولكن بشرط ان تكون النفقات من جيوب أعضاء النادى » هذا .

واني اقول : ان الملك ناصر الدين شاه امبراطور ايران ، قد فطن الى ما وراء هذا الطلب ، من التدخل للاغراض الاستعمارية البغيضة والمقاصد المذهبية الخبيثة ، فابى الا ان يثبت عند هؤلاء الطامعين تمسكه باستقلال بلاده ، وحرصه على كيان شعبه ، وغيرته على

تعاليم دينه وشئون مذهبه ، وأن يجيبهم بما يستحقونه الا وهو السكوت !

نعم : هكذا حاول الغربيون بلندن عاصمة الاستعمار الانجليزى ومركز التبشير النصرانى ، فى تعظيم عمر الخيام وتمجيده واحياء ذكره بعدما جمعوا من هنا وهناك عدة رباعيات خمرية الحادية ونسبوها اليه وترجموها ونشروها فى الغرب والشرق .

ومما يجب الاشارة اليه بل الصراحة عليه ، للكشف عن الحقيقة ، أنه لم يكن تعظيم الغربيين لعمر الخيام ، واهتمامهم بشانه واشادتهم بذكره وقيامهم باحياء اسمه وتمجيد شخصه ، لمكانتــه العلمية الرفيعة فى العلوم الرياضية وعلم الفلك والنجوم وغيرها التى برع فيها ذلك الحكيم الشرقى ، وانما كان لتلك الأغراض المذهبية والاهداف السياسية التى أشرنا اليها سابقا .

ان هناك رجالا فى تاريخ الشرق المشرق ، ولا سيما فى ايران موطن نفس عمر الخيام النيسابورى ، هم أعظم منه مكانة وارفع منزلة ، وأقدم عهدا ، أو من يساوونه فى نظر الشرقيين ، ولكن الغربيين لم يجدوا فى تاريخ حياتهم ما ينشدونه من مقولات موضوعة ، واكاذيب مختلقة ، يمكن لهم استغلالها فى سبيل تحقيق اغراضهم المعلومة واهدافهم المعنية ، ولهذا لم ينل هؤلاء العظماء ما ناله عمر الخيام من تعظيم الغــرب والغربيين واشادتهم وتمجيدهم واحياء ذكرهم لديهم . خذ مثلا ابن سينا وهو الحكيم المعروف أبو على حسين بن عبد الله بن سينا البلخي المتوفى سنة ٤٢٨ الهجرية .

فانى لا أعلم أن الغربيين فتحوا لاسمه ناديا فى لندن او غيــره من عواصم بلاد اوربا ، أو وضعوا لتعريفه ونشر بعض كلماته الحكيمة الخالدة قطعة كارت بوستال . مع أن لابن سينا الحكيم حقا عظيما على الغرب والغربيين لا يمكن انكاره ، حيث أن كتابه « قانونجه » كان يدرس كاصول للطب فى كلية الطب بباريس (عروسة بلاد اوربا وموطن نهضتها) وذلك ما يزيد على سبعين سنة ، الى أن استغنت عنه فرنسا بوضع كتب جديدة ، مع أنها مستقاه من مناهل كتاب ابن سينا نفس الكتاب .

وهذا الفردوسى ، وهو أبو القاسم حسن بن اسحاق ابن شرفشاه الطوسى الايرانى المتوفى سنة ٤١٦ الهجوية ، وهو أعظم شعراء ايران والمعروف فى عالمى الغــرب والشرق بكتابه « الشاهنامه » وهو ارفع من عمر الخيام مكانة ، وارقى منه ادبا ، واقدم منه عهدا ، ولكنه لم ينل فيما أعرفه لدى الغربيين ما ناله عمر الخيام من عظيم التقدير وجليل التوقير كما هو يستحقه .

وهذا نظام الملك ، وهــو أبو على حسن بن على الطوسى المتولد فى سنة ٤٠٨ الهجرية ، وزير السلطان الب ارسلان ووزير حفيده ملكشاه السلجوقى ، والرجل المعروف بدهائه لا وسياسته والذى وضع كتــاب « سياستنامه » فى الشئون السياسية ، وهو من زملاء عمر الخيام المتوفى سنة ٤٨٥ على ما قيل .

وهذا حجة الاسلام ابو حامد محمد الغزالى الطوسى معاصر عمر الخيام المتولد سنة ٤٥٠ والمتوفى سنة ٥٠٥ الهجرية ، وهو الامام المعروف بمجدد المائة الخامسة صاحب المؤلفات الكثيرة مثل « ميزان العمل ، وتهافت الفلاسفة ، والمنقذ من الضلال » ولا سيما « احياء علوم الدين » وغيرها من الكتب القيمة التى قدم بها خدمات جليلة لا للدين الاسلامى والمسلمين فحسب بل للعالم الانسانى كله .

وهذا ابو الحسن على بن احمد المعروف بابن الغزال امام القراء ببلاد خراسان وهو أيضا من معاصرى عمر الخيام النيسابورى ، المتوفى سنة ٥١٦هـ .

وهذا العلامة المعروف بجار الله وهو ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى معاصر عمر الخيام صاحب التصانيف المفيدة ولا سيما « تفسير الكشــاف »

وهذا الامام ظهير الدين ابو الحسن بن الامام ابي القاسم البيهقى وهو صاحب كتاب « حكماء الاسلام » وغيره من المؤلفات الكثيرة ، معاصر الخيام ، المتوفى سنة ٥٦٥هـ .

وهذا النظامى المعروف بكتابه « خمسة نظامى » وهو جمال الدين الياس بن يوسف بن مؤيد الكنجوى المتوفى سنة ٥٩٦هـ أى فى اواخر قرن عمر الخيام .

وهذا جلال الدين الرومى البلخى المعروف بمؤلفاته القيمة ولا سيما « المثنوى » المتوفى سنة ٦٧٢هـ .

وهذا الشيخ سعد الدين الشيرازى صاحب الكتب المفيدة ولا سيما « بوستان » المتوفى ٦٩١هـ .

وهذا الشيخ شمس الدين بن محمد الملقب بخواجه حافظ الشيرازى المعروف بديوانه وكلياته ، المتوفى سنة ٧٩٢هـ .

وغيرهم من عظماء الشرق وشعرائه الاقدمين (ولا سيما ايران) الذين قدموا للانســانية خدمات علمية عظيمة سجلها التاريخ بأحرف بارزة . اريد ان اقول ، ان هؤلاء كلهم لم ينالوا لدى الغربيين ما ناله عمر الخيام لديهم وان نال بعضهم بعض تقدير فانما كان دون ما يستحقونه .

نعم : ان تأييد الغربيين لعمــر الخيام وتعظيمهم لشخصيته واهتمامهم بشانه ذلك الاهتمــام ، لم يكن لمكانته العلمية التى كان عليها ، وانما كان لاغراض مذهبية واهداف سياسية توسلوا الى تحقيقها بتلك الرباعيات الموضوعة المزعومة التى نسبوها اليه ، وأخذوا يعظمونه ويفخمونه عن طريقها وبفضلها ، وبتعبير أصح ، لقد كان تعظيم الغربيين موجها فى الصميم وفى الواقع الى تلك الرباعيات المستنكرة الخمرية الخليعة التى مهدت لهم سبيلا لنيلهم من دين الاسلام وتعاليمه ، وتغريرهم الشرق والشرقيين ، ودعوتهم نحــو التحلل الخلقى ، ونحو الحرية المطلقة ، ونحو الضعف والكسالة ، والهوان والعطالة ، الامر الذى يعدهم للخضوع والاستسلام ، ويهيئهم لقبول ما يصدره الاستعمار من الاحكام ، وبهذا يتم للغرب ما يطمعه من سيادته ، ويقع الشرق المسكين فى أسارته ، أو يظل تحت حمايته ، بحيث لا يملك من الملك الا اسمه ، ومن الحكم الا رسمه .

نعم : كان تعظيم اكثر الغربيين موجها فى الحقيقة الى هذه الرباعيات لا لشخص الحكيم عمر الخيــام النيسابورى ، لانهم كانوا يعلمون (كما نعلم) أن هذه الرباعيات المستنكرة الخمــرية الخليعــة الالحادية لم تكن (ولن تكون) من ذلك الحكيم الشرقى العظيم ، لانها لا تتفق ومكانته العلمية ، حتى لا يمكن الجزم بانتساب أقل عدد منها ، كما صرح به بعض الكتاب من نفس الغــربيين ولا سيما ارنست رنان الكــاتب الفرنسى المعروف فيما كتب فى المجلة الاسبوعية الفرنسية وذلك سنة ١٨٦٨م .

نعم : هذه هى الحقيقة ، لانهم او على الاقل كبار من لعبوا الدور فى هذا المضمار » كانوا يعلمون ما نعلم ، ولكنهم نسبوها الى شخصه ونشروها لاسمه ، عن قصد وارادة . لتحقيق اغراض التبشير والاستعمار .

« للبحث خاتمة »

من وحي الهجرة

الأستاذ عبد العليم عمر

الحمد لله الذى أخرج نبيه وعباده من اشرف بلد لكى ينصر دين الاسلام ، واصلى واسلم على سيد المهاجرين ، وامام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، الذى كانت بعثته فخرا ، وهجرته نصرا ، ففتح الله به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وبعد ..

فلقد سبقنى السادة الكتاب الافاضل فأفاضوا القول ، والعلماء الاكابر فابدعوا اللفظ ، ولم يدعوا مجالا لقائل ، ولم يتركوا مسلكا لسائر ، فلم يتولانى اليأس . ووجدت طريق القول معبدا راسخا ، فإن هجرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - كالمنهل العذب والنهر الفياض ، كلما متحت منه ازددت عذوبة ورقة ، ومن أى النواحى اتيته سقاك ورواك ، وكلما ازددت شربا ازددت ريا وشوقا .

فأقول وبالله التوفيق :

عجب عجيب ان ينشأ طفل يتيم فقير فى بيئة فاسدة ضالة لا تعرف التوحيد ، ولا تذوق الفضل ، ولا تدرك معانى الخير ، ولاتبصر غير الفسوق والعصيان فلا يتأثر هذا الطفل بيتمه كأن ابويه كانا يرعيانه حق الرعاية ، ولا يتأثر بالفقر ولا يشعر به كأنه كان يملك الارض جميعا ، ولا يتأثر ببيئته الفاسدة الضالة وكأنه كان يعيش فى وسط ملائكى كريم . نشأ على التوحيد الخالص ، والخلق الكامل ، والنفس العالية . وقد عصم من كل سوء ، وصين من كل شين .

لم يشب هذا الطفل شبابا ، ويكتمل رجولة ، وتأتيه الفضائل الانسانية مبكرة ، فيطمئن الناس اليه ، ويلتفون حوله ، ويتحدثون عن شيمه ونبل خلقه من قبل الا يدرى ما الكتاب ولا الايمان .

واذا بالايام توضح عن مرادها ، والدهر يسفر عن السر المكتوم ويتنبأ سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وينزل عليه الامين جبريل بالوحى ، ويخاطب باعظم رسالة ، ويحمل بأسمى الامانات ..

فنهض الرسول - عليه الصلاة والسلام بالحمل ، وصدع بالامر ، وشد العزم ، واستهان بالعظائم ، ولم يبال بالشدائد ، واخذ الاهبة للكفاح ، واستعد للجهاد ، وشمر عن ساعديه ، وبلغ ما انزل اليه . لم يحرم منه تقول علينا بعض الاقاويل . لاخذنا منه باليمين . ثم تقو لعلينا بعض الاقاويل . لاخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين » .

وعندئذ تألبت عليه عصابة الشرك ، وجماعة الافك واجتمعت له ضلالة العصبية ، وسفاهة الجاهلية ، وتنكر له أولو القربى .

واخذت المنافسة تشتد ، والمحاسدة تحتد ، والباطل يمتد ، وقد طال على الرسول الامد ، ولكنه لم ييأس ، واظلم ليل الجهاد ولكنه لم يقنط ، فهو مؤمن بأن النور سينبثق عن قريب ، وان رحمة الله قريب من المحسنين .

ونال الايذاء من اصحابه ، ولكنهم كانوا فى ايمانهم اشد من الجبال رسوخا ، خالطتهم بشاشة الايمان وامتزجت عقيدتهم بالدماء ، وسكن حب الدين فى السويداء فراحوا ينشدون :

ولست ابالى حين اقتل مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى
ولست بمبد للعدو تخشعا
ولا جزعا انى الى الله مرجعى

نعم أيها السادة ، ثلاثة عشر عاما مضت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى بدء الدعوة وهو صابر محتسب ، يناضل ويكافح فى لين ورفق ، وكلما مر عام ازداد النبى قوة ، وازداد اصحابه كثرة .. وقد سرت تعاليمه فى المجالس وتغلغلت فى أعماق المنازل والقوم سادرون فى غوايتهم ، مجمعون على الاذى ، ممعنون فى الكيد ، يتربصون للانتقام ، وواقفون للدعوة بالمرصاد .

ثلاثة عشر عاما يجتازها الرسول فى باكورة الدعوة وكأنه يجتاز خطوطا من النار ، وتمر تحت وابل من الصواعق ، ويمشى على سنون السيوف القواطع ، وقد أحاط به وباصحابه البلاء الماحق ، والشر اللاحق ، وأصحابه من ورائه قد ائتمروا بأمره ، وشربوا من روحه وثبتوا على مبدئه « وقالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » .

نعم .. ثلاثة عشر عاما من كفاح متصل ، وجهاد مستمر ، فى ثوب من الصبر الجميل ، وحلل من مكارم الاخلاق .. ولكن القوم قد غلظت أكبادهم ، وتبلدت افهامهم ، ولم يزدادوا الا عتوا ونفورا ..

وبقدر ما كان الرسول الكريم شغوفا بهدايتهم ، ووفيا لقرابتهم ، كانوا يقابلونه بالنفور من نصحه ، والتهجم لشخصه ، ونسيان ما بينه وبينهم من لحمة ودم ورحم .. ومع ما لقى من شدة عنتهم له وايذائهم لمن يتابعه كان مأمورا بالتجاوز عن مساءتهم « خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين »

لم يكن يستطيع غير الصبر والمصابرة ، فاذا اشتد به الضجر من مهانتهم لاذ بالصبر كما علمه ربه ، ولم يكن مأذونا له - حتى بعد انضمام اناس اليه - أن يحاول الدخول معهم فى حرب ، لانها مجازفة بالقلة العارية عن قوة ، امام الكثرة المستعصية .. واذ بلغ الشر مبلغه كان جائزا أن يأخذ الله قريشا بعذاب من عنده ، كما فعل بأمم سابقة .. فسلط على هذه الامم

الاعاصير المحرقة ، والغرق المبين ، أو الصيحة والصواعق الماحقة ..

ولكن الله جلت قدرته ، حبا لنبيه ، اكرم سيدنا محمدا - صلى الله عليه وسلم - حتى فى خصومه فاعفاهم من هلاك عاجل ، وامهلهم الى عذاب آجل ، واستجاب فيهم لدعوة سيدنا محمد لهم « اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون » أو « لعل الله يخلق منظهورهم من يعبده »

وبيان ذلك من قول الحق تبارك وتعالى فى كتابه الكريم « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ..

نعم أيها الاخوة الاحباب .. ثلاثة عشر عاما اعتمد الرسول فيها على القول اللين من الحكمة والموعظة الحسنة ، والممتزجة بحلو حديثه ، وشفافة نفسه : يحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويدعوهم الى مكارم الاخلاق .. ولكنهم فعلوا كما فعل غيرهم من قبل « وضعوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا » ..

واخيرا .. وبعد هذا المطاف الشاق المرير والجهد المضنى .. أيقن الرسول انه يغرس فى أرض جرز . وانه يبذر الحب فى صخر ، وأيقن ان قلوب المكيين غير مستعدة للاصلاح قد ختم الله على قلوبهم وأسماعهم وابصارهم فهم لا يهتدون .

فكان من الحكمة : يتحول الى بلد طيب يخرج نباته والى مكان خصيب ينمو غراسه ، والى قلوب تتفتح للدعوة ، والى نفوس تعشق الاصلاح ، فكانت الهجرة ضرورة اقتضتها الدعوة ، وكانت الهجرة لزاما لحفظ الرسالة ، وكانت الهجرة واجبة تمشيا مع السنن الكونى للدعوات والرسالات . وكانت الهجرة مقدرة فى قديم الازل خط بها قلم القدرة قبل أن يقولها ورقة ابن نوفل « ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون » .

فاخذ الرسول يرسل اصحابه رعيلا بعد رعيل .. ونفرا بعد نفر ، الى الحبشة والمدينة وغيرهما من الامصار .. ضلت عقول المكيين ، وتشتت أفكارهم ، وضل سعيهم ، بعد أن علموا أن أصحاب سيدنا محمد قد انتشروا فى الآفاق يبلغون الدعوة .. ويحملون الرسالة .

حقا .. لقد خولط القرشيون فى عقولهم ، واستولى عليهم الهذيان ، واخذوا يتشاورون فى أمر سيدنا محمد الذى أقض مضاجعهم ، بعد أن أيقنوا انه لابد ظاهر عليهم ، وحدسوا انه سوف يلحق باخوانه المهاجرين، ويؤسس دولة ذات شوكة .. بيتوا ما بيتوا ، وبئس ما بيتوا ، ومكروا مكرا كبارا ، والله من ورائهم محيط « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوا او يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »

عندئذ أعد الرسول العدة للهجرة .. وخرج مهاجرا سافر الوجه ، مملوءا ثقة بالله ، مطمئنا لحفظ الله ، وتحت كنف الله ورعايته : واذا العناية حرست عبدا من عباد الله ، فمخاوفه كلها أمان ، وكل صعب أمامه هين يسير .. لم يخرج خائفا يترقب ، ولا وجلا يتهيب « يأيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس » .

هنا يجب أن تخشع النفس ، وان تطأطأ الراس لعظمة الرسول ، وسمو شجاعته .. ففى هذه المواطن .. تظهر العظمة الشخصية ، وتتجلى صفات القائد الفذ ، وتبين شمائل الزعيم البارع ..

فقد ظهرت عظمة محمد وشجاعته الادبية ، وقوة روحه المعنوية ، فى هذا الموطن النادر المثال مما لايحتاج الى برهان .

كيف يخاف من جهر بالدعوة على الملأ من قريش وهو فى قلة من العدد ، وأعزل من السلاح ، وسفه أحلامهم وعاب آلهتهم وهم الاقوياء الاشداء ، قرأ عليهم القرآن وتحداهم ، ولعنهم لعنا كبيرا ، ولم يبال منهم شيئا .. كيف يخاف من راسل الملوك بدعوته ، ونشر اصحابه لنشر رسالته ، وهاجر من هاجر منهم فى سبيل نصرته ، وكلما وجد من اصحابه كلالا ، قرأ عليهم قول الله تعالى « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم : مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متىنصر الله ، ألا ان نصر الله قريب » .

ما كان رسولنا - صلوات الله وسلامه عليه - يوما جبانا أو رعديدا ، وما كان يوما يائسا او خوارا .. وانما كان شجاعا لاقصى درجات الشجاعة ، مقداما لاسمى درجات الاقدام ، ولنضرب بذلك مثلين ، فلنخرج قليلا ، ولنعد سريعا ..

فقد حدثنا القرآن الكريم فى قصة سيدنا سليمان عليه وعلى نبينا افضل الصلاة وازكى السلام انالهدهد رأى ما لم يره سيدنا سليمان وأحاط بما لم يحط به علما ، وان عفريتا من الجن التابعين لسليمان يستطيع ان يحضر اليه عرش بلقيس قبل أن يقوم من مقامه . وانه على ذلك لقوى أمين ، وأن الذى عنده علم من الكتاب يستطيع أن يحضره اليه قبل ان يرتد اليه طرفه ..

فاذا كانت هذه قوة الاتباع وعظمة الاتباع ومقدرتهم وكرامتهم .. فكيف تكون قوة وعظمة ومقدرة ومعجزة المتبوعين ؟..

كذلك فيما يرويه التاريخ الثبت ان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما خرج مهاجرا ، خرج جهرة ووقفت على باب الندوة ، ونادى صناديد قريش وقال لهم :

من اراد منكم أن تثكله أمه او تترمل امرأته ، او يتيتم ولده ، او تذهب نفسه .. فليتبعنى وراء هذا الوادى .. فانى مهاجر الى محمد .

يا لله .. ايكون عمر التلميذ اشجع من استاذ البشرية جمعاء سيدنا محمد بن عبد الله - عليه صلاة الله وسلامه - ؟..

سبحانك ربى .. هذا بهتان عظيم .

فلما كان يوم هجرته ، خرج من ايدى شبان اقوياء وبأيديهم سيوف قواطع مسمومة ، ومر بين صفوفهم ، وقد سكرت أبصارهم ، وسلبت منهم القوى ، وتراخت المفاصل ،فوضع التراب على رؤوسهم ، هازئا بهم ، ساخرا من كيدهم ، تاليا قول الحفيظ العليم « وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون » .

ثم آوى الى الغار ، وهو مكان لا يصلح للايواء ، هذا المكان الضعيف الغير المحصن .. ليبرهن للقوم أن وقاية الله هى الحصن الحصين ، وأن حفظه هو الكهف المنيع ، وأن قوته فوق قوتهم اجمعين « والله غالب على أمره » « ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » « وأن الله لا يهدى كيد الخائنين » .

مولاى يا سر الحياة ، وياروح الوجود ، ويانور النور: هجرت مكة لا تبالى اليوم ، أو تخشى الغد ، ما كنت تخشى أو تخاف ، وانما هاجرت بالاسلام كى لا يوءد فى مهده ، فكيف يقول المتقولون ، ويتخرص المتخرصون بأنه خرج خائفا يترقب ، وانه خرج حفظا لحياته ..

لا والذى برأ القسم ما خرج خائفا على شىء سوى خوفه على دعوته ، وحبه لتبليغ رسالته واداء امانته .. وهنالك فى المدينة المنورة بنور محمد - صلى الله

عليه وسلم - .. هنالك في يثرب الصفاء .. نما الاسلام وترعرع ، وازدهر واينع ، وازهر واثمر ، وتم له مجده وسلطانه ، وانتصر سيفه وقرآنه . ففتح قرآنه القلوب حتى قلب أبى سفيان الامير ، كما فتح سيفه البلاد حتى مكة المنيعة .. فلقد دخلها نهارا بعد ان خرج منها ليلا .. ودخلها فاتحا بسيفه بعد ان خرج منها فارا بشخصه ..

دخلها فى جيش عدده اثنا عشر الفا بعد ان خرج منها وليس معه سوى أبى بكر الصديق ، دخلها والكل يرجون عفوه ويمنون صفحه ، بعد ان خرج منها والكل مجمعون على كيده وايذائه .

دخل الرسول الكعبة ، فنكس الاصنام ، وكسر الاحجار وهو يقول : « جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا » . ولسانه يلهج بذكر الله والثناء عليه ...

ثم أخذ يصلى ركعتين شكرا لله على تلك النعمة العظمى والمنة الكبرى .. وفى اثناء ذلك رجفت قلوب المشركين واستولى عليهم الخوف والقلق ، وتملكهم الهلع والفزع ، وظنوا بالرسول الظنون ، وتهامس المسلمون فيما بينهم فيما عسى ان يفعله الرسول بالمشركين ، فمن قائل : سيقتلهم ، ومن قائل :سيسجنهم ومن قائل : سينفيهم ..

وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد فرغ من صلاته ، فخرج الى باب الكعبة ، وسيوف المسلمين مشرعة ، ونبالهم مشدودة ، ونفوسهم متعطشة الى الانتقام ، والجيش كله رهن اشارة الرسول ، وتحت تصرفه ، وطوع أمره ورضاه ..

فصاح الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأعلى صوته :

« لا اله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، واعز جنده ، وهزم الاحزاب وحده .. يا أهل مكة ويا معشر قريش .. ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ »

قالوا : خيرا .. أخ كريم ، وابن أخ كريم .

فقال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء .. »

فاكبر المسلمون ذلك الخلق النبيل ، ودهش المشركون لذلك الصفح الجميل ، فازداد المسلمون ايمانا على ايمانهم ، ولانت قلوب المشركين للاسلام .. لانهم اعتقدوا أن ذلك الصفح العجيب لا يمكن أن يصدر عن نفس خبيثة ، ولا عن شخصية كذابة ، ولا عن طبع لئيم .. ولا يعلم الا الله وحده كم حقنت هذه الكلمة من دماء ، وكم أبقت على نفوس ، وكم وصلت من ارحام ، وكم افادت الاسلام والمسلمين ، فبعدها.. دخل الناس فى دين الله افواجا .. لما رأوه من سماحة الاسلام ، ونبل الرسول ..

أيها المسلمون الاعزاء ..

ان كان قد مضى على هجرته - عليه الصلاة والسلام ثلاثمائة واربعة وثمانون سنة بعد الالف ، الا أن ذكراها لتزداد اكثر فاكثر بمرور السنين ، وحلاوتها يتذوقها عباد الله المؤمنين ، ان كانت الهجرة قد مضى وقتها ، ولم يبق الا ذكرها .. فان النبى - صلى الله عليه وسلم - قد ترك لنا هجرة دائمة فى كل الاوقات ، وفى كل لحظة من اللحظات ، يستطيع كل مؤمن ان يهاجرها ويحشر فى زمرة من هاجرها ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه »

فلقد شاءت ارادة الله الذى اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ، ان يجعل لكل انسان أجلا محدودا يقضيه فى هذه الحياة الدنيا ، ثم بعد ذلك يهاجر من عالم الى عالم ، من عالم ضيق الى عالم متسع ، من عالم كله هموم وغموم ، الى عالم لا تفكر النفس الا فيما تشتهيه ، ولا ترى العين الا ما تلتذ به ..

هذا ان كانت هجرته الى دار النعيم .. وعدنا الله واياكم بها ..

ولتلك الهجرة استعداد وتجهيز لرحيل القائم بها ؛ وفى استطاعة كل راحل أن يملأ جرابه مما ينفعه فى هذا اليوم العظيم .. لان ما يتطلبه .. لا مال ولا جاه ، ولا طعام ولا شراب .. ولكنه صفاء للقلوب ، واخلاص فى الاعمال ، وايمان بالله ، وتقوى ويقين ، وان تلك الهجرة لعظمها ، جعل الله تأديها من الاعمال التى لا يطلع عليها الا هو .. فهى من أعمال النية حيث قال النبى صلى الله عليه وسلم : « انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه ؟ » .

فكل انسان فى هذه الدنيا راحل ، ولكن الرحلة ذاتها تختلف عن كل رحلة يرحلها الانسان من مكان الى مكان .. فاما راحل من عصيان الى تقوى ، واما راحل من تقوى الى عصيان .. واما راحل من فقر الى غنى .. واما راحل من غنى الى فقر .. واما راحل من ضعف الى قوة .. واما راحل من قوة الى ضعف .. واما راحل من عجز الى مقدرة .. واما راحل من مقدرة الى عجز .. واما راحل من وحده الى عشرة . واما راحل من عشرة الى وحدة .. واما راحل الى الرحلة النهائية التى ليست بعدها رحلة الا الجنة أو النار.. وتلك هى رحلة الموت .. حيث يهاجر الانسان من تلك الدار الدنيا الى الدار الآخرة ، فيحاسب على ما قدمه فى داره التى هاجر منها « فمن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد » .

ولكى يسعد الانسان الى تلك الهجرة العظيمة .. عليه أولا أن يستحسن الزاد فيكثر منه .. وأن يلمس معرفة الطريق فيستعد له ، وان يدرس المكان الذى سيستقر فيه ..

فاما الزاد ، فلا يطلب منه فى رحيله ، الا ان يكون مؤمنا بالله ، عارفا بالله ، متوكلا على الله ، معتصما بالله ، مطيعا لله ، منتهيا عما نهاه ، مرتديا ثوب التقوى ، ملتحفا بالصدق واليقين ، مستصحبا أهل الخير والفلاح ، يسارع ويجتهد كى يكون فى ركب المطيعين حيث قال الله رب العالمين « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما » .

وكما أن الزاد يحتاج الى ماء يروى به الانسان نفسه .. فان زاد الآخرة ، يحتاج كذلك .. الى ذكر الله ، وتلاوة القرآن الكريم ، والصلاة بالليل والناس نيام ، والاكثار من الحسنات « ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين . واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين » ..

بقى عليه أن يعرف الطريق .. فاما سهل واما وعر .. فان كان سهلا سلم منه ، وان كان وعرا خاف منه .. ولا أخوف من الطريق الذى يوصل بين الدنيا والآخرة ، لانه لا أمان للانسان فيما يعمل من حيث لا يعرف نهايته ، فالخاتمة فى علم الله - احسن الله ختامنا جميعا - .

وقد نبهنا الى ذلك الصديق ابو بكر رضى الله عنه صاحب النبى فى الغار ، الذى بشره النبى - صلى الله عليه وسلم - انه احد العشرة المبشرين بالجنة..

ومع هذا فانه كان كثيرا ما يبكى ويقول : « لو كانت احدى قدمى فى الجنة والاخرى خارجها لا امان لمكر الله » لانه أخوف الناس من الله بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم — .

ولا يقدح هذا فى ايمانه أو تصديقه للنبى الكريم ، ولكن معرفته بالله ، خوفته من الله ، وجعلته متصلا بالله فى كل لحظة من اللحظات ، وفى كل وقت من الاوقات ، كصلته بحبيبه وصديقه الاعز الاكرم محمد ابن عبد الله ..

وتأملوا معى وتفكروا فى تلك اللحظة الرهيبة ، التى وجد فيها الصادق مع الصديق ، فخاطب الصديق الصادق بقوله :

« يا رسول الله لو نظر احدهم تحت قدميه لرآنا » .

ويهدىء الرسول من روعه ويناجيه بهذه الكلمات الخالدة : « يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟.. لا تحزن ، ان الله معنا »

فسجل الله جلت قدرته ، تلك الكلمة الخالدة فى كتابه الكريم بقوله جل من قائل عليم :

« الا تنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

ولا يقدح قول الصديق هذا فى ايمانه بربه ، وحسن عقيدته فى الله جلت قدرته ..

ولكن خوفه على النبى الكريم ادى الى أن يقول قولته هذه ليثلج قلبه من حديث حبيبه له ويطمئن فؤاده باتصال الروح بالروح ، والقلب بالقلب ، والجسد بالجسد ، حيث وضع المصطفى — صلى عليه وسلم — راسه الشريف فى حجر صديقه المحبوب .. وانها كذلك للحظة رهيبة .. حينما نزلت دموع الصديق على وجه النبى الحبيب .. فقال له :

« ما يبكيك يا ابا بكر ؟ »

فقال :

« فداك أبى وامى .. لقد لدغت يا رسول الله ..

فكانت تلك المعجزة النبوية المصطفوية العظيمة حيث تفل النبى — صلى الله عليه وسلم — على الجرح فبرأ للحظته ، ثم نادى المصطفى على الثعبان المعتدى فأسرع بحضرته متمرغا باكيا شاكيا لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه فعل ما فعل لما حجب عنه نور الحبيب المحبوب ، ولم يقصد بذلك تعديا على حبيب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولكن اشارة لفتح الطريق للمثول بين يدى الرسول العظيم والتمتع بنور المصطفى الكريم ، وان لنا فى رسول الله — صلى الله علبه وسلم — أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا .

فخذ أيها العبد المؤمن من هجرة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والصحابة معه عبرة وتذكرة لهجرتك التى تهاجرها من دار الدنيا الى دار الآخرة حيث « لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم »

« يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمدا بعيدا ، ويحذركم الله نفسه ، والله رءوف بالعباد »

« اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا »

« اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » .

اتقوا ربكم واخشوا يوما تفتضح فيه الاموروبحاسب فيه الانسان على الفتيل والقطمير .

اتقوا ربكم واخشوا يوما تبيض فيه وجوه وتسود وجوه ، فأما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون .

فهذا هو الطريق الموصل من الدنيا الى الآخرة ..ثم بقى عليه أيضا أن يعرف الرفيق قبل الطريق .. فلك ملك عن اليمين يدعوك الى الخير ويرشدك الى البر.. ولك شيطان عن الشمال يدعوك الى الشر ويرشدك الى الفجور .. لك ملك عن اليمين يكتب لك الحسنات .. الحسنة بعشر أمثالها .. ولك ملك عن اليسار يكتب لك السيئات ، والسيئة لا يجزى الا بمثلها ، فمن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه ، فاذا عملها اجلت ربما يتوب فان تاب رفعت عنه .. وان هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ، فان عملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف الى أكثر من ذلك حيث يشاء الله والله واسع عليم ..

ولك صحبة .. كل صاحب اتصف بصفة من الاوصاف التى يحبها الله ، فأعطاه الله مظلة يستظل بها يوم لا ظل الا ظله ..

ولك صحبة باعوا أنفسهم وأموالهم فى سبيل الله ، فجعل الله ثمن هذا البيع جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ..

ولك صحبة سارعوا الى مغفرة من ربهم فانفقوا فى السراء والضراء ، وكظموا غيظهم ، وعفوا عن الناس، فكتبوا فى سجل المحسنين ..

ولك صحبة احبهم الله واختارهم ، وجعلهم له وهو لهم ، أولئك أولياء الله « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ..

ثم لك صحبة .. عقدوا مع الدنيا والشيطان عقدا لا ينفصم أبدا ، باعوا الآخرة واشتروا الدنيا ، باعوا انفسهم وأموالهم للنفس والشيطان ، وحب المال والجاه لك صحبة اتخذوا المال والنساء والبنين اربابا من دون الله ..

لك صحبة تكبروا وتجبروا على الله .. فهؤلاء وهؤلاء هم رفاق لك فى هذا الطريق وانت مخير بعقلك فى أن تختار النعيم أو تختار الجحيم « فمن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد »

أيها المسلمون ..

ليلة الهجرة .. ليلة فاصلة بين الباطل والحق .. ليلة فاصلة بين الظلام والنور .. ليلة فاصلة بين الجهل والعلم .. ليلة فاصلة بين الكفر والايمان .. ليلة فاصلة بين الشرك والتوحيد .. ليلة فاصلة بين التفرقة والمؤاخاة .. ليلة فاصلة بين الحرب والسلم ليلة فاصلة بين الذل والعز .. ليلة فاصلة بين الرق والحرية .. ليلة فاصلة بين الاستعمار والاستقلال.. ليلة فاصلة بين الهزيمة والنصر .. ليلة فاصلة بين الكسل والعمل .. ليلة فاصلة بين معرفة الشيطان ومعرفة الرحمن .. وانها لليلة بالنسبة لنا .. نتجه فيها الى بارئنا بقلوبنا وجوارحنا ندعوه سبحانه وتعالى ان يعز الاسلام والمسلمين ، وان ينصر الامة الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها ، وان يلهم الرئيس جمال عبد الناصر واخوانه ملوك ورؤساء العرب واعوانهم الابطال ، الاسباب التى الهمها لاصحاب

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرفعوا راية الاسلام فى جميع بقاع الارض شرقا وغربا .. فيرفعوا العلم العربى عاليا خفاقا فى جميع الاراضى الاسلامية.. فيؤلف بين القلوب ، ويوحد الصفوف ، ليكون الاسلام كله واحدا ، يدا واحدة وجسدا واحدا ، وقلبا واحدا، ورجلا واحدا ، ورأيا واحدا وقوة واحدة .. تهدم حصن الشرك وتخذل أعوانه ، وتمحى الاستعمار من البلاد الاسلامية ، وتثبت الاستقلال ، بقوة من الله ، وتأييد من الله ، ونصر من الله ، والله قوى عزيز ..

وصلى الله وسلم عليك يا سيدى يا رسول الله يا صاحب الهجرة النبوية الشريفة ..

صلى الله وسلم عليك يا سيدى يا رسول الله يا صاحب الرحلة الخالدة ..

صلى الله وسلم عليك يا سيدى يا رسول الله يا محرر الانسانية ، ويا منقذ الشعوب ، ويا محطم الاستعمار ، ويا من اهتز لذكره الطغاة ، ويا من هتفت باسمه الحياة ، وعنت لاسمه وجوه العظماء ، وآمنت برسالته الامم جمعاء ..

صلى الله وسلم عليك يا سيدى يا محمد يابن عبد الله ، فى جلالك وكمالك ، وتواضعك وحلمك ، وعظمتك وعزة نفسك ، وثباتك فى الشدائد ، وصبرك على المحن، وتحديك للتاريخ وللناس فى سبيل رسالة الله الكبرى، وشريعته العظمى : الاسلام .

صلاة الله وسلامه عليك فى مولدك ونشأتك ، وفى طفولتك وشبابك ، و فى تلقيك للوحى فى حراء ، وتبليغه لقومك وأهلك ، وفى هجرتك وغزواتك ، وفى اسرائك ومعراجك ، ويوم صعدت روحك الى الرفيق الاعلى ، بعد أن أديت الرسالة ، وبلغت الامانة ، ونشرت الوحى، واذعت كلمة الله على الافواه ، وحطمت الاصنام من بيت الله العتيق ، ومن كل مكان فى جزيرة العرب ..

صلى الله عليك يا ابن عبد الله .. فقد انشأت أساس حضارة مهذبة ، وأقمت دعائم مدنية رفيعة ، وسارت باسم الله وباسمك الجيوش الاسلامية ، تنشر النور ، وتبلغ الشريعة ، وتهزم الظلم ، وتحطم الطغيان، وتنشر العلم والثقافة فى كل مكان ..

صلاة الله وسلامه عليك يا نبى العرب .. يا من حطمت الفروق الظالمة بين الانسان والانسان ..وحاربت العصبية والطائفية ، ومحوت سيادة العناصر والالوان والاجناس .. واكدت انه لا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لاعجمى على عربى الا بالتقوى وصالح الاعمال ..

عليك أفضل صلاة وأزكى سلام .. يا رسول الحرية والسلام .. يا من اعزت بك وبشريعتك كل الطوائف والافراد .. فحررت المرأة والعامل والخادم والصانع والرقيق من الذل والاستعباد .. وجعلت الشعوب تشعر بمعنوياتها ، والرعاة يعتزون بحريتهم .. وقامت شريعتك مقام السيف فى تأديب الطغاة ، وتقليم اظافر الرجعية والجمود والتعصب والاقطاع ..

صلى الله وسلم عليك يا نبى الرحمن ويا من اثنى عليك الله جل جلاله فى وحيه ، ونزل الفرقان ناطقا برسالته ، وأكد الوحى ختمه للرسالات والنبوات فى الارض .. وارتعبت اليهودية المحرفة وسواها من الشرائع المبدلة ، كلما ذكر اسمك ، أو ذكرت رسالتك وشريعتك ..

صلى الله وسلم عليك يا خير الخلق ، ويا هادى الانسانية، ويا مرشد الناس، ومهذب الجماعات، ويامن كنت نصيرا للمظلوم وصديقا ، ويا من انتصرت على الشرك والوثنية والظلم والضلال .. بتأييد الله ونصره وعونه ورعايته ، وما زالت الشعوب الاسلامية ينصرها تأييد الله وعونه ورعايته ، مهما تألب عليها المستعمرون ودبر لها المكائد المتآمرون ، ومهما حاولت الرأسمالية والصهيونية والشيوعية القضاء على شريعتك السمحاء ورسالتك الغراء .. وعاش للعرب رائدهم الرئيس جمال عبد الناصر .

بقية مقال «أضواء على التاريخ الاسلامى»

وصدق الشاعر حين قال عن شوكة دولة المسلمين فى الهند ، وآثارها الخالدة :

لا تسل أين ابتكار المسلمين
وسل الحمراء واشهد حسن تاج
دولة مسار ملوك العالمين
نحوها طوعا يؤدون الخراج

وقد دخل الاسلام الهند من طرق ثلاث ، من الناحية الجغرافية ، ومن أهمها ـ كما سبق ـ شواطىء الهند الغربية الواقعة فى بحر العرب التى كانت مركز ارتياد التجار العرب منذ أقدم العصور ، فى طريقهم الى جزيرة سيلان وشواطىء الهند الشرقية ومن هناك الى الصين جاوا وغيرها من بلدان الشرق الاقصى . والطريق الثانى الذى دخل منه الاسلام الهند ، الحدود الشمالية الغربية المتاخمة لافغانستان وايران . وأول من دخل الهند فاتحا من هذا الطريق الجبلى الوعر « السلطان المشهور محمود الغزنوى » فيما بين عامى ٣٨٨ ـ ٤٢١هـ . وأما الطريق الثالث الذى دخل منه الاسلام البلاد الهندية ولاية السند الواقعة على شاطىء الهند الشمالى الغربى ، حيث دخل « محمد بن القاسم الثقفى » فاتحا ، فى عهد حكم الحجاج ابن يوسف الثقفى » الشهير . وتتابعت غزوات الملوك والقواد من الترك والافغان والمغول لفتح الهند منذ حملة « محمود الغزنوى » حتى اصبحت كلها خاضعة لحكم الملوك المسلمين .

وبقى الأمر على ذلك حوالى ثمانية قرون الى أن دخلها الانجليز تجارا بطريق شركة الهند الشرقية المعروفة ، ثم فاتحين وغاصبين بأنواع من الحيل والمؤامرات . ومرت فترة ركود وخمول على الدعوة الاسلامية على اثر ذلك الى أن قامت الثورة الهندية الكبرى فى عام ١٨٥٧ م حيث ثارت الجنود الهنود ضد الانجليز وحاولوا القضاء على حكمهم الغاشم فى البلاد ، ولكن الأقدار لم تساعدهم على ذلك واستطاع الانجليز بمساعدة الجيش البريطانى أن يفتكوا بالثوار وقمع الثورة ، وتتابعت النكبات على الوطنيين ولا سيما المسلمون منهم لانهم كانوا فى طليعة الثوار فضلا عن أنهم كانوا حكام البلاد من قبل ، فجعل الانجليز نصب أعينهم القضاء على شوكة المسلمين ، وابعادهم عن المناصب الكبرى الحساسة ، حتى عم الخوف والفزع بين المفكرين من المسلمين ومصلحيهم على مستقبلهم فقام فيهم رجال مجاهدون عاملون لسد الفجوة لتى حدثت فى صفوف المسلمين ، وجمع كلمتهم ، ونشر التعاليم الاسلامية ، والعلوم العصرية بين المسلمين ، فدعوهم الى التهافت على التعليم وبذل الجهود لرفع لواء الحق ، واعلاء كلمة الله ، فى طول البلاد وعرضها .

إعجاز القرآن البياني

الإعجاز عند الزركشي

الدكتور حفنى شرف

اعجازه عنده من وجهين : انظر ٢ : ٩٢

احدهما : متعلق بنفسه

ثانيهما : بصرف الناس عن معارضته

وهذا ما ذكره الاصبهانى وقد وضحته سابقا ولا ادرى أهو ناقل عن الاصبهانى أم كان من توارد الافكار أم كانا ناقلين ؟

وقد قرر الزمخشرى انه لا خلاف بين العقلاء فى أن القرآن معجز وانما الخلاف فى اعجازه فقيل : ان التحدى وقع بالكلام القديم الذى هو صفة الذات وان العرب كلفت فى ذلك ما لاتطيق وفيه وقع عجزها . والجمهور على أنه انما وقع بالدال على القديم وهو « الألفاظ » واذا ثبت ذلك فاعلم أنه لا يصح التحدى بشىء مع جهل المخاطب بالجهة التى وقع بها التحدى ولا يتجه قول القائل لمثله : ان صنعت خاتما كنت قادرا على أن تصنع مثله الا بعد أن يمكنه من الجهة التى تدعى عجز المخاطب عنها .. ويرد الزركشى على ذلك بقوله : ٢ : ٩٣

« الاعجاز فى القرآن العظيم اما أن يعنى بالنسبة الى ذاته او الى عوارضه من الحركات والتاليف او الى مدلوله او الى المجموع او الى امر خارج عن ذلك . لا جائز أن يكون الاعجاز حصل من جهة نواتر الكلمة المفردة فقط لان العرب قاطبة كانوا ياتون بها ولا جائز ان يكون الاعجاز وقع بالنسبة الى العوارض من الحركات والتاليف فقط لأنه يحوج الى ما تعاطاه مسيلمة من الحماقة ولو كان الاعجاز راجعا الى الاعراب والتاليف المجرد لم يعجز صغيرهم عن تاليف الفاظ معربة فضلا عن كبيرهم ولا جائز أن يقع بالنسبة الى المعانى فقط لانها ليست من صنع البشر وليس لهم قدرة على اظهارها من غير ما يدل عليها ـ وهى الالفاظ ـ ولا جائز أن ترجع الى المجموع لانا قد بينا بطلانه بالنسبة الى كل واحد فيتعين أن يكون الاعجاز لامر خارج غير ذلك .

وما تقدم فالزركشى متأثر فيه بالعلوى فى الطراز وبعودة الى ما كتبناه عنه سابقا يتضح صدق ما نقول .

ولنسر مع الزركشى لنرى ذلك الأمر الآخر .

لقد ذكر بعد ذلك الأقوال المختلفة ، فى وجوه الاعجاز .

١ ـ الصرفة ونسبها للنظام ولم يزد عما ذكره السابقون فيها وذكر قول الباقلانى فى ابطالها .

٣ ـ مافيه من الاخبار عن الغيوب المستقبلة ورده بما الزملكانى ولم يبين لنا رأيه حيال هذا لا رفضا ولا قبولا

٣ ـ مافيه من الاخبار عن الغيوب المستقبلة ورده بما رده السابقون .

٤ ـ ماتضمن من اخباره عن قصص الأولين وسائر المتقدمين ورفضه أيضا .

٥ ـ اخباره عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل كقوله تعالى «اذهمت طائفتان منكم ان تفشلا» وقوله . « واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنهما لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » وكاخباره عن اليهود انهم لا يتمنون الموت أبدا ولم يعلق عليه برفض أو قبول

٦ ـ أن التحدى انما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالى فصاحة ألفاظه ووجه اعجازه أن الله قد أحاط بكل شىء علما وأحاط بالكلام كله علما فاذا ترتبت اللفظة من القرآن علم باحاطة اى لفظة تصلح ان تلى الأولى ويتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن الى آخره والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم بالضرورة أن أحدا من

البشر لا يحيط بذلك وبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة وبهذا المنطق يبطل قول من قال : ان العرب كان في مقدورها الاتيان بمثله ولكن صرفوا عن ذلك وعجزوا » ونسب هذا القول لابن عطية

انظر مقدمة تفسيره المطبوعة ٢٧٨ – ٢٨٠

٧ – الاعجاز بالفصاحة وغرابة الاسلوب ونسبه لفخر الدين الرازي في نهاية الايجاز في دراية الاعجاز .

٨ – ما فيه من النظم والتاليف والترصيف وانه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب . ونسبه للقاضي الباقلاني ولا أرى فرقا بين الوجه الثامن هذا والسادس . ونقل عنه قول بعض الائمة : ليس الاعجاز المتحدى به الا في النظم لا في المفهوم لان المفهوم لم تمكن الاحاطة به ولا الوقوف على حقيقة المرادة منه فكيف يتصور ان يتحدى بما لا يمكن الوقوف عليه اذ هو يسع كل شيء فاي شيء قوبل به ادعى انه غير المراد ويتسلسل .

٩ – ان الاعجاز شيء لا يمكن التعبير عنه يدرك ولايمكن وصفه ونسبه للسكاكي في المفتاح . وقال ابو حيان التوحيدي في البصائر : » لم اسمع كلاما الصق بالقلب واعلق بالنفس من فصل تكلم به بندار الفارسي – وكان بحرا في العلم – وقد سئل عن موضوع الاعجاز من القرآن فقال : هذه مسالة فيها حيف على المفتي وذلك انه شبيه بقولك : ما موضع الانسان من الانسان ؟ فليس للانسان موضع من الانسان بل متى اشرت الى جملته فقد حققته ودللت على ذاته كذلك القرآن لشرفه لا يشار الى شيء منه الا وكان ذلك المعنى آية في نفسه ومعجزة لمحاوله وهدى لقائله وليس في طاقة البشر الاحاطة باغراض الله في كلامه واسراره في كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده » .

١٠ – ان الاعجاز فيه من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة من جميع أنحائها في جميعه استمرارا لا توجد له فترة ولا يقدر عليه احد من البشر بعكس كلام البشر ونسبه الى الحسن حازم بن محمد القرطاجني في كتابه « منهاج البلغاء » وهو قريب من رأى الزملكاني وابن عطيه الى مدى بعيد .

١١ – ان القرآن صار معجزا لانه جاء بافصح الالفاظ في احسن نظوم التاليف متضمنا أصح المعاني وهذا منسوب الى الخطابي في كتابه « بيان الاعجاز » وقد تكلمنا فيه طويلا فيما تقدم من البحث .. ومما يجب التنبيه اليه ان هذا الرأى له أثره في عبد القاهر الجرجاني وبه اخذ . وعليه اعتمد .

١٢ – ان الايجاز وقع بجميع ما تقدم من الاوجه لابكل واحد على انفراده فانه جمع ذلك كله فلا معنى لنسبته الى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع وهو ما عليه أهل التحقيق .

وهكذا تطرقت مع الزركشي من درب الى درب عساى اتعرف « وجه الاعجاز » عنده ثم عدت أخيرا لاصدرحكمي عليه في النهاية .

الواقع اني لم اجد له رايا جديدا فيما يخص وجه الاعجاز وانما يرجع فضله الى جمع آراء السابقين ليس غير مستحسنا منها ما ارتضته نفسه رافضا ما لم يعجبه

بقيت بعد ذلك امور تتعلق بفكرة الاعجاز البياني » كان له فيها فضل كبير في جمعها واظهارها على وجه الخصوص وساوردها فيما يلي مبينا فضله فيها وجديده ان كان لمة جديد .

واول هذه الأمور متعلق بفكرة الاجابة على هذا التساؤل : ما هو المقدار المعجز من القرآن ؟

لقد روى الزركشي اجابة هذا السؤال عن القاضي الباقلاني ولم يكن له فيه جديد غير تبويبه وتوضيحه وجمع ما قيل فيه .

وهاك ما قاله القاضي ابو بكر الباقلاني في اعجازه ص ٢٨٦ وما بعدها :

« ذهب عامة أصحابنا – وهو قول ابي الحسن الأشعري ، الى أن اقل ما يعجز عنه من القرآن السورة قصيرة كانت او طويلة أو ما كان بقدرها اى اذا كانت الآية بقدر حروف السورة وان كانت كسورة الكوثر فذلك معجز » .

وذهب المعتزلة الى ان كل سورة برأسها معجزة اذ هي ام وحدها . وحكى عن بعضهم أن الآية الكبيرة معجزة

هذه هي الآراء التي جمعها الزركشي فاذا طرأ اعتراض : وما رأى هؤلاء جميعا وردهم على قوله تعالى : « فليأتوا بحديث مثله » ؟

أجيب : ان هذا لا يخالف ما سبق لان الحديث تتحصل حكاية في اقل من كلمات سورة قصيرة .

وبهذا ننتهي من الحديث عن الأمر الاول المتعلق بفكرة الاعجاز البياني .

أما الأمر الثاني فملخصه : ان التحدي في قوله تعالى « قل لئن اجتمعت الانس والجن » انما وقع للانس دون الجن لان الجن ليسوا من أهل اللسان العربي الذي جاء القرآن على أساليبه وانما ذكروا فيما سبق تعظيما لاعجازه لأن الهيئة الاجتماعية لها من القوة ما ليس للافراد فاذا فرض اجتماع جميع الانس والجن وظاهر بعضهم بعضا وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز والامر الثالث : هل يعلم اعجاز القرآن ضرورة ؟

أجاب عن هذا أبو الحسن الأشعري الى ان ظهور ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم يعلن ضرورة . وكونه معجزا يعلم بالاستدلال .

والذي قاله الباقلاني في اعجازه : « ان الأعجمي لا يمكنه ان يعلم اعجازه الا استدلالا وكذلك من ليس ببليغ فاما البليغ الذي قد احاط بمذاهب العرب وغرائب الصنعة فانه يعلم من نفسه ضرورة عجزه وعجز غيره عن الاتيان بمثله »

فاذا أضفت ما قاله الأشعري الى ما قاله الباقلاني استطعت أن تحصر علم الاعجاز بالضرورة في النبي صلى الله عليه وسلم والبليغ المحنك الذي لا تعوزه الادلة عن ادراك هذا الاعجاز .

واخيرا وضح لنا أن الزركشي لم يكن له رأى خاص في الاعجاز ولكني استطيع أن أقرر أنه أحد المؤمنين باعجاز القرآن البياني وأنه نصب نفسه ليدلل على هذا الايمان بدراسة الأساليب البلاغية والصور الكلامية في القرآن الكريم .

وبعد :

فيهمنا بعد هذا كله أن نبين موقف الزركشي بين علماء البلاغة العربية وأثره فيها ومنهجه حيالها خاصة اذا علمنا انه وجد في عصر يحسن ان نبين موقفه فيه من البلاغة .. ففي الحقيقة أن الزركشي لم يخصص لها مؤلفا خاصا كما لم يفرد بابا أو فصلا لدراستها .

ولكن الذي فعله هو أنه درس في كتابه « البرهان » علوم القرآن وأتى عليها ولما كانت البلاغة من بين هذه العلوم كان طبيعيا أن يتناولها بالحديث .

ولا غرو فالقرآن مصدر البلاغة العربية واس اسسها واليه المرجع في تقرير قواعدها وله الأثر البين في تطورها

ومن أجل هذا لم ينس الزركشي ولم يفته التعرض لكثير من الصور البلاغية وتطبيقها فى القرآن .

والذى لا شك فيه ان الوقوف على دراسة هذه الصور لدى الزركشى يمكننا من الوقوف على أثره فى الدراسة البلاغية بخاصة وفى دراسة البلاغه القرآنية بعامة

والزركشى عندما أراد أن يثبت اعجاز القرآن البيانى وجد من الضرورى أن يدرس بلاغة القرآن وبديعه فنهج نهج ابن أبى الاصبع والعلوى فى الدراسة الاولى فى بديع القرآن » والثانى فى « الطراز » ولكنه اختلف عنهما فى دراسة الصور البلاغية تحت اسم الأساليب وهو فى هذه الطريقة متأثر بعبد القاهر الجرجانى اذ ان كلا منهما اتبع دراسة الأساليب القرآنيـة لبيان التركيب وبيان القاعدة النحوية وهل طبقت ام لا ؟

وفيما يلى ساتناول عرض بعض الأساليب التى تناولها الزركشى لنرى مدى ما عمله فيها وأثره ومنهجه وطريقة التى سلكها وجديده ان كان له جديد حتى تستبين منزلته بين علماء البلاغه كما استبانت فى فكرة الاعجاز .

اولا :وجوه المخاطبات والخطاب فى القرآن ٢ : ٢١٧ - ٢٥٣ استخرج لذلك أربعين نوعا من القرآن الكريم لخطاب العام المراد به العموم وخطاب الخاص والمراد به الخصوص وخطاب الخاص والمراد به العموم أو العكس وحدبده فى هذا الأسلوب انه جمع كل ما يتصل باسلوب الخطاب والمخاطب تحت جنس واحد واستخرج له من القرآن شواهد عديدة خرج أكثرها وحلله فلم تكن أحكامه اذن عامة ولم ينس فى سبيل ذلك الاستدلال بالشعر أحيانا لتوضيح الفكرة واظهارها . كما كان ينقل كثيرا عن السابقين من اللغويين والمفسرين والبلغاء أمثال أ ابن فارس والراغب الأصفهانى والزمخشرى معقبا على ذلك برايه الذى كان يؤيده دائما بالاحاديث النبوية الشريفة وبالجملة فلم يكن بصدد هذا ناقلا فحسب بل كان ناقلا وناقدا احيانا

ثانيا : تكلم عن أسلوب الحقيقة والمجاز فى القـرآن ٢ : ٢٥٦ - ٣٠٠ وأثبت بما لا يدع مجالا لوهم أنه لاخلاف فى ان كتاب الله يشتمل على الحقائق وعرف هذه الحقائق بانها كل كلام بقى على موضوعه كالآيات التى لم يتجوز فيها وهى الآيات الناطقة ظواهرها بوجود الله تعالى وتوحيده وتنزيهه والداعية الى أسمائه وصفاته كقوله تعالى :

« هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة » وقوله : « امن خلق السموات ولأرض » وقوله : « أمن جعل الارض قرارا » بهذا استمد الزركشى فى ان كتاب الله مشتمل على الحقائق وعلى ذلك اتفق العلماء ولم يسمع عنهم خلاف .. أما الخلاف بينهم ففى وجود المجاز فى القرآن فجمهورهم على وجوده وأنكره جماعة منهـم : ابو العباس احمد بن احمد الطبرى الشافعى المعروف بابن القاص المتوفى ٣٣٥هـ . وابن خديز منذاذ المالكى تلميذ الأبهرى من أهل البصرة توفى فى نهاية القرن الرابـع الهجرى وابو مسلم محمد بن بحر الأصبهانى المعتزلى المتوفى ٣٧٠ هـ وداود بن على بن خلف الأصبهانى المعروف بالظاهرى ورئيس فرقة الظاهرية المتوفى ٢٩٧ هـ

وشبهة هؤلاء المنكرين لوجود المجاز فى القرآن أن المتكلم لا يعدل عن الحقيقة الى المجاز الا اذا ضاقت به الحقيقة فيستعير وهو محال على الله سبحانه ولا تعجب الزركشى تلك الحجة او قل العلة الواهية فينبرى ليرد رد المفتن البليغ الذى يعرض جمال المجاز وبهاءه واستمع اليـه بعد عرضه رأيهم « وهذا باطل ولو وجب خلو القرآن من المجاز لوجب خلوه من التوكيد والحذف وتثنية القصص وغير ذلك .. ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن » .

وهنا يتدرج الى تبين سبب المجاز ونوعه الى نوعين :

١ - مجاز فى المركب ونوعه الى ثلاثة أقسام ٢ : ٢٥٨

٢ - مجاز فى المفرد وقرر أنه فى القرآن يعجز العد عن أحصائه ونوعه الى ستة وسبعين نوعا لتكون ضوابط لتوضيح الآيات . الموجود فيها المجاز انظر صفحـات ٢٥٩ - ٢٩٩

ثالثا : اسلوب الكنايات والتعريض

بين الزركشى منزلة هذا الاسلوب عند العرب ودلل على انه من البلاغة والبراعة وهو عندهم أبلغ من التصريـح وجعل اكثر الأمثال العربية من الأسلوب الكنائى

وعرف الكناية بانها : الدلالـــة على الشيء من غير تصريح باسمه وشرحها عند أهل البيان بما لا يخرج عن كلام السابقين وقد أوضح الخلاف فى هذا الأسلوب هل هو من المجاز أم من الحقيقة ونقل عن الطرسوسى فى كتابه « عمدة الحكام فيما لا ينفذ من الأحكام » أنه قد اختلف فى وجود الكناية فى القرآن وهو كالخلاف فى المجاز فمن أجاز وجوده فيه أجاز الكناية ومن أنكره أنكرها .

وقال الشيخ العز بن عبد السلام « الظاهر أنها ليست بمجاز لأنك استعملت اللفظ فيما وضع له وأردت بـه الدلالة على غيره ولم تخرجه عن أن يكون مستعملا فيما وضع له وهذا شبيه بدليل الخطاب فى قوله تعـالى : « فلا تقل لهما اف »

وعقب الزركشى على ذلك بذكر أسباب استعمال هذا الأسلوب فجعل منها :

١ - التنبيه على عظم القدرة كقوله تعالى : هو الذى خلقكم من نفس واحدة » كناية عن آدم .

٢ - التنبيه على فطنة المخاطب كقوله « خصمان بغى بعضنا على بعض » فكنى داود بخصم على لسان ملكين تعريضا .

٣ - ترك اللفظ الى ما هو أجمل كقوله : « الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة » كنى بالتحيز عن الهزيمة

٤ - البعد عن الفحش فى استعمال اللفظ حتى لا ينبو منه الطبع كالكناية عن الجماع باللمس والملامسة والرفث والدخول والنكاح والماشر كقوله : « فالآن باشروهن » وقوله « أو لامستم النساء » ومنه قوله فى جواب قـوم هود : « انا لنراك فى سفاهة قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين » فكنى عن تكذيبهم بهـذا كله

٥ - تحسين اللفظ كقوله تعالى . « بيض مكنون » فان العرب كان من عادتها الكناية عن حرائر النساء بالبيض قال امرؤ القيس :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها
تمتعت من لهو بها غير معجل

٦ - قصد البلاغة كقوله تعالى : أو من ينشا فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين » فانه كنى عن النساء بانهن ينشأن فى الترفه والتزين والتشاغل عن النظر فى الأمور ودقيق المعانى ولو أتى بلفظ النساء لم يشعر بذلك نفى ذلك - أعنى الأنوثة - عن الملائكة وكونهم بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

٧ ـ قصد المبالغة فى التشنيع كقوله تعالى : « وقال اليهود يد الله مغلولة » فان الغل كناية عن البخل .

٨ ـ التنبيه على المصير كقوله تعالى « تبت يدا أبى لهب » أى جهنمى مصيره الى اللهب وقوله « حمالة الحطب » أى نمامة ومصيرها الى ان تكون حطبا لجهنم .

٩ ـ قصد الاختصار ومنه الكناية عن أفعال متعددة بلفظ فعل كقوله : « ولبئس ما كانوا يفعلون » وقوله « ولو انهم فعلوا ما يوعظون »

وهذه الأسباب لم يجمعها عالم من علماء البلاغة هذا الجمع قبله . وهو وان لم يات بجديد حيالها الا ان فضيلة التنظيم والتبويب واستخراج الشواهد من القرآن تنسب كل ذلك للزركشى .

هذا وقد نقل عن عبد القاهر الجرجانى اشتراط القرينة فى الكناية كما انه أبطل دعوى من يقول ان العرب لا تستعمل الكناية الا فيما يقبح ذكره . أبطل ذلك بقوله تعالى « وثيابك فطهر » كناية عن القلب
وجعل التعريض من الأسلوب الكنائى وسمى تعريضا لأن المعنى يفهم من عرض اللفظ أى من جانبه والدلالة على المعنى من طريق المفهوم ولذلك سموه التلويح أيضا لان المتكلم يلوح بما يريده للسامع

فقوله تعالى « لئن أشركت ليحبطن عملك » وقوله « ولئن اتبعت أهواءهم » وقوله « فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات » كل ذلك تعريض اذ المخاطب فى الظاهر شخص هو النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الآيتين الأوليين وهو لم يشرك ولم يتبع الهوى ولكن المراد المشرك . وفى الآية الثالثة الخطاب للمؤمنين والتعريض بأهل الكتاب .

ومن الأسلوب الكنائى أيضا فى نظر الزركشى . التوجيه وهو ما احتمل معنيين ويعتمد فيه على فطنة المخاطب كقوله تعالى حكاية عن أخت موسى « هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون » فان الضمير فى « له » يحتمل أن يكون لموسى ويحتمل أن يكون لفرعون وبهذا تخلصت أخت موسى من قولهم : انك عرفته فقالت : أردت ناصحون للملك . وهذا يذكرنا بالسكاكى حيث جعل شكل القرآن من هذا اللون .

ثم جاء الزركشى الى النوع السادس والأربعين فى ٢ : ٣٨٢ فتكلم تحته عن أساليب القرآن وفنونه البليغة وجعلها المقصود الاعظم من هذا الكتاب أو هى كما قال: « بيت القصيدة وأول الجريدة وغرة الكتيبة وواسطة القلادة ودرة التاج وانسان الحدقة »

وهو يقصد بأساليب القرآن وفنونه صوره البلاغية كما يتضح من عرضه لها . وهنا نقف وقفة لنقول :

ان الزركشى بهذا العنوان وبما ذكر تحته من الألوان يؤمن باعجاز القرآن لاشتماله على الصور البديعة وبهذا يتفق مع ابن ابى الاصبع المصرى ويلتقى به فى بديع القرآن وكذا العلوى اليمنى فى الطراز وأيضا يخالف القاضى الباقلانى الذى ينفى اعجاز القرآن لاشتماله على الصور البديعة والزركشى بهذا ايضا يوضح لنا انه يتكلم عن بلاغة القرآن أو قل بديع القرآن ويرى أن هذا علم شريف المحل عظيم المكان قليل الصلاب ضعيف الاصحاب ليست له عشيرة تحميه ولا ذو بصيرة تستقصيه وهو أرق من الشعر واهول من البحر واعجب من السحر ..

ولا شك بعد هذا كله انه يبين لنا منزلة البلاغة بعامة وبلاغة القرآن بخاصة وهو صادق فى رأيه هذا اذ وجد فى عصر اتجهت فيه العلماء الى اهمال البلاغة وضيعت الأدب وهو حقلها الذى فيه تنمو وتترعرع .. واصبح هم العلماء ـ وهم قليلون ـ صياغة قصائد متضمنة اسماء صور بديعية غرقت بالبديعيات يتولونها بالشرح أويفيض غيرهم عليها بالتعليق .

وعلى الضفة المقابلة وقف جماعة آخرون اختلفت وجهات نظرهم فى تناولهم « المفتاح » فمن بين شارح ومختصر قام عماد أبحاثهم ونظرتهم للبلاغة .

فلا عجب أن يقف الزركشى بين الصفين يعون هو الآخر فى البلاغة ولكن على طراز آخر بذل فيه مجهودا بلا شك . ومن هنا فقد أثر فى تطور البلاغة وتنميتها والعمل على ترقيق الذوق ورقى العاطفة ونمو الاحساس والادراك بدراسة هذه . لان علم البلاغة فى نظره هو . « المطلع على أسرار القرآن الكافل بأبراز اعجاز النظم المبين ما أودع من حسن التاليف وبراعة التركيب وما تضمنه فى الحلاوة وجلله فى رونق الطلاوة مع سهولة كلمة وجزالتها وعذوبتها وسلاستها وهذا الحسن وتلك البلاغة لا فرق بين ما يرجع الحسن فيه الى اللفظ أو المعنى »

وهنا يبرز رأيه فى بلاغة الألفاظ والمعانى .

والذى لا حظته على الزركشى أنه يرى ان البلاغة للنظم أى مجموع المعانى والالفاظ اذ يقول ٢ : ٣٨٢ :

« وشذ بعضهم : زعم أن موضع صناعة البلاغة فيه انما هو المعانى فلم يعد الأساليب البليغة والمحاسن اللفظية . مادة الكلام الذى منه يتالف ، ومتى اخرجت الالفاظ والصحيح أن الموضوع مجموع المعانى والالفاظ اذ اللفظ على أن يكون موضوعا خرجت عن جملة الأقسام المعتبرة اذ لا يمكن أن توجد الا بها » .

وتكلم تحت هذا العنوان « أساليب القرآن وفنونه البليغة » عن البلاغة العربية فافاض فى الشرح واطنب فى الحديث

والملاحظ على منهج الزركشى انه لم يقسمها تقسيم الكلاميين والمناطقة وانما سار على منهج الاتجاه المصرى فى البلاغة العربية ولا عجب فهو مصرى فى ارومته وبلاغته اذ لم يفرد ألوان علم المعانى وحدها أو علم البيان وحدها كما لم يخصص ألوانا بعلم البديع .
وانما تكلم عن الايجاز والتقديم والتاخير والذكر والحذف والخبر والطلب والنداء والطلب .. تكلم عن كل ذلك بطريقة تخالف طريقة المناطقة وعلماء الكلام اذ كان جانب الذوق فى بلاغته ركنا له كيانه وقوامه فى بلاغته .

وحسبنا هذا العرض الأمين لآرائه تدليلا على مجهوده المحمود فى خدمة القرآن الكريم واعجازه البيانى ضمن اطار البلاغة العربية ■

انانية اليهود وعالم الاسلام

الدكتور محمد سالم الجرح

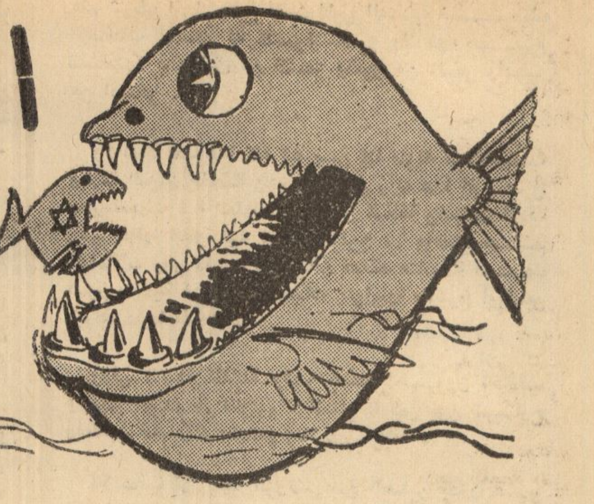

لقد كان التطور والارتقاء سنة من سنن الله في كونه منذ خلق الله الارض ومن عليها ، وستظل ذلك سنته الى ان تنتهي الارض ومن عليها ، ولذلك لم يشأ الله ان يبعث انبياءه وحملة مشاعل هدايته برسالته الكاملة دفعة واحدة الى الانسانية كلها في اول عهدها بالحياة – وانما شاءت حكمته – جل وعلا – ان تنزل هذه الرسالة الربانية من السماء الى الارض اقساطا موزعة ، يوزع حملتها على الانبياء والهداة على الازمان والاماكن والشعوب كل يقدم منها الى جيله القدر الملائم له ، المناسب لاحواله وظروفه ، يضيف الى رسالة من سبقه ، ويهيىء لرسالة من سيلحقه ، ولذلك مضت الالوف من السنين من تاريخ الانسانية ، وظهر المئات من الرسل خلال ذلك التاريخ الطويل ، قبل ان تخرج على العالم تلك الرسالة الالهية الشاملة الكاملة ، الصالحة لكل زمان ومكان ، والموجهة الى جميع اشعوب والاوطان ، رسالة الاسلام لله ، رب جميع الانام ، التي ظهرت على يد خاتم الرسل محمد عليه الصلاة وازكى سلام .

ولذلك فليس من الغريب ان نجد عددا من الديانات متفاوتا في طبيعته من حيث القومية او العالمية ، او نجد الرسالات مختلفة عن بعضها ، فهذه شاملة عامة ، وتلك محدودة خاصة ، ولكن كثيرا من حالات التخصيص والتحديد ، وقع مخالفا مخالفةصريحة للتوجيهات الالهية والتعليمات السماوية ، فكم من اقوام ظهرت بينهم انبياء ، ونزلت عليهم رسالات ، فحسبوا – انانية منهم – ان ذلك شرف خصهم الله ، ونعمة لم يرد الله بها سواهم ، فحفظوها لجنسهم ، وبخلوا بها على غيرهم ، ولقد كان ذلك في معظم الاحوال شان الشعب اليهودي الذي طالما ظهرت بينه الرسل والانبياء ، فلم يبذل في سبيل تبليغ هذه الرسالات الى غيره جهدا ، ولم يكلف نفسه في سبيل هداية سواه من الشعوب عناء ، وانما اساء تفسير ظهور الانبياء منه ، وهبوط وحي السماء عليه ، واعتقد ذلك شرفا خصه الله به ،ولم ير غيره اهلا له ، وهكذا خالف التعاليم الصريحة لانبيائه وقعد عن المسئولية الضخمة التي وكلت اليه ، وربط بين « الدين » و « الجنس » رباطا عنيفا اساء الى الدين والى الجنس ، فعاشت « اليهودية » – وهي في اصلها دين سماوي – لايكاد يهتدي بها من غير العبرانيين انسان ، وعاش اليهود انفسهم بين بني الانسان وكانهم ليسوا من بني الانسان ، ولقد كانت هذه الانانية الدينية عند اليهود لعنة اغضبت عليهم الله فعذبهم ، وبغضتهم الى الناس فاضطهدوهم .

وهكذا كان تاريخهم ولا يزال سلسلة من العذاب والاضطهاد الذي جروه على انفسهم ، واستحقوه بغرورهم وانانيتهم .

واذا قارنا هذه الانانية الدينية عند اليهود بتلك الروح الانسانية السمحة عند الاسلام والمسلمين ، الذين لايتحتم ان يربطهم جنس او وطن الى جانب رباط الدين ، والذين حملوا مشاعل الهداية الى جميع جوانب الارض ، باذلين في سبيل ذلك الارواح والاموال – ازددنا ايمانا بحكمة الله سبحانه وتعالى في اختياره الاسلام ليكون خاتم الاديان ، وتوجيه رسالته الى كل الشعوب والاوطان ، وجعلها صالحة لكل زمان ومكان . ولسنا نهدف في هذا المقال القصير الا ان نجلي مافي الاسلام من انسانية وعالمية ، ونقارنها بما اظهره الشعب اليهودي من انانية دينية .

– ٢ –

والطبيعة العالمية في الديانة الاسلامية واضحة جلية لايستطيع ان ينكرها معاند ، او يتمادى في المراء بصددها جاحد ، وقد اعترف بها الباحثون والمؤرخون من المسلمين ومن غير المسلمين ذلك لان جلاءها يكاد يقارب البداهة ، ولا يقبل الجدال .

ولقد تاكدت هذه الطبيعة العالمية في الديانة الاسلامية على مستوييها النظري والعملي ، ونستطيع اثبات الاول بالنصوص الدينية القطعية المتكررة التي تصف رسول الاسلام وخاتم الرسل عليه السلام بانه ارسل الى الناس كافة ، كما تصف رسالة الاسلام وكتابه المقدس ، وهو القرآن ، بانه ذكرى للعالمين

كذلك فان الطبيعة العالمية في الاسلام على المستوى التطبيقي العملي تثبتها حقائق التاريخ الواقعة ، واحداثه المسجلة فان المسلمين قد ظلوا منذ ظهور الاسلام حتى

الآن يجاهدون موفقين فى نشر دينهم بين جميع الامم ، وأن شعوبا بأسرها من وثنيين واهل كتاب قد دخلوا فى الاسلام افواجا ، ولم يكد يجمعهم رباطه حتى صاروا اخوة متحابين ، لايميز بينهم لون ولا جنس ولا لسان ، وانما يسوى بينهم جميعا رباط الدين المتين . وهكذا أثبتت أحداث التاريخ ان الشعب العربى الذى سعد بظهور خاتم الرسل بين ظهرانية كان بريئا من اى انانية دينية ، كتلك التى ابتلى بها اليهـــرد وان الديانة الاسلامية لم تجعل « العرب » محورها ، وانما هدفت الى هداية « الانسانية » جمعاء .

ولنقتبس الآن من نصوص القرآن الكريم بعض مايثبت هذه العالمية فى الاسلام على المسوى النظرى . فالله سبحانه وتعالى يخاطب خاتم الرسل عليه السلام فيقول « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا – سبأ : ٢٨ – « قل يأيها النـــاس انى رسول الله اليـــكم جميعا » – الاعراف ١٥٨ – ، وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » – الانبياء : ١٠٧

وكما اكد الله فى اكثر من مناسبة ان « رســـول » الاسلام لم يرسل الى قومه من العرب وحدهم وانما أرسل الى الناس جميعا ، والى جميع العالمين ، أكد نفس المعنى بالنسبة » لرسالة الاسلام وهى القـــرآن الكريم ، فقال عز من قائل « وما هو (اى القرآن) الا ذكر للعالمين » – القلم ٥٢ – ، « تبارك الذين نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » – الفرفان : ١– وما تسألهم عليه (اى ماجاء فى القرآن الكريم من وحى) من اجر ان هو الا ذكر للعالمين » – يوسف ١٠٢ – ولقد وضع رسول الاسلام عليه السلام هـــذه التوجيهات الربانية موضع التنفيذ بكل ماأوتى من قوة ، فجاءت اقواله وافعاله جميعا مصداقا لهذا الاتجاه العالمى فى الديانة الاسلامية الذى اكدته الرغبة الالهية كما عبرت عنها الآيات الماضية ، ولذلك كان من احب اصحاب الرسول اليه عدد كبير لم يكونوا من اهله ولا من بنى جنسه ، وهو الذى قال عليه السلام « لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » وبذلك زاد الآية القرآنية « ان أكرمكم عند الله اتقاكم » وضوحا .

اما من الناحية العملية فان تلك الطبيعة العالمية فى الاسلام التى امتلات بها منذ البداية روح نبيه عليـــه السلام ، وتوثقت فى نفوس اتباعه جيلا بعد جيل حتى هذا الزمان وما سيأتى بعد هـــذا الزمان من ازمان ، يثبتها توجيهه صلى الله عليه وسلم الرسائل والرسل الى كل من كان معروفا له من ملوك الدول ورؤسائهـــا يؤكد لهم فيها انه رسول الله » الى الناس كافة » ويدعوهم فيها الى دخول ديانة الاسلام التى هى ديانة الانسانية جمعاء ، وقد عمل بهذه السنة خلفاء محمد عليه السلام واتباعه من بعده ، فقام الجنود من المسلمين ، وتجارهم ، ودعاتهم بنشر الاسلام فى جميع بقاع الارض ، وبين جميع طوائف البشر واجناسهم . ولا اعتقد ان هناك قدرا من الجهد الايجابى قد بذل فى نشر دعوة ما فى تاريخ الانسانية كلها يضاهى ذلك الجهد العظيم الذى بذله المسلمون فى مختلف العصور لنشر دينهـــم الحنيف الى مختلف الاجناس ، وحمل هدايتهم الى سائر البقاع . ولقد يتقول الشانئون على الاسلام بانه انتشر بالسيف ، ولكن يدحضهم فى هذه الدعوة ان هناك عديدا من الاقطار لم تطأها قدم جندى مسلم واحد ، ومع ذلك فانها الآن تعتبر الاسلام دينها ، ومحمدا رسولها ، فأين السيف الذى حمل هؤلاء جميعا على الدخول فى الاسلام ؟ ثم ان هؤلاء المتقولين يعرفون انه لاسيف الآن يحمل الناس على الاسلام ، فلماذا لايرتد عنه اولئك الذين يزعمون انهم دخلوه خوفا من السيف ؟ ولماذا تشكو المؤسسات التبشيرية الضخمة فى العالم الغربى من ان الاسلام يغلبها فى كثير من البـــلاد على امرها فينتشر بين السكان دون دعاية او دعاة أكثر مما تنتشر المسيحية برغم التخطيط المحكم ، والجيش التبشـــيرى المنظم ، والاموال الضخمة التى تنفق وتوزع ؟

انه ليس ثمة سبب مقبـــول الانتشـــار المعجـــز لديانة الاسلام بين جميع اجناس الانسان الا « طبيعته العالمية » التى تفرد بها ، والروح الانسانية التى تشبع بها قادته واتباعه . والتطبيق العملى الناجح لروح الاخوة التى لاتفاضل ابدا بين انسان وانسان ، ولقد سمعت بأذنى جدالا بين أخ حديث الاسلام من احـــد الاوطان الافريقية ومبشر مسيحى ، وكان من الحجج المفحمة التى قدمها الاول للثانى « انى دخلت الاسلام لانه الدين الذى لايفرق فى اتباعه بين زنجى وغير زنجى فليس هناك مسلم ابيض ومسلم أسود ، وليس هناك مسجد للبيض ومسجد للسود . وانما يؤكد الاسلام نظـــريا ويطبق المسلمون عمليا مبدأ الاخوة الانسانية فى صدق ونزاهة واخلاص »

بل ان كثيرا من المـــؤرخين الاوربيين – وهم غير مسلمون – ليحاولوا التعليل لانتشار الاسلام بهـــذه الطريقة المعجزة خلال القرون الاولى بعـــد ظهوره ، فيقولون بأنه صادف فراغا روحيا *Spirtual vacuim* فملاه ، وهذا تبرير يدل على فضل الاسلام ولا ينال منه ، فاذا كانت الوف مؤلفة من النصارى واليهود ، ومن الزرادشتين والبوذيين والوثنيين كانت تعانى قبل الاسلام من الفراغ الروحى ثم وجدت فى الاسلام مايملا هـــذا الفـــراغ ، فدخلوه ، وسعدوا به ، وداموا عليه فليس ذلك الا دليلا على عالمية الاسلام ، وصلاحيته لـــكل الاجنـــاس والاوطان . ولم يكن جهاد المســـلمين فى نشر دينهم ، واستعدادهم للاستشهاد فى هذا السبيل الا مساهمـــة ايجابية فى حمل هذه الهداية – دون انانية او استئثار – الى الجميع ، قياما بواجب التبليغ ، ووفاء بحق الدعوة فاين هذا من انانية اليهود بدينهم ، واســـتئثارهم برسالات انبيائهم .

– ٣ –

ولسنا نريد ان نكون متحـــاملين على اليهود ، او مسرفين فى اتهامهم مما قد لايكون فيهم ، فان غرضنا هو المقارنة العلمية بين ديانة بدأت عالمية وهى الديانة الاسلامية ، وديانة اخرى كاليهودية عاشت عمرها الطويل الذى توشك أن يكمل أربعة آلاف من السنين دون ان يحاول اهلها ان ينشروها خارج نطاقهم ، او يسمحوا راضين طائعين لغيرهم ان ينضوى تحت لوائهم ، ولسنا ننكر انه قد اعتنق اليهودية من غير العبرانيين خلق كثير فليس بمعقول ان ينتمى جميع حمر الشـــعور من البولانديين ، او صفر الوجوه من اليابانيين او سمر البشرة من الهنود واليمنيين الذين يعتنقون اليهودية الآن الى الجنس العبرانى ذى الطبائع المتميزة ، والمـــلامح الذاتية البارزة ، ولكن هؤلاء جميعا اعتنقوا اليهودية حين اعتنقوها لابدعوة اهلها من العبرانيين ولا بجهدهم ، ولكن

في معظم الاحوال عندا لهم وعلى الرغم منهم ، وكثير من هؤلاء لايزالون يعانون مرارة البغض والاضطهاد ممن يعتبرون انفسهم عبريين خلصا .

ومن الانصاف ان نعترف ان تاريخ تطـور الديانة العبريه لم يكن يخلو من ومضات نبيلة انسـانية ، ودعوات الى العالمية ، كانت تظهر من ان لآخر على لسان أنبياء اليهود ، وفى اسفارهم ، ولكنها سرعان ماكانت تنطفىء امام عواصف العصبية العمياء والانانية البشعة السوداء التى تعمقت فى نفوس الشعب اليهودى ، ولم ينجح فى استئصالها نبى او ينجع فى علاجها دواء .

ولاشك ان هذه العصبية ترجع الى الفكرة البدائيـة الاولى التى تربط النواحى الدينيه والقومية والاجتماعية ، فتؤمن بوحدة الله والوطن والشعب ، ولعل هذه ـ كما يقرر العلامة وليام روبرتسون سميث فى كتـابه محاضرات فى ديانة الساميين ـ كانت نقطة البداية التى اشتركت فيها جميع الشعوب السامية منذ عهودها الوثنية ، ولم يستطع الشـعب العبرانى التخلص من سلطان هذه الفكرة على نفسه على الرغم من ظهور الانبياء بينه ، ونزول الوحى السماوى على عدد كبير من افراده ، وهكذا ، حتى بعد أن اهتدى العبرانيون الى الوحدانية وبداوا يعبدوا آلها واحدا دعوه باسم « الوهيم » او « ياهوه » (يهوفا) فانهم ظلوا يتحدثون عن هذا الاله الواحد وكانه لايزال صنما قبليا ، لايحب غير شـعبه ولا يعطف الا عليهم ، ولا يكن لمن عداهم من الشعوب سوى المقت والازدراء ، أو النقمة والتنكيل .

بل ان الشعب العبرانى اساءوا تفسير كثرة ظهور الانبياء منهم ، وتوجيه الرسائل السماوية اليهم . وبدل ان يفسروا هذا بانه امر دعى اليه اغراقهم فى الضلال ، وعدم نجاح الدعاة ، والهداة فى انقاذهم منه ، او بانه مسئولية عليهم للانسانية كلها عهد الله بها اليهم ، ولابد ان يؤدوها وينهضوا بها ، فهموا ان هذا تكريم من الله لهم ، وفضل هياتهم العناية الالهية له ، وحرمت معظم الشعوب الاخرى منه ، ومن ثم اخذوا يتمجدون فى انانية وغرور بانهم « شعب الله المختار » ولا تزال هذه الاسطورة تنطلى على كثير من المسيحيين البسطاء فى مختلف انحاء العالم الغربى .

نحن لاننكر ان عددا كبيرا من الانبياء قد ظهر من بين العبرانيين بل ان ديننا ليطلب الينا ان نؤمن بهؤلاء الانبياء ، ولكننا نتساءل هل استجاب العبرانيون لرسالات هؤلاء الانبياء ؟ وهل شكروا لله فضله عليهم أن اختار كل هؤلاء الانبياء من بينهم فحملوا رسالات هؤلاء الانبياء الى بقية اخوانهم فى الانسانية ؟

ان استعراضنا للنشاط التبشيرى فى الديانةاليهوديه ـ ان كان ثمة أى نشاط تبشيرى ـ ليرينا بوضوح ان ما اتصف به اليهود على مر الدهور من عصبية وانانية قد اعماهم عن عضم رسالات انبيائهم وتبليغا الى اى من الاجناس سوى جنسهم .

ـ ٤ ـ

ونحن نقتبس الآن بعضا من تلك الومضات النبيلة التى حوتها اسفار العهد القديم . ولكن محى تعصب اليهود وانانيتهم اثرها ، فمضت وكأنها لم تكن :

١ ـ ففى سفر اشعياء ـ اصحاح ٥٦،٣ـ٨ ـ :

« هكذا قال الرب . احفظوا الحق واجروا العدل لانه قريب مجىء خلاصى واستعلان برى طوبى للانسان الذى يعمل هذا ولابن الانسان الذى يتمسك به ، الحافظ السبت لئلا ينجسه ، والحافظ يده من عمل كل شر . فلا يتكلم ابن الغريب الذى اقترن بالرب قائلا افرازا افرزنى الرب من شعبه ، ولا يقل الخصى ها انا شجرة يابسة لانه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتى ويختارون مايسرنى ويمتسـكون بعهدى انى اعطيهم فى بيتى وفى اسوارى نصيبا واسما افضل من البنين والبنات ، اعطيهم اسما ابديا لاينقطع . وابناء الغريب الذين يقترنون بالرب ليخدموه وينجعـوا اسم الرب ليكونوا له عبيدا كل الذين يحفظون السبت لئلا ينجسوه ويتمسكون بعهدى آتى بهم الى جبل قـدسى وافرحهم فى بيت صلاتى وتكون محرقاتهم وذبائحهـم مقبولة على مذبحى ، لان بيتى بيت الصلاة يدعى لـكل الشعوب . » وهكذا يعلن اشعياء ان من آمن بالرب من الغرباء يتساوى مع المؤمنين من العبرانيين تماما .

٢ ـ وفى اشعياء أيضا (اصحاح ٥٣ ، ١١ـ١٢)

« من تعب نفسه برى ويشبع . وعبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها لذلك اقسم له بين الاعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة من اجل انه سـكب للموت نفسه ، واحصى مع اثمه ، وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين » وهو حث صريح على التعب والجهاد فى سبيل هداية الآخرين ، والتضحية التى تبلغ حد الموت من اجلهم .

٣ ـ وفى اشعياء ايضا (اصحاح ٤٩ ، ١ـ٦)

« اسمعى لى ايتها الجزائر ، واصغوا لى ايتها الامم من بعيد . الرب من البطن دعانى ثم من احشاء امى ذكر اسمى .. فقال قليل ان تكون لى عبدا لاقامة اسباط يعقوب .. لقد جعلتك نورا للامم لتكون خلاصى الى اقصى الارض » . وهذا نص صريح فى ان الرب كان يتوقع من انزل عليهم هذا الوحى أن يحملوا رسالته الى اقصى الارض .

٤ ـ وفى سفر زكريا (٨: ٢٠ـ٢٣)

« هكذا قال رب الجنود سياتى شعوب بعد وسكان مدن كثيرة وسكان واحدة يسيرون الى اخرى قائلين لنذهب ذهابا لنترضى وجه الرب ونطلب رب الجنود انا أيضا اذهب فتاتى شعوب كثيرة وامم قوية ليطلبوا رب الجنود فى اورشليم وليترضوا وجه الرب » .

وهو صريح فى ان الرب كان يريـد من العبرانيين هداية غيرهم من الشعوب .

٥ ـ وفى سفر اللاويين (اصحاح ١٩ـ٣٤)

« كالوطنى منكم يكون لكم الغريب النازل عنـدكم وتحبه كنفسك » وهو صريح فى انه ينبغى ان يعامل اليهود غيرهم كانه منهم .

٦ ـ وفى سفر ارمياء (اصحاح ٧:٢٩)

« واطلبوا سلام المدينة التى سبيتكم وصلوا الى الرب لانه بسلامها يكون لكم سلام » وهو حث نبيل على ان يتخلص اليهود من عصبيتهم للقومية او الوطن وان يطلبوا السلام حتى لاعدائهم الذين سبوهم .

٧ـ ولم تكن قصة رحلة سيدنا يونس الى نينوى التى جاءت فى الكتاب المقدس فى سفر خاص باسـم يونان الا رحلة تبشيرية حاول فيها هذا النبى موفقا هداية شعب غير شعبه .

ولكن هذه النماذج النبيلة جميعا لم تكن الا ومضات عارضة اطفا اصرار اليهود المستمر على عصبيتهموانانيتهم

واحتقارهم لغيرهم من خلق الله ، ومحاولتهم التميز عن غيرهم من الشعوب .

- ٥ -

فالشائع المعروف عن اليهود انهم لم يحرصوا ادنى حرص على دعوة غيرهم من الشعوب الى الايمان بربهم ودينهم . وان اذهانهم لم تتجه على الاطلاق هذه الوجهة ، بل على العكس من ذلك فانهم فهموا ان الههم ودينهم شيء امتازوا هم به عن غيرهم من الشعوب ومن ثم فانهم حرصوا دائما على الاحتفاظ بهذه الميزة لانفسهم . ولذلك فانهم لم يكتفوا بالامتناع عن التبشير بدينهم بين الشعوب الغريبة عنهم ، بل رفضوا فى كثير من الاحيان قبول الغرباء الذين رغبوا فى اعتناق دينهم ، وسعوا للانضمام اليهم .

ولعل ماتعرض له اليهود خلال تاريخهم الطويل من نكبات وكوارث كانت نتيجة لذلك وسببا فى استمراره من جانبهم فى الوقت ذاته ، فقد كانت هذه النكبات تضاعف من حماسهم لقوميتهم من ناحية وتزيد بغضهم لغيرهم من الشعوب من الناحية الاخرى ، ولهذا غلب تعصبهم لشعبهم . وبغضهم لغيره من الاجناس تلك النفحات الروحية الانسانية التى احتوتها اسفارهم فظهر بينهم منذ القديم قادة مثل « نحميا » جعلوا همهم ان يخلصوا الشعب اليهودى من الاختلاط بغيره ، وان يطردوا من بينه من ليس منه ، وان يحتفظوا بدينهم وصلواتهم ومناسكهم لانفسهم ، وكانت هذه الكراهية فى الكثير من الاحيان لاتقف عند الجانب السلبى بان تحرم على غيرهم من الشعوب الدخول فى دينهم فحسب ، وانما كثيرا ماكانت تاخذ طابعا ايجابيا ، فيطلب اليهود من الههم « ياهوه » ان يصب العذاب الاليم على هذه الشعوب . وان ينتقم منها ، ويبيدها عن آخرها . وليست هذه على الاطلاق روح شعب يستطيع ان يحمل رسالة عالمية ، ويقوم باداتها كما قام المسلمون بنشر رسالتهم العالمية ، رسالة الاسلام .

وسوف نختتم بحثنا هذا بان نقتبس من كتابات العهد القديم مايؤكد طبيعة التعصب والانانية عند اليهود .

١ - تكرر فى سفر نحميا معنى تمييز اليهود العبرانيين وعزل الغرباء من بينهم ، وابطال التزاوج بين اليهود وبينهم فمن ذلك .

« اجتمع بنو اسرائيل بالصوم وعليهم مسوح وتراب ، وانفصل نسل اسرائيل من جميع بنى الغرباء . (اصحاح ٩:١) .

« فى ذلك اليوم قرىء فى سفر موسى فى آذان الشعب ووجد مكتوبا فيه ان عمونيا وموآبيا لايدخل فى جماعة الله الى الابد » (اصحاح ١٣-١) .

« فى تلك الايام ايضا رايت اليهود الذين ساكنوا نساء اشدوديات وعمونيات وموآبيات .. فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم اناسا ونتفت شعورهم واستحلفتهم قائلا لاتعطوا من بناتكم لبنيهم ، ولا تاخذوا من بناتهم لبنيكم ولا لانفسكم .. فهل نسكت لكم ان تعملوا كل هذا الشر العظيم بالخيانة ضد الهنا بمساكنة نساء اجنبيات .. فطهرتهم من كل غريب » (١٣:٢٢-٣٠) وتلك هى العصبية العمياء تخول له ان يفعل مالا يرضى الله .

٢ - يتردد معنى حب الله لبنى اسرائيل وكرهه للشعوب الاخرى حتى فى الاسفار المتقدمة ، كما نجد فى اللاويين (اصحاح ٢٠-٢٣) « ولا تسلكون فى رسوم الشعوب الذين انا طاردهم من امامكم لانهم قد فعلوا كل هذا فكرهتهم وقلت لكم ترثون انتم ارضهم وانا اعطيكم اياها لترثوها ، ارضا تفيض لبنا وعسلا ، انا الرب الهكم الذى ميزكم من الشعوب » وهذه انانية كاتب يهودى ينسبها الى الله زورا وبهتانا .

٣ - ازدادت هذه الروح المتعصبة الانانية عند المتاخرين من كتاب اليهود قبيل المسيح عليه السلام . ولذلك تثبتت تلك الطبيعة فى النفسية اليهودية حتى اليوم ولذلك فلا عجب اذا حاول اليهودى دائما ان يستاثر بدينه . ولا يشجع غير اليهودى على الدخول فيه ، فمن ذلك ان يوئيل يؤكد ان الرب ينصر شعب صهيون وحده الى الابد اما الشعوب الاخرى - وكانه لبس ربها - فينزل بها قضاءه .

« ويجيب الرب ويقول لشعبه ها انذا مرسل لكم قمحا ومسطارا وزيتا لتشبعوا منها .. والشمالى ابعدوه عنكم واطرده الى ارض ناشفة ومقفرة.. فيصعد نتنه» وكذلك قوله عن اسرائيل « وتعلمون انى انا فى وسط اسرائيل وانى انا الرب الهكم وليس غيرى ولا يخزى شعبى الى الابد » ، بينما يقول عن غيرهم من الامم « اجمع كل الامم وانزلهم الى وادى يهوه شافاط واحاكمهم هناك » ، ولم يكن عوفديا اقل تعصبا وانانية حين يتمنى ان يكون بيت يعقوب ابو الاسرائيليين نارا تلتهم بيت عيسو اخيه اى ابناء عمومة اليهود مباشرة فى قوله :

« ويرث بيت يعقوب مواريثهم ويكون بيت يعقوب نارا وبيت يوسف لهيبا وبيت عيسو قشا فيشعلونهم وياكلونهم ولا يكون باق من بيت عيسو » (عوفديا آية ١٧ و ١٨)

٤ - لقد سرت روح التعصب الدينى للقومية حتى الى كتاب الانجيل . فجاء فيه على لسان السيد المسيح عليه السلام عبارات لا تصدق انها تصدر عن نبى او ان يحتويها وحى فمن ذلك ماجاء فى انجيل متى (اصحاح ١٥:٢١-٢٧)

«ثم خرج يسوع من هناك وانصرف الى نواحي صور وصيداء . واذا امراة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت اليه قائلة ارحمنى ياسيد ياابن داود ، ابنتى مجنونة جدا ، فلم يجبها بكلمة . فتقدم اليه تلاميذه وطلبوا اليه قائلين اصرفها لانها تصيح وراءنا فاجاب وقال : لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة فأتت وسجدت له قائلة ياسيد اعنى فاجاب وقال ليس حسنا ان يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب » .

وبعد : فهل هناك ادنى شك فى ان العناية السماوية كانت تهيىء لخاتم الرسل محمد عليه السلام ، ولرسالته الاسلامية الخالدة دورا انسانيا عالميا قام به الرسول الكريم واتباعه من المسلمين - وما يزالون - خير قيام ، بينما لم يرد الله لليهودية الا ان تكون تجربة دينية محلية محدودة ، تهيىء لرسالات تتلوها وتكون اعم منها واكمل واشمل ؟ لقد نعى على اليهود تعصبهم الاعمى لقوميتهم ، ومحاولتهم الاستئثار بدينهم ، وتقصيرهم فى تبليغه الى غيرهم . ولعل القدر اراد منهم هذا التقصير لتكون اليهودية مرحلة جزئية تمهيدا لظهور الرسالة الشاملة رسالة الاسلام خاتم الاديان والله اعلم .

إنسان الإسلام مسئول

٤

الأستاذ ابراهيم عوضين

ومسئولية انسان الاسلام هى مناط حمده وذمه واليها يرجع كماله ونقصه ، فالانسان فى الاسلام مسئول .. ينجو بعمله ـ لابوساطة رجل الدين ، ولا بوساطة آبائه الاولين ـ كما يحمل وزره الذى اكتسبه ، لاوزرا يأتيه من ميراث سابق ، او لعنة سالفة .

« تلك امة قد خلت .

لها ماكسبت ولكم ماكسبتم

« ولا تسألون عما كانوا يعملون » ـ ١٣٤ البقرة ـ

« كل امرىء بما كسب رهين » ـ ٢١ الطور ـ

ومسئولية الانسان هى سر تكريمه وتفضيله

لان المسئولية تقرير لذات المسئول واعتراف بوجوده واعلان عن اختصاصها وامتيازها من سائر الكائنات

« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ـ ١٧ الاسراء ـ

« لقد خلقنا الاسان فى احسن تقويم » ـ ٤ التين ـ

« وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض جميعا منه » ـ ١٣ الجاثية ـ

ولان المسئولية تأكيد لحرية الانسان . ان الحرية شرط للسؤال ، فلا مسئولية على مكره .. وانسان الاسلام يقدم على الشر باختياره ، كما يفعل الخير باختياره ، ولذا فهو مسئول عما يفعل

« كل نفس ذائقة الموت .

« ونبلوكم بالشر والخير فتنة .

« والينا ترجعون » ـ ٣٥ الانبياء ـ

ولان المسئولية تحقيق لفطرة الانسان ، فالانسان مفطور على الاجتماع ، ولن يتحقق مجتمع الانسان من غير مسئولية ، لانها الفارق الوحيد بين مجتمع الانسان وغيره من المجتمعات .. فمجتمع الانسان مترابط متعاون ، ليس ترابط مصلحة ، ولا تعاون حاجة فحسب ، ولكنه الى ذلك ـ ترابط وتعاون يستجيب لفطرة الانسان وطبيعته التى خلقه عليها بارىء الحياة .

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ـ ٢ المائدة ـ

ومناط المسئولية التكليف .

والتكليف فى الاسلام يتناول الحس والمعنى فى انسانه ، فليس مكلفا من لم يبلغ سن التعقل والموازنة والتفضيل ، وليس مكلفا ان لم تسلم له آلة التعقل والموازنة والتفضيل .

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « رفع القلم عن ثلاثة ، عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل » ـ رواه احمد

« لايكلف الله نفسا الا وسعها .. » ـ ٢٨٦ البقرة ـ

وليس مكلفا من لم تبلغه رسالة التكليف .

« وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا » ـ ١٥ الاسراء ـ

« وماكان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا يتلو عليهم آياتنا » ـ ٥٩ القصص ـ

ولقد قدر الاسلام التكليف ـ لهذا ـ حق قدره ، واحله المحل اللائق به ، فكان القرآن كتاب تبليغ واقناع ، تتوافق اركانه مع احكامه ، وتتلاءم عقائده مع عاداته ، وتتناسب حججه مع مقاصده .

لقد قصد الاسلام الى التبليغ قصدا ، ولم يعرض له مصادفة ، او استطرادا . واوضح دليل على ذلك مانراه من توافق بين تمييز الانسان المسلم بالتكليف وبين

خطاب العقل - في هذا الكتاب المحكم - بكل وصف يمكن ان يوصف به العقل ، وبكل وظيفة من وظائفه في حياة الانسان .

ان الاسلام يعرف الانسان التعريف المانع الجامع على وجه الحقيقة حين يجعل مكان انسانه - في القرآن الكريم - اشرف مكان له في ميزان الفكر ، وفي ميزان الخليقة الذي توزن به طبائع الكائن بين عامة الكائنات .

هو الكائن المكلف ..

هو كائن اصوب في التعريف من قول القائلين انه « الكائن الناطق » واشرف في التقدير .

هو كائن اصوب في التعريف من الملك الهابط ، ومن الحيوان الصاعد .. واشرف في التقدير من هذا وذاك

ليس الكائن الناطق بشيء ان لم يكن هذا الناطق اهلا لامانة التكليف .

وليس الملك الهابط منزلة تهدي الى طريق الصعود او طريق الهبوط .

وليس الحيوان الصاعد بمنزلة الفصل بين ماكان عليه وماصار اليه . ولا بمنزلة التمييز بين حال وحال في طريق الارتقاء .

انما الكائن المكلف شيء محدود بين الخلائق بكل حد من حدود العقيدة او العلم او الحكمة ، وحادث من حوادث الفتح في الخليقة موضوع في موضعه المكين بالقياس الى ماعداه .

اي شيء اعجب من تلك الخاصة المحكمة ينفرد بهـا القرآن بين تعريفات الفلسفة وتعريفات الدعوى الدينية

بخاصة التكليف حد الكتاب الذي امتلأ بخطـاب « العقل » بكل ملكة من ملكاته ، وكل وظيفة عـرفها له العقلاء والمتعقلون قبل ان يصبح العقل « درسـا » يتقصاه الدارسون كنها وعملا ، واثرا في داخله وفيما خرج عنه ، وفيما يصدر منه ومايئول اليه

العقل وازع « يعقل » صاحبه عما ياباه له التكليف

العقل فهم وفكر يتقلب في وجوه الاشياء وفي بواطن الامور .

العقل رشد يميز بين الهداية والضلال .

العقل روية وتدبير .

العقل بصيرة تنفذ وراء الابصار .

والعقل ذكرى تاخذ من الماضي للحاضر ، وتجمع العبرة مما كان لما يكون ، وتحفظ وتعي وتبدئ وتعيد .

والعقل بكل هذه المعاني موصول بكل حجة من حجج التكليف وكل امر بمعروف ونهي عن محظور .

« ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون » - ٦٢ يس -

« اولم يتفكروا في انفسهم .. » - ٨ الروم -

« كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » . - ٢١٩ البقرة -

« اولم يروا انا نسـوق المـاء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم .

« افلا يبصرون » - ٢٧ السجدة -

« كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولو الالباب » - ٢٩ ص -

« .. اليس منكم رجل رشيد » - ٧٨ هود

« وحاجه قومه »

« قال اتحاجوني في الله وقد هدان

« ولا اخاف ماتشركون به الا ان يشاء ربي شيئا »

« وسع ربي كل شيء علما »

« افلا تتذكرون » - ٨٠ الانعام

وهكذا يعرفنا القرآن الكريم بكل ملكة من ملكات العقل ، ويطلعنا على وظائفه ، فكل آيات من تلـكم الآيات تلفت نظرنا الى احدى خواصه ومميزاته

١ - ان انسان الاسلام - اولا - مسئول عن ذاته ، يحافظ عليها ويحرسها ، وينقيها مما يصيبها .

ومسئولية الانسان عن ذاته تتناول الزمان والمكان ، والعضو المحسوس والكيان السارى ، والعقل السابح

« ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها » ٢ الاحقاف -

« ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنـه مسئولا » - ٣٦ الاسرا -

« ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون

« حتى اذا ماجاءوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون » -١٩-٢٠ فصلت -

وعن ابي برزة فضله بن عبيد الاسلمي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لاتزول قدما عبد حتى يسال عن عمره فيما افناه ، وعن علمه فيما فعل به ، وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه ، وعن جسمه فيما ابلاه » رواه الترمذي

وعن ابي هريرة - رضي الله عنه - قال : قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « يومئذ تحدث اخبارها » ، ثم قال : اتدرون ما اخبارها ؟ قالوا . الله ورسوله أعلم . قال : فان اخبارها ان تشهد على كل عبد او امة بما عمل على ظهرها ، تقول : عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا فهذه اخبارها . رواه الترمذي

فهي مسئولية فردية . تحرس المكاسب التي اودعها الله الخالق في الانسان ، والتي اقرها الاسلام في انسانه

ا) مسئولية تحرس التوازن في التكوين حتى لاتطغى المادة على الروح ، وحتى لاتهمل المـادة في جواد الروح

« يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا .

« انه لايحب المسرفين

« قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق - ٣١-٣٢ - الاعراف -

ب) مسئولية ترعى الحرية التي فطر الله عليها الانسان ، فكل انسان يهمل حريته ويفرط فيها هو ظالم لنفسه تلومه الملائكة ويعاقبه الله

« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض .

« قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها .

« فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا » - ٩٧ النساء -

جـ) مسئولية فردية تجرد الاسلام من التواكل والتكاسل وتدفعه الى العمل .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » -١٠٥ التوبة -

وهى فى تجريدها الانسان من التواكل - لاتتناول انسان دون انسان ، ولكن الجميع سواء حتى لو كان هذا الانسان رسولا نبيا

« يايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم » - ٥١ المؤمنون -

وهى لاتدفع الانسان الى اى عمل ، انها ترسم من العمل احسنه ، وتوحى الى الانسان به

« انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا » - ٧ الكهف

د) مسئولية فردية توجه الانسان الى رسالة الانسان فى الحياة ، اذ بدون المسئولية لن يقوم الانسان بدور الخليفة - وتلك رسالته - لان الخلافة تكليف والتكليف - كما قلنا - مناط المسئولية

« وهو الذى جعلكم خلائف الارض - ١٦٥ الانعام -

ولقد ظن الملائكة ان باستطاعتهم القيام بتلك المهمة - مهمة الخلافة - فنبههم الله الى الحقيقة ، وارشدهم الى ان الخلافة تحتاج الى التكليف ، الذى يعتمد على العلم ، وتناط به المسئولية .

« واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة .

« قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك

« قال انى اعلم مالاتعلمون .

« وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين .

« قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا .

« انك انت العليم الحكيم » -٣٠-٣٢ البقرة -

فانسان الاسلام لابد من ان يتعلم ، لانه مسئول ، ومسئوليته عن ذاته تلزمه ذلك وتوجبه عليه

ومن ثم بين الله - سبحانه - منزلة الانسان العالم ، ليلفت نظره الى اهمية العلم والتعلم .

« يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير » - ١١ المجادلة -

ومن ثم حثه - سبحانه على التعلم .

« فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين » - ١٢٢ التوبة -

« فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون » - ٤٣ النحل

٢ - وانسان الاسلام - ثانيا - مسئول عن غيره - ممن يشاركه الحياة ويقاسمه الارض - مسئولية تتناول شتى مناحى الحياة ، فتضمن لها الاستقرار ، وتضمن لمن يعيشون الامن والاطمئنان .

فانسان الاسلام مسئول عن غيره مسئوليته عن ذاته ، لانه وغيره يكونان بنية واحدة هى ذات المجتمع .

فمسئوليه الانسان عن غيره - فى واقع الامر - انما هى مسئوليه انسان عن كيانه . لان الاجتماع فطرة انسانيه ، والمحافظة عليه محافظة على تلك الفطرة ، فاذا كانت مسئولية الانسان عن ذاته تهدف الى تحقيق ذات الانسان فى ادق معانيها ، فان مسئولية الانسان عن الذوات الاخرى تهدف الى تحقيق ذات الانسان فى اجل معانيها واعظم صورها

ا) هى مسئولية .. تقى الانسان الخسران ، وترشده الى الطريق الناهض

« والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصو بالحق وتواصوا بالصبر» سورة العصر

ولا عذر لانسان فى التحلل من تلك المسئولية ، فكل انسان مسئول على حسب وضعه فى مجتمعه ، لافرق بين رجل وامراة ولا بين سيد وخادم ، عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته

« الامام راع ومسئول عن رعيته

« والرجل راع فى اهل بيته ومسئول عن رعيته .

« والمراة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها

« والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته .

« فكلكم راع ومسئول عن رعيته » - متفق عليه ومسئولية كل انسان على حسب مايقدر

عن ابى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « من راى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان » رواه مسلم

وتغيير المنكر بالقلب شحنة تثير الوجدان فى مقابلة هذا المنكر حتى يظل على ذكر من انه منكر ، وذلك ضمان لعدم شيوعه وانتشاره ، وصيرورته - بمرور الزمان - حقيقة معترفا بها يقرها المجتمع .. فالمنكر منكر ، ولا تتغير حقيقته بكثرة مرتكبيه ، لان الاسلام لايعنيه الكم بقدر مايعنيه الكيف ، ولان المنكر فى الاسلام - ليس امرا نسبيا .. ماينكر اليوم قد يقر غدا .

انما المنكر امر ضار يلحق بالمجتمع وبالفرد الاذى محققا .

ب) مسئولية - تحفظ للانسان حريته .. وانسان الاسلام ليس فردا بعينه ، ولكنه كل انسان يسلم وجهه لله

فلكل انسان مسلم بل على كل انسان مسلم ان يمنع عن نفسه الاذى ، ولا حق لآخر فى ان يحول بينه وبين ذلك الواجب بحجة حريته فى امتاع نفسه ، لان حرية الامتاع مكفولة -كما قلنا سابقا - فى حدود منع الضرر والضرار ، فحرية الانسان فى منع

الاذى مقدمة على حريته فى تحقيق النفع - على التسليم بان هناك نفعا حقيقيا يجلب اذى -

عن النعمان بن بشير - رضى الله عنهما - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين فى اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا !

« فان تركوهم وماارادوا هلكوا جميعا ، وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا » - رواه البخارى

د : مسئولية .. تغرس فى نفس الانسان حب الذات الانسانية ، فيحب الانسان اخاه الانسان ، ويعاونه على الخير ويدفعه عن الشر .

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب » - ٢ المائدة .

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : « المسلم اخو المسلم لايظلمه ولا يسلمه . من كان فى حاجة اخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج على مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » متفق عليه

) مسئولية .. تبعث فى الانسان روح الجماعة الفطرية ، وتقضى على استبداد الفردية به ، فيقدم من الاعمال مايضحى فيه براحته ليريح المجتمع ويخلصه من كل سوء يعترضه

فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا الاخرة .

« ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف ؤتيه اجرا عظيما .

« ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » - ٧٤-٧٥ النساء

والانسان الذى يضحى بنفسه من اجل اخوانه - لانه مسئول عنهم - يضحى بمتعته من اجل اخوانه - كذلك فلا يرتشى ، ولا يهمل ، ولا يغتصب ، ولا يغش ولا يخدع .. ولا .. ولا .. لان صانع واحدة من تلك لايحس بالمسئولية ، ولا يعرف عنها شيئا .

ان مسئولية انسان الاسلام عن غيره مسئولية يناط بها كيان مجتمع باسره ، وتقوم عليها نهضة امة بشمولها .

« كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .. » - ١١٠ آل عمران

ان مسئولية انسان الاسلام عن غيره مسئولية يرجى من ورائها الفلاح والرحمة ، وتقوم عليها العزة والغلبة

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » -١٠٤ آل عمران

هـ) مسئولية .. تقى المجتمع الانهيار ، وتصونه من الضياع ، لان كل انسان فيه يحس ان المجتمع مجتمعه ، وانه - حين يبنيه - انما يبنى ذاته فى صورتها الكبرى

وليؤكد الاسلام لانسانه تلك الحقيقة ذكر له من السابقين امثلة تبين أثر الفردية فى الفرد والمجتمع .

« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم .

« ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

« كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه .

« لبئس ماكانوا يفعلون - ٧٨-٧٩ المائدة

« فلما نسوا ماذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون » - ١٦٥ الاعراف

وعن حذيفة - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « والذى نفسى بيده لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » - رواه الترمذى

ان الاسلام حينمايحمل انسانه بالمسئولية ، انما يحمله بامر بالغ الخطورة ، وفارق كبير بين سهولةالنطق بها ، وصعوبة التمرس عليها ، فالمسئولية - بنوعيها الفردى والجماعى - لايحملها الا انسان بعينه ، وليس كل انسان بمستطيع حملها ، لانها تطلب منه جهدا وطاقة .. غير ان هذا الجهد ، وتلك الطاقة انما هما تفسير وتفصيل لرسالة الانسان فى الارض ، ومهمته فى الحياة

ولذلك لم يكن من باب الاغراء او الزينة - فى اللفظ - قولنا ان مسئولية انسان الاسلام هى مناط حمده وذمه واليها يرجع كماله ونقصه ، اذ المسئولية امانة الله حملها الانسان وامتاز بحملها من سائر خلق الله

ولقد لاحظ ذلك المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد فى حديثه عن الامانة فى كتابه « الانسان فى القرآن الكريم » فقال : « اما الامانة التى عرضت على الخلق عامة فحملها الانسان ولم يحملها احد من خلقه ، فهى اعم من المناسبات الخاصة ، والمناسبات العامة بالنسبة الى احكام التبليغ لان الامر فيها امر التكوين والاستعداد بالفطرة التى فطر عليها العاقل وغير العاقل ، واستعد لها الحى وغير الحى ، والمخاطب بالتبليغ وغير المخاطب .. وفى هذا الموضع من القرآن الكريم ذكرت هذه الفطرة مقرونة بفطرة الخليقة كلها ، وذكرت ومعها صفة الانسان التى تخصه بين عامة المخلوقات حين يتقبل اعباءها ويحملها ، وماكان ليحملها الا ان يتعرض لتبعاتها فهو ظلوم جهول ، ظلوم لانه يتعدى الحدود وهو يعرفها ، وجهول لانه يتعدى تلك الحدود وهو لايعلمها ، وعنده امانة العقل التى تهديه الى علمها .. وما من كائن غير الكائن العاقل يوصف بالظلم والجهل ، لان غير العاقل لايعرف الحد الذى يتعداه ، ولا تناط به معرفة الحدود ، وانما يوصف بالظلم والجهل من يصح ان يوصف بالعدل والمعرفة ، ومن يصح ان يسال عن فعل يريده فى الحالين »

قال تعالى : « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا »

الاشتراكية الناصرية

الأستاذ محمود فتحي عمر

كانت كلمة الاشتراكية قبل ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ غير مألوفة على أسماع المصريين . كانت قلة من شباب الطليعة هم الذين قرءوا عن الاشتراكية ، الاشتراكية التى نشأت فى الغرب والتى فكر فيها كارل ماركس وانجلز ونفذها لينين وستالين ، ولم يكن يدور فى خلد أولئك الذين آمنوا بهذه الاشتراكية أن الاشتراكية المثلى هى الاشتراكية التى تنبع من روح البلاد وتقاليدها ، وأن الاشتراكية كأى نظام آخر لايمكن استيراد وانما من الممكن خلقه واستنباته .

وليس هناك مرجع علمى يمكن الرجوع اليه فى فهم قواعد هذه الاشتراكية الجديدة الا اقوال الرئيس عبد الناصر ذاته .. لقد تكلم الرئيس فى كثير من المناسبات عن الاشتراكية وتكلم عن كثير من المسائل التىتشملها. كما تكلم عن مفاهيم الحرية والديمقراطية والتاميم والتنمية الاقتصادية وغير ذلك من تفييرات تتصل بمبدأ الاشتراكية الناصرية أو الاشتراكية العربية . ومن هنا فسوف تكون دراستنا لهذه الاشتراكية دراسة لاقوال الرئيس عبد الناصر وتحليل لها ، ونرجو الله ان يعيننا على هذا البحث ، فلقد لبست الاشتراكية اغلب ثيابها . وبدأ التطبيق الاشتراكى على أشده واصبح المجتمع مستغرقا فى تجربته الاشتراكية .

المجتمع السابق للاشتراكية :

قال الرئيس جمال عبد الناصر :

« اننا نواجه مشاكل عديدة ورثناها من عصور الظلم الاجتماعى منها الاقتصاد الضعيف وقلة الانتاج والدخل المنخفض للفرد والبطالة ، والبطالة الموسمية والاعتماد على الدول الاجنبية فى استيراد الآلات والخبرات الفنية » .

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

« يجب الا ننسى أننا مجتمع قاسى من التنافر بين الطبقات بمعنى أنه كانت عندنا طبقة اقطاع .. طبقة مستغلة وطبقة تستغل راس المال للسيطرة . ورثت هذه الطبقة هذه الامكانيات وكان عندنا طبقة مستغلة وطبقة لم ترثها ولم يكن أمامها الا الكفاح والجهاد فى سبيل أن تاخذ مكانها الطبيعى فى البلد وهذا يتغير بالعمل والعمل المثمر » .

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

المجتمع الذى كنا نعيش فيه ، كان مجتمعا ينقسم الى طبقتين .. طبقة السادة ، وطبقة الحكام وطبقة العمال وطبقة الفلاحين .. طبقة الاجراء . الطبقة التى كان الواحد فيها يجب أن يعمل لياكل . الطبقة التى كان الواحد فيها يجب أن يوفر فيها لابنه العمل لياكل لان ابنه لن يستطيع باى حال أن يكون عاطلا بالوراثة كما كان أبناء الطبقة الاخرى دائما يكونون عاطلين بالوراثة » .

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

« كان هناك طبقتان ، ولا نستطيع أن نقول اننا كنا نعيش فى مجتمع بدون طبقات .. كان هناك طبقة مستغلة .. كان هناك طبقة مسيطرة .. كان هناك طبقة متحكمة .. وكان هناك طبقة تعمل وتبذل كل جهدها لتستفيد من تلك الطبقة التى تمثل أقلية هذا الشعب » .

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

« قلنا ان المجتمع منقسم الى طبقتين .. طبقة الملاك المستغلين الراسماليين .. وطبقة الاجراء »

« والملاك المستغلون الذين اقصدهم هنا ليسوا كل الملاك ، ولكن المالك الذى يستغل ملكيته حتى يحقق

اكبر قدر من الارباح على حساب الشعب ، وكانت هناك طبقة الاجراء التى تمثل العامل .. وتمثل الفلاح .. وتمثل الموظف .. وتمثل كل من ياخذ اجرا ليعيش ، كل من يعمل من اجل ان يعيش » .

« والاقطاع والطبقة الراسمالية جعلت من الحكم دائما أداة فى يدها لتحقيق اغراضها لحماية مصالحها ولاستغلال الاجراء ومنعهم من المطالبة بحقهم »

وقال الرئيس :

« لقد كان مجتمعنا فى حاجة الى الموازين الواضحة من العدل . فى الماضى كانت تنزع ملكية الفلاح الصغير ويطرد من بيته ويطرد من قريته . الشعب الكريم ، الشعب العادل ، الشعب المنصف .. لم يرد أبدا ان ينتقم ولكنه كان يريد حقه .. كان يريد الانصاف .. يريد الانصاف لنفسه ولغيره . الشعب الذى قاسى سنين طويلة تبلغ مئات السنين ، الشعب الذى كافح من اجل الحصول على حقوقه ومن أجل الحصول على عدالة اجتماعية حينما وجد الفرصة ليسترد هذه الحقوق كان كريما عادلا وكان متمسكا بالوحدة الوطنية . لم ياخذ الحقد قلبه ولم ياخذ الحقد نفسه ، ولكنه تمسك باطار الوحدة الوطنية » .

وقال جمال عبد الناصر :

« لقد قاسينا فى الماضى ، قاسينا الكثير ، قاسينا من الاقطاع ، وقاسينا من دكتاتورية راس المال ، وقاسينا من الاستبداد السياسى ، وقاسينا من الظلم الاجتماعى ، حتى قبل قيام الثورة باشهر قلائل كان الشعب يثور ليسترد حقه فى الانسانية .. ليسترد حقه فى ان يعيش كآدمى .. يسترد حقه فى أن يعامل معاملة الانسان . ولكن الاقطاع كان يتحكم .. وكانت فى يده السلطة السياسية . كان الشعب بيتحبس فى الاسطبلات . الفلاحين كانوا بيحبسوهم فى الاسطبلات . الفلاحين كانوا بيجلدوهم فى القرى . الفلاح ما كانش بيقدر باى حال من الاحوال ان يحصل على أرضه . قبل الثورة بثلاث او اربع أشهر قام الفلاحون فى كفور نجم علشان يطالبوا بحقوقهم الادمية فماذا كانت النتيجة ؟ قتلوا وشردوا وعوملوا أسوأ معاملة .

« وكان الشعب فى هذا يطالب بحقه فى الحياة .. حقه فى الحياة كانسان له حق الانسان وله حرية الانسان .. حقه فى المساواة ، ولكن هل اعترف الاقطاع بهذا الحق للانسان ؟ وهل اعترفت دكتاتورية راس المال بهذا الحق للانسان ؟ وهل اعترف الاستعمار بهذا الحق للانسان ؟ لم يعترفوا أبدا ولم يستكن الشعب ايضا ابدا . بل كافح وكافح حتى قامت ثورته فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ » .

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

« أنا زرت كوم امبو من ٥ سنين ، زرت مصنعا هناك ورايت العمال فى فترة الغذاء ، كان العامل ياكل رغيف عيش شمسى وبصل ، ونزلت ورأيتهم كلهم ياكلون بهذا الشكل ، هل هذه حياة نرضى بها ؟ وهل هذه حياة يقبل احد ان يعيش فيها ؟

« غير ممكن باى حال من الاحوال . أين كانت تذهب الارباح ، أرباح الارض .. أرباح المصانع .. أرباح عرقنا وارباح هؤلاء الناس ، كانت تذهب الى فئة قليلة من الناس .

« الدخل مئات الالوف تستخدم لتصنع دخل آخر من مئات الالوف ، والعامل كان ياخذ اجرا يطعمه عيشا أو عيش وبصل أو عيش وأى أكل له ولاولاده .. هل هذا معناه عدالة اجتماعية أو ظلم اجتماعى ؟ هـذا الظلم الاجتماعى ضد الدين وضد الانسانية وضد طبيعة البشر . هل الشعب عندنا هنا رضى بهذا طوال السنين التى فاتت ؟.. لم يرض ابدا . كان يثور ضد الاقطاع لان الظروف كانت واحدة ، وكانت المعاملة واحدة ، ولانه كان يريد أن يشعر بحقه فى انسانيته ويشعر بحقه فى بلـده ويشعر انه ليس خاضعا لصاحب ارض يتحكم فيه أو يطرده أو يستغله . هذه هى الظروف التى كنا فيها .. هل ممكن ان نقبل ان نسير بهذا الشكل ؟.. لا نقبل باى حال من الاحوال » .

وقال جمال عبد الناصر :

« لم تكن شريعة العدل وشريعة الله تسمح للقلة من ابناء الوطن أن تحتكر الكثرة من ثروته لها وحدهـا وحرمانا للاغلبية صاحبة الحق الشرعى بكونهـا اغلبية .

« لم تكن شريعة العدل شريعة الله تسمح بان تكون الارض الزراعية فى وطننا هى أساس الثروة الوطنية وقاعدتها الاولى ملكا لقلة صغيرة من الناس يملكون فيها كل شىء ، ولا يملك غيرهم منها الا القليل الضئيل . ثم لا يكون امامهم الا أن يصبحوا عبيدا للارض ولسادة الارض من كبار الملاك .

« لم تكن شريعة العدل شريعة الله تسمح بان تكون المصانع كلها فى بلادنا حكرا لظروف مروعة من الاستغلال لا هم لها الا أن تزيد غناها على حساب افقار الجماهير

« لم تكن شريعة العدل ، شريعة الله ، تسمح بان يكون الغنى ارثا وبان يكون الفقر ارثا وبان تكون الصحة ارثا ويكون المرض ارثا ، وبان يكون العلم ارثا وبان يكون الجهل ارثا .. بل بان تكون الكرامة الانسانية ارثا وبان يكون الذل الانسانى ارثا .

« ان شريعة العدل ، شريعة الله ترفض ذلك وتاباه .

« وترفضه وتاباه شريعة الحرية فى معناها الاجتماعى وبدون ضمانه على الاساس الصلب المتين ، لاتعود للحرية السياسية قيمة ولا يصبح لها أى وزن »

هذه الكلمات التى أخذناها عن الرئيس تصـور مجتمعنا قبل الثورة بصورة قاتمة .. ولقد عشنا هذه الصورة . ان معظم شبابنا فى الوقت الحاضر لم يرهذا العهد ولم يدركه . لذلك جدير بنا ان نرسم له الصورة من أقوال الرئيس ومما نعرفه عنها .

كان المجتمع المصرى فى الريف عجيب التكوين ... هناك السادة وهم العائلات الكبيرة التى تملك معظم ثروة القرية يمتد أفرادها ليقتنصوا كل منصب له نفـوذ فللعائلة مكان فى العمودية ولها مكان فى لجنة الشياخات ولها عضو فى مجلس النواب وعضو فى مجلس الشيوخ . ولها اعضاء فى كل حزب من الاحزاب التى كانت بالبلاد حتى يكون شفيعها اذا ما تولى هذا الحزب الحـكم فى يوم من الايام .

وكان لبعض هذه الاسر أيضا مكانها وسط الشركات الاجنبية التى كانت تسيطر على حياة البلاد ، فكانت تستاثر ببعض السلطة نتيجة وجودها الى جوار السلطة الاجنبية التى تتحكم فى اقتصادنا وتسيطر عليه تماما .

وكان الى جانب هذه العائلات جميعا الالوف من القرى والملايين من البشر . لا تستطيع قرية أن تخرج عن الامر الذى تصدره العائلة الكبيرة . ولا يستطيع فرد من الملايين العاملة أن يرتفع له صوت امام أى عضو من أعضاء هذه العائلة الكبيرة التى تسيطر على ناحيته والا كان مصيره العذاب والاضطهاد واذا لم يكونا هذان كافيين لردعهم فان النفى من البلد او الانتقال الى رحمة الله هى أقصر السبل المتبعة بعد ذلك .

لقد كانت سطوة هذه العائلات تمتد حتى الى التأثير على العدالة والقضاء ، فلم يكن هناك أحد يستطيع أن يشهد بواقعة لا تكون فى مصلحتها . ولم يكن هناك أحد يستطيع أن يقف وقفة العدل اذا كان هذا العدل لا تريده هذه العائلة .

لقد كان زعماء هذه العائلات يسيرون فى الارض مدججين بالسلاح يحوطهم الاتباع والانصار الذين يعيشون على فتات موائدهم . كنت تستطيع أن تميز الرجل الذى ينتسب الى العائلة من العبيد الذين ينتشرون فى كل مكان بفارق بسيط هو أن الاول يمتاز بالتغذية الكاملة بل المتخمة تظهر على كبر بطنه وعلى احمرار بشرته ، بينما أن الملايين من هذا الشعب تفتك بهم الامراض المختلفة وفى مقدمتها أمراض سوء التغذية .. كان الاول يموت من التخمة وكان الثانى يموت من الجوع .

ولقد كانت هناك عينات اخرى من العائلات الكبيرة فى الريف .. تلك العائلات التى كانت تنتسب الى غير مصر . لقد كانوا من ابناء المماليك وابناء الاتراك الذين وفدوا على مصر وسلبوا ارضها وتولوا الحكم فيها وبقيت من سلالات هؤلاء الناس سلالة تفاخر بأنها من اصل تركى كأنما الاصل التركى عقيدة مقدسة يجب ان يخضع لها الناس . او كأنما هو وثن من اوثان الجاهلية التى يجب ان ينحنى لها تمجيدا او اعظاما .. البشر فى كل مكان .

لقد كان هؤلاء الناس يتفاخرون بانهم يلبسون الملابس الاجنبية بل وبأنهم يصنعونها فى مدن اوربا . وبلغ الفجر بالكثير منهم أن يرسل بذلته كى تكوى فى لندن ثم تعود ليلبسها فى القاهرة .

لا تظنوا أن فى هذا القول مغالاة بل ان الواقع كان اقسى من ذلك بكثير . اننى اذكر ان احد هؤلاء الذين كانوا ينتسبون الى تلك العائلات الاقطاعية بلغ من العمر واحدا وعشرين عاما وما ان تسلم ثروته حتى اضاع منها فى عشرة شهور مائتى الف جنيه . وثار اهله ورفعوا الامر للمحكمة كى تحكم بالحجر عليه . ولم يكن فى عقل هؤلاء الناس اية تفكير بحماية الشخص ولكن الشىء المهم كان هو حماية المال الذى تستمد منه الاسرة النفوذ والسلطان .

قلنا قبل ذلك ان هذه الاسر الاقطاعية كانت تتحكم فى الريف فكانت تفرض ماتشاء من اجور على الفلاحين الذين يعملون فى أراضى افرادها . وكانت ايضا تفرض ما تشاء من ايجارات على الذين يريدون أن يستاجروا اراضى يملكها افرادها . ولم يكن هذا هو المظهر الوحيد بل كانت ترسل ابناءها الى المدارس الاجنبية يتعلمون فيها على أيدى اجانب لا يهمهم هذا الوطن ولا ما يجرى فيه من احداث . فكانت هذه الطبقة تظهر فى المجتمع متميزة بتقاليد اجنبية وتتملكها روح الانانية والغطرسة . ولقد كان هذا التعليم يؤهلهم لشغل المناصب الكبيرة فى الحكومة ومن هنا يزيد سلطان العائلة ويشتد لان منها من يصبح وزيرا او سفيرا .

اذكر أن شركة قناة السويس حين كان يسيطر عليها الفرنسيون والانجليز لم يكونوا ليسمحوا لاى عامل مصرى فيها الا فى الوظائف الحقيرة . ولكن لقد استثنى مديروها ثلاثة من المصريين ليعملوا بين الموظفين ويحصلوا على ما يبلغ من نحو اربعمائة جنيه شهريا لا لشىء الا لان هؤلاء الثلاثة كانوا من أقارب حكام مصر الذين تفرعوا من هذه الاسرات الاقطاعية الكبرى .

واذا نظرت الى بنوكنا وشركاتنا فى هذا الزمان الاغبر لرأيت عجبا . كان الشبان الذين يخرجون من بين الشعب ويتعلمون حتى يتخرجون من المدارس العليا يعملون فى هذه البنوك ، وفى هذه الشركات بمهايا تبدأ بأربعة جنيهات فى الشهر ، هذا وانا متأكد من حدوثه فقد حدث فى عام ١٩٣٥ ان عين عشرة من خريجى كلية التجارة بالبنك الاهلى المصرى ، وقد عين هؤلاء الخريجين بمرتب اربعة جنيهات فى الشهر . ولا يمكن لهؤلاء الشبان ان يبلغوا المناصب الرئيسية التى كانت محجوزة للاجانب سواء كانوا انجليز او فرنسيين او طليان الا اذا كانوا من ابناء هذه الطبقة الاقطاعية المسيطرة على جنبات الوادى . فحينئذ وحينئذ فقط « تفتح لهم الابواب وتنشأ لهم المناصب والمراكز » .

أما فى المدن فكان الحل اعجب من هذا فقد كان ابناء الفقراء يتوارثون المهن الصناعية اليدوية من نجارة وحدادة وصناعة الاحذية وبرادة وسروجية وغير ذلك من الحرف .

وكان هؤلاء جميعا يعملون فى هذه الحرف دون تعليم وكان القليل من ابناء الطبقة الفقيرة هم الذين يستطيعون ادخال ابنائهم المدارس . وحتى اذا دخلوا فلم يكونوا يستطيعون الا اكمال الدراسات الابتدائية او الثانوية على الاكثر . أما الجامعة فلم تكن الا لطبقة الاثرياء ومن يسعده الحظ من طبقة المتوسطين والفقراء . وكان أغلب الناس يتمنون الخدمة فى الحكومة لا لانها تدر عليهم دخلا طيبا او مركزا اجتماعيا محترما ولكن لانها المجال الوحيد المفتوح امامهم .

وكانت هناك طبقة من الاثرياء المصريين تعمل بالتعاون مع اصحاب الاموال الاجانب . وكانت هذه الطبقة تستغل الثروة المصرية . كانت هذه الطبقة تعيش فى جو عجيب تعقد الصفقات الضخمة التى تدر الملايين ويعيش ابناؤها فى حفلات ماجنة حتى حفلات الخير انقلبت الى بؤر وحانات . لقد كان ابناء هذه الطبقة يستكثرون ان تطلب منهم الحكومة - ايا كانت هذه الحكومة - الضرائب على اموالهم . بل وكانت تكون سدا منيعا يقف ضد تيار الرغبات الاصلاحية فى ميادين الضرائب . لقد وقفت هذه الطبقة فى وجه ضريبة التركات ووقفت فى وجه الضريبة التصاعدية ووقفت فى وجه ضريبة الايراد العام . ولما استطاع الدفع الثورى ان يرغمها على قبول هذه الضرائب خرجت معظمها قبل الثورة راكدة ساكنة لا حياة فيها .

ولقد مارست البلاد الديمقراطية قبل الثورة ولكنها كانت ديمقراطية الاقطاع والرأسمالية . لم يكن أحد من المجاهدين او من المؤمنين بالحرية وبالدستور يستطيع أن ينجح فى الانتخاب الا اذا فرش الطريق امامه بالنقود . ولما لم تكن هذه النقود متيسرة له فقد كان الطريق خاليا امام من عنده نقود . ولم يكن هؤلاء الا طبقة الاقطاع وطبقة الرأسمالية .

ومن أجل هذا بدأ الشعب المصرى كما يقول « الميثاق » يتأهب لاستئناف دوره التاريخي حتى قبل أن تنتهى الحرب العالمية الثانية وقبل أن تنزاح الاشباح الكئيبة لدبابات الاحتلال عن مدنه الكبرى .

ولقد عبر الشعب المصرى برفضه العنيد أن يشترك فى الحرب التى لم تكن فى الا صراعا على المستعمرات والاسواق .. بين العنصرية النازية وبين الاستعمار البريطانى الفرنسى الذى جر على البشرية كلها ويلات لا حدود لها من القتل بالجملة والدمار الشامل ، لقد رفض الشعب المصرى كل الشعارات التى رفعها المتحاربون أعلاما فوق رؤوسهم ليخدعوا بها الشعوب . وسحب الشعب المصرى كله البقية الباقية من تأييده للذين تعاونوا مع سلطة الاحتلال طمعا فى مكاسب السوق السوداء التى فرضتها الحرب وظلالها القاتمة . وعمت الشباب المصرى موجة من السخط والغضب على كل الذين مدوا أيديهم للاحتلال وقبلوا وجوده .

ولقد ترددت فى مصر فى ذلك الوقت اصداء طلقات الرصاص وتجاوبت اصداء انفجارات القنابل ، وكثرة التنظيمات السرية بمختلف اتجاهاتها واساليبها .

لم تكن تلك هى الثورة وانما كان ذلك هو التمهيد لها .

كانت تلك هى مرحلة الغضب التى تمهد لاحتمالات الثورة .

ان الغضب مرحلة سلبية .

ان الثورة عمل ايجابى يستهدف اقامة اوضاع جديدة .

ان غضب الشعب المصرى الممهد للتغيير بدأ يجاوز النطاق الفردى الى النطاق الجماعى .

ان ثورات الفلاحين ضد استبداد الاقطاع وصلت الى حد الاشتباك المسلح بين الذين ساروا على عبودية الارض وبين سادة الارض المتحكمين فيها . وفى اقدار الذين ارتبطت حياتها بها منذ أقدم العصور وان كانوا منذ اقدم العصور قد حرموا منها .

وحريق القاهرة ـ مهما يكن وراءه من تدبير المديرين ـ كان يمكن اطفاءه لكن ثورة السخط الشعبى زادته اشتعالا .

ان الفئة المتحكمة فى العاصمة لم تكن تشعر باحتياجات الشعب وكانت غارقة فى حياتها المترفة لا تشعر بعذاب الجموع او الامها .

ان شرار الغضب أشعل من الحرائق فى القاهرة اكثر مما اشعلت يد التدبير الخفية التى بدأت عملية الحريق .

ان الجماهير فى القرية وفى المدينة كانت قد عبرت بما فيه الكفاية عن ارادتها الحقيقية مع مطلع السنة الحاسمة فى تاريخ مصر ... ١٩٥٢ .

نقف عند هذا الحد فى هذا المقال ونستمر فى المقالات القادمة ان شاء الله عن الحديث عن الديمقراطية او الاشتراكية الناصرية . فالى اللقاء .

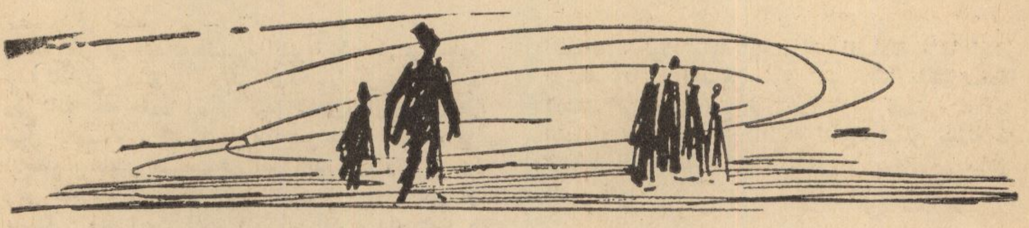

الهجرة كما فهمها الأولون

الدكتور سعد الدين الجيزاوى

لقد كان فى احداث السيرة النبوية مايحمل على اتخاذه مبدا للتاريخ الاسلامى ، ولكن كان اختيار عمر بن الخطاب رضى الله عنه حادث الهجرة مبدأ لذلك التاريخ كان من قبيل الالهام ، فكثيرا ما كان عمر يلهم الصواب فى الاحكام ، كالذى حدث فى اسرى بدر حين راى ابوبكر رضى لله عنه ان تؤخذ منهم الفدية ، ورأى عمر ان يقتلوا • وقد ايدت آيات الكتاب الكريم رأى عمر : « ماكان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا ، والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم • لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم »

ان حادث الهجرة حادث يتكرر ويتجدد وفى تكراره وتجدده نشر هذه الدعوة الكريمة واظهارها والمحافظة عليها • فكلما كان هناك اضطهاد للعقيدة وكلما كانت قسوة او استضعاف ، كان فى ميدان الهجرة متسع لمن اراد ان يحيا حياة كريمة ويشعر بقيمته كانسان ، ولولا تلك الهجرات الاولى ، وماقصد اليه الذين هاجروا من بلاد العرب عن رغبة صادقة فى نشر مبادىء الاسلام ، واعلاء كلمة الحق ، واشاعة الحرية الحقة ، والعدالة ، والمساواة بين الناس ، ثم كف ايدى الاقوياء عن الضعفاء ، لولا تلك الهجرات الصادقة ، ما انتشر الاسلام وماكان احد من ملوك تلك الاقطار التى سادها الاسلام فى حوالى ربع قرن من تاريخ ظهوره - على استعداد لان يذهب الى المدينة المنورة ليعلن تنازله عن سلطانه الى خليفة المسلمين ، أو ان يدخل فى مبادىء الدين الجديد •

لقد نظر الرعيل الاول من المسلمين الى الهجرة على انها تشريع يتبع ، وقدوة يسيرون على نهجها ، فانساحوا فى بقاع الارض غير باغين ولا ظالمين ، ولا طامعين ولا متجبرين ، وانماكانوا يحملون مبادىء العزة والكرامة ، رغبة فى ان ينشروا الوية الحق ويطمسوا معالم الظلم ، وقد كانوا يحملون ارواحهم على اكفهم غير مبالين بما يصيبهم من نصب ومشقة فى سبيل ارضاء ضمائرهم واستجابة لنداء ربهم الذى وعدهم الحسنى ان هم صدقوا ، ولقد وجدوا فى آيات الكتاب الكريم مايجعلهم يسارعون الى الهجرة والجهاد فى سبيل الله فى مثل قوله تعالى : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما » •

فهل الهجرة بهذا المعنى الا دعوة الى ترك وطن حبيب، والخروج للجهاد .. فى سبيل الله ؟ الا لخير البشرية وتحطيم الموازين التى يقيمها الطغاة لاستضعاف خلق الله ؟ وهل عرفت البشرية اعدل من الموازين التى جاء بها الاسلام فى نظم المجتمعات واعتبار اقيم الانسانية للافراد ؟ تلك المبادىء التى هاجر بها اولئك الابرار الاولون الى اقطار كثيرة من الارض كان يعمها الجور ، ويغمرها الظلم ، ويرتع فيها الفساد ، ويستبد فيها الاقوياء ، وتهدر فيها كرامة الانسان .

ان اولئك المهاجرين الابرار لم يقفوا مكتوفى الايدى امام قوى الطغاة او يخشوا جبروتهم ، بل انهم كانوا قد كافحوا وصبروا ، ولقوا فى سبيل اعلاء كلمة الحق ما لقوا من صعاب تغلبوا عليها ، فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا حتى انتصروا وازالوا معالم الظلم ، ودكوا صروح الطغيان ورفعوا الوية الحق عالية ، واصبحت كلمة الله هى العليا ، وبقى كتاب الله الكريم يتلى فى تلك الاقطار الشاسعة الى يومنا هذا وسيبقى الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، منارة يستضاء بها فى حالك الظلمات ، ومد لهم الحادثات وسيظل كذلك مقياسا لعظمة الشعوب الاسلامية ومدى فهمها للحياة الكريمة ، فايما شعب ملك سبيله واهتدى بهديه فقد عرف سبيل الرشاد .

لقد ركز القرآن فيما ركز من توجيهاته العليا الايمان بالمسئولية الشخصية ، ثم عقيدة البعث والجزاء فى كثير من آياته مثل : « كل امرىء بما كسب رهين » ولا تزر وازرة وزر اخرى » « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين » « يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها ، وتوفى كل نفس ماعملت وهم لا يظلمون »

وهل فى دعوات السابقين واللاحقين الى تطهير النفوس البشرية وكفكفة مايعتريها من وحشية الطباع مايصل اثره الى ماتتركه آيات القرآن الكريم فى امثال تلك التوجيهات ؟

ثم قرأ المسلمون الاولون مثل قوله تعالى : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين فى الارض قالوا : الم تكن ارض الله واسعة .. فتهاجروا فيها .؟

وسمعوا قول النبى صلى الله عليه وسلم : « من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض ، استوجبت له الجنة » وكان رفيق ابيه ابراهيم ، ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام « وفهموا من ذلك ان اقامة الدين امر واجب ، لا يقبل فيه عذر لمعتذر . وانه على المؤمنين ان يجاهدوا ما استطاعوا فى اقامة شعائر دينهم ومبادئه ، فان خشى مسلم الفتنة ترك مكانها الى غيرها لا للامن والاستسلام والدعة بل للتمكن من اقامة الدين واعزازه ونشره والجهاد فى سبيله .

ولقد جاءت تشريعات الاسلام بكثير من الرخص فى العبادات تيسيرا على من يهاجر فى سبيل الله ، ومن ذلك مثلا قصر الصلاة الرباعية « واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا » .

وقد فهم المسلمون الاولون ان المقصود اولا من مثل هذه الرخصة انما هو التيسير على المجاهدين المهاجرين فى سبيل الله .

ولقد فهم الرعيل الاول من المسلمين ان المراد من قول النبى عليه الصلاة والسلام « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، واذا استنفرتم فانفروا » ، انما هو استقرار العقيدة وثباتها ، وانه لن تعود هناك حاجة الى هجرة بالمعنى الاول الذى فهم من مدلول هذا اللفظ.

فكلمة الهجرة « كاد يقتصر معناها ، ويتحدد مدلولها على هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة الى المدينة كما هو مفصل بكتب السيرة ، بل ان هذا اللفظ اصبح علما بالغلبة » - كما يقول النحاة - على ذلك الحادث الشهير ، ومراد النبى الكريم انه « لا هجرة » بهذا المعنى لان الله تعالى قد اعز دينه واعلى كلمته واصبح الراعى يسير من الشام الى صنعاء لا يخشى الا الله . والذئب على غنمه .

اما « الهجرة » بمدلولها العام فتشمل كل خروج للجهاد فى سبيل الله وكل سفر لتحصيل العلم او نشره .. ولقد اوضح الرسول الكريم ذلك المدلول العام للفظ الهجرة فى قوله عليه الصلاة والسلام .. « انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء مانوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها ، فهجرته الى ماهاجر اليه » .

ولقد كان هذا الفهم الواعى لمعانى الهجرة عند المسلمين الاولين من اكبر الدوافع على اقامة الدولة الاسلامية الكبرى ونشر الاسلام ، وذيوع مبادئه التى كانت رحمة للعالمين .

ولقد كان لهجرة الرسول الكريم ، وما تركته من آثار بعيدة المدى فى الحياة الفكرية الاسلامية صدى بعيد المدى من شعر الشعراء على مر الليالى وكر العصور.

وقد برز « غارثور » واحتل مكانا مرموقا فى احاديث المؤرخين وتصوير الشعراء واكتفى هنا بصورة مما جاء فى تصوير الشعراء لهذا الغار الخالد ، وقد رايت ان انقل تلك الصورة من الالياذة الاسلامية الكبرى للشاعر المرحوم احمد محرم ، فانه وفى السيرة النبوية فى تلك الالياذة وصور احداثها تصويرا رائعا . قال عن غارثور :

غار « ثور » اعطاك ربك ما لم
يعط من روعة الجلال القصورا

انت اطلعت للممالك دنيا
ساطعا نورها ودينا خطيرا

صنته من ذخائر الله كنزا
كان من قبل عنده مذخورا

يخفر الحق ، لاجئا يتوقى
قام فيه الروح الامين خفيرا

وقفت حوله الشعوب حيارى
من وراء العصور تدعوا العصورا

يا حيارى الشعوب : ويحك ، ان
الحق اعلى يدا واقوى ظهيرا

لا تخافى ، فتلك دولته العظمى
نناديك : ان اغدى السيرا

جاءك المنقذ المحرر ، لا يترك
قيدا ولا يغادر نيرا

ورث المالكين والرسل الها
دين بالحق اولا واخيرا

الحكيم الذى يهد ويبنى
فيجيد البناء والتدميرا

والزعيم الذى يسن ويقضى
لبنى الدهر : غيبا وحضورا

تترامى الاجيال بين يديه
تتلقى النظام والدستورا

ليس فى الناس سادة وعبيد
كبر العقل ان يظل اسيرا

خلق الكل فى الحقوق سواء
ما قضى الله امره مبتورا

كذب الاقوياء ما ظلم الله
وما كان مسرفا او قتورا

دبر الملك للجميع فسوى الأمر
فيه واحكم التدبيرا

يا نصير الضعاف حرر نفوسا
تتمنى الفكاك والتحريرا

ضجت الكائنات هل من سفير
يتلافى الدنى ؟ فكنت السفيرا

رب : آتيتنا هداك ، وانزلت
علينا كتابك المسطورا

فلك الحمد وافرا مستمرا
ولك الفضل باقيا مذكورا

والسلام عليكم ورحمة الله
وكل عام وانتم بخير

مختارات من شعر ابن عربي في التصوف

— ٤ —

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

من ناقد نزيه !

جاءني الكتاب التالي !

تحية طيبة مباركة ودعاء الى الله أن يجزيكم خيرا بما تقدمونه على صفحات منبر الاسلام من توجيهات وارشادات. وبعد ، فان الشعر الديني باب كبير من أبواب الارشاد والوعظ والدعوة الى الله ، وقد انتفعنا كثيرا بما تقدمونه في باب « الشعر الديني » الموجه الى القلوب .

وتمتعنا بما قاله الامام الشافعي رضى الله عنه في هذا المجال ، ولكن في الشهر الفائت شهر شوال بدأتم في تقديم نوع آخر من الشعر هو الشعر الصوفي ، وبدأتم بالشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي الذي كان أهل عصره — على ما كانوا عليه من معرفة بعلوم الدين واهتمام بها — لا يستطيعون فهمها ولا كشف ألغازها لعلو مراقيها عن أفهامهم ، ولذلك كان حجة الاسلام الغزالي رضى الله عنه يتحاشى ان يتكلم في هذه العلوم الالهية لمعرفته انها قد تكون فتنة على أكثرهم ممن لم يخض لجة هذا البحر العميق ، ولم تنكشف عن قلبه الحجب ولم تنفتح له طاقة الى الملكوت ، اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أنت محدث قوما بحديث الا كان فتنة على بعضهم — أو ما معناه — وقال أيضا عليه الصلاة والسلام : أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم » .

وبالطبع عامة من يقرأ مجلتكم الغراء — وأنا منهم — لم يصل الى هذا المرقى ولم تتفتح له الحجب كي يستطيع فهم هذه المعاني التي لا نشك أنها لا زيغ فيها ولا تحريف لنزاهة أصحابها وزهدهم وورعهم وشهادة علماء عصرهم الأفاضل لهم بالتقوى واليقين .

ولكننا — نحن — لا نستطيع فهم أغلب هذه الرموز الالهية التي لم نخض في بحرها ولم

تركب سفنها ، ولذلك يقف المرء مبلبل الفكر والخاطر ، بينما يستفيد الانسان كثيرا من الشعر الديني الذي يرمي الى الوعظ والتحذير من الدنيا والتذكير بالموت والمعاد ، فهذه أشياء لا يعجز كثير من الناس عن فهمها، بل تنفذ الى القلب المريض فتطرق بابه وتفتح اغلاقه لخفتها وسهولتها مع حكمتها وجديتها

فاليكم أتوجه - بصفتي قارئا من قراء المجلة - أن تعدلوا بنا عن الشعر الصوفي الذي لا يفهمه ولا يكشف عن غوامضه الا أهله - وهم في هذا الزمان قليل - الى الشعر الذي لا يستعصى فهمه ، وأرجو أن يجد كلامي هذا استجابة لديكم ، وأختم كلامي بالدعاء - كما قلتم في كلمتكم - بالدعاء لنا ولكم ان يلهمنا الله واياكم السداد ، وأن يرزقنا واياكم التوفيق ، انه سميع مجيب .

احمد عبد الحميد السيد

بكلية الهندسة جامعة عين شمس

هذا ما جاءني من الناقد النزيه وقد سجلت له كلمته معتزا بها وأنا أرد عليه التحية باطيب منها وأكثر بركة ويمنا وأقول له :

لقد ظفرت بكتابك ظفر السعيد الذي يشهد بحسن اطلاعك وتقديرك لما يحسن أن يعرض على القراء . وحقا انه لرأى سديد ، غير انى لما كنت قد انتهيت من عرض ما كنت جمعته من شعر الشافعي رضى الله عنه فقد عن لى أن أقدم لونا آخر لطائفة من القراء أو لذات قراء المواعظ أنفسهم عسى أن يكونوا قد ملوا لونا واحدا ورأينا من الخير أن يذوقوا أو يكفوا حتى اعود أو يعود غيرى الى ما يخف عليهم وما يحبون .

وما ظننت ان يغيب على الحصيف المتواضع انى قد اخترت من شعر ابن عربي ما ظهرت اشارته وقربت عبارته ، ولم أجيء بشعر مما نسب اليه الا بشرط الشعراني رحمه الله كما اشرت في مقدمة الكلام وهو أن كل ما خالف أصحاب الشريعة فهو عليه مدسوس .

وان كان في بعض ماعرضت صعوبة لم تزل فلست اشك في أن من قراء منبر الاسلام من هم الى هذا المرقى ، والدليل أنك مهما تواريت وراء العبارة اللطيفة والتواضع الجميل ، فان عبارتك تشف وتكشف وتوضح وتصف . وقد كان من الحق ما لحظته أنت من انني اعجز أحيانا ، وقد اعترفت أنا بهذا العجز والتعثر ولجأت دائما الى قولي « الله أعلم » في كل مالم تزل له في نفسي شبهة أو غموض ، لانى في سبيل انتقاء ما وقع عليه شرط الشعراني وفي سبيل حل اشارات للصوفية وبيني وبينهم بون بعيد .

وأخيرا ، فان قلبي يحس بصدقك ويطمئن الى نصيحتك ، وعسى ان يكتب الله لي أن أعود - من قريب - الى ما أردت مما فيه وعظ واضح وارشاد بين في اثر الفراغ العاجل من هذا اللون الذي أقدمه لابن عربي ،وهو، كما ترى - لا يخلو مما أردت من وعظ حميد وان كان في فكر بعيد.

وبعد فالى مابقى من قافية الباء :

تعزية وامنية

قال ابن عربي يعزى ويتمنى :

طلبت ذلول عزيزها لتزيله
عن ظهرها كرما به فاجابا
عن اذن خالقها دعته لنفسها
فلذاك لبى طائعا وانابا
قد البسته من التراب لغيرة
قامت بها حبا له جلبابا
مما تحب مقامه في بطنها
القت عليه جنادلا وترابا
حتى يقيم بها الى اليوم الذي
يدعى ليحضر موقفا وحسابا
فيفوز بالخير الأهم ويعتلى
نحو الكثيب ليبصر الأحبابا

حين مات العزيز ابن العادل في يوم الاثنين عاشر رمضان من ستة وثلاثين وستمائة من الهجرة في بستانه بظاهر دمشق قال ابن عربي هذه المقطعة فيه .

وقد سمى ابن عربى الأرض فى البيت الأول ذلولا من قوله تعالى « وهو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها .. » وقد جعل ابن عربى الوصف علما ومنعه من الصرف للتأنيث . وقال انها هى التى طلبت عزيزها من ظهرها لتضمه فى بطنها اكراما له فأجابها الى ما طلبت . ثم احترس ابن عربى فى البيت الثانى فقال ان طلب الأرض له كان عن اذن الله خالقها ، ولذلك لم يجد العزيز بدا من طاعة النداء والانابة له .

ثم انتقل ابن عربى فقال فى الأبيات الثالث والرابع والخامس ان الارض قامت بها غيرة من محبتها له فجذبته ليقيم فى بطنها والبسته من أثوابها جلباب تراب والقت عليه من جنادلها ما لا يستطيع منه أن يفارق بطنها الا حين ينفخ فى الصور النفخة الثانية التى تدعو الناس للموقف والحساب .

وختم ابن عربى الأبيات بتمنى ان يفوز بعد الحساب بالخير الأهم . والخير الاهم عند الصوفية هو رؤية الله سبحانه اذا تجلى لأحبابه وهو أهم عندهم وأعلى رتبة من الجنة والكثيب الذى يشير اليه هو مكان الاجتماع كما جاء فى الآثار .

اما الذى لم يذكره ابن عربى فى العزيز الذى يعزى فيه فقد الح اليه بما يظن انه كان صوفيا فى منزلة العارفين . والله اعلم .

دار الدنيا

قال ابن عربى فى نقائض الدنيا :

عجبت من امر الدنيا كلها عجب
فيها النقيضان : فيها الفوز والعطب
يلتذ شخص بما يشقى سواه به
لذاك جئت بقولى : كلها عجب
نعمت مطيتنا ان كنت ذا نظر
فيها يشال وفيها تسدل الحجب

وهكذا يرى ان الدنيا تجمع النقائض ، واعجب من جمعها لها ان اهلها هم كذلك نقائض مع تساويهم فى الخلقة فالشىء الواحد يسعد به شخص ويشقى به شخص غيره مع ان هذا الشىء لم يتغير ولم يتبدل . وهذا ينصرف الى كثير من اشياء الدنيا ولذلك يقول ابن عربى : كلها عجب . وهذا الكلام مقتبس من القول المأثور « مصائب قوم عند قوم فوائد » .

ولكن هذه الدنيا التى هى مطيتنا للآخرة اذا أحسن الانسان ركوبها والتصرف فيها فان السعيد يدرى طريق الخير فيسلكها رافعا عن عينيه سترها واما الشقى فيعمى عنه وتسدل الحجب على عينيه . وهذا الأمر ليست فيه نقائض فلا عجب فيه .

عجائب العلم

وقال فى عجائب علم الله ووجوب طلبه مهما اصاب الطالب فيه من العذاب ، وقد ضرب المثل بموسى عليه السلام حين التمس النار من النور وبذى القرنين حين اتبع الأسباب :

لولا لبانة موسى النور ما انقلبا
نارا وما أحرقت نبتا وماالتهبا
فاحذر فديتك . ان الأمر ذو خدع
يريك مضطجعا من كان منتصبا
لقد تحول للرائين فى صور
شتى وما صدق الرائى وما كذبا
ليس التعجب من خير نعمت به
لكنه من عذاب فيه قد عذبا
ان المعارف انوار مخبرة
من عنده تخرق الاستار والحجبا
ان اللبيب كذى القرنين شيمته
ما ينقضى سبب الا ابتغى سببا
اذا انتهى حكمه فى نفس صاحبه
يريك فى كونه من أمره عجبا

يقول ان الذى خيل الى موسى انه يرى فى النور نورا حرصه على طلب الدفء لنفسه وأهله ، وكيف خيلت له النار وهى فى شجرة لم تحترق ولم تلتهب ؟. ولقد اقتبست عائشة الصديقة رضى الله عنها من ذلك معنى طريفا فقالت توصى وتطمئن القلوب « ارج أكثر مما لم ترج فان موسى راح يقتبس النار فرجع بالنبوة » فكلامها ابلغ من قول ابن عربى والطف مأخذا .

ويحذر ابن عربى فى البيتين الثانى والثالث من الوان العلوم والأسرار حين تبدو فقد

تظهـــر على حقيقتهـــا وانما تدرك بعد المزاولة والتحقق كما ظهر نور الله فى الشجرة ولم يدر موسى حقيقيته الا حين اقترب منـــه فسمع كلاما ».

ثم ينتقل الشاعر الصوفى الى أن الأمر قد يبعث العجب ، ويراه فى العذوبة التى تذاق بعد المشقة والعذاب فى الحصول على العلم والسر ، ولم يكن الطالب يتوقعها حتى حصل عليها • ثم يقول ان المعارف أنوار من عند الله تخرق الأستار والحجب لتكشف عن الحقائق والاسرار ، وقد عرف لذتها ذوالقرنين صاحب قصة الكهف فجعل شيمته وديدنه الســـفر البعيد وراء كل علم ، ولم يحصل على شىء منه الا سافر الى شىء جـديد . وهكذا تدرك العجائب اذا عرفت الاحكـــام والاسرار ». والله أعلم .

ومن قافية التاء :

كتمان السر

وقال فى معنى « صـــدور الأحرار قبور الأسرار » :

نبه عـلى السر ولا تفشــــه
فالبـــوح بالسر لـــه مقت
عـلى الـــذى يبديه فاصبر له
واكتمـــه حتى يصـل الوقت

ينصح ابن عربى لنفسه ولغيره أن يهتـــم بكتمان السر فلا يفشيه لئلا يضر افشاؤه من غير ضرورة ، ويحث حامل السر أن يصبر على حفظه ولا يطيع القلق الذى يساوره مـــن حفظه ، حتى اذا حان له وقت للافشاء من غير ضرر باح به ولا سيما اذا كان لنفع فيه.

القلب والفلك

وقال فى الحكمة التى يلهمها الله القلب :

لما رأى القلب بنـــور الهدى
ماصنع الرحمن فى نشـــأته
من حكمة أعطـــاه ترتيبهـــا
عـــلم الذى رتب فى هيئتـــه
من فلـــك دار باحـــكامه
ليبرز الأعيـــان فى فيئتـــه

يقول ان القلب لما أبصر بنور الهدى الذى منحه الله اياه صنعة الرحمن فيه بما أودع فيه من حكمة مرتبة أمكنه أن يدرك بهذا النـــور أيضا أحكام الفلك الدائر ليبرز الأعيان التى هى ادلة وجود الخالق وحكمته • وهذاماكدت أدركه من المعنى . والله أعلم ».

كرم الله

وقال ابن عربى •

قد عيـــن الله لى من جوده كرما
روحـــا تنزه عن علم الاشـــارات
افادنى منـــه اسرارا مخبـــأة
معصومة الحال من علم الخفيات
فعندما حصلت فى القلب عشت بها
وصرت حيـــا ولكن بين أموات
ولم أجد كرســـول الله من بشر
أو وارثين وهم أهـــل الحميـــات
من فاز بالنظر العلوى فـــاز بما
فى الغيب من فرح فيـــه ولذات

ان ابن عربى يعتز بروحه التى وهبها الله له روحا مدركة للاسرار والحقائق فلا تحتاج الى علم الاشارات المبهمة التى تحتاج الى تفسير وتأويل ، ولما كانت الاشارات من علوم الصوفية فان ابن عربى يدعى أنه أعلى من علمائها حالا وذلك لأن الله كشف له الاسرار المخبأة فلم تعد خافية عليه .

وحين صـــار ابن عربى - الذى هو رمز الطبقة الصوفية العارفة - فى هذه الحال من العلم عاش بها سعيدا مدركا حيا ، ولما كان من حوله لا يدركون ما هو فيـــه من سعادة وحياة فانه يعدهم أمواتا لا يبالى بوجودهم ولا بعداوتهم .

ثم انتقل ابن عربى الى ان رســـول الله وورثيه من الأولياء والابدال وأهل الشريعة والحقيقة انما هم حفظة الدين وهم أهـــل الحمية عليه ، ثم يقول ان من ظفر بنظر الله اليه بالرعاية وسكب العلم فى قلبه فاز بعلم ما غاب عن الناس وطرب له بادراك ما فيه من لذة وسرور . والله أعلم ».

صحوة العملاق الأسمر

الشاعر عبدالله شمس الدين

باركى نارَهُ . ودُقّى طُبُولَهْ   واعزفى باسمه نشيدَ البطولهْ
باركى فيه يا بلادى خطاهُ   ثم حيِّ نجودَهُ وسُهولَهْ
اذا أخوكَ «العملاق» أيْقظَهُ   المجدُ . وقَدْ وحّدَ الكِفاحَ قبِيلَهْ
قد رمَى القيد فى وجوه أعاديه   وأخلى إلى الخلاص سبِيلَهْ

* * *

باسم أفريقِيَا أهابَ به النورُ   ليطوى ظلامَهُ وسُدُولَهْ
آن أنْ يُطْلِعَ الصباح أبيًّا   رغم تلك الدجنةِ المرذولَهْ
آنَ أنْ يعتلى مرافق واديه   وأنْ يُطْلِقَ اليَدَ المشلولَهْ
آنَ أنْ يَمْخُرَ الحياةَ طليقًا   وهو يجْنى زروعَهُ ونخيلَهْ
آنَ أن يحرم الدخيل من الأرضِ   التى سامها الخسوف الوبيلَهْ
إنها أرضه . وغرْسُ يديْهِ   كم سقى ترْبها الدموعَ الطّليلَهْ
واحتواها كما احتوته حياةً   فطرتْه على الخلال النبيلَهْ
سوف يفنى وسوف يحيا عليها   قدَرُ الله لنْ ترى تبديلَهْ

يا أخا الروح : يا رفيقَ أمانىْ ويا رِحْلَةَ السنين الطويلَهْ
قد عبرْنا معا محيط البلايا تحت عبْءٍ من الهموم الثقيلَهْ
هَذَك الأَسْرُ فى «الجنوب» وإنِّى كمْ دهانى وكم شكوت مثيلَهْ
خدعونا ففرَقونا زمانًا تختفى حيلةٌ لتظهر حيلَهْ
كلما وحّدَ الكفاحُ قُوَانا وأفاق الخليلُ يدعو خليلَهْ
زينَ الغاصِب الأَمَانى زورًا ومشى بيْن حشدْنا بالنميلَهْ

* * *

وأتى الفجر . فانطلقْنَا من الليْلِ على وثبَة تدكُّ فُلُولَهْ
واعتصمْنا من الدخيل فإنا قد كشفنا عن وجهه تَضْلِيلَهْ
واحتشَدْنا على جسور المنايا وشرَعْنَا أرْماحنا المسلولَهْ
وهتفْنا : إمّا الجلاءُ . وإلَّا فعلى الليْثِ أن يُحَرِرَ غِيلَهْ

من نفحات الرسول

الأستاذ على الجمبلاطى

غَنّاكَ لَحْنُ المُنى وَحْيًا وتِبْيانا — شَرْقٌ بِهَدْيِكَ مَسَّ النَّجْمَ أزْمانا
فَمَنْ سِواكَ بِنَجْوى اللهِ مُحْتَفِيًا — وَمَنْ سِواكَ بِسِرِّ الغَيْبِ وافانا
إنْ هَلَّ نُورُكَ فى بَيْداءَ مُقْفِرَةٍ — غَدَتْ خَمِيلًا وعادَ الصَّخْرُ رَيْحانا
نَضَّرْتَ بالوَحْيِ أخْلاقَ الزَّمانِ فإنْ — حادَتْ سَمَوْتَ بِها قُدْسًا وَإيمانا
تُطْوَى اللَّيالِي وما زالَتْ مَحاسِنُهُ — فى الكَوْنِ تَسْطَعُ إشْراقًا وفُرْقانا
يا مُنْقِذَ الكَوْنِ والأيّامُ سادِرَةٌ — فى غَيِّهَا لم تَجِدْ إلّاكَ رُبّانا
حَطَّمْتَ بالحقِّ أغْلالَ الحَياةِ كما — يُحَطِّمُ الفَجْرُ للظَّلْماءِ أرْكانا
ورُحْتَ تَنْفُضُ عَنْها كُلَّ غاشِيَةٍ — حتّى كأنَّ الهَوى والظُّلْمُ ما كانا
فأمْسَتِ البِيدُ أفْياءً مُغَرِّدَةً — وأصْبَحَ الكَوْنُ بالتَّسْبِيحِ نَشْوانا

أَنْقَذْتَ إِنْسَانَهُ مِمَّا تَحِيفُهُ	وكانَ غيًّا وَأَوْهَامًا وَعُدْوَانا
وَمَا احْتَشَدْتَ لأَمْرٍ فِيهِ نَائِبَةٌ	مَسَّت حياتك إِلَّا كُنْتَ إِنْسَانا
عَادَيْتَ فى اللهِ أَوْثَانًا مُؤَلَّهَةً	جَهْرًا وَقَدْ تَعْبُدُ الأَوْثَانُ أَوْثَانا
وَمَا جَنَحْتَ إِلَى مُلْكٍ وَلَوْ ضَفَرَتْ	لَكَ الأَكَالِيل مازَادَتْكَ سُلْطَانا
إِنْ صَافَحَتْكَ يَدُ الدُّنْيَا بِأَنْعُمِهَا	سَلْسَلْتَ خَيْرَاتها بِرًّا وَإِحْسَانا
شَمَائِلُ فيكَ ما غَنَّى الزَّمَانُ بها	إِلَّا وَأَصْغَى لها التَّارِيخ هَيْمَانا
يَاصَاحِبَ الخُلُقِ الأَسْنَى وَمَنْ فُتِحَتْ	لهُ الغُيُوبُ فَذَاقَ الوَحْيَ أَلْوَانا
وَمَنْ بِهِ نَفَحَاتُ الْخُلْدِ تَبْهَرُنَا	وَمَنْ بِهِ لَمَحَاتُ اللهِ تَرْعَانَا
وَمَنْ تَنَزَّهَ عَنْ إِثْمٍ وَمَعْصِيَةٍ	وَكَانَ أَنْقَى الوَرَى نَفْسًا وَوِجْدَانَا
ما يَقْظَةُ الشَّرْقِ إِلَّا لَمْحَةٌ بَزَغَتْ	عَلَيْهِ مِنْكَ فَبَاتَ الشَّرْقُ يَقْظَانَا
رَدَّتْ به دِوَلُ الاسْلام عِزَّتَها	وَكُنْ ضَيْمًا وَأَغْلالًا وَحِرْمَانَا
وَأَصْبَحَ الدِّينُ يَنْبُوعُ الْحَيَاةِ فَإِنْ	يَظْمَأْ لَهُ الكَوْنُ رَوَّاهُ وَرَوَّانَا
ما مِثْلُ وَحْيِكَ مِنْ ظِلٍّ نَلُوذُ بِهِ	قَدْ نَضَّرَتْهُ يَدُ الرَّحْمَنِ أَفْنَانَا
هُوَ الجَمَالُ لِمَنْ رَقَّتْ بَصِيرَتُهُ	وسارَ نَحْوَ الهُدَى والطُّهْر ظَمْآنَا

حُرِّيةُ الفِكْرِ مِنْ أَنْوارِهِ انْبَعَثَتْ   لا يَعْرِفُ الدِّينُ أَصْفَادًا وَطُغْيَانَا
عَلَّمْتَنَا الْمُلْكَ : لا تَرْسُو دَعَائِمُهُ   مَا لَمْ يَكُنْ عَرْشه لِلْعَدْلِ إِيوَانا
والذُّل لَيْسَ طِبَاعُ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ   هَانُوا فَقُلْ ذَهَبَ الإِسْلَامُ أَوْهَانَا
وبالمَحَبَّةِ قَدْ وَحَّدْتَ أُمَّتَنَا   وبالتَّكَافُلِ قَدْ أَسْعَدْتَ دُنْيَانَا
تلكَ الزَّكَاةُ لِمَنْ جَفَّتْ مَنَاهِلُهُمْ   نَبْعٌ يَرُدُّ مَضِيمَ النَّفْسِ رَيَّانَا
كَانَ اليَتِيمُ دُمُوعًا قَبْلَ شِرْعَتِهَا   تَذُوبُ أَيَّامُهُ بُؤْسًا وَحِرْمَانًا
يَمْشِي ولليَأْسِ فى أَحْنَائِهِ لَهَبٌ   والفَقْرُ يُغْرِى الفَتَى بالكُفْرِ أَحْيَانَا
فَجَاءَ دِينُكَ لِلأَجْيَالِ كَافِلَهَا   ولِلسَّلامِ حَضَارَات وتيجَانَا
قَدْ عَلَّمَ النَّاسَ مَعْنَى الْخَيْرِ فَانْطَلَقُوا   إلى هُدَاكَ زَرَافَات ووحْدَانا
مِيثَاقُكَ الحَقُّ قَدْ أَوْحَى (لقَائِدِنَا)   مِيثَاقَ شَعْبٍ بَنَى لِلْمَجْدِ أَوْطَانَا
فِيهِ اشْتِرَاكِيَّةٌ كَانَتْ لنَا أَمَلًا   حَتَّى تَحَقَّقَ إِصْلَاحًا وعُمْرَانَا
وَأَصْبَحَ النَّاسُ بالشُّورَى سَوَاسِيَةً   فَلَا تَرَى الْيَوْمَ أَحْرَارًا وعُبْدَانَا
شَرِيعَةٌ لَكَ قَدْ سُدْنَا بِنُصْرَتِهَا   حِينَ اسْتَعَدْنَا لِدِينِ اللهِ ما كَانَا
تَمْضِى اللَّيَالِي وَذِكْرَاكَ الَّتِى فَتَحَتْ   مَغَالِقَ الْغَيْبِ آفَاقًا وَأَكْوَانَا
نَسْتَرْوِحُ الْخَيْرَ مِنْهَا وَهْيَ بَاقِيَةٌ   لِعِزَّةِ الشَّرْقِ والإِسْلَامِ عُنْوَانَا

ثقة ومحبة

الأستاذ على الجندى

يا « ناصر الدين » و « حامى الحمى » والألمعىَّ العبقرىَّ الصفاتْ
والأَروعَ الموهوبَ فى قوله وفعله ، والملهمَ البيّنات
يا قائدًا عزَّ به قومُه وجامعًا للشمل بعد الشَّتات
يا رائدَ العُرْب إلى غاية تُوحِّد الصَّفَّ ، وتُحْيي الصِّلات
وتُلهب الثورةَ فى رُوحهم تُعيد أيامَهم المُذهَبات
يا ثائرًا حطَّمَ أصنامَنا فدالتِ « اللاتُ » و « دانتْ » « مَنَات »
وَذَلَّتِ « العُزَّى » وكنّا كمن يعبدُ ها فى الأدهر الأَولَيات
واليومَ لا شأن ولا عِزَّةٌ لغير من تعنو له الكائنات
لله والمختارِ من خلْقه والمؤمنين الغُرِّ والمؤمنات
يا بانىَ المجد رفيعَ الذُّرا تطامنتْ من تحته النَّيِّرات

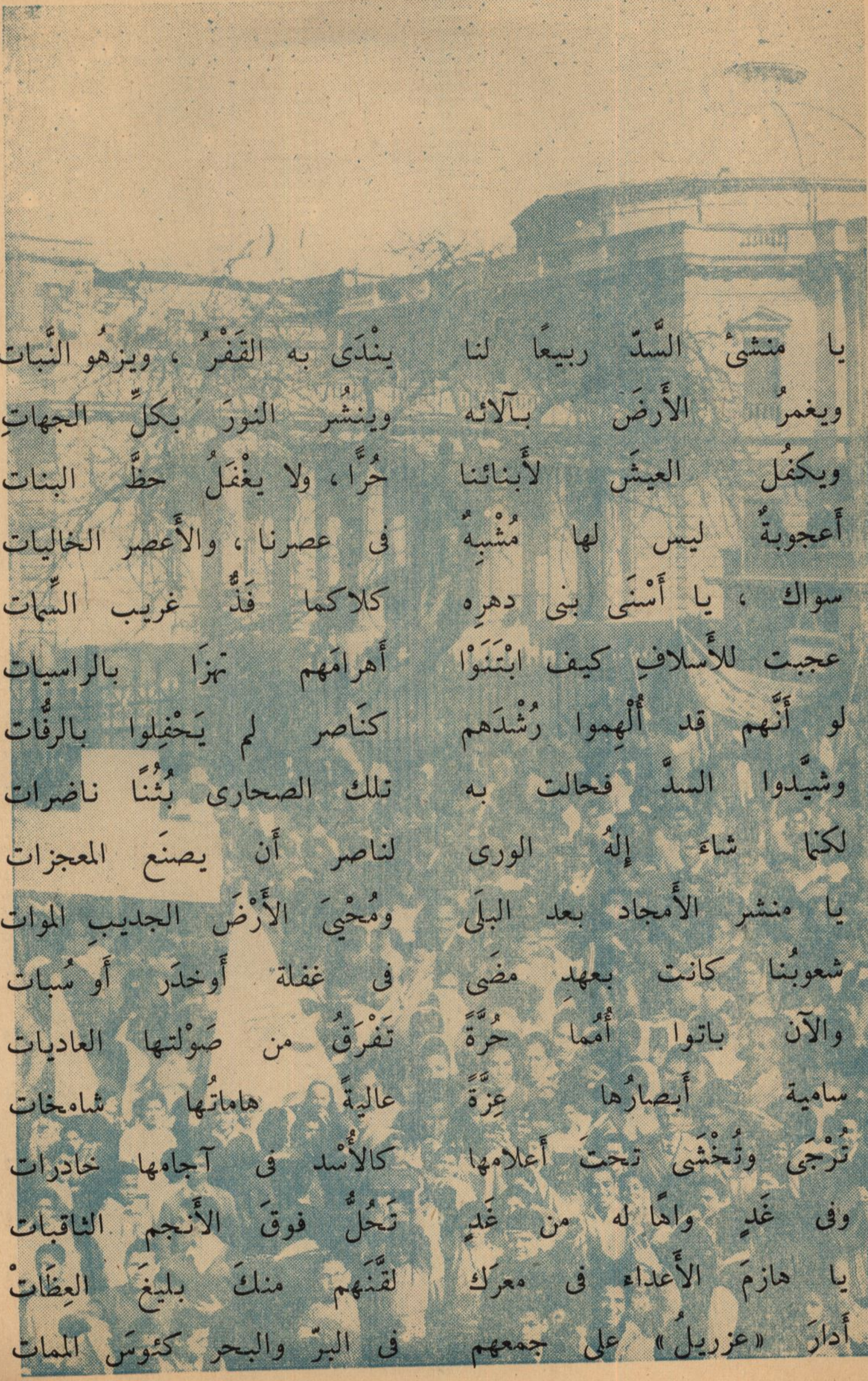

يا منشئَ السَّدِّ ربيعًا لنا … ينْدَى به القفْرُ ، ويزهو النَّبات
ويغمرُ الأرضَ بآلائه … وينشُر النورَ بكلِّ الجهاتِ
ويكفُل العيشَ لأبنائنا … حُرًّا ، ولا يغْفَلُ حظَّ البنات
أعجوبةٌ ليس لها مُشْبِهٌ … فى عصرنا ، والأعصر الخاليات
سواك ، يا أسْنَى بنى دهرِه … كلاكما فَذٌّ غريب السِّمات
عجبت للأسلافِ كيف ابْتَنَوْا … أهرامَهم تهزَا بالراسيات
لو أنَّهم قد أُلْهِموا رُشْدَهم … كناصر لم يَحْفِلوا بالرُّفات
وشيَّدوا السدَّ فحالت به … تلك الصحارى بُثْنًا ناضرات
لكنما شاءَ إلهُ الورى … لناصر أن يصنَع المعجزات
يا منشر الأمجاد بعد البلَى … ومُحْيِيَ الأرْضَ الجديبِ الموات
شعوبُنا كانت بعهدٍ مضَى … فى غفلة أوخدَر أو سُبات
والآن باتوا أُممًا حُرَّةً … تفْرَقُ من صَوْلتها العاديات
سامية أبصارُها عِزَّةً … عاليةً هاماتُها شامخات
تُرْجَى وتُخْشَى تحتَ أعلامها … كالأُسْد فى آجامها خادرات
وفى غدٍ واهًا له من غدٍ … تَحُلُّ فوقَ الأنجم الثاقبات
يا هازمَ الأعداء فى معرَكٍ … لقَّنهم منكَ بليغَ العِظَاتْ
أدارَ «عزريلُ» على جمعهم … فى البرّ والبحر كئوسَ الممات

جندٌ ثلاثٌ للورى منهم أُضحوكة تلهو بها الأَنْدِيات
قد أَمَّلوا النَّصر فلم يُنْصَروا وبادروا القَوْت فعزَّ الفَوات
لم يُدْرِكُوا من «بورسعيد» سِوَى أَنْ أُوسِعوا لَعْنًا بكلِّ اللغات
قد جَلَّلت هاماتِهِم خِزْيَةً ووسَّمَتْ آنافَهم بالهنات
مقبرةً كانتْ لهم . جوفُها تساقطوا فيه مئات مئات
ديارُنا حِصْنٌ فمن رامَه رَماه صَرْفُ الدهر بالمُصْميات
فى كلِّ يومٍ لأَبى خالد مآثر باهرةٌ خالدات
تُضيف للتالد من مجدنا طارفَ مَجْد عَبْقَرىٍّ الشِّيات
تَسير فى العالم أَنْباؤها مسيرَ أَنفاس الرُّبا العاطرات
ثورتك البيضاءُ كانت لنا دواءَ أَدواءٍ بنا مُعْضِلات
شبَبتها نارًا هدَى نورُها مَن كان يَسْرِى فى دُجى المشكلات
وأحرقت كلَّ عم قلبُه مُذَمَّم يكفر بالصالحات
خلَّاقة بنَّاءَةٌ للعُلا والمجد والسؤدد والمكرمات
بريئة لم تقْتَرفْ مأثمًا وغيرُها يقتات بالسيئات
محت فروقا فرَّقتْ بيننا وسوَّت ابن الشَّعْبِ بابن الذوات
من بعد أن قطَّع أوصالَنا الإقطاع واستأثر بالطَّيبات
وَغَلَّ الاستغلالُ أعناقنا مستكثرًا للكادحين الفُتات

وطوَّحتْ بالعرشِ مِنْ حالق وكان للإثم وللمنكرات
للبغى ، للطغيان ، للرَّشْوة للقَمْر ، وللخمر ، وللغانيات
مؤمنة بالدين مِيثاقُها قد صِيغ مِنْ آياته المُحكمات
منها ظَفِرْنَا باشتراكيّة تـآلفتْ فيها جميعُ الفئات
أَطربتِ الشِّعر فَغَنَّى لها أَلحانَه المُرْقصةَ المُشْجيات
واليمنُ الميمونُ حَرّرتَه من ربْقة الباطل والتُّرَّهات
قد عاش فوقَ الألف فى قُمْقُم كأنَّه صِنْفُ من «الموميات»
وأَصبحتْ بغداد إلْفًا لنا وعانق «النِّيلَ» أخُوه «الفرات»
من بعد أنْ قَسَّمَنا «قاسمٌ» وأَرّثَ الحِقْدَ ، وأذْكَى التِّرات
سُحْقًا له !! بُعْدًا لأَيامه أَيّامه الظَّالمة المُظْلمات

* * *

يـأَيُّها النازلُ من قومه فى حَبَّة الأَفئدة الخافقات
يـأَيُّها المعشوقُ من شَعْبه نَفْدِيكَ بالأَنْفُسِ والمُنْفِسَات
بَقَيْتَ محروسًا بعين الَّذى سَوَّاكَ فَرْدًا : فى خِلال وذات
للدين والدنيا جمالٌ فما أَجْملَ ما أَوْلاكَه مِنْ هبات

قصة العدد

فتاة من مكة

الأستاذ حسين الطوخي

*** بدأ قرص الأرجوان رحلته الدائبة نحو المغيب ، يجرجر من ورائه سحائب ضوء النهار القائظ ، وأخذت ظلمة الغروب الرمادية تزحف حثيثا من خلف الأفق ، فبدت الدور وأشجار النخيل الباسقة ومآذن الحرم كأنها اذرع تبتهل الى رب السماء والكعبة ان يظل الخلق بنعمائه ، فهو المحمود على سرائه وضرائه ٠**

وانطلق صوت عذب عميق يؤذن لصلاة المغرب ، فهرع السائرون فى الشوارع واصحاب المتاجر الى المسجد الحرام الذى تجمعت فى ساحته اسراب الحمام الأبيض تطير هنا وتحط هناك ، وقد يطيب له ان يستكين على اكتاف المصلين وظهور الساجدين٠

ولما أن فرغ **«عبد الرحمن ابن أبى حسين»** من صلاته ، غادر المسجد قاصدا الى داره ، بينما ظلمة المساء تجثم رويدا على بطاح مكة وعلى الدور والشوارع والكائنات ٠

اجتاز « عبد الرحمن » فناء داره الواسعة واتجه من فوره الى القاعة الكبيرة وأخذ ينادى على غلامه « عبيد » من داخل الدار ليملأ القناديل بالزيت ثم يوقدها ، فعما قليل سيقبل وجهاء القوم والأصدقاء والمحبون لتهنئته بقدوم أول مولود ذكر يرزقه به الله بعد طول انتظار وترقب ٠٠

ولكم تمنى « عبد الرحمن » لو ان الله من عليه بهذا الولد منذ بضع سنوات خلت ، وقت ان كان المال يسيل من بين يديه كالمطر الوابل ، وتجارته تدر عليه بعد موسم كل حج ، أضعاف ماكان يصبو ويأمل ٠

لكن المقادير شاءت والله من ورائها ان يجىء مولود عبد الرحمن وهو فى عسر من الحال ، وضيق فيما يملك من مال ، وان بدا للناس أنه لم يزل ندى الكف سباقا للعون والغوث ٠

نعم ٠٠ لقد أصاب العسر «عبد الرحمن» بعد أن أقرض شريك تجارته وصديق طفولته **«بشرا»** أكثر من نصف ماله يوم سافر الى الشام ليجمع من بضاعتها مثلما يجمع فى كل عام ، ثم طلعت على القافلة جماعة من الشطار

وقطاع الطريق ، قتلت «بشرا» ومن معه من الرجال ، واغتصبت الزاد والمال .

لم يكن مستغربا فى تلك الأونة من حكم « عبد الملك بن مروان » ان يغير اللصوص على قوافل التجارة وعلى غيرها ، فقد كانت فترة تموج بالاضطراب ، وتصخب بالفتن الهوجاء التى يثيرها الخوارج والطالبيون من جهة ، وشيعة ابن الزبير فى أرض الحجاز من جهة أخرى .

ولم يحزن عبد الرحمن على فقد ماله ، بقدر ما انشق قلبه جزعا على موت «بشر» ويتم ابنائه وترمل زوجه ، بعد ان كان يملأ الدنيا عليهم وعلى أحبائه حبورا وجودا وحلو لسان.

أفاق عبد الرحمن من غفوته على رائحة الطيب والصندل التى أطلقتها المجامر من زوايا القاعة الكبيرة ، وغادر مكانه الى خارج الدار ليكون فى استقبال ضيوفه الذين بدأوا فى الوفود هاشا فى وجوههم ومرحبا بهم فى حبور واشراق .

ومن داخل الدار ، أخذت «هند» زوج عبد الرحمن تنادى على « عبيد » الذى ماانفك يروح ويغدو حاملا قصعات الطعام الى الرجال فى القاعة الكبيرة ، أو يسكب ماء الورد فى آنية الشرب ، ولما ان وقف بين يديها بادرته: كم يبلغ عدد الضيوف من الرجال ياعبيد ؟ قال : يزيدون عن المائة ياسيدتى . قالت هند مأخوذة : ويحك ! ألا يعلم سيدك انه لم تعد لدينا كسرة خبز ؟ والنسوة كم هن ياشقى ؟ قال عبيد : يبلغن نصف عدد الرجال ياسيدتى قالت هند : ويحى . لم يبق عندى الا ملء جفنتين . اسمع ياعبيد .. اذهب من فورك الى دار اختى عاتكة واسألها كل مالديها من طعام ثم نضجه . هيا وعجل ياشقى ..

لم يتحرك «عبيد » من مكانه وأخذ يحدق فى الأرض بعد أن حز فى قلبه خلو الدار من الطعام فى تلك الليلة التى اقبل فيها الناس يهنئون سيده ويباركون له ، ولم يلبث ان رفع عينيه الى وجه سيدته ، فرأت فيهما دموعا توشك أن تنسكب ثم قال : بأبى أنت وامى ياخير زوجة . خففى عليك بعض الغرم والكلفة ، فوالله لألهين نساءك حتى لايدرين ماوضع لهن أو أصابوا من طعامك .

وانفلت «عبيد» ليتنزوى فى ركن من صحن الدار ، وبدأ ينقر على دف له ، ثم اندفع يغنى بصوت هو أعذب من رنين الفضة وأوقع من بلابل الروض أبياتا لشاعر الغزل الذى طارت شهرته من أرض الحجاز الى كل بقعة ينطق فيها لسان عربى :

نظرت اليها بالمحصب من منى
ولى نظر لولا التحرج عارم ،
فقلت أشمس أم مصابيح بيعة
بدت لك خلف السجف أم انت حالم
بعيدة مهوى القرط أما لنوفل
أبوها وأما عبد شمس وهاشم
ومد عليها السجف يوم لقيتها
على عجل تباعها والخوادم
فلم استطعها غير ان قدبدت لنا
على الرغم منها كفها والمعاصم
معاصم لم تضرب على البهم بالضحى
عصاها ووجه لم تلحه السمائم
نضير ترى فيه أساريع مائه
صبيح تغاديه الأكف النواعم
اذا ما دعت اترابها فاكتنفنها
تمايلن أو مالت بهن المآكم
طلبن الصبا حتى اذا ما أصبنه
نزعن وهن المسلمات الظوالم

وترك الرجال والنساء السماط والطعام وماكانوا فيه من شائق السمر والمفاكهة وانصرفوا بقلوبهم واسماعهم الى الصوت العذب والانشاد الرائق ، وظلوا يستعيدون الغناء حتى لاحت خيوط الفجر فى الأفق ، فانصرفوا الى دورهم وهم سكارى بنشوة ما طربوا فى تلك الليلة الفريدة ..

ايقن « عبد الرحمن » منذ تلك الليلة ان غلامه « عبيد بن سريج » يملك موهبة خارقة فى الصوت وحسن الأداء والانشاد ، ولم يكن يعرف عنه من قبل ، الا انه كان يغنى **نائحا على الاموات والقتلى ودموع الثاكلات..**

في تلك الليلة اعتزم عبد الرحمن أمرا في شأن غلامه الموهوب ٠٠ اعتزم ان يخلي سبيله ويعفيه من خدمته ، وان يسرحه باحسان بعد ان يعتقه ، تقربا الى صاحب الجود والعطاء وواهب الرزق لمن يشاء ٠٠

وقبل ان تغيب شمس اليوم الجديد ، تهيأ « عبيد » لمبارحة دار عبد الرحمن ، ووقف بين يديه يستمع الى نصحه ووصيته له أن يلجأ الى أئمة الغناء في مكة وفي المدينة ليأخذ عنهم أصوله وفروعه وقواعده ، وان يكرم موهبته التي أودعها الله في صوته ، وان يصونها من كل عبث وهوان ٠ ٠

وانكب عبيد على رداء سيده يقبله ويشبع يديه لثما ويبللهما بدموع حزنه على عشرة طوته سنوات طويلة في دار سيده لم يكن يحس في يوم منها الا أنه واحد من اهل الدار حمل نصيبه من سراء العيش ودرائه مثلما حملوا سواء بسواء ٠٠

ثم اقبلت «هند» على صوت النحيب ، ورأت «عبيدا » يجمع حوائجه ويعد جهازه للرحيل ، فترقرقت في عينيها دمعتان ساخنتان ، كأنما ترثي السنين التي قضاها بينهم يشيع الضحكات وينثر الدعابات ويبذل روحه طواعية وبرا بهم ٠٠ ووفاء بوفاء ٠

وقام عبد الرحمن يودع غلامه الى خارج الدار ، ثم أعطاه كتابا الى ابن اخيه «عطاء» ليدبر له سكنا واقامة في احدى دوره العديدة بشعاب مكة ، ولم ينس أن يدس في يده كيسا أودعه جل ما يملك من مال قليل ٠٠

لم ينم عبيد أو يغفو في تلك الليلة الفاصلة من حياته ٠ ظل ساهر الطرف يقلب وجوه الرأى في أيامه المقبلة بعد أن أعتقه عبد الرحمن ، ووهب له حريته والتصرف في شأن نفسه بما يهوى ٠ وحدثته نفسه وحدثها ٠٠ انه اليوم قد شارف على الخامسة والعشرين ، ولا يحذق أمرا غير ترديد الشعر بصوت تطرب له الاسماع والقلوب ، ولكن صنعة الغناء لا يشغل بها الا أهون الناس شأنا ٠٠ الموالي والأرقاء ، والعبيد ، وهو بعد لم يعد واحدا من طوائفهم !

ثم غلبه النوم مع أولى خيوط الشمس التي تسللت الى صحن الدار ، وأفاق في الضحى فقام واغتسل وارتدى أحسن ثيابه ، وغادر داره قاصدا دار « سعيد بن مسجح » شيخ المغنين في مكة الذي انقطع الى تعليم الغناء، بعد ان وهن عظمه وأقعدته الشيخوخة ٠

ومنذ اللحظة الأولى التي أصاخت فيها اذن (ابن مسجح) لغناء الفتى الناشيء ولأدائه المصقول ، أدرك أنه يملك موهبة نادرة قل أن يجود بمثلها القدر ٠

أقبل شيخ الغناء في مكة على ابن سريج يضبط له الاوزان ويحدد توقيع كل صوت ويسقيه من عصارة تجربته العريضة في ألوان الغناء العربي والفارسي وصنوف التطريب ، حتى جاء وقت غدا فيه « ابن مسجح » لا يطيق ان يبتعد عنه تلميذه الجديد لحظة ما بالليل أو بالنهار ، بعد ان أحس انه يوشك ان يفارق الدنيا ، وان لابد لفنه ان يبقى ويمتد في غناء ابن سريج ومعبد والغريض ، وهم صفوة من أخذوا عنه ورددوا عليه ٠

ويوم دخل « ابن سريج » على شيخه ذات ليلة يحمل تحت أبطه «عودا» مما يتغنى على انغامه الأعاجم الوافدون في موسم الحج ، برقت عيناه دهشة يمتزج فيها الفرح وهو يشهد طموح تلميذه يمتد يوما في أثر يوم،

ولم يكن (ابن مسجح) يعرف الضرب بالعود لكنه زين لابن سريج ان يتعلم الضرب على أوتاره حتى حذق العزف عليه من تلقاء نفسه دون مرشد سوى اذنه الواعية وسمع استاذه الكبير ٠

وانقضت ثلاثة أعوام على (عبيد بن سريج) وهو في صحبة (ابن مسجح تلقى خلالها على يديه أصول الصنعة الحلوة ، ونهل من عذب مورده ، ووقف على مفاتيح الغناء وطرائقه ، حتى بلغ ما حذقه ثمانية وستين صوتا واسلوبا ٠

ومات « سعيد بن مسجح » شيخ الغناء في مكة ، فبكاه « ابن سريج » بالدموع السفاح وأخذ ينوح عليه حتى ابكى الناس معه !

يقولون ما أبكاك والمال غامر
عليك وضاحي الجلد منك كنين

فقلت لهم لا تسألونى وانظروا
الى الطرب النزاع كيف يكون

انقطع « ابن سريج » فى داره اياما حزينة لازمة خلالها طيف استاذه الراحل فى كل صوت أو نغم ، ولم يجد من وسيلة يوفى بها حق الولاء له ، سوى ان يعكف على عوده وأوزانه ليردد ما تعلمه على يديه مرة تلو مرة حتى يحس بوقوف الناس على باب داره بالمناكب ليشبعوا الروح والقلب والاسماع فيقوم ابن سريج الى فراشه ، لعل الكرى يسلمه الى الرقاد فيهجع قلبه الحزين النائح .

وجاءه أمير شعراء الغزل « عمر ابن ابى ربيعه » لما بلغه لزوم ابن سريج البيت ، وطلب اليه ان يخرج الى الناس ليذيب احزانه فى لقائهم وسمرهم ، وانه ما من شىء احفظ لجميل « ابن مسجح » سوى استماع الناس الى غنائه بعد ان حملت الرياح عذوبة صوته وحسن أدائه الى كل أرض فى الحجاز وجاوزتها الى بلاد الشام ومصر والعراق .

وصحبه « ابن أبى ربيعه » معه لاداء فريضة الحج مع حشمه وغلمانه ومواليه ، وقد أرتدوا حسن لباس وزينة ، فوصلوا الى منى فى صفار الشمس ، وأحب عمر ان يتلهى فى عشيته ، فأشار له ابن سريج على كثيب قريب يبصرون منه مرور الحاج ولا يرونهم ، حتى اذا أكلوا وشربوا ، أمسك ابن سريج بدفه وأخذ ينقر عليه قبل أن يطلق صوته بالغناء ، ولم يلبث ان سأل عمر : ماذا تحب أن أغنى من شعرك ياسيدى ؟ قال عمر وهو يتمايل طربا على نقر الدف : غننى ما قلته فى كلثوم .

اعتدل ابن سريج فى جلسته وتهيأ للغناء ، وأخذت اصابعه الحاذقة تغمز الدف حتى كاد أن ينطق واندفع يغنى :

كفى حزنا أن تجمع الدار شملنا
وأمسى قريبا لا أزورك كلثما
دعى القلب لا يزدد خبالا مع الذى
به فيك أو داوى جواه المكتما
ومن كان لا يعدو هواه لسانه
فقد حل فى قلبى هواك وخيما
وليس بتزويق اللسان وصوغه
ولكنه قد خالط اللحم ، والدما

وحمل الهواء غناء ابن سريج الى كل واقف وسائر ومقيم واندفعوا الى اقرب موضع من الغناء الشجى ، كما سمعته قوافل الحجيج من مبعدة ومقربة ، فترك الرجال رواحلهم وساروا الى مصدر الصوت كأن مسا من الجن قد أصابهم ، وجعل يركب بعضهم بعضا من نشوة ما طربوا ، حتى انقلبت شعاب الجبل الى ما يشبه الحفل الصاخب ..

وأقبل رجل مهيب الهيئة من بعيد يصيح ويستغفر الله ويستعيذ به من الشيطان حتى وقف على أعلى موقع من الكثيب ، وادرك أن المغنى هو ابن سريج الذى فتن الناس قال : يا ابن سريح .. ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء . قد قطعت والله على الحاج وحبستهم ، والوقت قد ضاق فاتق الله وقم عنهم ..

واستحى « ابن سريج » من الرجل وسكت عن الغناء حتى استأنف الحاج مسيرهم فقام من مجلس ابن ابى ربيعة وعاد الى داره مشدوها من تكاثر الناس عليه ، موقنا انه بلغ شأوا بعيدا فى العزف والتطريب .

منذ تلك الليلة ، ذاع صيت « ابن سريج » وجاوز شهرة (معبد) و (الغريض) و (ابن محرز) و (مالك) ولما انتهى موسم الحج ، اقبل الناس عليه من المدينة والطائف ونجد يستمعون الى غنائه ويعقدون حلقات الدراسة بينه وبين معاصريه من أئمة الغناء ، ولكل منهم عشاق ومريدون ..

وأخذت الدعوات للغناء تتقاطر على ابن سريج ، فيوما هو فى المدينة ، ويوما فى الطائف ويوما يشد الرحال الى عاصمة الخلافة فى دمشق ، ليغنى فى قصورها ابتهاجا بقدوم أمير أو زواج وزير .

ودخل بيوت سادات مكة ، كما افترش رمال البادية بين مضارب الاعراب ، وغنى للرجال وللنساء ارق اشعار ابن أبى ربيعة ، والأحوص وجرير والخطفى وقيس بن ذريح وكان غناؤه لأى شاعر من معاصريه ، سببا لأن

تطير شهرة الشاعر وتجاوز ارض الحجاز الى العراق ومصر وبلاد الشام وكل قطر ينطق فيها لسان عربى ٠

وأحب « الوليد بن عبد الملك » خليفة المسلمين أن تنشأ صغرى جواريه « حبابه » مغنية بعد ان لمس فى صوتها غنة طرب مبكر، فبعث بها الى أبن سريج فى مكة لتاخذ عنه الغناء ، فأمضت فى صحبته أربعة أعوام غدت بعدها من أبرع مغنيات عصرها واحذقهن تطريبا ٠٠

وذهب معها ابن سريج الى دمشق ليقدمها الى أمير المؤمنين مغنية ثابتة القدم ، سليمة الأداء ، صقيلة الصوت ، حسنة التهذيب ٠

كانت ليلة مشهودة فى تاريخ دمشق ، يوم أن شدت « حبابه » بين يدى الوليد ، ثم اعقبتها «سلامة» ثم ابن سريج من بعدهما حتى لاح نور الفجر ٠

جلس الخليفة فى صدر المكان ومن حوله خدمه وغلمانه يحملون صحاف الفاكهة واطباق اللوز والفستق ، بينما اضواء القناديل تنعكس متكسرة على الستر والطنافس والنقوش فيبدو المنظر يشع بهاء ورواء ٠

تقدم ابن سريج الى حيث يتكىء الخليفة على حشية طرزتها اسلاك الذهب والفضة ، والتمس منه أن يأذن له ببعض الغناء قبل ان تتبعه « حبابه » التى تهبت الموقف وروعته ، وكان الوليد فى حقيقة الأمر يبغى أن يستمع الى غناء من تحدثت الركبان باتقان صنعته ، فلم يلبث أن ابتسم ثم قال: لا عليك ياابن سريج نسمع منك ثم نسمع حبابه ٠

وتراجع ابن سريج الى مجلسه وأشار الى حبابه ان تمسك بعودها لتصاحبه فى العزف دون ان تغنى ، بينما احتضن عوده وغمز أوتاره وأصلحها وحبابة تفعل مثلما يفعل حتى تساوت طبقات الأوتار فى العودين ، ثم بدأت النغمات تنساب من عودى المغنى الراسخ وتلمذته المليحة ، وظلا يعزفان معا حتى أوشكت جدران قصر الخليفة ان تتمايل بدورها طربا ، واندفع ابن سريج يغنى من شعر « ابى صخر الهزلى »

أما والذى أبكى وأضحك والذى
أمات وأحيى والذى أمره الأمر ،
لقد تركتنى أحسد الوحش ان أرى
اليفين منها لا يروعهما الذعر
فيا هجر ليلى قد بلغت بى المدى
وزدت على مالم يكن بلغ الهجر
ويا حبها زدنى جوى كل ليلة
وياسلوة الايام موعدك الحشر
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى
وزرتك حتى قلت ليس له صبر
عجبت لسعى الدهر بينى وبينها
فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
اذا لم يكن بين الخليلين ردة
سوى ذكر شىء قد مضى درس الذكر
وانى لتعرونى لذكراك هزة
كما انتفض العصفور بلله القطر
هل الوجد الا أن قلبى لودنا
من الجمر قيد الرمح لاحترق الجمر

ولما فرغ « ابن سريج » من غنائه زايل الوقار كل من فى مجلس الخليفة وتكاثروا حوله يطلبون المزيد من الغناء الباهر والخليفة يلحظ الأمر فى حبور بعد ان بلغ الطرب بالنفوس مداه ، وظل ابن سريج صامتا حتى أشار الوليد الى حبابه أن تغنى ثم قال : قد اجدت والله ياابن سريج وصدق ما تحدث به الناس عنك ٠

وقامت «حبابه» وتقدمت الى حيث يجلس الوليد وانحنت بين يديه تلثم رداءه ثم قالت: أدام الله على أمير المؤمنين وجمل بالسعد ايامه ٠ ما أظننى ابلغ شأو أمير الغناء فى مكة، فليأذن مولاى ، ان شاء ، بالانشاد لعلى اصادف بعض ماصادف ابن سريج ٠

ابتسم الوليد فى وجه جاريته مشجعا ثم قال : سنسمع ياحبابه غناءك ثم نقول فيه رأينا ٠

وجلست حبابه الى جانب ابن سريج وحركت أوتار عودها وأخذت تغمزها فى بطء ولين أول الأمر ثم جرت اصابعها على الأوتار فى نسق بديع اهتزت له قلوب الحاضرين قبل اسماعهم ، واندفعت تغنى ابيات «الهزلى» **بلحن آخر لا يقل فى روعته عن لحن استاذها**

الراسخ ، واذا بالخليفة يترك جلسته ويزحف الى أقرب مكان من جاريته كأنما يبغى ان يأكل الغناء بدلا من سماعه ٠

وأخذ الوليد يستعيد غناء «حبابه» مرة تلو أخرى حتى ارتوى القوم من عذب ما سمعوا ، ثم جاءت « سلامة » من داخل القصر لتشارك بدورها فى هذه الليلة البهيجة ٠

وانقضت ساعات الليل فى طرب موصول حتى أوشك الفجر ان يطلع ، فقام الخليفة ، وانفض عقد المجلس النضيد ومازال النغم يسرى فى جوانب القصر ٠

وعاد ابن سريج الى مكة وفى راحلته عطاء الخليفة من كساء وزاد ومال يغنيه بقية العمر وعكف فى مكة بقية عمره يرطب اجواءها ومحافلها ومجالسها بأعذب ماسمعته اذن ، وانتقل غناءه واسلوبه الى كل مكان ودار ، وأخذ عنه صغار المغنين وكبارهم ، حتى رسخت قوائم مدرسته فى الغناء المكى الذى ساد على كل ما دونه من غناء ٠

ويوم حضرته الوفاة فى خلافة « يزيد بن عبد الملك » دخلت عليه ابنته « جيداء » والدمع يترقرق فى عينيها ، وحين نظر اليها بكى وقال : ان من اكبر همى انت ياجيداء ، وأخشى أن تضيعى بعدى ٠

قالت جيداء : لاترع ياأبى ولا تخف فما غنيت شيئا الا وأنا أغنيه ـ قال ابن سريج وطيف ابتسامة حلوة يرف على شفتيه : هاتى بعض ما تغنيه ٠

واندفعت ابنة الفنان المحتضر تغنى صوتا وراء صوت وهو مصغ اليها ثم قال : الحمد لله ٠٠ قد أصبت مافى نفسى ، وهونت على أمرك ، اسمعينى شعرا للهزلى ياجيداء ٠

واندفعت جيداء تشدو بأول بيت مما كان يغنيه أبوها لنفسه ، وقبل ان تأخذها حمية الغناء ، لاحت منها التفاتة الى وجه ابيها الباسم فرأته يجود بآخر نفس ولحن ٠

ندوة الشهر

نحو أخلاق مثالية

الأستاذ عبد الرحمن الشربيني

- ٢ -

فى العدد الماضى تعرضنا فى ندوة الشهر الى الاخلاق المثالية بالنسبة لكل من الموظف والقاضى ..

وفى هذا العدد نعرض للاخلاق المثالية فى شخص الصحفى فى شخص الاديب .

تحدث فى الندوة :

١ - الاستاذ صبرى ابو المجد سكرتير عام نقابة الصحفيين عن الاخلاق المثالية للصحفى ..

٢ - الاستاذ الدكتور مصطفى الشكعة الاستاذ بالجامعة عن الاخلاق المثالية للاديب ..

اخلاق الصحفى

تحدث الاستاذ صبرى ابو المجد فقال :

- ان الصحافة تلعب فى هذه الايام دورا خطيرا فى الحياة ..

وتساءل : هل لدينا صحافة مثالية ؟ وعلى الأخص صحفيون مثاليون ..

واستطرد مجيبا ..

هذا عبد الله النديم صاحب جريدة الطائف .. وصحفى الثورة العرابية .. كان يحرر جريدة من ميدان القتال والثورة قائمة .. انتقل بمطبعته من الاسكندرية الى التل الكبير .. فى كل ميدان كان يدور فيه قتال .

وهذا مصطفى كامل فى وقفاته التى ايقظت وعى الشعب المصرى .. وهزت ضمير الدنيا باسرها .. واقضت مضاجع الغاصبين .. انما كان يعتمد فى ذلك على الصحافة كل الاعتماد ..

وهذا امين الرافعى .. شخصية يجب ان تدرس فى المدارس والجامعات .. قديس الصحافة بحق ان جاز هذا التعبير .. كان صاحب جريدة الاخبار التى وصل توزيعها الى ٧٠ الف نسخة وفى سنة ١٩١٤ احتل « ماكسى » قائد القوات البريطانية البلاد ، فرفض الرافعى أن ينشر هذا الخبر فى جريدته ، وتحمل الخسارة الفادحة بسبب اغلاقها نتيجة لموقفه الوطنى .

هاجم الرافعى زعيم الاغلبية وكان سعد زغلول .. فلما قال سعد زغلول « انا لا اقرا الاخبار » انخفض توزيعها من ٧٠ الفا الى ٢٠٠ نسخة فقط .. ورغم ذلك لم يتحول الرافعى عن مبدئه .

عرض عليه فى يوم من الايام عشرة الاف جنيه قيمة اعلانات فى الوقت الذى كانت مطبعته محجوزا عليها .. فرفضها .. رفضها لانها كانت عن انواع من الخمور .. واستمر كذلك فى جهاده حتى مات .

ولم تمت مثالية الصحفى بموته .. بل نمت .. لان هناك اناسا يؤمنون بالمثالية وان كان بجانبهم اناس يؤمنون بالمادية .. ولكن ثقوا بان الغلبة دائما للمؤمنين أعرف صحفيا شابا عرض عليه ألف جنيه نظير حديث عن احدى الشخصيات الكبيرة بما لايرضى عنه ضمير هذا الصحفى الشاب .. فرفض الصحفى هذا المبلغ الضخم ، فى حين انه لم يكن يملك اجرة ركوب الاتوبيس .

واعرف زميلا كتب مقالا ذات يوم عن احدى المؤسسات الكبيرة .. واراد المشرف على هذه المؤسسة بما له من سلطان ان يكذب المقال ، فاذا بالزميل يصر على انه لو نزل التكذيب فسوف يرد عليه .. فتراجعت الشخصية الكبيرة امام هذا الاصرار .

امثلة كثيرة جدا نحسها ولا نستطيع ان نسردها ..

واذا تحدثت عن الصحفى المثالى فيجب ان اذكر ايضا القارىء المثالى .. فالقارىء مسئول كذلك عن مثالية الصحفى .. لانه هو الذى يقرا له .. وعلى قدر قراءة القارىء يكون رواج الصحفى وانتشار اسمه فى عالم الصحافة .

وانتهى الاستاذ ابو المجد الى ان الصحافة شانها شان كل مجتمع .. فيه الصالح وغير الصالح .. وعلى

المصلحين ترجيح العناصر الطيبة فى كل مجتمع على العناصر غير الطيبة .. حتى تتحقق المثالية المنشودة .

اخلاق الاديب

وتحدث الدكتور مصطفى الشكعة عن اخلاق الاديب فقال :

– ليس للاديب وحده اخلاق ، ولا للقاضى وحده اخلاق ، ولا للشاعر أو الكاتب وحده أخلاق .. لكن هناك اخلاق مشتركة ينبغى أن يتحلى بها كل انسان لكى يكون مجتمعنا ذا مثل عليا .

نحن نعرف الاخلاق فى ظل الدين .. نحن نعرفها بكل مقوماتها من صدق ، وشجاعة ، وكرم ، وعفة ، وعداله الى غير ذلك .. كل هذه الصفات يجب أن تجتمع فى كل انسان سواء كان موظفا أو قاضيا ، او شاعرا أو أديبا .

الاديب انسان صاحب رسالة فى الحياة ، متى احسن اداءها وسهر عليها فقد بنى أجيالا ماجدة ، واذا لم يسهر عليها اتى بالعكس .

انى انتهز هذه الفرصة فاقدم عددا صادرا من صحف اليوم وفيه مايندى له جبين الخلق ، فما بالك بالخلق المثالى ، صورة امرأة تمثل وهى عارية تماما وأنى جوار هذه الصورة خبر يقول : لقد رفعت الراقصة .. اجرها الى الف جنيه ..

كيف يجوز ان تصدر صحف بهذه الاخبار .. ومفروض أن الذين مرت هذه الاخبار من تحت أقلامهم هم ادباء .. والاديب مفروض فيه أن يحافظ عليها وأن يكون قائدا لا مقودا .

هناك مؤامرة على اخلاقنا وعلى اسلامنا ، تشرف عليها وتنفذها « بأمانة » أكثر من دار صحفية فى مصر . واذن تكون المسألة ليست مسألة صحافة فقط .. الصحافة الحقة لابد ان تقود ، والقائد لابد أن يعلم ، والمعلم لابد ان يصلح ولا يفسد .

الاديب مطلوب منه ان يكون عاقلا لامجنونا .. مرتبا فى أفكاره وفى مظهره لامشتتا زرى المظهر ..

الاديب لابد أن يكون مثقفا لكى يكتب أفكارا ناضجة .. وهذه هى درر الجاحظ التى تنافس الزمان خلودا .. انها كنوز يعيش فيها الانسان .

ورحم الله المتنبى اذ يقول :

« وخير جليس فى الزمان كتاب »

والانسان لابد ان يجلس الى فكره ويجلس الى علمه .

على الاديب أن يكون عفيفا فيما يخطه قلمه ، والا انتهينا الى مجتمع تسوده الاباحية .

عليه أن يكون شجاعا ، لا يقول الا ما يعتقد أنه الحق .. كان بديع الزمان الهمزانى يصنع الحملات الصحفيه لمحاربة الطغيان .. كان يعمل رسائل طويله فى محاربة الغلاء .. ولذلك فقد عاش محترما ومات محترما .. ومازلنا نحس ذكراه بعد أن مضى على وفاته الف عام .. لانه كان صاحب رأى ..

ثم ماذا ؟.. ثم لابد أن يكون الاديب مؤمنا متدينا . فالتدين هو مصدر سعادة لاحد لها للانسان العادى .. فاذا كان الاديب مؤمنا كان مصدر هداية للذين لم يتذوقوا حلاوة الايمان .. والهداية . اذن نحن نلح فى أن يكون هناك أدباء متدينون .. لان الدين دائما حريص على بناء المجتمع . فاذا ماوجد الاديب المتدين كان عاملا فى اسعاد أكبر مجموعة بما يقدم من هداية وارشاد .

الصفات المثالية للاديب كثيرة جدا .. وفى نصائح عميد الادب ، عبد الحميد الكاتب ، مايجعل للاديب دستورا محدد المعالم واضحا اذ يقول :

« يجب أن يكون الاديب صلبا فى موضع الحلم ، فقيها فى موضع الحكم ، لينا فى موضع اللين ، شديدا فى موضع الشدة ، كتوما للاسرار ، عالما بما ياتى وما يذر ، يضع الامور فى نصابها ، يردد الاشعار ، ويحفظ كتاب الله .. راغبا بنفسه عن المطامع ، منزها صناعته ، متجنبا الكبر ، عاملا على التحاب فى صناعة الادب متواصيا عليها »

بهذه الصفات يكون عندنا الاديب الامثل .. بل المواطن الامثل ..

وبعد ..

فهذه هى الاخلاق المثالية .. لو تحققت لتحقق بها المجتمع المثالى .. المجتمع الذى يبقى بقاء الزمن ..
وانما الامم الاخلاق مابقيت
فان همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا
المجتمع العظيم .. لانه على خلق عظيم ..
وصدق الله اذ يقول لرسوله ..
« وانك لعلى خلق عظيم »

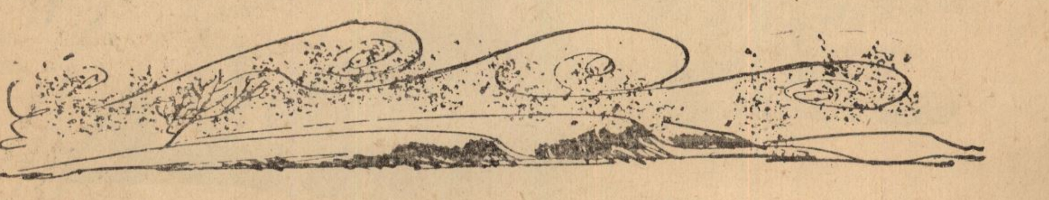

باب
الرياضة
اعداد: ناصف سليم
12

مع الرياضة فى العراق

عندما استقبل الرئيس عبد السلام محمد عارف فريق العراق الفائز ببطولة كأس العرب لكرة القدم التى نظمتها الكويت فى الصيف الماضى ، قال لهم :

« أريد منكم أن تكثروا من دعـوة الفرق الرياضية بالجمهورية العربية المتحدة لزيارة العراق ..

وكانت هذه الكلمة لادارى العراق تحمل أكثر من معنى جميل ، لأنها تستهدف لقاء الرياضيين من الجمهوريتين الشقيقتين فى ميدان واحد ، فتتآلف قلوبهم ، ويستفيد كل منهم من خبرات الآخر ومعارفه .

والحقيقة التى لا جدال فيها أن حدود كلمة « الرياضة » امتدت الى آفاق بعيدة ، فقد كانت الرياضة منذ زمن غير بعيد ، تمارس ليكتسب منها الانسان صحة توفر له السعادة ، ولكنها الى جانب ذلك تمارس الآن وتدرس كعلم ، لأنها وسيلة لتعارف الشعوب والأفراد ، ولأنها أصبحت مقياس حضارات الأمم ولأنها نشاط اجتماعى كذلك لابد منه للانسان المتحضر ، واذا عرفنا مدى اهتمام روسيا وأمريكا بالرياضة الآن ، أدركنا فى نفس الوقت ما لها من فضل فى الدعاية ، والاعلان عن التقدم والحضارة .

كان الرئيس عبد السلام عارف يعنى فى كلامه لرياضيى العراق ، أن الرياضة وسيلة هامة لتدعيم وحدة الشباب ، وأنه لا بد وأن يلتقى رياضيو الجمهوريتين فى ميدان الرياضة كعملية اندماج يصحبها تنافس نحو التقدم ، واستجاب اداريو العراق لرغبة الرئيس عارف ، وقامت ثلاث فرق رياضية لكرة القدم بزيارة العراق فى أسبوع واحد ، هى الترسانة والقوات الجوية والنادى الأهلى ، وقدمت هذه الفرق عروضا مختلفة ، نالت اعجاب الاخوة الأشقاء فى العراق .

ثم أتيحت لى الفرصة ـ مرة أخرى ـ أن أزور العراق خلال هذا الشهر مع منتخب الجمهورية العربية المتحدة للملاكمة ، وقد شاهدت كثيرا من أوجه نشاط الفرق الرياضية العراقية ، وكيف تستعد كلها من الآن لزيارة الجمهورية العربية المتحدةلتشترك فى الدورة الرياضية العربية التى تنظمها القاهرة فى سبتمبر القادم .

رأيت فرق العراق المختلفة وهى تستعرض نشاطها فى أسبوع الجيش العراقى ، والملاحظ أن اقبال الشباب أصبح يتزايد بصورة كبيرة على ساحات الملعب ، وأن عدد اللعبات فى تزايد كذلك .. أصبح هناك اتحادات : لكرة القدم والسلة والطائرة والسباحة وألعاب القوى . والدراجات ، والملاكمة والمصارعة والتنس ، ورفع الأثقال .. يضاف الى ذلك أن لعبتى كرة اليد والهوكى تمارسان فى العراق قبل أن يكون لكل منهما اتحاد يشرف على اللعبة .

وهذه الاتحادات التى تشرف على الرياضة فى جميع القطاعات ، تشكل بطريقة تختلف عما هو معروف لدينا .. فهناك الاتحاد يتكون من ٦ أعضاء : ثلاثة منهم بالتعيين ، والآخرون بالانتخاب .

وأبرز هذه الاتحادات اتحاد كرة القدم ، نظرا لشعبية اللعبة ، وكثرة نزالات فرق الكرة العراقية مع فرق أجنبية وخاصة مع فرق

مباراة رسمية فى الملاكمة بين البصرة وبغداد فاز فيها عزيز محمد سعود على حسن مهادى

الدول المجاورة ، ويلى كرة القدم فى الشعبية والنشاط الملاكمة ، بالرغم من تحريمها على طلبة المدارس . فقد شاهدنا فى العراق لأول مرة أكثر من فريق دولى ، فى بغداد وفى البصرة ، أما أحسن نتائج فرق العراق ، فقد أحرزها اتحاد رفع الأثقال ، عندما فاز أحد أبطاله بالمركز الثالث فى الدورة الأولمبية بروما عام ١٩٦٠ .

ومن العقبات التى تصادف المشرفين على تنظيم المسابقات ، بعد المسافة بين البلدان وبعضها .. فاذا أراد فريق بغداد أن يلعب - مثلا - مع فريق البصرة ، فاما أن يسافر بالطائرة وهذا فيه ارهاق مادى لا يساعد على اتمام المسابقة ، أو يسافر بالسيارة ، فيقطع الطريق فى ١٦ ساعة ذهابا وايابا ، وهنا لا تتوفر الراحة لفريق يريد أن يتبارى مع منافسه .

رحلات ثقافية

أما الفرق العربية التى تسافر للعب مع العراق ، فانها تكسب الى جانب التعارف والللقاء الأخوى فى ميدان الرياضة ، معرفة وثقافة ، حيث يشعر الزائر للعراق بأنه يعيش مع السلف الصالح الذين قرأ عنهم ودرس تاريخهم فى مراحل التعليم المختلفة .. سيرى فى مدينة المنصور قبر سليمان الفارسى ، واذا سار بالعربة ثلث ساعة ، فانه سيرى ايوان كسرى الذى تصدع يوم مولد الرسول - عليه الصلاة والسلام - وعلى الجانب الآخر من بغداد ، قبر الامام العظيم أبى حنيفة ، والى جواره مبنى كلية الشريعة الاسلامية ، وبها ١٧ أستاذا من علماء الأزهر الشريف ، يؤدون فيها أسمى وأنبل رسالة .

ولا يترك الاخوة العراقيون أى فريق رياضى يزور العراق ، الا بعد أن يطوفوا معه فى جميع البلدان التى تضم قبور الصالحين ، هناك فى النجف وكربلاء والكوفة آثار يتشوق كل مسلم أن يعيش بجوارها يستلهم العظة والعبرة .

وفى البصرة ، تجد مسجد الحسن البصرى وقبره ، ومقبرة الزبير بن العوام التى دفن

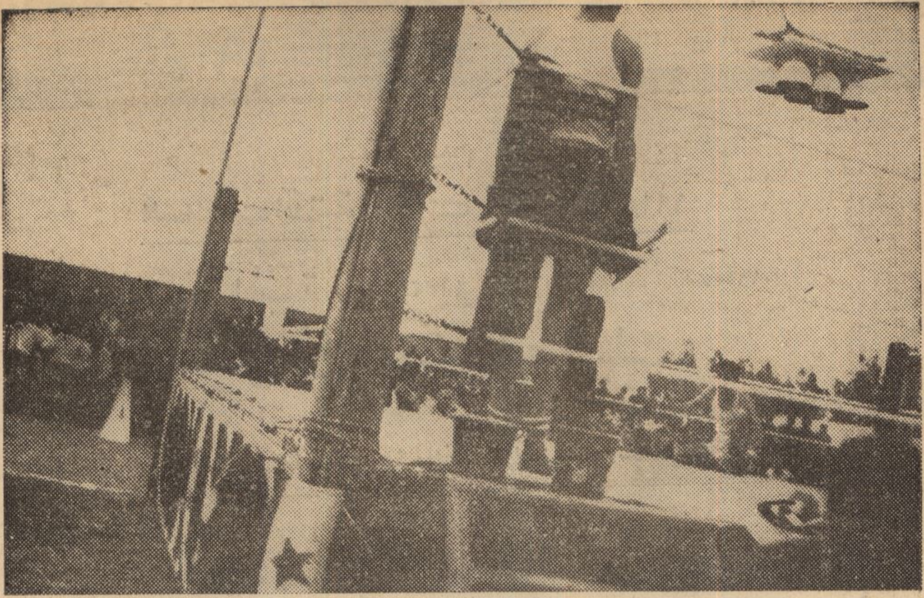

مباراة فى الملاكمة بين نحسن الرزاز من الجمهورية العربية المتحدة وستار رءوف من البصرة وفاز محسن بالضربة القاضية

فيها بالقرب من الكويت ، وقبر الجوزى أحد علماء المسلمين المشاهير فى القرن السابع الهجرى .

كل هذه الآثار يراها الرياضيون الزائرون للعراق ، ويعيشون فيها .. متنقلين بينها ، وكأنهم فى رحلة ثقافية للدراسة .. وهذه بلا شك احدى مزايا الرياضة ، فهى التى تنقل اللاعبين من مكان الى مكان ، ومن بلد الى بلد ، وكم سمعت من عدد كبير من الرياضيين قولهم :

لولا الرحلات الرياضية ، ما لعبنا الرياضة .. والواقع أن اللاعب المرموق الذى يحوز شرف تمثيل بلاده يحصل على مزايا فى رحلات ما كان لانسان غير رياضى أن يحصل عليها بأى حال .

نظرة على اللقاءات

واذا تركنا المزايا الثقافية فى الرحلات الرياضية ، ودخلنا فى صلب الموضوع ، أو فى الهدف الأساسى لتبادل الزيارات بين الفرق الرياضية ، وجدنا أن هناك شروطا فنية يجب أن تتوافر فى مباريات الفرق الشقيقة ، حتى لا تتدخل العاطفة فيها ، فتمحو كل فوائدها ، لأنه بلا شك ، يقف ـ أحيانا ـ كل متفرج مشجعا لفريق بلده ، بحكم أنه الأقرب ، ولأن عاطفته نحوه أشد ، وبالرغم من أن هذا لم يحدث فى رحلاتنا ، حيث وجدنا جمهور العراق يشجع بعض لاعبينا ، الا أن الواجب أن تتوافر شروط هذه المباريات قبل اقامتها ، ومن هذه الشروط :

*** وجود التكافؤ النسبى بين الفريقين ، أو اللاعبين .**

*** وجود حكام قديرين ذوى خبرة .**

*** عدم اكتراث المتبارين بالنتيجة ، بل تكون المباريات لهدف واحد : هو تبادل الخبرات .. والتعارف .**

***

ولا شك أننا اذا راعينا ذلك فى اللقاءات الرياضية مع الاخوة ، فاننا سنحقق الهدف الأسمى من تعارف الشباب فى ميدان الرياضة .

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر

الدار المصرية للتأليف والترجمة

تقدم

السلاسل الآتية خلال شهر مايو ١٩٦٥

المكتبة الثقافية (العدد ١٣٢) تصدر فى ١٩٦٥/٥/١

النيل فى عصر المماليك

دكتور محمود رزق سليم

تطلب من الباعة ومن دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ١٩ ش ٢٦ يوليو ت ٥٥٠٣٢ و ٧٧٧٤١

العدد الثالث

مجلة الفكر المعاصر

يصدر فى ١٩٦٥/٥/٣

(فكر مفتوح لكل التجارب)

تلاحق اتجاهات الفكر فى العالم وتضع القارئ فى تيار عصره — رئيس التحرير د. زكى نجيب محمود — ٥ قروش

تطلب من باعة الصحف ومن مكتبة دار التأليف والترجمة ٥ ميدان عرابى ت ٤٦٣٨٣

تراث الإنسانية

العدد ٥ المجلد الثالث تصدر فى ١٩٦٥/٥/٥

سلسلة تتناول بالبحث والتعريف روائع الكتب التى أثرت فى الحضارة الإنسانية

تطلب من الباعة ومن مكتبة دار التأليف والترجمة ٥ ميدان عرابى القاهرة ت ٤٦٣٨٣ — ٥ قروش

أعلام العرب (٤١)

صلاح الدين الأيوبى

د. سعيد عبد الفتاح عاشور

يطلب من الباعة ومن مكتبة مصر ٣ شارع كامل صدقى بالفجالة ت ٩٠٨٩٠ — ٥ قروش

مجلة الكتاب العربى

(العدد ١٢) تصدر فى ١٩٦٥/٥/١٠

المجلة التى تعرض الكتب وتحللها بأقلام فئة مختارة من الكتاب المتخصصين

تطلب من الباعة ومن مكتبة دار التأليف والترجمة ٥ ميدان عرابى ت ٤٦٣٨٣

المكتبة الثقافية ١٣٣

الفلسفة فى الميثاق

د. يحيى هويدى

تطلب من الباعة ومن دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ١٩ ش ٢٦ يوليو ت ٥٥٠٣٢ و ٧٧٧٤١

جان كالم

الذى أصبح

موفق كالم

اذا نظرنا فى جوانب الدين الاسلامى من عقيدة ، وشريعة ، وتوجيه وتهذيب ، رأينا كل مافيه يتفق والطبيعة الأنسانية ، اذ ليس فيه ما يعارضنا ، بل ان هذه الطبيعة بما فيها من ميول ورغبات تتطلب هذا الدين ، لأنها تجد فيها ما يرضى حاجاتها جميعا .

فدعوة الاسلام الى التوحيد ، ومحاربة الشرك والوثنية تتفق والطبيعة الأنسانية ، فقد اتضح أن الجماعات البشرية كلما كانت أقرب الى الفطره كانت أقرب الى التوحيد ، وأن الوثنية طارئه عليها ومظهر من مظاهر انحراف الانسان عن فطرته .

ودعوة الأسلام الى الزواج والترغيب فيه تتفق والطبيعة الانسانية وأباحة الأسلام التملك فى حدوده المشروعة تتفق وطبيعة الأنسان وغرائزه - واباحة الطيبات مظهر واضح من مظاهر السير مع الفطره .

وتقرير الاسلام مبدأ الكرامة الانسانية ، والحرية والمسئولية الفردية ، والدفاع عن النفس ، كل ذلك يساير رغبات الفطرة الانسانية ، وليس أدل على أن الانسان بفطرته ميال الى الدين الاسلامي دين التوحيد هو انه اذا مسه ضر لم يجد ملجأ يلجأ اليه الا الله ليكشف ما به من ضر .

بهذا الحديث ابتدأ محدثنا السيد موفق كالم عن الأسلام . والسيد موفق من دتروى بالولايات المتحدة الامريكية يعمل مهندسا ميكانيكيا بشركة فورد . وقد زار الجمهوريه العربيه المتحده فى العام الماضى . ونحن نقدمه اليوم فى موضوعنا كاخ دخل الأسلام يحدثنا عن أعجابه بالأسلام فقال اننى أسلمت لأننى رأيت أن الدين الاسلامى دين المنطق وقد توصلت الى ذلك بقراءة القرآن الكريم . ذلك القرآن الذى أراده الله سبحانه وتعالى أن يكون دستورا للعالم منذ بعث النبى صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامه . كتاب يهدى الي الشريعة التى بلغت نهاية الكمال فى الاستقامة لانها حق وصدق ولأنها اشتملت على اصح العقائد وخير العبادات وأشرف الأخلاق وأصلح النظم لسياسة الجماعه الأنسانيه ان القرآن الكريم قد دعا الى الايمان بالله وترك عباده غيره ونهى عن الشرك بالله فقال « واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا . وأمرنا أن نخص الله بالعبادة والاستعانة « اياك نعبد واياك نستعين » .

ان الصلاة التى تربط العبد بالله وتقوى فى نفسه الخشيه منه ، والصوم الذى هو رياضة بدنية ونفسيه والزكاة وهى مطهرة للنفس من الشح والبخل ، الحج وهو مؤتمر سياسى وعبادة يتجلى فيها الاذعان لله والمساواه بين الناس . ان كل هذه الأمور اجتمعت فى دين واحد ألا وهو الاسلام وهى كفيلة بأن تجعل كل من يعرفها يؤمن بها ويشهد بأن الاسلام هو دين الحق، دين المحبه والتراحم . هذه الأمور جميعا هى التى جعلتنى أبادر بعد دراستها والأقتناع بها الى اشهار أسلامى . وبعد فهذه قصة أخرى نهديها كل شهر الى الذين يعيشون فى الظلام والضلال عسى الله أن يتم نوره عليهم فيهديهم الى الصراط المستقيم ان الناس لو اتبعوا هدى القرآن الكريم لسعدوا أفرادا وجماعات فى دنياهم وأخراهم .

الفن الإسلامي

البيمارستانات في مصر الإسلامية

الأستاذ شفيق أحمد عبد القادر

كلمة بيمارستان كلمة فارسية مركبة من كلمتين هما « بيمار » بمعنى مريض و « ستان » بمعنى مكان أو دار فالكلمة اذن « بيمارستان » يقصد بها مكان المرضى او المستشفي حسب الاصطلاح العصرى .

ويذكر المؤرخون أن أول من بنى البيمارستانات فى الاسلام الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموى وذلك سنة ٨٨ هـ ويقول فى ذلك المقريزى عميد مؤرخى العصور الوسطى فى مصر الاسلامية « وجعل فى البيمارستان الأطباء وأجرى عليهم الارزاق ، وامر بحبس المجزومين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق » .

ويبدو مدى هذه العناية الطبية من قول المقريزى السابق ذكره . على انه يبدو أن الدخول الى هذا البيمارستان كان قاصراً على المجزومين وعلى العميان دون سواهم . كما أن المؤرخين لم يحددوا المكان الذى بنى فيه بيمارستان الوليد وارجح انه كان فى دمشق عاصمة الدولة الأموية .

أما عن تاريخ البيمارستانات بمصر الاسلامية فقد ذكر ابن دقماق فى تاريخه ان دار ابى زبيد بزقاق القناديل قد اتخذت بيمارستانا ولعل تحويل هذه الدار الى بيمارستان تم فى عهد الدولة الأموية وقد رأينا مدى عناية الوليد بالمجزومين والعميان . ولعلها كانت على مثال بيمارستان الخليفة الوليد الذى شيد فى دمشق ولا تستقبل الا المجزومين والعميان .

كما قام الفتح بن خاقان ببناء بيمارستان آخر فى ايام الخليفة العباسي المتوكل على الله وكان موقعه فى خطة المعافر بين الفسطاط ومصلى خولان بالقرافة . ولما جاء احمد بن طولون الى مصر واليا عليها انشا البيمارستان الأعلى (العتيق) سنة ٢٥٩ - ٢٦١ هـ . وقد انفق على تشييده مبلغا كبيرا يصل الى ٦٠,٠٠٠ دينار وشرط الا يعالج فيه جندى ولا مملوك وعمل حمامين للبيمارستان احدهما للرجال والآخر للنساء وحبسهما على البيمارستان كما وقف على البيمارستان كذلك اوقافا ذات قيمة . وقد دثر هذا البيمارستان ولم يجد المقريزى له أثراً .

ولما قامت الدولة الاخشيدية انشا كافور الاخشيدى سنة ٣٤٦ هـ البيمارستان الأسفل ونقل الكثير مما كان يحتاج اليه من بيمارستان احمد بن طولون . وقد ظل هذا البيمارستان موجودا حتى رآه الرحالة ابن جبير الاندلسي الذى زار مصر سنة ٥٧٨هـ - ١١٨٢م . وأشار اليه اشارة عابرة فقال « وبمصر مارستان آخر على مثال ذلك الرسم بعينه » أى على مثال البيمارستان الذى اعده صلاح الدين باحد القصور الفاطمية والذى وصفه ابن جبير باسهاب .

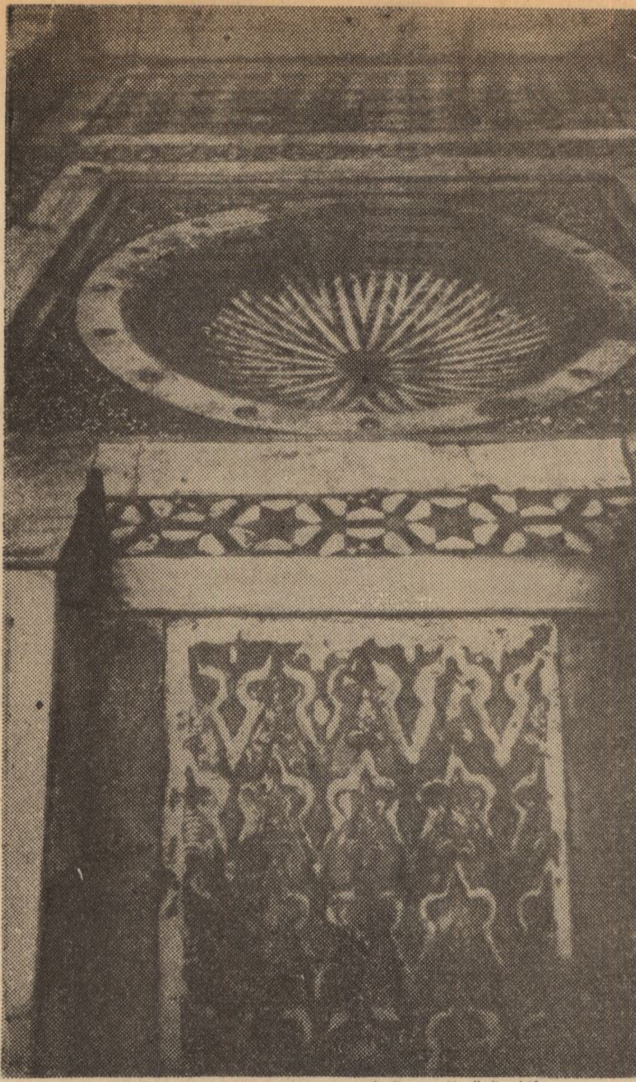

الفسقية الموجودة فى بيمارستان قلاوون

وقد ظل البيمارستان الاخشيدى قائما حتى عهد المؤرخ ابن دقماق . وقد اشار الي سوء حالته فقال : وليس به الان شراب يتلمسه الفقير .... » على ان عناية الفاطميين بالبيمارستانات فى مصر الاسلامية يبدو واضحا فيما يذكره المقريزى فى وقفية للخليفة الفاطمى الحاكم بامر الله وهى مؤرخه فى سنة ٤٦٥ هـ . ومن هذه الوقفية نعلم بانه لم يوجد بالقاهرة سوى بيمارستان واحدولعله البيمارستان المعروف بالقشاشين والذى هدم فيما بعد واقيمت مكانه دار الديلم . كما كان هناك بيمارستان آخر فى سوق السقفيين خارج باب زويلة بجوار دار التفاح وقد ظل هذا البيمارستان موجودا حتى عهد صلاح الدين .

ولما زالت الدوله الفاطمية على يد صلاح الدين الايوبى نجده فى سنة ٥٦٧هـ - ١١٧١م يحول أحدى قاعات قصر العزيز بالله الي بيمارستان أطلق عليه اسم البيمارستان العتيق .

وقد وصف ابن جبير الاندلسى هذا البيمارستان وصفا دقيقا فقال « المارستان الذى بمدينة القاهرة هو قصر من القصور الرائقة حسنا واتساعا ابرزه لهذه الفضيلة تاجرا واحتسابا وعين قيما من اهل المعرفة وضع لديه خزائن العقاقير ومكنه من استعمال الأشربة واقامتها على اختلاف انواعها ، ووضعت فى مقاصر ذلك القصر أسرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسى . وبين يدى ذلك القيم خدمة يتكفلون بتفقد احوال المرضى بكرة وعشية فيقابلون من الاغذية والاشربة ما يليق بهم وبازاء هذا الموضع موضع مقتطع للنساء المرضى ولهن من يكفلهن ويتصل بالموضعين المذكورين موضع آخر متسع الفناء فيه مقاصير عليها شبابيك الحديد اتخذت محابس للمجانين. ولهم أيضا من يتفقد فى كل يوم احوالهم ويقابلها بما يصلح لها والسلطان يطلع هذه الاحوال كلها بالبحث والسؤال ويؤكد فى الاعتناء بها والمثابرة عليها » . وقد انشأ صلاح الدين الأيوبى بيمارستانا بالاسكندرية وقد رآه كذلك ابن جبير . ولكن يبدو انه كان خاصا بعلاج الغرباء عن مصر وفى ذلك يقول ابن جبير :

« ونصب لهم مارستانا لعلاج من مرض منهم ووكل بهم اطباء يتفقدون احوالهم وتحت ايديهم خدام يامرونهم

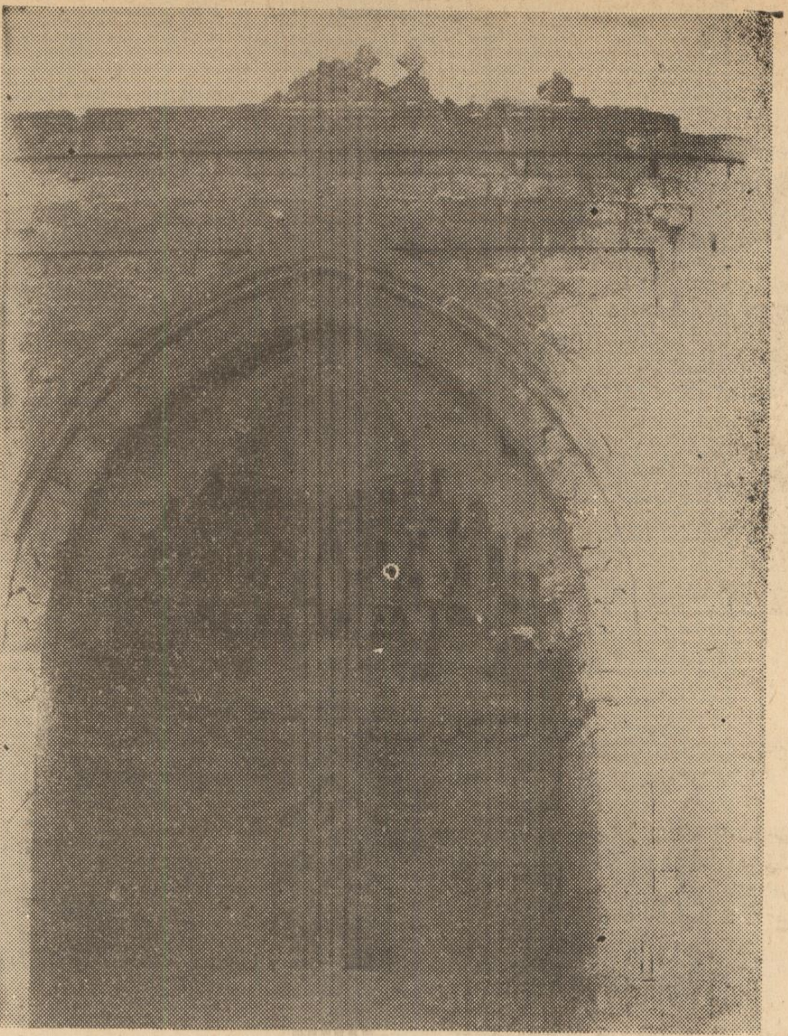

واجهة باب البيمارستان المؤيدى

النظر فى مصالحهم التى يشيرون بها من علاج وغذاء . وقد رتب ايضا فيه اقوام برسم الزيارة للمرضى الذين يتنزهون عن الوصول للمارستان المذكور من الغرباء خاصة وينهون الى الاطباء احوالهم ليتكفلوا بمعالجتهم »

ومن هذا النص يتضح ان بيمارستان صلاح الدين بالاسكندرية لم يقتصر على العلاج الداخلي بل ان اطبائه كانوا يعودون المرضى فى منازلهم ويصفون لهم الدواء وطرق العلاج .

البيمارستانات فى عهد الدولة المملوكية :

اهتم سلاطين المماليك فى مصر الاسلامية بالبيمارستانات وقد بقى مما شيدوه بيمارستانان هما :

١ – بيمارستان المنصور قلاوون . (٦٨٤هـ–١٢٨٥م) أثر رقم ٤٣

٢ – البيمارستان المؤيدى نسبة الى المؤيد شيخ المحمودى (٨٢٣هـ – ١٤٢٠م) أثر رقم ٢٥٧ وسنحاول دراسة كل من هذين الأثرين والقاء الضوء عليهما .

(١) بيمارستان قلاوون :

اصيب المنصور قلاوون سنة ٦٧٥هـ – ١٢٧٦م وكان ما يزال أميرا وهو بدمشق قولنج عظيم فعالجه اطباء البيمارستان النورى (نسبة الى مشيده السلطان نور الدين محمود) ولما عوفى زار البيمارستان وأعجب به ونذر ان آتاه الله الملك ان يبنى بيمارستانا وعندما اعتلى أريكة السلطنة بدأ برد الفضل أولا الى بيمارستان نور الدين محمود بدمشق . فقد أمر ناظر البيمارستان باعادة ترميمه وأقيمت لهذه المناسبة لوحة تذكارية تدل على أن الفراغ من عملية الترميم كانت فجر العشر الأول من ربيع الثانى سنة ٦٨٢ هـ

فلما تم الفراغ من ترميم بيمارستان نور الدين قرر انشاء بيمارستان بمدينة القاهرة .

اختار المنصور قلاوون مكانا متوسطا فى القاهرة يقابل مدرسة الصالح نجم الدين ايوب وكذلك مدرسة الظاهر بيبرس وذلك لغرض ابراز ومنافسة ما يشاء سيده ومولاه الصالح ايوب وزميله الظاهر بيبرس .

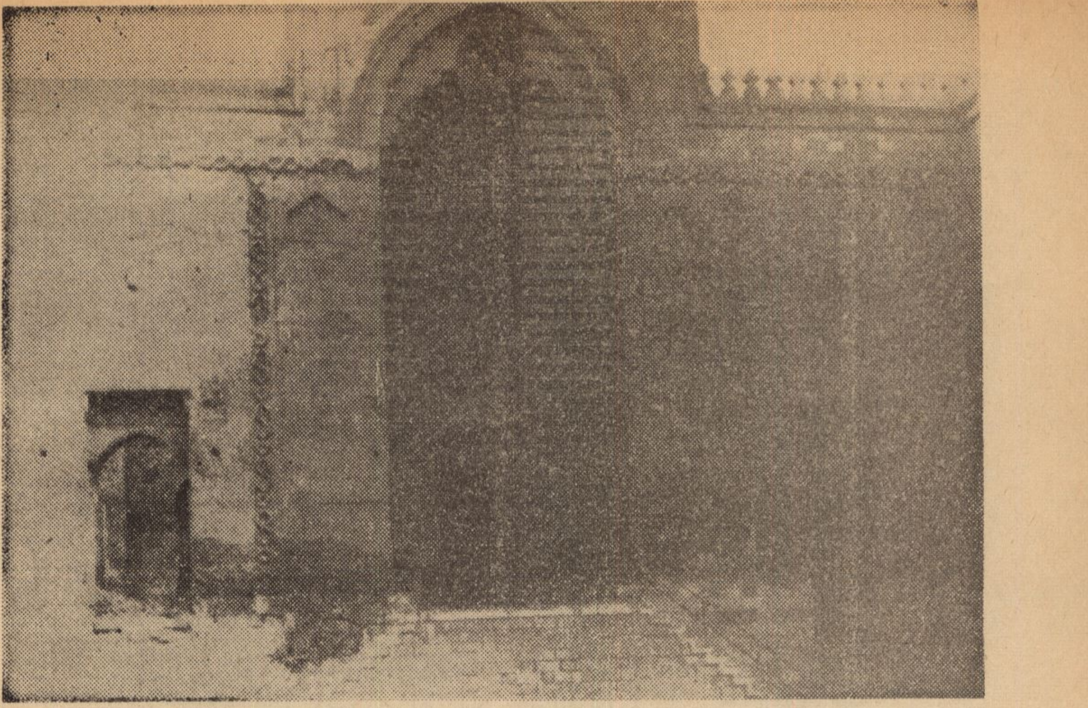

واجهة البيمارستان المؤيدى بالمسوة بالقرب من القلعة

فاستولى علي الدار القطبية التى كانت فى الاصل قاعة ست الملك الفاطمية اخت الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله وهى قاعة من قاعات القصر الفاطمى الغربى . وولي علىعمارة البيمارستان والقبه والمدرسة الامير علم الدين سنجر الشجاعى بدأ الشروع فى بناء البيمارستان فى أول ربيع الآخر ٦٨٣ - ١٢٨٤ م .

ويحدثنا المقريزى فيذكر أن علم الدين سنجر الشجاعى ابقى قاعة ست الملك على حالها وعملها بيمارستانا ويصف القاعة بقوله :

« وهى ذات ايوانات اربعة بكل ايوان شاذروان وبدور قاعتها فسقية يصير اليها من الشاذوران الماء » .

وقد جعل أواوين المارستان الاربعة للمرضى بالحميات ونحوها . كما بني عدة قاعات افرد منها قاعة للرمدى (امراض العيون) وقاعة للجرحى (الجراحة) وقاعة لمن به اسهال « الامراض الباطنية » وقاعة للنساء ومكانا للمبرودين (المجانين) ينقسم قسمين : قسم للرجال وقسم للنساء . وجعل الماء بجرى فى جميع هذه الاماكن كما أفرد مكانا لطبخ الطعام والادوية والاشربة ومكانا لتركيبالمعاجين والاكحال ومواضعلخزن مايحتاج اليه البيمارستان ومكانا لتوزيع الأشربة والادوية . كما افرد لرئيس الاطباء احد الأمكنة للجلوس فيه لالقاء درس (أشبه ما يكون بقاعة المحاضرات) .

ولم يحدد عدد من يستقبلهم البيمارستان من المرضى كما لم تحدد مدة لاقامة المريض بل وفتحت ابوابه للغني والفقير على السواء . كذلك اتبع نظام العيادة الخارجية والذى اشرنا اليه عند الكلام على بيمارستان صلاح الدين بالاسكندرية فكان يصرف الدواء وسائر ما يحتاج اليه المريض فى داره .

ونستطيع ان نقول عن تخطيط البيمارستان المنصورى أنه كان مولفا من قاعة ست الملك بأواوينها الاربعة . بجانب عدة قاعات خصصت لشتى الاعراض . هذا وقد تم انجاز المجموعة الاثرية التى تتألف من البيمارستان والقبة والمدرسة فى احد عشر شهرا .

الرحالة وبيمارستان قلاوون :

على ان هذا البيمارستان قد اثار اعجاب كثير من الرحالة العرب والأجانب على السواء . من اشهرهم الرحالة البلوى الذى وفد على مصر سنة ٧٣٦ - ١٣٣٥ اى بعد انشاء البيمارسنان بحوالى نصف قرن . فأعجب بالبيمارستان ايما اعجاب وقال « ولو لم يكن بالقاهرة ما تذكر به الا المارستان وحده وهو قصر عظيم من القصور الرائقة حسنا وجمالا واتساعا ، لم يعهد مثله لقطر من الأقطار أحسن بناء ولا أبدع انشاء ولا أكمل انتهاء فى الحسن . »

ثم يذكر ان البيمارستان فى أيامه كان يستقبل اربعة الاف مريض يوميا وانه معد اعدادا تاما لاستقبال هذا العدد . ويختم كلامه عن البيمارستان قائلا : « وما وقعت عينىعلى مثله ولا سمعت أذنيبشبيهه وشكله . »

كذلك يصفه الرحالة ابن بطوطة بقوله : « وأما المارستان الذى بين القصرين عند تربة المنصور قلاوون فيعجز الواصف عن محاسنه . وقد اعد فيه من المرافق والأدوية مالا يحصر ويذكر ان مجباة الف دينار كل يوم . »

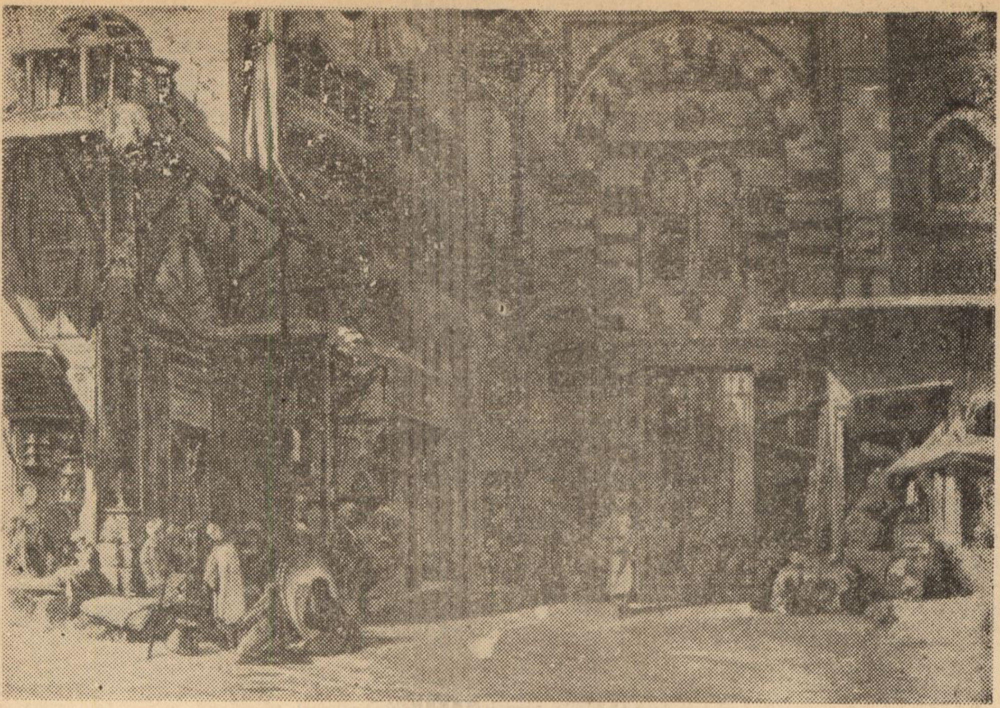

المدخل الى مجموعة قلاوون كما كان فى القرن الماضى

هذا وصف لاثنين من الرحالة العرب يدل على ما كان عليه البيمارستان من عظمة وفخامة من ناحيةومن ناحية اخرى يبين الدور الذى قام به فى معالجة المرضى .

الاجزاء الباقية من البيمارستان المنصورى :

اما عن الاجزاء الباقية من هذا الاثر الجليل فتتمثل فى :

١ ـ الايوان الشرقى وبه فسقية بديعة من الرخام

٢ ـ جزء من القاعة القبلية .

٣ ـ افاريز خشبية اجمع مؤرخو الفن الاسلامي على انها ترجع الى العصر الفاطمى وتبين عدة مناظر من الحياة الاجتماعية واليومية فى مصر الاسلامية : من صيد وقنص وطرب ... الخ وهى محفوظة بمتحف الفن الاسلامى .

٤ ـ حليات جصية فى بعض النوافذ الباقية بالبيمارستان تدل على ان زخارف البيمارستان واعمال الفسيفساء به لم تكن تقل نفاسة عن القبة المجاورة حيث ضريح المنصور قلاوون .

هذا وقد اقامت وزارة الاوقاف سنة ١٩١٥ مستشفى للرمد علي جزء كبير من ارض هذا البيمارستان .

البيمارستان المؤيدى :

اهتم المؤيد شيخ المحمودى (٨١٥ ـ ٨٢٤هـ) بالنواحى الطبية . لهذا فقد قرر ان ينشأ بيمارستانا . واختار له موقعا مناسبا بالقرب من القلعة فى الموقع الذى كانت به مدرسة الاشراف شعبان والتى كانت تعد قبل هدمها من محاسن الدنيا . وقد هدمها السلطان فرج بن برقوق من قبل .

بدا بناء البيمارستان فى جمادى الاخرة سنة ٨٢١هـ . وقد تم البناء فى رجب ٨٢٣هـ ونزل فيه المرضى فى نصف شعبان ، فلما مات الملك المؤيد سنة ٨٢٤هـ تعطل قليلا ثم سكنته طائفة من العجم المستجدين فى ربيع الاول سنة ٨٢٤هـ . وصار منزلا للرسل الواردين من البلاد الى السلطان ثم عمل فيه منبر ورتب له خطيب وامام ومؤذنون وبواب وقومه واقيمت به الجمعة فى ربيع الاخر سنة ٨٢٥هـ . فاستمر جامعا .

وقد حجب واجهته فى العصر العثمانى مسجد السكرى وبعض ابنيته عثمانية ترجع الى القرن ١٨م . وقدقيض الله لهذا البيمارستان لجنة حفظ الآثار العربية فازالت هذه المبانى الحادثة وكشفت عن واجهته وعن المدخل الرائع للبيمارستان ويشبه هذا المدخل مدخل مسجده من حيث الزخرفة ولكن على نطاق اوسع .

تخطيط البيمارستان المؤيدى :

ترى السيدة دفونشير فى كتابها جولات فى القاهرة ان هذا البيمارستان بنى على مثال بيمارستان قلاوون.

وقد اشار الدكتور عبد اللطيف ابراهيم الي ان بيمارستان المؤيد كان تصميمه على مثال ونظام المدارس المتعامدة ذات الايوانات . ورأى سيادته ان هذه هى الاشارة الاولى من نوعها الى تصميم البيمارستان فى المملوكي . على اننا نرى ان المؤرخ المقريزى قد اشار فى كلامه عن بيمارستان قلاوون ما يدل على ان قاعة ست الملك كان مؤلفه من اربعة اواوين بجانب القاعات الاخرى ولعلها كانت ايوانات متعامدة . وهكذا نرى ان السيدة دفونشس لم تعد الحقيقة فيما ذكرته وايدته دراسة وثيقة المؤيدشيخ المحمودى التى درسها تفصيليا الدكتور عبد اللطيف ابراهيم .

شركة مصر لتجارة السيارات

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للتجارة

١٢ شارع عبد الخالق ثروت .. القاهرة

تعتبر أولى شركات القطاع العام المصرح لها بالاستيراد والوكيلة عن الشركات العالمية الآتية :-

توكيلات عالمية

مصانع سيارات فولكس واجن — مصانع أوناش بيبل

مصانع سيارات مرسيدس — مصانع موتورات كمنز

مصانع سيارات فولفو — مصانع موجهارت بالمجر

مصانع س.أ.ف ولوكاس — مصانع موتوكوف بتشيكوسلوفاكيا

مصانع جرارات دافيد براون

محطات الخدمة :

• ورشة مرسيدس
١٠ شارع الجلاء ت ٧٣١٣٢ - ٧٣٠٢١

بالقاهرة

• محطة خدمة سيارات نصر
بالقاهرة

١٢ شارع عبد الخالق ثروت - ت ٤٩٧١٠

ورش فولكس فاجن

٥ شارع النيل بإمبابة ت ٨٠٠٦٨٢ - ٨٠٩٨٤٩

٤ شارع الادريسي بمنشية البكري بمصر الجديدة
تليفون ٦٠٤٠٦

٣ شارع رياض بالأزاريطة بالإسكندرية
تليفون ٢٥٨٩٦

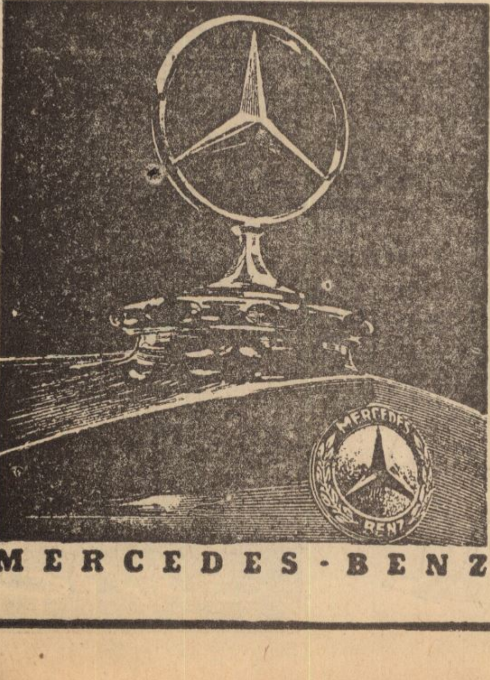

MERCEDES-BENZ

تنظيم الأسرة
في الإسلام

تحقيق من إعداد

عبد العظيم ملوك
زينب زكري

ثارت فى الآونة الاخيرة مشكلة من أهم المشاكل التى تهم العالم الاسلامى وهى مشكلة تنظيم الاسرة وخاصة بعد صدور قانون الاحوال الشخصية الاخير فتعددت الاراء فبعضها يقف موقفا معارضا منها وبعضها يعضدها وذلك فى مختلف اجهزة الاعلام .

وبدورنا رات مجلة منبر الاسلام أن تشارك هـذا وتدخل فى المناقشة الحرة لتبين للعالم الاسلامى وقرائها خاصة موقف الاسـلام من تحـديد النسل ـ تعـدد الزوجات ـ الطلاق ـ رعاية الاطفال ـ دور الاسـرة فى مجتمعنا الاشتراكى الجديد . الاسس العامة التى اقام عليها الاسلام نظام الاسرة وموقف الاسلام بوجه خاص حيال المراة المتزوجة وحقوقها وواجبـاتها وعن النظم الغربية الحديثة وهل اعطت المراة من الحقوق اكثـر مما أعطى لها الاسلام .. وواجب الدولة حيـال تنظيم الاسرة .

واشترك فى هذا التحقيق رجال وسيدات افاضل .

وكان لقاؤنا الاول مع فضيلة الامام الاكبر الشـيخ حسن مامون شيخ الجامع الازهر وسـألناه عن رأى سيادته فى تحديد النسل ـ تعدد الزوجات ـ الطلاق ـ رعاية الاطفال .

فاجاب فضيلته قائلا :

عنى الاسلام بالاسرة ووضع لها من النظم ما يـكفل رعايتها وسعادتها ، ولن تصل أرقى النظم الوضـعية الى ماوصلت اليه الشريعة الاسلامية فى رعايتها للاسرة أما ما يثار اليوم باسم ـ تنظيم الاسرة ـ من مشاكل اجتماعية بزعم انها عيوب أو أمراض يطلب لها المصلحون العلاج . فان هذه المشاكل قد عالجها الاسلام ووضـع لكل مشكلة مايناسبها . ولكل مرض ما يصلح له من علاج . انها نظم سماوية وضعها العليم باحوال الناس فى كل زمان ومـكان . ومن اجل ذلك كانت شريعته سبحانه وتعالى صالحة لكل زمان ومكان .

ولناخذ المشكلة الاولى : تحديد النسل .

أولا : انا لا أوافق على شىء يسمى تحديد النسل ، فتحديد النسل هذا أمر موكول لله سبحانه وتعـالى وليس فى مقدور أحد من البشر . فمن الذى يدرى ان كان سيبقى له من الاولاد أثنان أو ثلاثة أو اكثر أو أقل أو يجتاح أولاده وباء أو حادث فيموتون جميعا . ولكن التسمية فيما أرى هى تنظيم النسل بمعنى تاخيره فترة من الزمان وهذا أمر سبق أن قلت أكثر من مـرة لاكثر من جهة .

ان من الفقهاء من أجاز اتفاق الزوجين على تأخير الحمل فترة من الوقت اذا كان فى النسل ضرر يصيب الزوجة أو الزوج فانه يجوز لكل من الزوجين اتخاذ ما يراه من الهياكل لتاخير الحمل . ولو بغير رضـا الطرف الاخر . وبعد زوال الضرر يعود النسل كما كان .

على اننى لا ارى فى كثرة النسل مشكلة تدعـو الى تحديده أو تنظيمه بل الامر بالعكس . فنحن فى حاجة الى الاكثار من النسل حتى نستطيع القيام بمشروعاتنـا من الزراعة والصناعة واصلاح الاراضى وتعمير الصحارى وغير ذلك . والارزاق قد كفلها الله سبحانه . وماعلينا الا أن نعمل ونسعى لتحصيلها . قال تعالى :

« فامشـــوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » . وقال تعالى : « فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله »

المشكلة الثانية : تعدد الزوجات .

أما تعدد الزوجات فقد أباحه الله سبحانه ليعالج به بعض مشاكل الحياة الزوجية كالعقم وسوء العشرة والرغبة فى الابقاء على الحياة الزوجية مع القيـام بجميع حقوق الزوجة الاولى بدلا من التنـكر لها والقضاء على الحياة الزوجية بالطلاق . ومما ينبغى ان يراعيه الزوج فى حالة التعدد ألا يستعمل ما أباحه له الشرع الا عند الضرورة القصوى المقتضية له . وفى حالة الاطمئنان أو غلبه الظن أنه يستطيع أن يعدل بين الزوجتين وان يوفر لكل منهما جميع حقوقهما التى أوجبتها عليه لهما الشريعة الاسلامية والافضل له الايقدم على التزوج بالزوجة الثانية الا برضا الزوجـة الاولى ومع ضرورة اعلام الزوجة الثانية بانه متزوج من غيرها .

وقد أوجب الاسلام على الزوج أن يعدل بين زوجاته وأن يسوى بينهن فيما يدخل فى استطاعته . أما مالا يدخل فى استطاعته كالميل القلبى فليس مطالبـا به فالقلوب بين يدى الرحمن يقلبها كيف يشاء .

فاذا تيقن من يريد تعدد زوجاته أنه لن يستطيـع العدل بينهن فانه يحرم عليه أن يتزوج ويكون زواجـه فى هذه الحالة صحيحا مع الاثم .

المشكلة الثالثة : الطلاق .

أما الطلاق فهو علاج وضعه الاسلام فى يد الرجـل لاصلاح الاسرة اذا ماسادها الشقاق والنفور واستحالت الحياة الزوجية واستنفدت كل طرق الاصلاح التى شرعها الاسلام من وعظ وهجر وتحكيم وغير ذلك .

والطلاق حق أباحه الاسلام للرجل على الا يقدم عليه الا فى حالة الضرورة القصوى وأن يكون هو العـلاج الوحيد لحل مشاكل الاسرة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « ابغض الحلال الى الله الطلاق » . ولانه اجاب زيد بن حارثة حينما عرض عليه أن يطلق زوجته زينب بنت جحش بقوله (امسك عليك زوجك واتق الله) حرصا من الرسول عليه الصلاة والسلام على الا يطلق الزوج زوجته لسبب أو لاسباب غير موجبة للطلاق .

والافضل للرجل أن يتفق مع زوجته على انهاء الحياة الزوجية فى هذه الحالة وأن يعوضها عنها فى حالة ما اذا كانت الكراهية أو البغض وسوء العشرة من جانبه أو أن يقبل منها الفداء اذا كانت هى الراغبـة فى الطلاق لان الشارع أباح لهما ذلك . قال الله تعالى : « الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تاخذوا مما أتيتموهن شيئا الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ، فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » .

ولان الاسلام يهدف الى اصلاح الاسرة فقد جعل الله الطلاق الذى يملكه الرجل ثلاث طلقات يوقعهن فى ثلاث مرات متفرقات . فلعله بعد المرة الاولى أو الثـانية يعود كل من الزوجين الى صوابه ويثـوب الى عقله ورشده فيعود الى زوجه واولاده واسرته . ولذلك شرع الاسلام الرجعة بعد الطلقة الاولى والثانية . فاذاكانت الطلقة الثالثة فليس هناك أمل فى حياة مـستقرة سعيدة لهذه الاسرة بعد تجربتين من الطلاق والعـودة لم تحققا الغرض منهما . ويكون من الافضل فى هـذه الحالة أن يتفرقا وأن يذهب كل منهما الى حال سبيله

قال تعالى « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما » .

المشكلة الرابعة : رعاية الاطفال .

اما رعاية الاطفال فقد كفلها الاسلام بنظمه التي ينادي بها اليوم علماء النفس وقد رعاها الاسلام من اربعة عشر قرنا . فليس ينكر احد حاجة الطفل الى حنان امه ورعايتها ، وقد خلقها الله سبحانه وتعالى وكونها تكوينا تنفرد به عن الرجل في القيام بوظيفة الامومة . ولذلك جعل الاسلام حضانة الطفل من حق النساء حتى يستغنى عن خدمتهن . فاذا ما استغنى عن خدمة النساء كان الاب اولى به فان كان صبيا فهو في حاجة الى أن يتادب باداب الصبيان حتى يشب رجلا صالحا يؤدى حق الله وحق وطنه عليه بامانة واخلاص . وان كانت أنثى فهى في حاجة الى رعاية ابيها وصيانته وحفظه . والشأن أن الرجال يكونون في الغالب أقدر على القيام بهذه المهمة . وان كان بعض النساء لا ينكر فضلهن في رعاية اولادهن ذكورا واناثا وتنشئتهم النشأة الصالحة . وعلى كل حاضن من الرجال والنساء ان يتقي الله في الامانة التي وضعها الله بين يديه والتي هو مسئول عنها امام الله ولا ينبغي أن يكون كراهية احد الابوين للاخر مدعاة وسببا في بث كراهية الاولاد لاحد ابويهم . اما تقدير سن حضانة النساء بسبع أو لتسع أو باكثر من ذلك فمرده مراعاة مصلحة الصغير أو الصغيرة والله أعلم .

ثم كان لقاؤنا الثاني مع السيدة الدكتورة حكمت ابو زيد وزيرة الشئون الاجتماعية عن دور الاسرة في مجتمعنا الاشتراكي الجديد فاجابت :

ان الاسرة يجب أن تواجه موقفا جديدا وهو موقفها كوحدة انتاجية واستهلاكية وموقفها من التنمية التي يجب ان ترتبط الاسرة بعجلتها لتكون عامل بناء وليس عامل هدم . وهنا يبرز دور التخطيط . ولقد بدأ الوعى التخطيطي في حياة وزارة الشئون الاجتماعية منذ عام ١٩٥٩ وان كان قد نشأ منذ عام ١٩٥٥ وسبقه بدء تطبيق اللامركزية منذ عام ١٩٥٣ . وبهذا سبقت الوزارة بهذا النظام وزارات الخدمات الاخرى والمهم هنا هو أن عملية التخطيط الاجتماعي كانت من المعالم البارزة على الطريق . وأنا هنا أذكر الهيئات التي تعمل مع الوزارة وعلى حسب خطتها أن التخطيط من أهم أسس نجاحها .

والتخطيط الاجتماعي ليس مجرد حصر للاهداف والاحتياجات ووضع الوسائل التي تحققها وانما هو ايضا عبارة عن الخلق المنظم للوعى الاجتماعي لتخطيط حياة الفرد والاسرة . وأكبر سبب لارتباك حياة الاسرة المصرية هو عدم التخطيط الاجتماعي . وأنا أطلب من الاسرة ان يتوفر لديها الوعى التخطيطي وبه يمكن لنا ان نتغلب على نسبة كبيرة من المشكلات التي تعترضنا على الطريق .. الاسرة والطفولة .

فالوعى التخطيطي هو أساس تغلبنا على مشكلة التزايد في السكان والتغلب على مشكلات الاستهلاك . ولحل المعادلة الصعبة زيادة الانتاج والاستهلاك مع زيادة الادخار . انني أتصور الاسرة في المجتمع الاشتراكي مؤمنة بمبدأ الكفاية والعدل وتساوى الفرص واذا انجبت الاسرة عشرة أفراد مثلا فلا يمكن للدولة أن توفر له كل امكانيات الرعاية وهذا أمر يجب أن يتحدد على أساس امكانيات الدولة الى جانب احتياجات الفرد ذاته . فلا بد أن نقرن الحقوق بالواجبات وان نقرن كل شعار بامكانيات التطبيق والتنفيذ .

والاسرة لابد وأن تقوم على أساس من الايمان بمبدأ التحول الاشتراكي والانطلاق نحو تحقيق المبادىء الاشتراكية فاذا ظلت الاسرة في مكان ضيق محدود فانها لن تصبح المصنع الذي يقوم باعداد الاجيال ومن ثم فلن تقوم بدورها في التنمية الاجتماعية .

اننا نريد للاسرة ان تقوم بدورها في بناء المجتمع بشكل ايجابي بناء، ولابد للاسرة الا تؤمن باهمية الانتاج فحسب بل ان تؤمن كذلك باهمية كفاية الانتاج فكل فرد لايؤدى عمله بالشكل الذي ينظمه القانون فقط وانما على كل فرد في مرحلة التحول والانطلاق ان يشعر أنه مجند للخدمة العامة فاذا طلب منه ان يبنى لبنة واحدة فعليه أن يبنى ثلاث لبنات أو أكثر فهذه ضريبة لا لتعويض الجيل الحاضر فحسب وانما لبناء المستقبل في المجتمع الاشتراكي .

فرسالة المواطنين أن يواصلوا الليل بالنهار من اجل حركة البناء والانتاج وليس الانتاج المادى فقط بل الانتاج البشرى ايضا . فان الميدان الذي نعمل فيه ميدان صعب لانه ميدان صناعة البشر الذي هو اصعب من بناء المصانع فواجبي ان ابنى المواطن الذي يشعر بكرامته وعزته .. المواطن الملتزم نحو المجتمع الذي يعيش فيه .

ولابد للاسرة أن تؤمن بالخلق والسلوك الاشتراكي كدعائم تقوم عليها فكيف نتبع السلوك الاشتراكي والاخلاق الاشتراكية من الخلية الاولى للمجتمع ؟؟

ان ذلك يكون بان تؤمن الاسرة باهمية العلم والعمل. وباهمية التخطيط الاجتماعي وبحقوق الفرد وواجباته وبحقوق الطفولة ، وبحق المراة في المجتمع وبأن تنظيم الاسرة من أهم أسس التخطيط الاجتماعي ولا أعنى به تنظيم النسل فقط وانما أعنى تنظيم الاسرة ماديا ومعنويا وأدبيا .

فهناك مكاتب التوجيه والاستشارات الاسرية وهى ليست مكاتب للمصالحات فهذه مجرد وظيفة وانما هى تعنى في الواقع بتوجيه الاسرة التوجيه السليم لينظم حياتها وتوفير التخطيط الواعى فيها ، ومن أجل هذا فهى تستقبل حتى هؤلاء الذين يتقدمون اليها قبل الزواج . كما تستقبل الشيوخ الذين يلجأون اليها لعلاج مشكلاتهم مع أسرهم وهى لا تضم الاخصائي الاجتماعي فقط وانما يوجد بها الخبير الاقتصادي وخبراء تنظيم الاسرة .

واننا لنأمل أن تتطور رسالة الوحدة الاجتماعية لتكون وحدة لتنظيم ورعاية شئون الاسرة بما يشمله نشاطها من خدمات .. والوحدات السكنية والحضرية تقوم أساسا على رعاية شئون الاسرة فهى لا تضم فقط مكاتب تنظيم الاسرة أو دور الحضانة أو الاسر المنتجة وانما تضم كذلك نواد للعائلات ستتحول فيما بعد الى معاهد لربات البيوت يتلقين فيها توجيهات في الاقتصاد المنزلى وتربية الاطفال والعلاقات الاسرية .. وهذه المعاهد ستنبث في جميع الوحدات الريفية والحضرية لتاخذ مكانها في رعاية الاسرة .

ونحن في تطويرنا لرسالة الوحدات الاجتماعية نريد ان نجعل منها مراكز للانتاج البشرى فالمشروعات تنبع من البيئة وحاجاتها وتوضع الخطة لها لتعود الى البيئة لتقوم بتنفيذها ومن تطويرنا للاسرة الريفية نشأ ذلك المشروع الضخم لتحويل الاسرة الى خلية انتاجية ، وتحولت المراكز التدريبية في الجمعيات والوحدات الى مراكز لخلق المعلم والمعلمة ليعودوا الى أسرهم يتولون تدريبها ويجعلون منها وحدات منتجة ، وعندنا اليوم

.... أسرة منتجة وفى خلال خمس سنوات أرجو أن تكون جميعا أسرا منتجة .

وبعد أن تحدثت السيدة الدكتورة الوزيرة عن دور الاسرة فى مجتمعنا الاشتراكى الجديد التقينا بالسيد الدكتور على عبد الواحد وافى لنسأله عن الاسس العامة التى اقام عليها الاسلام نظام الاسرة .. وموقف الاسلام بوجه خاص حيال المراة المتزوجة وحقوقها وواجباتها وعن النظم الغربية الحديثة وهل اعطت المراة من الحقوق أكثر مما أعطاه لها الاسلام .

فاجاب قائلا :

وجه الاسلام قسطا كبيرا من عنايته الى تدعيم نظام الاسرة وتخليصها من شوائب الضعف ، واحاطتها بما يكفل لها الصلاح والاستقرار . فلم يغادر اية ناحية من نواحيها الا أقامها على نظم رشيدة ، وقضى على ما كان يسير عليه العرب وغيرهم فى هذا الصدد من طرائق معوجة فاسدة ، وقد شمل الاسلام المراة المتزوجة فى جميع تشاريعه الخاصة بنظام الاسرة برعاية كريمة وعطف رحيم ، وسما بها الى مستوى رفيع لم تصل الى مثله ولا الى مايقرب منه اية شريعة أخرى من شرائع العالم قديمه وحديثه وذلك أن الاسلام قد أعفى المراة المتزوجة من جميع أعباء المعيشة ، والقاها جميعا على كاهل الرجل ، واحتفظ لها مع ذلك بحقوقها المدنية كاملة غير منقوصة ، فالزواج فى الاسلام لايفقد المراة اسمها ولا شخصيتها المدنية ولا أهليتها فى التعاقد ، ولا حقها فى التملك ، بل تظل المراة المسلمة بعد زواجها محتفظة باسمها واسم أسرتها ، وبكامل حقوقها المدنية ، وباهليتها فى تحمل الالتزامات واجراء مختلف العقود من بيع وشراء ورهن وهبه ووصية وما الى ذلك ومحتفظة بحقها فى التملك تملكا مستقلا عن غيرها . فللمراة المتزوجة فى الاسلام شخصيتها المدنية الكاملة وثروتها الخاصة المستقلتان عن شخصية زوجها وثروته وهى مع هذا لاتكلف باى عبء فى نفقات الاسرة مهما كانت موسرة ، بل تلقى جميع هذه الاعباء على كاهل الزوج . فبحسب الشريعة الاسلامية تنعم المراة المتزوجة من الناحيتين الاقتصادية والمدنية بجميع الحقوق بينما يحتمل الرجل وحده جميع الواجبات .

ولا يجيز الاسلام للزوج ان ياخذ شيئا من مال زوجته قل ذلك الشيء او كثر قال تعالى : « وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا : أتاخذونه بهتانا واثما مبينا ؟!.. وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا؟» وقال : « ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا » واذا كان لايجوز للزوج ان ياخذ شيئا مما سبق ان آتاه لزوجته ، فلا يجوز له من باب اولى ان ياخذ شيئا من ملكها الاصيل الا أن يكون هذا او ذاك برضاها وعن طيب نفس منها ، وفى هذا يقول الله تعالى . « واتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » . ولا يحل للزوج كذلك أن يتصرف فى شيء من أموالها الا اذا اذنت له بذلك او وكلته فى اجراء عقد بالنيابة عنها ، وفى هذه الحالة يجوز لها ان تلغى وكالته وتوكل غيره اذا شاءت .

وهذه المنزلة التى تضع فيها الشريعة الاسلامية المراة المتزوجة لم يصل الى مثلها بعد احدث القوانين فى الامم الغربية الحديثة . فحالة المراة فى فرنسا مثلا كانت الى عهد قريب ، بل لا تزال الى الوقت الحاضر ، اشبه شيء بحالة الرق المدنى . فقد نزع منها القانون صفة الاهلية فى كثير من الشئون المدنية كما كانت تنص على ذلك المادة السابعة عشرة بعد المائتين من القانون المدنى الفرنسى اذ تقرر أن « المراة المتزوجة حتى لو كان زواجها قائما على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها ، لا يجوز لها أن تهب ، ولا أن تنقل ملكيتها ، ولا ان ترهن ، ولا أن تملك بعوض او من غير عوض بدون اشتراك زوجها فى العقد أو موافقته عليه موافقة كتابية » .

وعلى الرغم مما ادخل على هذه المادة من قيود وتعديلات فيما بعد ، فان كثيرا من آثارها لا يزال ملازما لوضع المراة الفرنسية من الناحية القانونية الى الوقت الحاضر . ولتوكيد هذا الوضع المهين المفروض على المراة الغربية المتزوجة ، تقرر قوانين الامم الغربية ويقضى عرفها أن المراة بمجرد زواجها تفقد اسمها واسم أسرتها وحملها اسم زوجها وأسرته ، كل ذلك يرمز الى فقدان الشخصية المدنية للمراة واندماجها فى شخصية الزوج على حين ان المراة المتزوجة فى الاسلام تظل محتفظة باسمها واسم أسرتها ، ولا تحمل اسم زوجها مهما كانت مكانة هذا الزوج . فزوجات الرسول عليه الصلاة والسلام انفسهن كن يسمين باسمائهن وأسماء آبائهن . فكان يقال عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت ابى سفيان . وسودة بنت زمعه .وماكن يحملن اسم زوجهن مع أنهن كن زوجات لخير خلق الله .

ومن الغريب ان كثيرا من سيداتنا يحاولن ان يتشبهن بالغربيات ، حتى فى هذا النظام الجائر ويرتضين لانفسهن هذه المنزلة الوضيعة ، فتسمى الواحدة منهن نفسها باسم زوجها ، أو تتبع اسمها باسم زوجها واسرته بدلا من أن تتبعه باسم ابيها واسرتها كما هو النظام الاسلامى وهذا هو اقصى مايمكن أن تصل اليه المحاكاة العمياء . واغرب من هذا كله أن اللائى يحاكين هذه المحاكاة هن أنفسهن المطالبات بحقوق النساء ومساواتهن بالرجال ، ولايدرين انهن بتصرفهن هذا يفرطن فى اهم حق منحه الاسلام لهن ورفع به شانهن .

ثم يحدثنا الدكتور عبد الباسط جميعى الاستاذ بكلية الحقوق جامعة عين شمس عن تحديد النسل ومدى مطابقته للشرع كوسيلة لتنظيم الاسرة فيقول :

تسألوننى عن الدعوة الى تحديد النسل ومدى مطابقتها للشرع ، واظن انه يجب فى الاجابة عن هذا التساؤل أن نفرق بين امرين :

اولهما : أن يعمد شخص فيما بينه وبين نفسه الى تحديد نسله لظروف خاصة به على ألا يكون معنى ذلك منع النسل نهائيا ، بل تحديده فقط وبصفة مؤقتة فليس ثمة مايمنع من ذلك شرعا اذ لاتوجد نصوص تنهى عنه صراحة ، كما انه لاتوجد نصوص تحض عليه أو تدعو اليه . وازاء ذلك لانرى ثمة ما يمنع الشخص من اتخاذ الاحتياطات اللازمة لتحديد نسله فى بعض الظروف لفترة معينة اذا وجد ما يقتضى ذلك .

ثانيا : فهو الدعوة الى انتاج سياسة اجتماعية مؤداها حث الناس على تحديد نسلهم بصفة عامة ، وهذا هو ما اراه مخالفا لروح الشرع وليس له أى مبرر اقتصادى أو اجتماعى سليم . أما مخالفة مثل هذه الدعوة لروح الشرع . فمرجعها الى انه ما ورد فى الاحاديث الشريفة من الحض على انجاب الاولاد يدل تماما على أن ذلك من مقاصد الشريعة الغراء لان الزواج ليس الغرض منه المتعة فحسب بل الثمرة وهى الولد . وما اوجد الله هذه الغريزة الا بقصد بقاء النوع ليكون الانسان خليفة فى الارض فيعمرها حسبما اراد الله

سبحانه وتعالى الى أن يقضى أمرا كان مفعولا . ولكنا نعرف الحديث الشريف « تناكحوا تناسلوا تكاثروا فانى مباه بكم الامم يوم القيامة » وقوله صلى الله عليه وسلم « تزوجوا الودود الولود » .

وكل ذلك يفيد أن انجاب الاولاد وكثرتهم مما يدعو اليه الدين الحنيف . أما الخشية من الفقر فهذه دعوة قديمة نجد الجواب عليها فى قوله تعالى « نحن نرزقكم واياهم » والواقع أن هذه الدعوة الى الحد من تكاثر البشر خوفا من ان تضيق بهم موارد الارض ترجع الى عهد قديم ، وقد نادى بها (مالتوس) وهو قسيس أقام نظرية على أن تكاثر البشر يتم بنسبة أكبر من تكاثر المواد الغذائية ، وقد أثبت العلم فساد هذه النظرية ، واتضح ان فى امكان العقل الانسانى تنمية موارد الانتاج بحيث تكفى لسد حاجات الناس فى أى وقت من الاوقات وتزيد فضلا عن أن أزدياد الناس يؤدى الى التفكير فى استغلال موارد لم يكن احد يفكر فى استغلالها ، وقد تبين علما وعملا ان هذه الدعوة الخبيثة الدالة على ضعف الايمان هى أيضا دعوة غير صحيحة من حيث مضمونها وأساسها .

وقدسبق أن انتشرت مثل هذه الدعوة بين الفرنسيين وطبقوها فعلا فلما هزموا فى الحرب لقلة عددهم ، نادى المصلحون عندهم بالعدول عنها وبالاكثار من النسل وتبين لديهم بالدليل العملى أن هذا الرأى فاسد أخرق ، وصدرت لديهم تشريعات اجتماعية بمنح اعانات لكل مولود يولد وبرعاية الاسر الكبيرة العدد . فكيف نفكر فى الحد من أفراد الشعوب الاسلامية ونحن نقاوم من كل مكان اعداء يجب أن نتفوق عليهم فى العدد والعدة . كما يلاحظ أن الانتاج يقوم أساسا على المجهود البشرى، فكلما زاد البشر زادت عناصر الانتاج ، وزاد تداول الاموال والنشاط الانسانى ووجدت مجالات جديدة للعمل . فلا شك اذن أن الدعوة لتحديد النسل مخالفة للسياسة القومية العربية . ولا تقوم على أساس اقتصادى أو علمى سليم كما تنطوى على مخالفة لروح الشرع وارادة الله سبحانه وتعالى فوق كل ارادة ، وهو يزيد فى الخلق مايشاء وما يزيده الله لا ينقصه البشر وحسبنا مثلا أن أدوية منع الحمل لاتتداول فى البلاد الاوربية بسهولة بل لابد فيها من أمر طبيب يقرر ضرورتها بالنسبة لظروف كل شخص على حدة ، وحتى لا يكون ذلك مثابة لتشجيع الفساد متى أمن المفسدون من الاحتمالات التى تترتب على عملهم .

هذا هو رأيى بصفةعامة والله أعلم بالحقيقةوالصواب

ولقد توجهنا الى فضيلة الاستاذ الشيخ ابو الوفا المراغى عضو لجنة احياء التراث الاسلامى لنسأله عن واجب الدولة حيال تنظيم الاسرة فاجاب فضيلته قائلا:

على صعيد الجمهورية العربية المتحدة معارك اجتماعية مختلفة أبرزها معركة الاسرة والاسرة حفية بكل عناية لاهميتها فى عملية بنائنا الاجتماعى والاقتصادى والمعنوى وقد احتدمت تلك المعركة بمناسبة مضاعفة النشاط فى تدعيم نظامنا الاشتراكى وبخاصة بمناسبة النظر فى تعديل قوانين الاحوال الشخصية . والصحف والمجلات اليومية والاسبوعية ميدان هذه المعركة فلا تكاد تفتح صحيفة أو مجلة حتى ترى بين موادها مقالا أو حديثا أو خبرا حول هذه المعركة .

والذى نلاحظه فى هذه المعركة استغلال عنصر الاثارة والمبالغة من انصار المرأة كاتبين وكاتبات . فمن يقرأ ما يكتبه هؤلاء يخال أن الاسرة المصرية أو الاسلامية بوجه عام فى الحضيض من أسر العالم وأنها أسرة منهارة مختلفة البنيان متداعية الاركان لاتصلح لاعداد الرجال وتنشئة الاجيال والامة لذلك مهددة بالاضمحلال والزوال وبسبب ذلك فى زعمهم أن الاسرة تعيش فى ظل قواعد وقوانين بالية انقضى زمانها واستنفدت اغراضها ويجب أن نستبدل بها قوانين حديثة تساير التطور الحضارى والنهوض الاجتماعى وما الى ذلك من العبارات التى يحفظها قارئوا الصحف والمجلات . والواقع أن الذى يحكم هذا الحكم العام على الاسرة المصرية مخطىء فى حكمه واهم فى تصوره أو هو على الاقل مبالغ فيه لحاجة فى نفسه فليست الاسرة المصرية بضع عشرات أو مئات من الاسر فى المدن تقع عليها أنظار الكاتبين والكاتبات أو تصل أخبارها للمتحدثين عن المرأة فى الصحف والمجلات ولكن الاسرة المصرية هى ملايين الاسر التى تسكن القرى والكفور والنجوع وعن دراستها وبحث أحوالها يجب أن يكون الحكم على الاسرة المصرية وعلى مستوى السعادة والاستقرار فيها .

ان تلك الملايين من الاسر الريفية تعيش فى ظل وارف من الهناء والاستقرار الاسرى ويتعاونوا رجالها ونساؤها وأبناؤها على حياتهم فى نطاق ما وهبهم الله من رزق وما قدر لهم من مستوى معاشى . وان تكن بعض تلك الاسر تعانى قلقا واضطرابا فتلك قلة لاتخلو منها جماعة من الجماعات مهما ارتقى مستواها الثقافى والاجتماعى

اننا من أبناء الريف نلتقى به ونتفاعل معه ونعنى بشىء من دراسة أحواله ويبهرنا هذا الاستقرار فى الاسرة الريفية اذا قيست بالاسرة فى المدن والعواصم ، وليس سبب هذا الاستقرار رهبة المرأة من سوط الرجل وسيطرته المادية عليها ، ولكن سببه سلوك المرأة ووقوفها عند قواعد الشريعة وقواعد الطبيعة وتقاليد المجتمع ، فالمرأة الريفية تعرف مكانها من هذه القواعد والتقاليد فلا تتحداه ولا تتخطاه فتعيش الاسرة فى أمن واستقرار . من الخطأ المبين اذن أن نحكم على الاسرة المصرية عامة ببضع حالات من الاسر فى المدن تصلنا ونحن على مكاتبنا فى الدواوين أو دور الصحف وتبدوا فيها المرأة فى صورة المجنى عليها من الرجل وفى صورة الضحية لقوانين الاحوال الشخصية التى وضعت فى عهود الرجعية والاستبداد وفى عهود الظلم والظلام كما يقولون .

ان المعركة التى تدور الان معركة حول بضع مئات من الاسر فى المدن لاتصلح أن تكون أساسا لحكم عام ويجب أن تدور حول الاسر عامة فى المدن والقرى ويجب أن يكون أطراف المعركة على دراسة واعية وفهم صحيح لاحوالها لكى يكون حديثهم عن تصور حقيقى للاسرة ولتستبين صلاحية القوانين الشخصية التى تعيش فى ظلها الأسرة المصرية .

ان قوانين الاحوال الشخصية وضعتها الشرائع لبناء الاسرة السعيدة وصيانتها وراعت فيها مصلحة جميع اعضائها من والد ووالدة وولد واعطت لكل حقه ، والزمته واجبه وبمقدار مراعاة كل لحقه وواجبه تسعد الاسر وتستقر واذا بدأ فى بناء الأسرة اعتلال أو انحلال فسببه اخلال بعض اعضائها بواجبه أو تجاوزه لحقه ، وسبب انحلال بعض الاسر فى المدن . أن المرأة فيها قد تأثرت كثيرا بدعوى الحرية والتحرر وفهمتها على وجه خاطىء أفضى بها الى الاصطدام بالرجل فتزلزلت قواعد الاسرة .

ان المرأة فى تلك الأسر ترى من الحرية أن تستبد بشئون الاسرة وتكون لها السيطرة الكاملة فى مجارى أمورها ، وترى أنه من حقها بمقتضى فهمها لدعوى الحرية والتحرر ويأبى عليها الرجل ذلك ، ومن حقه أن

يأبى فهو رب الاسرة ويصدر الحياة فيها واعرف بوجوه الخير في تصرفاته فيقع الاصطدام وتحل الكارثة ويكون سببها سوء تصرف المرأة ومهما ارتقى مستوى المرأة الثقافى والاجتماعى فهى دون الرجل روية وتقديرا وتدبرا وتدبيرا ، وحدة عواطفها وتذبذب رأيها وسطحية نظرتها للامور حقائق مقررة لايجادل فيها الا جاحد او معاند .

لهذا جعلت القوانين والشرائع امر الاسرة بيدالرجل ولو جعلت بأيدي المرأة لقطعتها في أول اشتباك أو احتكاك .. واذا صح أن هناك بضع نساء استحصنت عقولهن ، واستحكمت تجاربهم وصلحن بقيادة الاسرة فلا ينبغى أن توضع لامثالهن القوانين وتهمل الكثرة الغالبة من بنات جنسهن لان القوانين انما توضع حسبما يشيع فى الكثرة الغالبة من الاحوال والصفات فى النساء لا سيما ما يشذ فى بعضهن من ذكاء وروية وبعد نظر .

قد يكون لقوانين الاحوال الشخصية المستمدة من الشرائع بعض الضحايا ، كما يقول أنصار تعديل هذه القوانين ولكن هذه الضحايا قليلة لابد منها فى كل القوانين .

وهنا نسأل أى الامرين خير أنبقى هذه القوانين على حالها . كما وردت في الشرائع السماوية لتعيش في ظلها ملايين الاسر في الريف وفى كثير من المدن فى سلام أم تعدل هذه القوانين لتعالج حال بعض من الاسر أو على الاصح حال بعض من النساء تأثرن خطا بدعوى الحرية وخرجن على قواعد الطبيعة والشريعة وتقاليد المجتمع ونغفل الكثرة الغالبة من الاسر ؟

اذا استشفيت من داء بداء
فاقتل ما اعلك ما شفاك

ان أهم ما يعاب به قوانين الاحوال الشخصية هو منحه حق الطلاق وتعدد الزوجات للرجل . وفى الواقع ان هذين الحقين ليسا من معايب القانون بل هما عند التدبر والتامل من ابرز محاسنه فحق الطلاق صمام الامن في الاسرة به يتم تأسيسها وبهسلامتهاواستقرارها ولو سلب الرجل هذا الحق لما اقدم علي الزواج وتوقفت الي حد ما عملية بناء الاسر .

وكانت المرأة هى الضحية الاولى لسلب هذا الحق . لان الرجل اذا سلب هذا الحق علم أنه يقدم علي تكوين شركة لا اختيار له فى فسخها . مهما كانت خسارته ومهما كانت عواقبه فينصرف عنها ، واذا قدر له انيبنى اسرة فلا ضمان له فى استقرارها واستمرارها لانه يعلم أنه اذا ساءت العلاقة بينه وبين زوجه فلا سبيل له الا انهاء هذه الشركة فيضطر الى التماس علاقات أخرى غير مشروعة وتلتمس الزوجة مثل هذه العلاقات وهذه هى الفوضى التى تحول دونها قوانين الاحوال الشخصية بتقدير هذين الحقين للرجل .

لقد قامت الدولة بواجبها نحو الاسرة فى المجال الاقتصادى فأصدرت قوانين العمال التى ترفع من أجورهن وتمنحهن حصصا فى أرباح رؤوس الاموال وأصدرت للعاملين جميعا قوانين المعاشات التي تؤمنهن على مستقبلهن ومستقبل ابنائهن . كما أصدرت قانون الاصلاح الزراعى للنهوض بمستوى الفلاحين . وقامت الدولة بواجبها فى المجال الثقافى فجعلت التعليم مشتركا بين جميع الطبقات فى جميع المراحل بالمجان .

وقامت الدولة بواجبها فى المجال الصحى فاصدرت القوانين التى تنظم الخدمات الصحية للعمالوالفلاحين فى انحاء الجمهورية .

وقامت الدولة بواجبها فى المجال التشريعى الشخصى فالفت لجنة للنظر فى تعديل قوانين الاحوال الشخصية ومازالت اللجنة ماضية فى طريقها .

ومن واجب الدولة أن تحمى تلك اللجنة التى قدرت كفايتها ومنحتها ثقتها من الحملات العنيفة التى تشنها بعض الاقلام عليها . فقد استهدفت اللجنة اخيرا الى حملات طاشت فيها الاقلام وافلتت الالسنة واعوزها الروية واللياقة .

ومن واجب الدولة فى المجال الخلقى أن تحمى ناشئة الاسرة من الافلام الماجنة والافلام المثيرة والتمثيليات الخلقية والصور الفاجرة فلقد كان للاسراف فىالحديث عن الجنس وافلام الجنس اثر غير محمود فى نفوس الشبان والشابات وفى أخلاقهم وسلوكهم زلزل منقيمنا الخلقية وتقاليدنا الشرقية ، وان كثيرا من ارباب الاسر يعانون من وقاية ابنائهم وبناتهم من هذا الخطر .

لقد قال السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى خطبة له فى هذا الصدد : أننا نترك لرجال الصحافة وارباب الاقلام والفنون ان يدركوا مسئولياتهم فى التوجيه الخلقى لهذا الجيل واذا لم تفلح ضمائرهم فى تقدير مسئولياتهم فى التوجيه الخلقى لهذا الجيل واذا لم تفلح ضمائرهم فى تقدير مسئولياتهم فسنلجأ الىالقانون نكبح به جماح المنحرفين ونحمى اخلاق الناشئين . وما زلنا فى انتظار نزول هؤلاء عند اشارة الرئيس الحازمة .

وفى ختام جولتنا كان لقائنا الاخير مع المهندسة هدى عفيفى عضو مكتب توجيه الاسرة فسألناها عنالمشروعات المقترحة لتنظيم الاسرة فاجابت قائلة :

ان امة استطاعت بجهود ابنائها وفى ظل الثورة المباركة أن تحرز انتصارات سياسية واقتصادية واجتماعية لجديرة بأن تعيد بناء مجتمعها على أسس سليمة بحيث تحقق السيادة والاستقرار للاسرة . لذا يجب أن تحدث ثورة اجتماعية تعمل على تنظيم الاسرة من جميع النواحي لا من حيث التحكم فى العدد فقط ولكن من حيث تحديد نوع الاسرة أو بعبارة أخرى من حيث الكيف والكم .

والاسرة هى اللبنة الاولى فى بناء المجتمع ، والمجتمع القوى السليم يتكون من لبنات جيدة القوام والتركيب متماسكة يعمها الاستقرار والطمانينة ، وغير خاف أن كل خلل فى احدى هذه اللبنات يشوه البناء بأكمله ، بل وقد يتسبب فى انهياره .

لقد كثر الكلام فى هذا العصر عن تنظيم الاسرة وركز الباحثون اهتمامهم فى تحديد النسل للحد من عددافراد الاسرة وهذا مبدأ سليم ولكن لا يمكن أن تقف الجهود عند معالجة نقطة واحدة . أعنى حجم الاسرة بل يجب أن تتعداها الى جميع النواحى التى تؤثر على كيان الاسرة .

ان تحديد النسل ليس السبيل الوحيد لتنظيم الاسرة ولكى نقف على أسباب مقومات الاسرة يجب أن نبحث أولا عن أسباب ضعف هذا الكيان أى نبحث عن الداء فى مهده ونضع له الدواء المناسب قبل انيستفحل الداء ويتسرب الى باقى الكيان .

وانى أرى أنه لتنظيم الاسرة يجب أولا وقبل كل شيء تنظيم الزواج والسؤال كيف تنظم الزواج ؟؟

اننى أضع عدة مقترحات وأرجو أن توضع تحتالبحث من المهتمين بشئون الاسر :

١ - لكى يكون لنا تقاليد أو لكى ننشل انفسنا من بين أشلاء العادات والتقاليد التى تركها لناالمستعمرون

على مر السنين يجب ان تعود أولا الى أصول الدين الاسلامى الحنيف .

ولذا فالاقتراح الاول خاص بتعليم الدين . يجب أن تكون دراسة القرآن والدين مادة أساسية فى المدارس تدرس وتعرض على الطلبة فى هذه السن بطريقة روحية جذابة تجعلهم يتمسكون باهداب دينهم وتعاليمه فى جميع مراحل حياتهم .

كما أرجو ان يتفضل علماؤنا بعمل شرح واف لايات القرآن الكريم وبلغة فى مستوى مفهوم الطالب .

٢ ـ أن الام هى المدرسة الاولى للابناء ، ولذا يجب تثقيفها دينيا واجتماعيا واقترح لانجاز هذا العمل أن تشجع السيدات من مختلف الفئات سواء المثقفات أو العاملات أو ربات البيوت للاجتماع فى المساجد بصفة دورية لتلقى مبادىء الدين والدنيا فى اطار المبادىء الاسلامية والوطنية .

٣ ـ لقد ثبت من بحث حالات الاسر التعسة التى آل بها الحال الى الانهيار ثبت أن من اهم فشلها هو جهل الزوج والزوجة أو كلاهما بالمعلومات السليمة عن الحياة الاسرية . لذا اقترح أن تتضمن برامج التعليم ثقافة أسرية بحيث يشرف على هذه البرامج علماء النفس والاجتماع وعلماء الدين ويكون الهدف هو تثقيف الناس بأمور دنياهم فى اطار من الفضيلة والحكمة .

٤ ـ يجب ان تجتمع نخبة من رجالات الدين والاجتماع لوضع تقاليد مصرية نابعة من واقع ديننا الحنيف وتعرض على الشعب ليقرها ويسير على خطاها .

٥ ـ يجب توقيع الكشف الطبى على كل الراغبين فى الزواج ومنع من يثبت عدم صلاحيتهم من الزواج بقوة القانون .

٦ ـ لقد انشات وزارة الشئون الاجتماعية ضمن برامجها لاصلاح الاسرة انشات مشكورة بعض مكاتب اطلقت عليها اسم مكاتب توجيه الاسرة ، وهذه المكاتب ثبتت صلاحيتها وتؤدى خدمات جليلة للمجتمع غير أن عددها مازال قليلا جدا . لذا اقترح زيادة عدد هذه المكاتب وتوسيع اختصاصها بحيث تقوم بدور التوجيه والبناء الى جانب ما تقوم به حاليا من اصلاح ماافسده الزمن وما نتج عن مساوىء الزواج الخاطىء .

٧ ـ يجب تعديل قانون الاحوال الشخصية بحيث ينبع من الشريعة الاسلامية ويعتمد على نص وروح القرآن الكريم وخاصة فيما يتعلق بتعدد الزوجات والطلاق .

اننا نلاحظ أن الرجال يفسرون اباحة تعدد الزوجات طبقا لنزواتهم الشخصية ويتحايلون على تفسير القرآن ويدعون ان الله ترك للرجل حرية الزواج من أكثر من واحدة وبصفة مطلقة بدون أى رابط لذا يجب ان يتضمنها القانون .

لقد أنزل الله الآيتين الكريمتين :

« وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ألاتعدلوا فواحدة »

«ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم»

ان الدين الاسلامى يمتاز عن بقية الاديان السماوية بهذا التشريع الحكيم تعدد الزوجات للتغلب على مشكلة اجتماعية .

ان هذا التشريع نزل لحل المشاكل الاجتماعية التى يصادفها المسلمون اذ انه فى صدر الاسلام حدثت حروب وغزوات كثيرة استشهد فيها عدد من الرجال وعندما عاد المسلمون الى ديارهم واجهتهم مشكلة اجتماعية خطيرة .. ان اسر الشهداء من أرامل وأطفال ليس لهم عائل وليس لديهم مورد الرزق وهم يشكلون نسبة كبيرة فى المجتمع فما كان من الرسول عليه الصلاة والسلام الا أن دعا الاغنياء من المسلمين الى ضم هذه الاسر الى أسرهم يعولوهم ويتولوا أمرهم فنزلت الآية الكريمة « وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » .

وانى أقترح ان يكون قانون الاحوال الشخصية متمشيا مع روح القرآن الكريم يحقق الحكمة التى من اجلها حلل الله الزواج من أكثر من واحدة . يتضمن القانون شروطا واضحة على أساسها يمكن تعدد الزوجات هذه الشروط كما تفهم من نص وروح القرآن تنحصر فى الاتى :

ضرورة اجتماعية كبرى مثل زيادة عدد النساء على الرجال وعقم الزوجة الاولى ومرضها مرضا مستعصيا ، يمنعها من القيام بأعبائها الزوجية وشذوذها عقليا او خلقيا .

٨ ـ مشكلة الطلاق ان الدين الاسلامى شرع الطلاق لحكمة بالغة وتغلب بذلك على مشاكل خطيرة كانت تقابل المجتمع قبل هذا التشريع ولكننا نجد فى هذا العصر بعض الرجال يستعملون هذا الحق استعمالا سيئا لذلك اقترح أن يحدد القانون تبعية مايترتب على الطلاق ويتحمل المسئول عن الخطا لكى لايكون الطلاق سيفا مسلطا على عنق كل امرأة .

ان الله لم يشرع الطلاق للاستغلال وفى الوقت نفسه لايمكننا أن نضع قانونا يحرم الطلاق .

وبعد هذه الجولة فى رحاب الفكر لعلنا نستطيع ان نضع أصبعنا على وجه الحقيقة لنسير على هديها وعلى طريقها .. وفقنا الله للعمل على الطيب حسب القوانين السماوية والهداية الربانية .. والله ولى التوفيق .

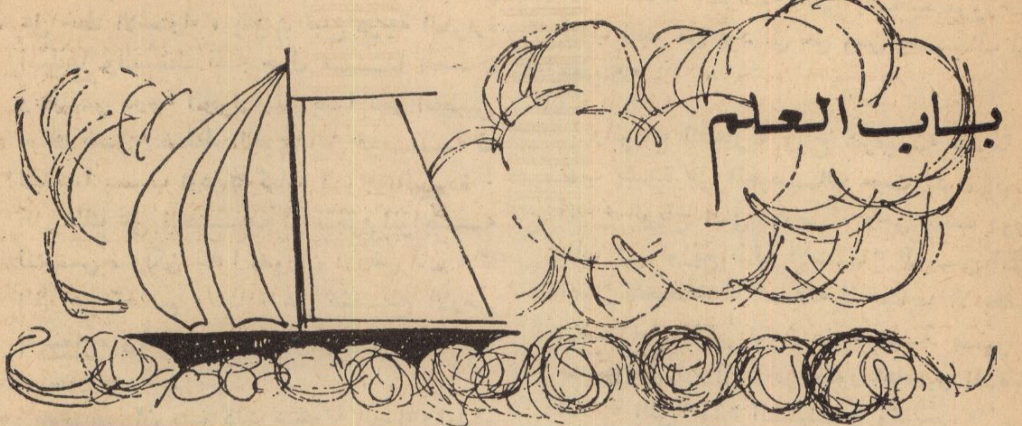

وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون .

سورة البقرة

الدكتور محمد جمال الدين الفندى

تنبهنا هذه الآية الكريمة وتلفت أنظارنا الى الأسس الرئيسية التى بنى عليها صرح العلم الرصد الجوى الحديث . فدراسات التيارات الكبرى للرياح ، أو ما يعرف باسم الدورة العامة ، تتناول أعظم البحوث الجوية أهمية وأكبرها أثرا فى تتبع توزيع عالمى النبات والحيوان ، وذلك نظرا لما يتبعها من توزيع عالمى النبات والحيوان ، أو فى معنى أصح توزيع السحب والأمطار . هذا كما أن دراسات تيارات الهواء الصغرى الخاصة بكل بقعة ، أو ما يعرف باسم الدورة المحلية ، فيها تفصيل شامل لما يطرأ على الجو من تقلبات وتطورات من يوم الى آخر .

وقصارى القول أن الرياح ـ وهى الهواء المتحرك تحت تأثير فروق الضغط الجوى ـ هى التى تثير السحب وتوزعها على سطح الأرض . وهذه الحقيقة العلمية لم يصل اليها الانسان الا حديثا فقط ، عندما عرف كيف يقيس الضغط الجوى ، وعرف أن الهواء يحمل بين طبقاته بخار الماء اللازم لتكوين السحب ، وأن هذا البخار انما يتصاعد من أسطح المحيطات والبحار ، وأنه يتكاثف ـ أو يتحول الى نقط من الماء أو بللورات من الثلج ـ فى مناطق تولد السحب ، وذلك عن طريق التبريد الذاتى الناجم عن صعود الهواء وانتشاره فى الطبقات العليا من الجو .

ولو أن الأرض سكنت ولم تتحرك ، وكان سطحها متجانسا ، لتعامدت أشعة الشمس على خط الاستواء ، بحيث تبلغ درجة الحرارة أشدها والضغط أقله حول هـذا الخط ، وتتناقص درجة الحرارة تدريجيا نحو القطبين حيث يصل الضغط الجوى أعلى قيمـة له عندهما بسبب ازدياد كثافة الهواء بالبرودة . كل ذلك على النصـف أو الجزء المواجـه للشمس ، ولكن نظرا لدوران الأرض فان هذه الظواهر تعـم وتتتابع على سـطح الأرض بأجمعه ، ولا تقتصر على جزء معين منه .

وبديهى أن يتبع ذلك سخونة الهواء وتمدده ثم ارتفاعه باستمرار حول خط الاسـتواء ، مما يسبب اثارة السحب وتولد العواصف والأمطار الغزيرة . ولا يلبث هـذا الهواء أن يفيض فى طبقـاته العليا تجـاه المدارين والقطبين حيث يتسـاقط مكونا أحزمة من الضغط العالى عند سطح الأرض .

وتعرف مناطق الضغط العالى التى ترابط حول المدارين باسم مناطق ركاب الخيـل . ونظرا لتساقط الهواء فيهـا من أعلا نجدها مناطق جافة تنتشر فيها الصحارى ، مثـل الصحراء الكبرى وصحراء كلهارى .

أما مناطق الضغط العالى التى تجثم فوق كل قطب فهى تعرف علميا باسم الطاقيـة القطبية ، وفيها تنتشر الصحارى القطبيـة كذلك .

وينساب الهواء من مناطق ركاب الخيـل الى منطقة الضغط الخفيف التى حول خـط الاستواء المعروفة باسم منطقة الركود ، على هيئة تيارين عظيمين هما الرياح التجارية . وفى نفس الوقت يتدفق الهـواء كذلك من مناطق ركاب الخيل نحو العروض المتوسـطة على هيئة رياح ممطرة هى الغربيات السائدة، وتتدفق من القطبين كذلك أهوية باردة نحـو العروض المتوسطة هى الشرقيات القطبية . ويفصل بين الشرقيات القطبة والغربيـات السائدة سطح وهمى هو الجبهة القطبيـة ، عليها تتولد انخفاضات جوية متحـركة هى الانخفاضات العرضية التى يصحب مرورهـا تقلب الجو من برد الى حر ومن جفـاف الى مطر (*) .

والرياح التجارية رياح شرقيـه عموما ، تهب بشدة على المحيطـات حيث تكون أثبت أنواع الرياح عـلى الأرض ، وهى تلعب دورا هاما فى توزيع طاقة الاشعاع الشمسى التى يصل المحيطات ، كما أنه لا ينتابها الا بعض الاضطرابات التى تكون على هيئـة أمـواج تسبب من آن الى آخر ظهور أعاصير المناطق الحارة التى تهدد السـفن وتسبب الرعب الشديد لعظم ما تحدث من تلف وما تسوقه أمامهـا من أمواج البحر المختلفـة الطول والصفات التى تسبب الطوفانات الساحلية .

اما الغربيات السائدة فهى رياح غير ثابتة بمعنى أنه تتغير شدتها واتجاهاتها تبعا لحالة الجو المحلية : فقد تصبح جنوبية شرقيـة أو جنوبية غربية ، أو حتى جنوبيـة . وفوق المحيط الأطلسى تدفع الغربيات السائدة معها مياه البحر الدافئة من مناطق ركاب الخيـل الى شواطىء غرب أوروبا حتى خـط عرض نحو ٨٠ درجة شمالا . ونظرا لهبوبهـا من مناطق ساخنة نسبيا الى أخرى باردة نجدها تثير السحب الممطرة ، ذلك لأن تبريد الهواء هو الذى يؤدى الى نشاط عمليات التكاثف .

وتتذبذب مناطق الغربيات السـائدة « ودورة الرياح العامة » صوب الشـمال أو الجنوب تبعا للوضع الظاهرى للشمس : فهى فى فصل الشتاء تنساب جنوبا وبذلك تغمر منطقة البحر المتوسط ومصر وتصيبها بأمطار الشتاء المعروفة . وفى مناطق الغربيـات السائدة تتتابع الانخفاضات العرضـية التى سبق ذكرها ، وتدور معها الرياح المحلية فى سلسلة تغمر المنطقة كلها بمتوسـطات من الضغوط الخفيفة التى تهب نحوها الرياح من الشمال والجنوب .

ومن الدورات المحليـة الهـامة الرياح الموسمية ، كتلك التى تهب على السـودان

والحبشة خلال الصيف وتسبب أمطار فيضان النيل • وتبدأ هذه الرياح فوق المحيط الهندى – جنوب خط الاستواء – كرياح جنوبية شرقية ، لا تلبث بعد عبورها خط الاستواء أن تصبح رياحا جنوبية غربيــة مطيرة • ولقد وجد بالبحث أن أغلب حالات المطر الغزير الذى يعم مناطق واسعة من السودان والحبشة – وقد يمتد الى جنوب مصر – انما تنشأ عن تدفق أهوية علوية باردة من الشرق ويصحبها تولد عدم استقرار جوى عظيم • وتقبل هذه الأهوية على صورة أحواض تتدفق من فوق المحيط الهندى كذلك ، أى أن هذا المحيط هو مصدر بخار الماء الذى ينشأ عنــه فيضان النيل •

وتحدث العواصف المحلية أيضـا عندما تزداد الرطوبة ازديادا ظاهريا خلال طبقـات سميكة من التيار الموسمى ، وذلك لأن ازدياد أبخرة المياه يساعد على نشاط تيارات الحمل أثناء النهار ، ومن ثم تولد العواصـف المحلية •

وتتغير مقادير الرطوبة فى التيار الموسمى بتغير الزمان والمكان ، وقد يكون السبب فى ازديادها أحيانا نشاط عواصف الرعد قرب خط الاستواء ، وما يتبع ذلك من تشبع الطبقات السطحية للهواء ببخار الماء •

ولقد دلت الأرصاد الحديثة فى أعالى الجو على وجود تيارات عليا يتدفق فيها الهـواء بسرعة فائقة، وهى تعرف علميا باسم التيارات النفاثة • وهى تبدو عادة كتيارات سريعة من الغربيات السائدة فى المناطق المعتدلة، وكتيار شرقى متدفق فى المناطق الاستوائية • وتلعب هذه التيارات دورا هاما فى عمليـات تولد السحب وهطول المطر ونشـاط العواصف المختلفة •

وعادة لا تشغل التيارات النفـاثة نفس خطوط العرض ، بل نجدها تعانى كثيرا من الازمات أو الذبذبات الواسعة صوب الشمال والجنوب من وقت الى آخـر ، ومن مكان الى آخر ، وعلى ذلك فهى أشبه ما يكون بالنهـر المتنقل ! ويمكن رصد آثار السرعة الكبيرة فى الرياح راسيا فوق المكان الذى تصل اليـه أجهزة الرصد الى ارتفاع نحوسبعة كيلومترات أو أكثر •

ورغم أننا لا نعـرف حتى الآن السبب الحقيقى الذى يؤدى الى تولد هذه التيارات الا أننا نعرف تماما أنها تلعب دورا هاما فى اثارة السحب ونزول المطر كما قدمنا • وتبين هذه الدراسات كلهـا ان تصريف الرياح أمر جدير بالبحث وأنه يسيطر على جـو الأرض وتوزيع الحياة عليها ، وهذا عين ما تشير اليه الآية الكريمة وتنبه اليـه ، اذ تقرر ان هذه الدراسات كلها هى من صفات القـوم العاقلين •

رقية
ذات الهجرتين

إعداد عائشة حسنى

فى هذا العدد أقدم مهاجرة أنارت لنا الطريق فكانت تاج الفخار فى زمانها هى :

رقية بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . أمها خديجة بنت خويلد . ولدت قبل الهجرة بحوالى ٢٠ سنة . قيل بأنها أكبر بنات الرسول ولكن المصادر قد أجمعت على أنها احدى بنات الرسول من السيدة خديجة التى يبلغ عددهن أربعة (زينب – رقية – ام كلثوم – وفاطمة) .

زواجها من عتبة :

قبل بعث النبى تقدم كل من عتبة وعتيبة ابنا عبد العزى (أبو لهب) لخطبة رقية وام كلثوم . فوافق النبى على هذا الزواج ولكن خديجة كانت لا تطمئن الى ذلك لأنها تعرف ما كانت عليه زوجة أبو لهب (أم جميل بنت حرب بن امية بن عبد شمس) فهى قاسية القلب شرسة الطباع ليس لها أى صفة من صفات القرشيات المليئات بالمروءة والاتزان .

خشيت خديجة كل هذا ولكنها لم تستطع ابداء اى اعتراض على الزواج حتى لا يكون سببا فى تمزيق أواصر القرابة بين محمد وآله .

وكانت خديجة الزوجة المخلصة الوفية لزوجها التى وهبته قلبها وتعلقت نفسها الطاهرة بسلك محبته بكل ما فيها من قوة وجلد .. والتى كانت حياتها بعد نبوته سلسلة حلقاتها مرائر الآمال والأحلام .

واستطاعت خديجة ان تكتم فى طيات قلبها القلق والاضطراب الى ان حدث ما كان فى الحسبان .

قام محمد - صلى الله عليه وسلم - برسالته التى أمره الله بها ، اصلاح جميع البشر فى أمور دينهم ودنياهم وازالة التعادى والتناكر بين شعوبهم وقبائلهم بالتعارف والتآلف بينهم ، واثبات المساواة فى الحقوق والاحكام بين أجناسهم ، وأفراد رجالهم ونسائهم ، على اختلاف عروقهم وألوانهم ، وبقاعهم وأفكارهم، ومنع التمايز بين الطبقات، وتحقيق التوحيد بينهم ..

وأنزل الله تعالى : « تبت يدا أبى لهب وتب. ما أغنى عنه ماله وما كسب. سيصلى نارا ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب . فى جيدها حبل من مسد » .

وذكر ابن اسحق أن أم جميل حمالة الحطب حين سمعت ما نزل فيها وفى زوجها من القرآن ، اتت رسول الله وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق وفى يدها فهر من حجارة - قطعة تملأ الكف - فلما وقفت أخذ الله ببصرها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم تر الا أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر أين صاحبك ، فقد بلغنى أنه يهجونى ، والله لو وجدته لضربت بهذا الفرفاه . ولما سأل أبو بكر الرسول عما اذا كانت رأته أم لا ؟ فقال الرسول بأن الله قد أخذ ببصرها عنه .

وحينما نزلت « تبت يدا أبى لهب » قال أبو لهب لولديه : رأسى من رأسكما حرام ان لم تفارقا ابنتى محمد . ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما .

ولو تتبعنا المعاملة السيئة والقسوة التى لاقتها رقية فى بيت أبى لهب لوجدناها قابلت الاساءة بالعطف والقسوة باللين وكانت حياتها كلها مليئة بالصبر والتسامح ..

كان أبو لهب يرى فى طلاق رقية وام كلثوم اخمادا لدعوة محمد لانشغاله بناته . ولكن هذا الطلاق لم يؤثر فى حياة محمد المليئة بالكفاح والجهاد والصبر ..

زواج رقية من عثمان :

أسلمت رقية حين اسلمت خديجة وبايعت النبى - صلى الله عليه وسلم - وهى واختها حين بايعه النساء . وتزوجت من عثمان بن عفان بمكة وهاجرت معه الهجرتين الى الحبشة ثم الى المدينة. وهاجرت مع الرسول ومرضت ورسول الله يتجهز الى بدر فخلف عليها الرسول عثمان .

رحبت الحبشة بالمهاجرين الاولين ثم ما لبثت أن فتحت أبوابها لباقى المسلمين من الوفود المهاجرة . وكان للنجاشى فضل كبير بأن أحسن استقبال الوفود وتركهم احرارا يعبدون الله لا يخافون أحدا .

واطمأن قلب رقية بأنها لم تكن وحيدة فى هذه البلاد بعد أن تركت بلدها الحبيب . فوجدت معها كثيرات من النساء من آل زوجها ومن بنى أسد وبنى زهره وبنى عامر . ومهما اختلفت القبائل فانها اجتمعت لرفع راية الاسلام عالية مدوية فى جميع الممالك والارجاء .

خرجت النساء مع أزواجهن فى طاعة الله.. وهاجرن - كما هاجروا - فرارا بدينهم .. ذهبن مع أزواجهن ، مشيرات مؤتمنات ، ومعينات صادقات .

ومما يبين لنا صدق ايمان المرأة المسلمة وجهادها ما رواه ابن سعد عن ابى حمزة انه قال :

لما قدمت أسماء بنت عميس من أرض الحبشة، قال لها عمر بن الخطاب : ياحبشية سبقناكم بالهجرة - وأحسبه قالها فاكها - فقالت : أى لعمرى لقد صدقت !. كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ، ويعلم جاهلكم ، وكنا البعداء الطرداء ، أما والله لآتين رسول الله فلأذكرن ذلك له . فاتت النبى - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا رسول الله ان رجالا يفخرون علينا ، ويزعمون انا لسنا من المهاجرين الاولين .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل لكم هجرتان ، هاجرتم الى ارض الحبشة

ونحن مرهنون بمكة ، ثم هاجرتم بعد ذلك الى .

وتبين لنا أيضا أن الهجرة بيد المرأة مهدت واختمرت وعلى يدها تكونت وتكاملت وبرايها وعزمها أثمرت وأينعت .

وأثرت الاحداث التى مرت برقية فى صحتها أيما تأثير فاسقطت جنينها الاول ولكنها وجدت من رعاية زوجها وحبه ما اعانها على الازمات التى مرت بها .

ورجعت وزوجها الى مكة ولكنها ما لبثت ان هاجرت الى يثرب هى وعثمان . وفى هجرتها هذه أنجبت لعثمان ولدا سماه عبد الله وكان يكنى به وحينما بلغ سن السادسة نقر عينه ديك فتورم وجهه ومرض ومات .

وفاتها :

مرضت رقية بالحصبة ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتجهز الى بدر فخلف رسول الله عثمان يعالجها وتخلف عثمان مكرها عن موقعة بدر ، ليشهد معركة الموت فى أعز من له ! وبعد وفاتها جاء زيد بن حارثة بشيرا بالنصر فى بدر وعثمان قائم على قبرها .

توفيت رقية ورسول الله - صلى الله عليه وسلم ببدر فى السنة الثانية للهجرة فقيل وسلم ببدر فى السنة الثانية للهجرة .

حينما توفيت رقية بكت النساء عليها . فجاء عمر بن الخطاب وجعل يضربهن بسوطه .. فأخذ النبى بيده وقال : دعهن يا عمر يبكين : ابكين واياكن ونعيق الشيطان فانه مهما يكن من القلب والعين فمن الله فقعدت فاطمة على شفير القبر الى جنب النبى - صلى الله عليه وسلم - تبكى ، فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمسح الدمع من عينيها بطرف ثوبه . عن أنس بن مالك أنه قال : شهدنا دفن بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورسول الله جالس على القبر فرايت عينه تدمعان . فقال : هل منكم من أحد لم يقارف الليلة ؟ فقال ابوطلحة : أنا .. فقال أنزل فى قبرها فنزل فى قبرها .

وهذا يبين مقدار حب الرسول لابنته وحزنه عليها حين وفاتها . وهكذا انتهت حياة رقية .. حياة التضحية والجهاد .. وسميت لذلك رقية ذات الهجرتين .

الاردن

مدينة التاريخ وملتقى الديانات السماوية

لقاء مع الطالبة الأردنية عنان توفيق أبو السعود

إعداد نجاة الزنيرى

الاردن .. مدينة التاريخ وملتقى الديانات .. شهدت أرضها قدوم الانبياء . فيها هبط ابراهيم عليه السلام . وموسى عليه السلام . وفيها ولد عيسى عليه السلام . وسرى اليها محمد خاتم الأنبياء.. كما زارها عمر بن الخطاب وبويع فيها معاوية ، وبنى فيها عبد الملك بن مروان مسجد الصخرة المشرفة وبنى الوليد بن عبد الملك المسجد الأقصى .. وتتابعت الحضارات العربية الاسلامية فى غور الاردن وعلى تلاله وفى صحرائه .

والاردن هى خط النار . وعلى امتداد ٤٦٥ كيلو مترا يقف الجيش الاردنى فى مواجهة اسرائيل . ويستقبل ٦٥٠ الفا من ابناء فلسطين صباح كل يوم بنظرة عبر الحدود الى الارض السليبة حيث ينقسم الشارع الى شقين نصفه عربى ونصفه تضع عليه اسرائيل يدها الملوثة . وحيث ينقسم البئر الواحد الى قسمين نصفه فى الاردن ونصفه الثانى فى فلسطين المحتلة ويمتد من اجل الماء دلو من هنا ودلو من هناك.. وحيث المسجد الذى شطره خط الهدنة شطرين فأصبحت صلاة الجمعة فيه أسبوعا لعرب الاردن واسبوعا لعرب فلسطين المحتلة .. والاردن تمثل موقعا متوسطا بين الدول العربية . ففى شمالها سوريا وفى الشمال الشرقى العراق وفى الشرق والجنوب المملكة العربية السعودية ومن الغرب يمتد خط الهدنة بين الاردن وفلسطين المحتلة .. وفى خلال السنوات العشر الاخيرة خطت الاردن خطوات واسعة فى مجالات التقدم والازدهار الصناعى والزراعى والتجارى والاجتماعى .

***

وفى القاهرة .. التقيت بالطالبة عنان توفيق أبو السعود – من الاردن – عاشت معنا ٦ سنوات .. جاءت طالبة بالثانوى .. وهى الآن تدرس ادارة الأعمال بكلية التجارة جامعة القاهرة .. لا تلتقى بأسرتها فى الأردن الا فى الاجازات الصيفية .. تحمل فى قلبها طموحا وتفاعلا ايجابيا وناضجا وخصبا نحو دورها الذى تأمله فى المجتمع الأردنى بعد التخرج والعودة الى وطنها ..

حدثتنى عن ماضى الأردن كدولة تختزن

تراث الاديان السماوية .. كما حدثتنى عن حاضر الاردن فى نهضتها الشاملة وعن المراة وتنظيماتها الاجتماعية ونشاطها الحافل .

* * *

اضخم تراث روحى حضارى فى الاردن :

فى الاردن ثلاثة عشرة مدينة .. والعاصمة عمان فى الضفة الشرقية وتقوم على سبعة تلال .. تعود آثارها للعهد الرومانى فى القرن الثانى بعد الميلاد .

وفى (القدس) توجد بوابة مندليوم التى تفصل القدس العربية عن القدس المحتلة .. وفى القدس قبر المسيح فى كنيسة القيامة ، وفيها الصخرة المقدسة حيث أسرى الرسول عليه السلام (من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله) .. ويعتبر جامع الصخرة والجامع الاقصى من اقدس الآثار الاسلامية وتوجد أوقاف اسلامية لصيانة آثار المدينة ويوجد المتحف الاسلامى والمكتبة الخالدية وقلعة القدس فى باب الخليل وجبل الزيتون ومتحف الآثار الفلسطينى .

وفى (مدينة الخليل) .. هبط ابراهيم عليه السلام ، ودفن فيها طائفة من الأنبياء وزوجاتهم .

وفى (بيت لحم) ولد المسيح عليه السلام . وتعتبر نابلس قلعة حصينة من قلاع العروبة .

و (مدينة طولكرم) تلتحم حدودها مع اسرائيل وفيها بئر نصفه لعرب الأردن ونصفه الثانى لفلسطين المحتلة . وفيها مسجد شطره خط الهدنة شطرين .. و (خليج بيت صفافة) يمتد الى داخل اسرائيل وبه شارع ينقسم بالاسلاك الشائكة الى قسمين خضوعا لخط الهدنة .

وابرز مظاهر الطبيعة هو (نهر الاردن) وقد سميت المملكة باسمه وهو من اشهر انهار العالم منذ ان اعتمد فيه المسيح عليه السلام وهو ينبع من جبال سوريا ولبنان ويمر ببحيرتى الحولة وطبريا ويلتقى بنهر اليرموك ويصب فى البحر الميت .

وفى الاردن يمتزج التاريخ القديم بالتاريخ الحديث فى صورة رائعة .

* * *

فى الاردن نهضة شاملة :

١ ــ التعليم :

وينقسم التعليم فى الاردن الى مرحلتين الاولى وتستمر ٧ سنوات والثانية عامين والتعليم فى المرحلة الاولى مجانا وفى الثانية برسم قدره حوالى جنيهين فى السنة وتشمل المدارس الثانوية التعليم العام والزراعى والصناعى وتؤهل شهادة الدراسة الثانوية العامة الطلاب الالتحاق بالجامعات « بدون المعلمين والمعلمات فى المملكة الاردنية والحكومة ترسل سنويا عددا كبيرا من البعثات الى الجمهورية العربية المتحدة والبلاد الاوروبية للتخصص فى مختلف حقول العلم والمعرفة والفن .. وفى الاردن ٧ معاهد للمعلمين والمعلمات وتوجد كليتان للزراعة وخمسة مراكز للتدريب المهنى . وفى عام ١٩٦٢ انشئت أول جامعة اردنية وقد بدات نشاطها بكلية الآداب .. وسوف تنشأ كليتين جديدتين للعلوم والتجارة والاقتصاد خلال العامين القادمين .. كذلك ستنشأ كلية الشريعة فى عمان .

٢ ــ الخدمات الصحية :

ومن اجل النهوض بالمستوى الصحى للمواطنين قامت وزارة الصحة الاردنية بتوفير الخدمات الضخمة والطبية مجانا للمواطنين وفى الاردن ٥٢ مستشفى نصفها تابع للحكومة والعيادات الحكومية موزعة فى جميع انحاء البلاد . وتشمل العناية الصحية بالمواطنين الى جانب العلاج والوقاية ونشر الثقافة الصحية وانشاء مراكز الامومة والطفولة وانشاء معاهد المرضين والمرضات .

٣ ــ الخدمات الاجتماعية :

عنيت الحكومة الاردنية بالاسرة .. وعملت على رفع مستواها المعيشى ووفرت الطمانينة والاستقرار الاجتماعى لافرادها .. وانشات المعاهد العلاجية والوقائية لعلاج القاصرين المنحرفين .. وانشات الجمعيات لمساعدة

الاسر المحتاجة وتقدم وزارة الشئون الاجتماعية اعانات للنقابات العمالية لرفع مستوى العامل .

الاتحاد النسائي الاردني

كانت المرأة الأردنية قبل نكبة فلسطين محجبة تلتزم البيت .. وبعد النكبة خرجت المرأة من البيت تبحث عن العمل بعد ان أصبح العلم هو السلاح الوحيد فى معركة الحياة الجديدة .. وبدأ النشاط النسائى يبرز الى حيز الوجود الايجابى الفعال .

ومع تطور العلاقات الاجتماعية وانتشار التعليم ظهرت المرأة الاردنية فى المجتمع وتأسس اتحاد المرأة الاردنية .. وانشأ العديد من الجمعيات الخيرية تديرها وتوجهها المرأة الاردنية ..وشهدعام ١٩٥٠ تطوراجديدا فى تاريخ المرأة الأردنية عندما انضم المجتمع الاردنى للمجتمع الفلسطينى بضم جزء من فلسطين المحتلة للاردن .

ولكن رغم تقدم المرأة الأردنية ووعيها الاجتماعى والثقافى والسياسى الملحوظ ومساهمتها فى كافة النشاطات الاجتماعية والثقافية وخروجها لميادين العمل فى مختلف المجالات والمصالح الحكومية الا انها مازالت حتى الآن محرومة من حق الانتخاب والتمثيل النيابى ..» .

وقد بدأت بعض المشتركات فى الاتحاد النسائى ينادين بضرورة مساواة المرأة بالرجل أمام القانون والدستور بعد أن تحققت المساواة العلمية ومنحها حق الانتخاب والترشيح .. ان أعلى منصب وصلت اليه المرأة الاردنية حتى الآن هو منصب وكيلة وزارة التربية والتعليم وهو لسيدة تحمل الدكتوراة فى التربية وكانت هى المندوبة النسائية الوحيدة فى مؤتمر التربية الذى كان منعقدا فى الجامعة العربية .

الجمعيات النسائية :

جمعية الهلال الاحمر : ولها فروع فى كل بلاد الاردن .. وتقوم بالرعاية الصحية والمجانية للأم والطفل .

الاتحاد النسائى : ورئيسته (السيدة زليخة شهابى) وله فروع فى البلاد الاردنية لرعاية الاسرة والامومة ونشر الوعى الصحى

اتحاد الجمعيات الخيرية : وهو تابع لوزارة الشئون الاجتماعية ويقوم بمساعدة الاسر الفقيرة .

جمعية المقاصد لمحو الامية .. وتعليم الامهات ..

جمعية رعاية الاسرة .. وجمعية الفتاة اليتيمة .. ودار الطفل وقد أسسته السيدة (هند الحسينى) سنة ١٩٤٨ وفيه مدرسة ودار حضانة لرعاية اطفال اللاجئين .

الاردن بلد التقاليد العريقة :

واهم التقاليد التى سادت زمنا تلك التى تمت فى اطارها قضايا الخطبة والزواج.

ففى الخطبة .. يذهب (الجاهه) وهم جماعة من وجهاء البلد لخطبة الفتاة ولايذوقون شيئا فى منزل الخطيبة حتى يأخذوا وعدا بالموافقة فيتناولوا الشربات ويبدأ رئيس الجاهه الخطبة بقوله : (جئنا طالبين ومن عند الله ومن عندك ان شاء الله ما نرجع خائبين)

فيجيب والد الفتاة أو ولى امرها (حياكم الله ما أنتم مكروهين القمران قدامكم والظلمة وراءكم) .

ويتم الاتفاق على الزواج فى جاهه ثانية لقطع اعتراضات أولاد العم الذين من حقهم الاعتراف على الجاهه الأولى وايقاف الزواج .

وتسبق حفلات الزواج بعض العادات منها (النصة) وهى نشر ملابس العريس والعروس على الحبال والغناء عندها .. و (القطار) وهم مجموعة من النساء والرجال يذهبون لاحضار العروس .. و (الفاردة) ويطلق على من يحنين العروس من النساء .

وبعد ..لاشك أن عجلة التطور تسير فى طريقها .. فالمرأة العربية لها تاريخ طويل ومواقف خالدة وان كان الاستعمار والرجعية قد استطاعا عرقلة حركتها وتقدمها فترة من الوقت .. الا أنها كافحت للحصول على حقوقها الانسانية .. وحتما سيأتى اليوم الذى تتبوأ فيه المرأة العربية مركزها الانسانى اللائق عن جدارة واستحقاق .

أنت تسأل ..؟

والمفتي يجيب ...

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون

السؤال الأول : من ح.ب.ح ـ الجيزة :

يقول أن قوله تعالى « وما ربك بظلام للعبيد » نفى لصيغة المبالغة ـ وهذا لا يفيد نفى الظلم كما تقول ان فلانا ليس أكالا ـ فهذا نفى لكثرة الأكل وليس نفيا للأكل ـ ويرجو الايضاح .

الجواب : ان الآية الكريمة صورة من صور البيان القرآنى التى تفيد المبالغة فى نفى الظلم فهى كما يقول الالوسى فى تفسيره ، مبالغة فى النفى وليس نفيا للمبالغة ، فالآية الكريمة تنفى الظلم عن الله سبحانه نفيا مؤكدا مبالغا فيه ، والله أعلم .

السؤال الثانى : من نفس السائل

يقول انه يظهر عنده « ودى » بعد الاستبراء الكامل من البول ويسال ان كان يعتبر من المعذورين ؟

الجواب :

ان الشخص لا يعتبر معذورا الا اذا كان ما يصاب به لا ينقطع عنه وقتا كاملا من أوقات الصلاة ـ أما حالة الودى التى يشكو منها السائل فانها لاتصيبه الا عقب البول فلاتعتبر بذلك عذرا وعليه أن ينتظر بعد البول فترة من الزمن ولا يتعجل الاستبراء ثم يجفف مايراه ظاهرا من الودى اذا لم يخرج من سبيله بطريقة أو بأخرى ثم يستنجى .

السؤال الثالث : من سعدية عبد اللطيف الشهيرة بسلوى ـ من سكة دير الملاك البحرى

تقول أنها متزوجة من موظف مسيحى اشهر اسلامه وانجبت منه بنتا ولكنه أرتد عن الاسلام أمامها ويسخر منها كثيرا حين تؤدى شعائر الاسلام ويسب الاسلام ورسوله ، وقد ذهبت معه الى الكنيسة مرغمة لتحصل منه على قوتها ، وتريد الطلاق والحصول على النفقة وتسأل عما تفعله ؟

الجواب :

أن على هذه السيدة أن تفارق زوجها هذا المرتد عن الاسلام فورا ثم ترفع أمرها لمحكمة الأحوال الشخصية لتحكم لها بالمتاركة بينها

وبين زوجها وترفع عليه دعوى نفقة ، وهذا كله من اختصاص محكمة الأحوال الشخصية.

السؤال الرابع : من محمود دياب بدر – المساكن الشعبية امبابة .

يسأل عن رجل متزوج من سيدة وله منها أولاد – وله من سيدة أخرى مطلقة ولد آخر – وتريد زوجته ان يكتب لها ولأولادها جميع تركته ويحرم ابنه من مطلقته :

ويسأل هل هذا يجوز أم لا ؟؟

الجواب :

ان توزيع التركة بين الورثة قد تكفلت به الشريعة الاسلامية طبقا لما ورد فى القرآن الكريم والسنة النبوية – ومن يفعل غير ذلك فهو مخالف لما اراده الاسلام من توزيع التركة بين الورثة ، وقد اراد رجل فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ان يميز بعض أبنائه عن بعض ، وذهب الى النبى صلى الله عليه وسلم ليشهده على ذلك ، فلما علم منه الرسول صلوات الله عليه وسلامه ان الرجل لم يعط باقى أولاده مثل هذا الابن انكر عليه ذلك وقال له « اتشهدنى على جور » ومن هذا يفهم ان ما يفعله بعض الآباء من تمييز بعض ابنائهم أو حرمان البعض انما هو ظلام تأباه عدالة الاسلام .

السؤال الخامس : من كمال عبد الظاهر محمد – الطالب بكلية دار العلوم

يسأل عن تزين المرأة بالعطور والبودرة وهى صائمة – هل هو حرام أو مكروه ؟

الجواب :

انها ان قصدت بعطرها وزينتها اثارة الرجال أو لفت أنظارهم فهو حرام ، واذا لم تقصد ذلك فلا شىء عليها ، قال تعالى : « قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق » الا أن الأفضل لها أن تمتنع عن ذلك فى نهار رمضان حتى لا يكون فى ذلك اثارة لزوجها أو لغيره . فانه من هذه الزاوية تأتى الكراهة والله أعلم .

السؤال الخامس : من نفس السائل :

يقول : هل يجوز للنساء أن يخرجن الى المقابر أيام الأعياد بالمظاهر التى نشاهدها من تزين البعض وجلوس البعض فى حلقات يلطمن وجوههن ؟

الجواب :

ان هذه المظاهر التى تشاهد عليها بعض زائرات المقابر من الزينة أو لطم الخدود ، أو غيرها – حرام لا يقرها الاسلام ، وقد قال الرسول – صلى الله عليه وسلم – لنساء كن متوجهات لزيارة المقابر : ارجعن مأزورات غير مأجورات » . وقال – صلى الله عليه وسلم – : « ليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود ودعا بدعاء الجاهلية » . وقد شرعت زيارة المقابر للعظة والاعتبار ، وما نشاهده من زائرات القبور فى المواسم والأعياد أبعد ما يكون عن العظة والاعتبار .

السؤال السابع : من نفس السائل :

يقول – امرأة صائمة طلب منها زوجها أن يعاشرها معاشرة الأزواج ولم تستطع التخلص منه ، فهل يجوز لها بعد المعاشرة أن تستحم وتعتبر صائمة أم يفسد صومها ؟

الجواب :

ان صوم هذه السيدة فسد ، وعليها القضاء ويجب عليها الاغتسال ، ولكن الاغتسال لا يمنع من فساد الصوم لأن المعاشرة الزوجية من مفسداته .

السؤال الثامن : من نفس السائل :

يقول ما حكم الحاج الذى زار بيت الله وبعد حجه لا يصلى ولا يصوم ، ويأتى المنكر؟

الجـــواب :

ان من حج فقد سقطت عنه الفريضـــة وما قدمه من أعمال صالحة سيؤجر عليها ان شاء الله تعالى - فاذا ارتكب معصية بعد ذلك فعليه وزرها ، وقد قال الله تعالى : « فمـــن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

السؤال التاسع :من نفس السائل :

يقول لماذا رهن النبى - صلى الله عليــه وسلم درعه عند يهودى ، ولم يرهنه عنـــد مسلم ؟

الجـــواب :

ان اليهود هم المتجرون بالمـال من قديم الزمان ، وهذا شانهم دائما ، ولو أن هنـــاك من المسلمين من يستطيع الاقراض فقد يكون الرسول - صلى الله عليه وسلم - امتنع عن رهن درعه عنده لعلمه أن الصحابى حين يعلم حاجة الرسول - صلى الله عليه وسلم - الى المال فسيسارع باعطائه له ولا يقبل الرهن ، والرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يقبل ذلك ، والرسول - صلى الله عليه وســـلم - يضع لامته تشريعا حكيما .

السؤال العاشر : من احمد عبد الرازق السيد - من الزيتون :

يريد أن يتزوج من ابنة خاله التى تصغره بسبع سنوات وقد رضعت من امه مع اخيه الأصغر ويسأل عما اذا كانت تحـــل له او تحرم عليه ، كمـــا يسأل عن عدد الرضعات المحرمة ، ثم يسأل عما اذا كان أخـوها الأكبر هو الذى رضع فقط من أمه مع أخيه الأصغر ؟

الجـــواب :

ان هذه البنت التى رضعت من أم السائل تحرم عليه لأنها أخته من الرضـــاعة ، والله تعالى يقول : « **حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة** » . والرســـــول - صلى الله تعالى عليه وسلم - يقـــول : « **يحرم من الرضاع ما يحرم من النســب** » . ولا عبـــرة بمن رضعت معه ، فالاخوة ثابتة حتى ولو كان الارضاع مع أخ السائل الأصغر .

وأما عدد الرضعات التى تثبت التحريم فهى كما يقول الامام الشافعى واحمد - رضى الله عنهما - خمس متفـــرقات ، ويرى باقى الفقهاء أنه لا عبرة بعدد الرضعات فالتحريم عندهم يثبت ولو بمصة واحـــدة فى زمن الارضاع ، ونحن قـــد ارتضينا راى الامام الشافعى ونفتى به . وأما اذا كان الذى رضع من أم السائل هو أخ البنت التى يريد الزواج منها ولم ترضع البنت نفسها من أمه ، فان السائل يجوز له أن يتزوج منها لأنها حينئـــذ تكون أختـــا لأختـــه وليست أختا له فلا يثبت التحريم بينهما - والله أعلم .

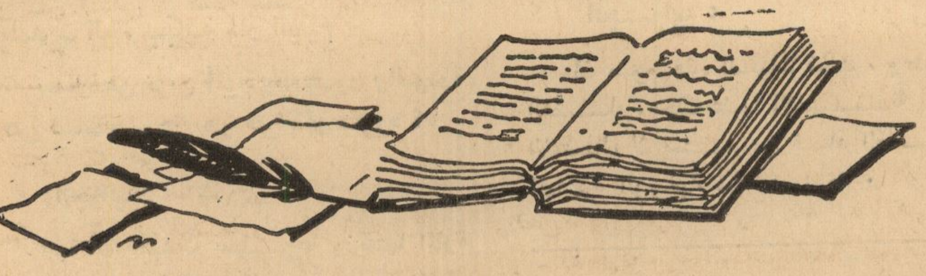

مع القراء

اعداد : فؤاد هيبة

عزيزى القارىء :

ان الاعمال الحية الخالدة هى التى تتسم بالايجابية والبعد عن السلبية فى مثلها ومبادئها وأهدافها • والهجرة النبوية ستظل أبدا المثل الاعلى للاحداث التاريخية فى هذا المضمار ، وذلك لاتسامها بالاصالة فى أسبابها ، والتزامها الروحية بواعثها ، وتزودها بالتقوى فى مقاصدها وانتصاراتها ، ومن هنا كانت الهجرة النبوية منهلا عذبا ، ومرجعا أمينا ، ودستورا قويما للحركات التحررية والثورات التقدمية •• والمجلة اذ تشارك الشعوب العربية والاسلامية فرحتها بالعام الهجرى الجديد متمنية أن يحقق المسلمون بكفاحهم – مع اشراقه – الحق والخير والحرية والسلام للانسانية جمعاء •• تهيب بهؤلاء الذين يتسمون بالسلبية فى أقوالهم ومواقفهم تجاه فلسطين ، خاصة ، والمشكلات العربية الاسلامية عامة •• تهيب بهم المجلة أن يكون لهم فى ايجابية الهجرة النبوية عظة وعبرة وفى غزوات الرسول قدوة حسنة •

شكر • و • تقدير

السيد/محمد خميس عبد المجيد – تاجر – السكة الجديدة – الاسكندرية

يقول فى رسالة موجزة معبرة : **« أرجو أن تعبروا على لسانى فى مجلة منبر الاسلام الغراء ، انها قد أصبحت اليوم أقوى المجلات الاسلامية العالمية موضوعا ، وأبرزهن أثرا فى النفس ، وارحبهن صدرا ، وأعلاهن شأنا •• فهى عامرة بكل طريف مفيد ، وكل نافع فريد • ومجلة هذا شأنها فهى – ان شاء الله – ستكون دائما فى الطليعة راسخة كالطود ، شامخة كالجبل الأشم ، وفقكم الله وسدد خطاكم » . والمجلة اذ تنشر هذا القدر من رسالتك – يا أخى – شاكرة لك المشاعر** الاسلامية الصادقة والعاطفة الدينية الخالصة •• تقرر – فى ايجاز – ايمانها بأن طريق الكمال هو طريق الكفاح والجهاد فى بذل وفداء ، والعمل والمثابرة فى عزم ومصابرة .. والله الموفق ، وشكرا •

دموع • و عرق

السيد/محمد محمد عبد الرحيم – دندرة – قنا :

ان قصتك « دموع وعرق » تعالج موضوعا ايجابيا ومن ثم استطاعت أن تحقق أهم عناصر القصة وهى تضمنها عنصر القيمة والاهمية فى هذه الحياة الى جانب عنصر الحياة الزمنية ، فضلا عن مواقف التشويق والاثارة والمفاجاة التى قد حفلت بها القصة •• ولكنها افتقرت الى الأسلوب البلاغى المعبر الموحى بحيث يصبح حذف كلمة واحدة منها مخلا بالمعنى •• والمجلة اذ تكرم فيك هذه الروح المتحفزة •• تتمنى لك التوفيق •

« منبر الاسلام » •• موسوعة ذهبية :

السيد/محمة احمد العزب – طالب بدار المعلمين – البعيرات – الاقصر :

ان ما تتحدث عنه – يا اخى – من مجهودات ضخمة وأعمال مثمرة تحققها المجلة فى مجال الدعوة الى الحق والطريق القويم فى جميع مناحى الحياة عبر قارات العالم •• **انما هو قليل من كثير من رسالتها التى اختطتها وتسعى جاهدة الى تحقيقها فى ظل العصر الذهبى لحرية القلم •• عصر الوحدة والحرية والاشتراكية فى رعاية بطل العروبة ورائد السلام السيد الرئيس جمال عبدالناصر** •• هذا وقد تلقى الأستاذ محمود شوكت العدوى تحيتك شاكرا •

بريد التعارف

الاسم : عبد الله دحدح
البلد : اندونيسيا ـ سورابايا
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب بالمعهد الدينى
الهواية : المراسلة ـ قراءة الكتب والمجلات العربية ـ جمع الطوابع والصور ـ الاستماع الى الاغانى العربية
العنوان : Njampelungan 99 Surabaya

الاسم : اسحاق سليمان
البلد : كامبوديا
السن : ٢٤ سنة
المهنة : طالب بكلية الهندسة ـ قسم الكهرباء بكامبوديا
الهواية : المراسله وقراءة الكتب الاسلامية بالفرنسية
العنوان : Sahak-Slayman élève du 1ère T.B. des Arts Phonom-Penh Cambodge

---

الاسم : زين الحداد
البلد : اندونيسيا ـ سورابايا
٢٠ سنة
الهواية : المراسله ـ جمع الصور
العنوان : Njampelungan 99 Surabaya

الاسم : محمد صالح
البلد : اندونيسيا ـ سورابايا
السن : ٢٠ سنة
الهواية : المراسلة ـ جمع الصور ـ قراءة المجلات
العنوان : Kalimasudikwa /16 Surabaya

الاسم : احمد شوقى
البلد : اندونيسيا ـ سورابايا
١٩ سنة
الهواية : المراسله ـ الاطلاع جمع الصور
العنوان : Panggung 134 Surabaya

الاسم : عبد العزيز بابجيد
البلد : اندونيسيا ـ سورابايا
السن : ١٩ سنة
الهواية : المراسلة ـ جمع الصور والطوابع ـ الاطلاع
العنوان : P.O. Box 79 Surabaya

الفهرس

معالم الطريق ٣

زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة ٥

حول علاقة الاجهزة الشعبية بالاجهزة الحكومية ... السيد الاستاذ حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ... ١٠

موازنة قرآنية بين العرب واليهود ... فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ... ١٢

الرمزية فى عالم الرؤى والاحلام تعقيب ورد فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ... ١٦

حقيقة التصوف ... الاستاذ حسن عباس زكى ... ٢٠

من الحضارة الاسلامية ... الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل ... ٢٣

الاسلام والقومية العربية ... الدكتور أحمد الحوفى ... ٢٩

المحرم وعاشوراء ... الدكتور على عبد الواحد وافى ... ٣٣

ما لايجوز الخلاف فيه بين المسلمين ... فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ... ٣٧

خوارق العادات ... فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى ... ٤١

خواطر مستشار ... المستشار على منصور ... ٤٥

الراى العام ... الاستاذ محمود كمال ... ٤٨

الفتوة وعلاقتها بالجهاد والفروسية ... الاستاذ محمود الهجرسى ... ٥٢

فى تحديد النسل ... الاستاذ البهى الخولى ... ٥٥

هجرات الرسول ... فضيلة الشيخ ابوالوفا المراغى ... ٦٣

وفى انفسكم افلا تبصرون ... الدكتور عبد الحليم كامل ... ٦٥

من اعمال العلماء العرب فى الرياضيات ... الدكتور عبد الحليم منتصر ... ٦٨

المجتمع الاسلامى بعد الهجرة ... فضيلة الشيخ عبد الله المشد ... ٧١

الايثار والتضامن فى الهجرة ... الدكتور محمد سلام مدكور ... ٧٤

الاسلام بين العقل والنقل ... الاستاذ محمود ابو الفيض المنوفى ... ٨٠

التولى يوم الزحف ... الفريق عبد الرحمن امين ... ٨٢

دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الاسلام ... الاستاذ حسنى عبد المجيد ... ٨٦

الاسلام والجهاد ... الاستاذ صلاح الدين عطية ... ٩٠

من جهود العلماء المسلمين فى خدمة النص القرآنى ... الدكتور مصطفى الصاوى الجوينى ... ٩٢

حديث السيف ... الاستاذ محمد فرج ... ٩٤

توحيد اعياد المسلمين ... الاستاذ محمد عبد الحافظ صوفى ... ٩٧

القانون الدولى العام والاسلام ... الاستاذ اسماعيل كشميرى ... ٩٩

اليهودية ... الدكتور أحمد شلبى ... ١٠١

وقفة بين عامين ... فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع ... ١٠٤

عبد الناصر صانع السلام ... الاستاذ كامل عبد المجيد ... ١٠٨

الانسانية فى الاسلام ... الاستاذ محمد عطيه الابراشى ... ١١٠

نظرة فى اخلاقيات البيع والشراء ... الاستاذ محمد قاوى عمر ... ١١٣

الجمال الساحر فى اسلوب القرآن ... الاستاذ حسن الشيخة ... ١١٥

حل الازمات فى الاسلام ... الدكتور فؤاد محمد فخر الدين ... ١١٦

حول الامبراطورية المقدسة ... الدكتور جمال الدين الرمادى ... ١١٩

ابن القوطى البغدادى ... الاستاذ محمد سيد جاد الحق ... ١٢١

حياة المقر الشهابى ... الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى ... ١٢٣

موح	الاستاذ بهاء الدين القبانى	١٢٦
الفاروق خطيبا	الدكتور محمد كامل جمعة	١٣٠
اول خليفة فى الاسلام	الاستاذ عبد العال شعيب	١٣٢
اضواء على الهجرة النبوية	الدكتور حسن محمود	١٣٥
اضواء على التاريخ الاسلامى	الاستاذ محمد محيى الدين الالوائى	١٣٨
حول رباعيات الخيام	الاستاذ مبشر الطرازى	١٤٢
من وحى الهجرة	الاستاذ عبد العليم عمر	١٤٥
اعجاز القرآن البيانى	الدكتور حفنى شرف	١٥٠
فى الدين المقارن	الدكتور محمد سالم الجرح	١٥٤
انسان الاسلام	الاستاذ ابراهيم عوضين	١٥٨
الاشتراكية الناصرية	الاستاذ محمود فتحى عمر	١٦٢
الهجرة كما فهمها الاولون	الدكتور سعد الدين الجيزاوى	١٦٦
الشعر الدينى	الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل	١٧٠
صحوة العملاق الاسمر	الشاعر عبدالله شمس الدين	١٧٤
من نفحات الرسول	الشاعر على الجمبلاطى	١٧٦
ثقة ومحبة	الشاعر على الجندى	١٧٨
فنان من مكة	الاستاذ حسين الطوخى	١٨٢
ندوة الشهر	الاستاذ عبد الرحمن الشربينى	١٨٨
باب الرياضة	الاستاذ ناصف سليم	١٩٠
لماذا اسلمت		١٩٥
الفن الاسلامى	الاستاذ شفيق احمد عبد القادر	١٩٦
تنظيم الاسرة فى الاسلام	تحقيق من اعداد عبد العظيم ملوك ـ زينب ذكرى	٢٠٢
باب العلم	الدكتور محمد جمال الدين الفندى	٢٠٩
رقية ذات الهجرتين	اعداد عائشة حسنى	٢١٢
الاردن مدينة التاريخ	اعداد نجاة الزنيرى	٢١٥
انت تسال والمفتى يجيب	فضيلة الشيخ حسن مامون	٢١٨
مع القراء	اعداد فؤاد هيبه	٢٢١
بريد التعارف		٢٢٢

مجموعة اسطوانات

الصلاة

وتحتوى على ٧ اسطوانات شاملة
الأذان * الوضوء
الصلوات الخمس

اسطوانات

المصحف المرتل

فى ٤٤ اسطوانة

ترقبوا فى منتصف كل شهر عربى

سلسلتى

كتب إسلامية

و

دراسات فى الإسلام

تضمن الحصول على
مكتبة اسلامية جامعة
بأقلام كتاب متخصصين

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية